الوسيلة ما يتقرب به الى الغير قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا [illegible] المعاصي
وابتغوا اليه الوسيلة اى بفعل الطاعات من وصل الى [illegible] اليه والمراد بها
في حديث [illegible] آت محمدا الوسيلة منزلة في الجنة سميت المنزلة بها لكون الواصل اليها قريبا
من الله تعالى فانها بلقائه فتكون كالوسيلة التي يتوسل بها لحصول الزلفى من الله تعالى قاضي بيضاوي

عدد اوراق اوچ يوز [illegible] يدى

١٥٥ ٢١٩

T. C.
İSTANBUL
Fatih Kütüphanesi
SAYI

٢٩٨

ان التفاسير في الدنيا بلا عدد وليس فيها لعمري مثل كشاف
لئن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته فالجهل كالداء والكشاف كالشافي

وقف شيخ زاده

عدد اوراق
بلا اسبولس

كتاب الجلد الاول من الكشاف الى اخر قوله تعالى ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل
من سورة الانعام

٢٤٩
٢٥١

وهو شيخ زاده اجيوز قرق ايكي ورق
كتبه الفقير محمد حمدي الحاجي حسن

عدد ورق ٣٥١ مجلد

عدد اوراق [illegible] ابي
٥٠٩ العمر [illegible] مصطفى [illegible]
[illegible] الصادق من الاوراد
والقراءة من الاعمال

قال ابن عباس الحمد لله الشكر لله وهو ان صنع الى خلقه فحمدوه يعني انه
احسن اليهم فشكروه وقال [illegible] الحمد لله الثناء لله وتعظيما له قوله
الحمد لله على انه على الامر او على الاخبار او على الابتداء قال بعضهم
معنى الامر قولوا الحمد لله فاضمر القول كما في كثير من الايات قال تعالى
واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا اي قالا ربنا
ويدل على هذا الاضمار قوله اياك نعبد واياك نستعين والمعنى انه
اضمار قولوا وعلى هذا ذكره قوله تعالى الحمد لله وهذا تعليم من الله لعباده كيفية
حمده وثنائه وقال بعضهم معنى الاخبار ومعناه ان جميع المحامد
ومدح المادحين لله بالحقيقة وذلك لان المنعم هو الله تعالى وان الشكر له
قال وما بكم من نعمة فمن الله وهو [illegible] عليكم من خلقه فهو منه وعدل واما
الابتداء فحمد من الله تعالى لنفسه [illegible] يحب الحمد والله لا احد احب
اليه الحمد من الله تعالى ولذلك مدح نفسه [illegible] ان الحمد لله في الوجوه الثلاثة
لا وجه لامتناعك عن الحمد [illegible] ان جعل على الامر فعليك الامتثال وان
جعل على الاخبار فعليك الدوام عليه والاستكثار وان جعل على الابتداء
فلا وجه للمخالفة والاستكبار وكيف يمكن صاحب عمل من جمله
وتمكن والاولى حفظ عن تعاجب ومن قاد [illegible] الحمد لله تعالى نفسه
ومثله من الخلق غير محمود قلت ليس [illegible] ذلك حقا وصدقا والجليل
لا الطهارة الكبرى [illegible] قول يوسف انه حفيظ عليم وقوله عليه السلام انا سيد ولد
آدم لا فخر وذلك على انه يكره للفخر وقد يكون للشكر [illegible] رآه من نعمة افتخر
ومن رآه من الله تعالى شكر فاظهر انه للشكر لا للفخر فقال ولا فخر ولان
الهدايه يكرا من الخلق مدحهم لوصفهم بما انعم الله تعالى فعليه يرجع الحمد
الى الله تعالى الا بنفسه والله تعالى مستحق الحمد لذاته لا بامر فيكون
في ذلك تعريف الخلق [illegible] عليه بما اثنى على نفسه وكذا
ان العبد وان قلت رتبته [illegible] نقصه وذميمه وتعالى الكبير
عن النقائص والمعايب علو [illegible] فيكون حسنا منه وعلى ذلك الشكر
بحمد الله تعالى ولا يحمد [illegible] ذكرنا ٥ بعضه من التفسير وبعضه
من المطلع ٥

قال ابن عباس رضي الله عنه ان ابليس من الملائكة فلعنت فصار
شيطانا [illegible] ابليس [illegible] من اشراف الملائكة
[illegible] الاربعة ثم ان ابليس بعد ذلك ترك السجدة [illegible]
[illegible] ان [illegible] فقال [illegible] ابليس على ترك السجدة فاوحى الله
[illegible] قال [illegible] فقال فهل امتثل آدم معرفة فقال انا
[illegible] ان يسجد لقبر آدم ميتا
[illegible] ان [illegible] لما سجد له
[illegible] سجد له حيا

جلد اول اشبو سورة الانعامه دك جزء قرب
يرينه وارنجه آيات قرآن كنارينه سرخله يازلمش
قرق جلدلي اوچ يوز قرق ايدي ورق كتبه اضعف
العباد المدعو بشيخ زاده

٣٧٤

K. 462

Süleymaniye U. Kütüphanesi
Kısmı: Fatih
Yeni Kayıt No:
Eski Kayıt No: 374

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل القران كلاما مولفا منظما ونزله
بحسب المصالح منجما وجعله بالتحميد مفتتحا وبالاستعاذة
مختتما واوحاه على قسمين متشابها ومحكما وفصله سورا
وسوره آيات وميز بينهن بفصول وغايات وما هي الا صفات
مبتدئ مبتدع وسمات منشئ مخترع فسبحان من استاثر
بالاولية والقدم ووسم كل شي سواه بالحدوث عن العدم انشاه
كتابا ساطعا تبيانه قاطعا برهانه وحيا ناطقا ببينات
وحجج قرانا عربيا غير ذي عوج مفتاحا للمنافع الدينية والدنيوية
مصدقا لما بين يديه من الكتب السماوية معجزا باقيا دون
كل معجز على وجه كل زمان دايرا من بين ساير الكتب على كل لسان
في كل مكان افحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء وابكم به
من تحدي به من مصاقع الخطباء فلم يتصد للاتيان بما يوازيه
او يدانيه واحد من فصحائهم ولم ينهض لمقدار اقصر سورة
منه ناهض من بلغائهم على انهم كانوا اكثر من حصى البطحا واوفر
عددا من رمال الدهناء لم ينبض منهم عرق العصبية مع
اشتهارهم بالافراط في المضادة والمضارة والقائهم الشراشر
على المعازة والمعارة ولقائهم دون المناضلة عن احسابهم
الخطط وركوبهم في كل ما يرومونه الشطط ان اتاهم احد بمفخرة
اتوه بمفاخر وان راماهم بماثرة رموه بماثر وقد جرد لهم الحجة
اولا والسيف اخرا فلم يعارضوا الا السيف وحده على ان السيف
القاضب مخراق لاعب ان لم تمض الحجة حده فما اعرضوا عن
معارضة الحجة الا لعلمهم ان البحر قد زخر فطم على الكواكب

وان

وان الشمس قد اشرقت فطمست نور الكواكب والصلوة
على خير من اوحي اليه حبيب الله ابي القسم محمد بن عبد الله بن عبد
المطلب بن هاشم ذي اللواء المرفوع في بني لؤي ذي الفرع
المنيف في عبد مناف بن قصي المثبت بالعصمة المويد بالحكمة
الشادخ الغرة الواضح التحجيل النبي الامي المكتوب في التورية
والانجيل وعلى اله الاطهار وخلفائه من الاختان والاصهار
وعلى جميع المهاجرين والانصار اعلم ان متن كل علم وعمود كل
صناعة طبقات العلماء فيه متدانية واقدام الصناع فيه
متقاربة او متساوية ان سبق العالم العالم لا بخطى يسيرة
او تقدم الصانع الصانع لم يتقدمه الا بمسافة قصيرة وانما
الذي تباينت فيه الرتب وتحاكت فيه الركب ووقع فيه الاستباق
والتناضل وعظم التفاوت والتفاضل حتى انتهى الامر الى
امد من الوهم متباعد وترقى الى ان عد الف بواحد ما في العلوم
والصناعات من محاسن النكت والفقر ومن لطايف معان
فيها مباحث الفكر ومن غوامض اسرار محتجبة وراء استار
لا يكشف عنها من الخاصة الا اوحدهم واخصهم والا واسطتهم
وفصهم وعامتهم عماة عن ادراك حقايقها باحداقهم عناة
في يد التقليد لا يمن عليهم بجز نواصيهم واطلاقهم ثم ان املا العلوم
بما يغمر القرايح وانهضها بما يبهر الالباب القوارح من غرايب نكت
يلطف مسلكها ومستودعات اسرار يدق سلكها علم التفسير
الذي لا يتم لتعاطيه واجالة النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ
في كتاب نظم القران فالفقيه وان برز على الاقران في علم الفتاوى
والاحكام والمتكلم وان بز اهل الدنيا في صناعة الكلام وحافظ

القصص والاخبار وان كان من ابن القرية احفظ والواعظ
وان كان من الحسن البصري اوعظ والنحوي وان كان انحى من سيبويه
واللغوي وان علك اللغات بقوة لحييه لا يتصدى منهم احد
لسلوك تلك الطرائق ولا يغوص على شي من تلك الحقائق الا رجل قد
برع في علمين مختصين بالقران وهما علم المعاني وعلم البيان
وتمهل في ارتيادهما آونة وتعب في التنقير عنهما ازمنة وبعثته
على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله وحرص على
استيضاح معجزة رسول الله بعد ان يكون آخذا من سائر العلوم
بحظ جامعا بين امرين تحقيق وحفظ كثير المطالعات طويل المراجعات
قد رجع زمانا ورجع اليه ورد ورد عليه فارسا في علم الاعراب
مقدما في جملة الكتاب وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها
مشتعل القريحة وقادها يقظان النفس دراكا للمحة وان لطف
شانها منتبها على الرمزة وان خفي مكانها لا كزا جاسيا ولا
غليظا جافيا متصرفا ذا دربة باساليب النظم والنثر مرتاضا غير
ريض بتلقيح بنات الفكر قد علم كيف يرتب الكلام ويولف وكيف
ينظم ويرصف طالما دفع الى مضايقه ووقع في مداحضه ومزالقه
ولقد رايت اخواننا في الدين من افاضل الفية الناجية العدلية
الجامعين بين علم العربية والاصول الدينية كلما رجعوا الي في تفسير اية
فابرزت لهم بعض الحقائق من الحجب افاضوا في الاستحسان والتعجب
واستطيروا شوقا الى مصنف يضم اطرافا من ذلك حتى اجتمعوا الي
مقترحين على ان املي عليهم الكشف عن حقائق التنزيل وعيون
الاقاويل في وجوه التاويل فاستعفيت فابوا الا المراجعة والاستشفاع
بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد والذي حداني على الاستعفاء على

علمي انهم طلبوا ما الاجابة اليه علي واجبة لان الخوض فيه كفرض العين
ما ارى الزمان من رثاثة احواله وركاكة رجاله وتقاصر هممهم عن ادنى
عدد هذا العلم فضلا ان تترقى الى الكلام المؤسس على علمي المعاني والبيان
فامليت عليهم مسالة في الفواتح وطائفة من الكلام في حقائق سورة
البقرة وكان كلاما مبسوطا كثير السؤال والجواب طويل الذيول والاذناب
وانما حاولت به التنبيه على غزارة نكت هذا العلم وان يكون لهم منارا
ينتحونه ومثالا يحتذونه فلما صمم العزم على معاودة جوار الله
والاناخة بحرم الله فتوجهت تلقاء مكة وجدت في مجتازي بكل
بلد من فيه مسكة من اهلها وقليل ما هم عطشى الاكباد الى العثور
على ذلك المملى متطلعين الى ايناسه حراصا على اقتباسه فهز
ما رايت من عطفي وحرك الساكن من نشاطي فلما حططت الرحل
بمكة اذا انا بالشعبة السنية من الدوحة الحسنية الامام الشريف
الامير شرف آل رسول الله ابي الحسن علي بن حمزة بن وهاس ادام الله
مجده وهو النكتة والشامة في بني الحسن مع كثرة محاسنهم وجموم
مناقبهم اعطش الناس كبدا والهبهم حشا واوفاهم رغبة حتى
ذكر انه كان يحدث نفسه في مدة غيبتي عن الحجاز مع تزاحم ما هو فيه
من المشاده بقطع الفيافي وطي المهامه والوفادة علينا بخوارزم
ليتوصل الى اصابة هذا الغرض فقلت قد ضاقت علي المستعفي الحيل
وعيت به العلل ورايتني قد اخذت مني السن وتقعقع الشن وناهزت
العشر التي سمتها العرب دقاقة الرقاب فاخذت في طريقة اخصر من
الاولى مع ضمان التكثير من الفوائد والفحص عن السرائر ووفق الله
وسدد ففرغ منه في مقدار مدة خلافة ابي بكر رضي الله عنه وكان يقدر
تمامه في اكثر من ثلثين سنة وما هي الا اية من ايات هذا البيت

المحرم وبركة افيضت علي من بركات الحرم المعظم اسال الله ان يجعل
ما تعبت فيه منه سببا ينجيني ونورا لي على الصراط يسعى بين يدي
وبيميني وهو نعم المسؤول سورة فاتحة الكتاب مكية وقيل مكية
ومدنية لانها نزلت بمكة مرة وبالمدينة اخرى وتسمى ام القرآن
لاشتمالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله تعالى بما هو اهله
ومن التعبد بالامر والنهي ومن الوعد والوعيد وسورة الكنز والوافية
لذلك وسورة الحمد والمثاني لانها تثنى في كل ركعة وسورة الصلاة
لانها تكون فاضلة او مجزية بقراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية
وهي سبع ايات بالاتفاق الا ان منهم من عد انعمت عليهم دون التسمية
ومنهم من مذهبه على العكس سورة الفاتحة مكية وقيل مدنية
وهي سبع ايات بسم الله الرحمن الرحيم
قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على ان التسمية ليست
باية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك
بالابتداء بها كما بدي بذكرها في كل امر ذي بال وهو مذهب ابي حنيفة
رضي الله عنه ومن تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلاة وقراء
مكة والكوفة وفقهاؤهما على انها اية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه
الشافعي واصحابه ولذلك يجهرون بها وقالوا اثبتها السلف في المصحف
مع توصيتهم بتجريد القرآن ولذلك لم يثبتوا آمين فلولا انها من القرآن
لما اثبتوها وعن ابن عباس رضي الله عنه من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة
اية من كتاب الله تعالى فان قلت بم تعلقت الباء قلت بمحذوف تقديره
بسم الله اقرا او اتلو لان الذي يتلو التسمية مقروء كما ان المسافر اذا
حل وارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله احل وبسم الله ارتحل
وكذلك الذابح وكل فاعل يبدا في فعل ببسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية

مبدا له

مبدا له ونظيره في حذف متعلق الجار قوله عز وجل في تسع ايات
الى فرعون وقومه اي اذهب في تسع ايات وكذلك قول العرب في الدعاء
للمعرس بالرفاء والبنين وقول الاعرابي باليمن والبركة بمعنى اعرست
او نكحت ومنه قوله فقلت الى الطعام فقال منهم فريق نحسد الانس الطعاما
فان قلت فلم قدرت المحذوف متاخرا قلت لان الاهم من الفعل
والمتعلق به هو المتعلق به لانهم كانوا يبدؤون باسماء آلهتهم فيقولون
باسم اللات باسم العزى فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله
عز وعلا بالابتداء وذلك بتقديمه وتاخير الفعل كما فعل في قوله اياك
نعبد حيث صرح بتقديم الاسم ارادة للاختصاص والدليل عليه قوله
بسم الله مجريها ومرسيها فان قلت فقد قال اقرا باسم ربك فقدم
الفعل قلت هناك تقديم الفعل اوقع لانها اول سورة نزلت وكان
الامر بالقراءة اهم فان قلت ما معنى تعلق اسم الله بالقراءة قلت فيه
وجهان احدهما ان يتعلق بها تعلق القلم بالكتبة في قولك كتبت بالقلم
على ان المؤمن لما اعتقد ان فعله لا يجيء معتدا به في الشرع واقعا على
السنة حتى يصدر بذكر اسم الله لقوله عليه السلام كل ذي امر ذي بال لم يبدا
فيه باسم الله فهو ابتر والا كان فعلا كلا فعل جعل فعله مفعولا باسم الله
كما يفعل الكتب بالقلم والثاني ان يتعلق به تعلق الدهن بالانبات في
قوله تنبت بالدهن على معنى متبركا باسم الله اقرا وكذلك قول الداعي للمعرس
بالرفاء والبنين ومعناه اعرست ملتبسا بالرفاء والبنين وهذا الوجه اعرب
واحسن فان قلت فكيف قال الله تعالى متبركا باسم الله اقرا قلت هذا
مقول على السنة العباد كما يقول الرجل الشعر على لسان غيره وكذلك الحمد لله
رب العالمين الى اخره وكثير من القرآن على هذا المنهاج ومعناه تعليم عباده
كيف يتبركون باسمه وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه فان قلت

من حق حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد ان يبنى على الفتحة التي هي
اخت السكون نحو كاف التشبيه ولام الابتداء وواو العطف وفائه
وغير ذلك فما بال لام الاضافة وبائها بنيتا على الكسر قلت اما اللام فللفصل
بينها وبين لام الابتداء واما الباء فلكونها لازمة للحرفية والجر والاسم احد
الاسماء العشرة التي بنوا اوايلها على السكون فاذا نطقوا بها مبتدئين
زادوا همزة لئلا يقع ابتداؤهم بالساكن اذا كان دابهم ان يبتدئوا بالمتحرك
ويقفوا على الساكن لسلامة لغتهم من كل لكنة وبشاعة ولوضعها على
غاية من الاحكام والرصانة واذا وقعت في الدرج لم تفتقر الى زيادة
شيء ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم قال
باسم الذي في كل سورة سمه وهو من الاسماء المحذوفة الاعجاز كيد ودم
واصله سمو بدليل تصريفه كاسماء وسمي وسميته واشتقاقه من السمو
لان التسمية تنويه بالمسمى واشادة بذكره ومنه قيل للقب النبز
من النبز قشر النخلة الاعلى فان قلت فلم حذفت الالف في الخط
واثبتت في قوله باسم ربك الاعلى قلت قد اتبعوا في حذفها حكم الدرج
دون الابتداء الذي عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال وقالوا طولت
الباء تعويضا من طرح الالف وعن عمر بن عبد العزيز انه قال لكاتبه طول
الباء واظهر السنات ودور الميم والله اصله الاله قال معاذ الاله
ان تكون كظبية ونظيره الناس اصله الاناس قال ان المنايا يطلعن
على الاناس فحذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف ولذلك قيل في النداء
يا الله بالقطع كما يقال يا اله والاله من اسماء الاجناس كالرجل والفرس اسم
يقع على كل معبود بحق او باطل ثم غلب على المعبود بحق كما ان النجم اسم
لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط والبيت
على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه واما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود

بالحق لم يطلق على غيره ومن هذا الاسم اشتق تاله واله واستاله كما قيل
استنوق واستحجر في الاشتقاق من الناقة والحجر فان قلت اسم هو ام
صفة قلت بل اسم غير صفة الا تراك تصف ولا تصف به لا تقول شيء اله
كما لا تقول شيء رجل وتقول اله واحد صمد كما تقول رجل كريم خير وايضا
فان صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجري عليه فلو جعلتها كلها صفات
بقيت غير جارية على اسم موصوف بها وهذا محال فان قلت هل لهذا
الاسم اشتقاق قلت معنى الاشتقاق ان ينتظم الصيغتين فصاعدا
معنى واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم اله اذا تحير ومن اخواته دله
وعله ينتظمهما معنى التحير والدهشة وذلك ان الاوهام تتحير في معرفة
المعبود وتدهش الفطن ولذلك كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر
الصحيح فان قلت هل يفخم لامه قلت نعم قد ذكر الزجاج ان تفخيمها سنة
وعلى ذلك العرب واطباقهم عليه دليل انهم ورثوه كابرا عن كابر والرحمن فعلان
من رحم كغضبان وسكران من غضب وسكر وكذلك الرحيم فعيل كمريض
وسقيم من مرض وسقم وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك
قالوا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا ويقولون ان الزيادة في البناء لزيادة المعنى وقال
الزجاج في الغضبان هو الممتلي غضبا ومما طن على اذني من ملح العرب انهم
يسمون مركبا من مراكبهم بالشقدف وهو مركب خفيف ليس في ثقل
محامل العراق فقلت في طريق الطايف لرجل منهم ما اسم هذا المحمل اردت
المحمل العراقي فقال اليس ذاك اسمه الشقدف قلت بلى قال فهذا اسمه الشقنداف
فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى وهو من الصفات الغالبة كالدبران والعيوق
والصعق لم يستعمل في غير الله عز وجل كما ان الله من الاسماء الغالبة واما قول
بني حنيفة في مسيلمة رحمن اليمامة وقول شاعرهم فيه وانت غيث الورى
لا زلت رحمانا فباب من تعنتهم في كفرهم فان قلت كيف تقول الله رحمن

انصرفه ام لا قلت اقيسه على اخواته من بابه اعني نحو عطشان وغرثان
سكران فلا اصرفه فان قلت قد شرط في امتناع صرف فعلان ان يكون
فعلان فعلى واختصاصه بالله يحظر ان يكون فعلان فعلى فلم تمنعه الصرف
قلت كما حظر ذلك ان يكون له مونث على فعلى كعطشى فقد حظر ان يكون له
مونث على فعلانة كندمانة فاذن لا عبرة بامتناع التانيث للاختصاص
العارض فوجب الرجوع الى الاصل قبل الاختصاص وهو القياس على
نظايره فان قلت ما معنى وصف الله بالرحمة ومعناها العطف
والحنو ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها قلت هو مجاز عن انعامه على
عباده لان الملك اذا عطف على رعيته ورق لهم اصابهم بمعروفه وانعامه
كما انه اذا ادركته الفظاظة والقسوة عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه
فان قلت فلم قدم ما هو ابلغ من الوصفين على ما هو دونه والقياس
الترقي من الادنى الى الاعلى كقولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد
فياض قلت لما قال الرحمن فتناول جلايل النعم وعظايمها واصولها
اردفه الرحيم كالتتمة والرديف ليتناول ما دق منها ولطف الحمد لله
رب العالمين الرحمن الرحيم الحمد والمدح اخوان وهو الثناء والنداء
على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على انعامه وحمدته على حسبه
وشجاعته واما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح
قال افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا والحمد باللسان
وحده فهو احدى شعب الشكر ومنه قوله عليه السلام الحمد راس الشكر ما شكر الله
عبد لم يحمده وانما جعله راس الشكر لان ذكر النعمة باللسان والثناء على
موليها اشيع لها وادل على مكانها من الاعتقاد واداب الجوارح لخفاء عمل
القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق
الذي يفصح عن كل خفي ويجلي كل مشتبه والحمد نقيضه الذم والشكر نقيضه

الكفران

الكفران وارتفاع الحمد بالابتداء وخبره الظرف الذي هو لله واصله النصب
الذي هو قراءة بعضهم باضمار فعله على انه من المصادر التي تنصبها العرب بافعال مضمرة
في معنى الاخبار كقولهم شكرا وكفرا وعجبا وما اشبه ذلك ومنها سبحانك ومعاذ الله
ينزلونها منزلة افعالها ويسدون بها مسدها ولذلك لا يستعملونها معها
ويجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة والعدول بها عن النصب الى الرفع
على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره ومنه قوله تعالى قالوا سلاما
قال سلام رفع السلام الثاني للدلالة على ان ابرهيم صلوات الله حياهم بتحية احسن
من تحيتهم لان الرفع دال على معنى ثبات السلام لهم دون تجدده وحدوثه والمعنى
نحمد الله حمدا ولذلك قيل اياك نعبد واياك نستعين لانه بيان لحمدهم له كانه قيل كيف
تحمدون فقيل اياك نعبد فان قلت ما معنى التعريف فيه قلت هو نحو التعريف
في ارسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد من ان
الحمد ما هو والعراك ما هو من بين اجناس الافعال والاستغراق الذي يتوهمه
كثير من الناس وهم منهم وقرا الحسن البصري الحمد لله بكسر الدال لاتباعها اللام
وقرا ابرهيم بن ابي عبلة الحمد لله بضم اللام لاتباعها الدال والذي جسرهما على ذلك
والاتباع انما يكون في كلمة واحدة كقولهم منحدر الجبل ومغيرة تنزل الكلمتين
منزلة كلمة لكثرة استعمالهما مقترنتين واشف القراءتين قراءة ابرهيم حيث
جعل الحركة البنائية تابعة للاعرابية التي هي اقوى بخلاف قراءة الحسن الرب
المالك ومنه قول صفوان لابي سفيان لان يربني رجل من قريش احب الي من ان
يربني رجل من هوازن تقول ربه يربه فهو رب كما تقول نم عليه ينم فهو نم
ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب
الا في الله تعالى وحده وهو في غيره على التقييد بالاضافة كقولهم رب الدار
ورب الناقة وقوله تعالى ارجع الى ربك انه ربي احسن مثواي وقرا زيد بن
علي رضي الله عنه رب العالمين بالنصب على المدح وقيل بما دل عليه الحمد لله كانه

قيل الحمد لله رب العالمين العالم اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وقيل كل ما علم به
الخالق من الاجسام والاعراض فان قلت لم جمع قلت ليشمل كل جنس مما سمي به فان
قلت فهو اسم غير صفة وانما يجمع بالواو والنون صفات العقلاء او ما في حكمها من الاعلام
قلت ساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه وهي الدلالة على معنى العلم **مالك يوم الدين**
قرئ ملك يوم الدين ومالك وملك بتخفيف اللام وقرأ ابو هريرة رضي الله عنه مالكا بالنصب
وقرأ ابو حنيفة رحمه الله ملك يوم الدين بلفظ الفعل ونصب اليوم وقرأ غيره
ملك وهو نصب على المدح ومنهم من قرأ مالك بالرفع وملك هو الاختيار لانه قراءة
اهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولقوله ملك الناس ولان الملك يعم والملك
يخص ويوم الدين يوم الجزاء ومنه قولهم كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى
العدوان دناهم كما دانوا فان قلت ما هذه الاضافة قلت هي اضافة اسم الفاعل
الى الظرف على طريق الاتساع مجرى مجرى المفعول به كقولهم يا سارق الليلة اهل
الدار والمعنى على الظرفية ومعناه مالك الامر كله في يوم الدين لقوله لمن الملك اليوم
فان قلت اضافة اسم الفاعل اضافة غير حقيقية فلا تكون معطية معنى التعريف
فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة قلت انما تكون غير حقيقية اذا اريد باسم الفاعل
الحال او الاستقبال وكان في تقدير الانفصال كقولك مالك الساعة او غدا فاما
اذا قصد معنى الماضي كقولك هو مالك عبده امس او زمان مستمر كقولك زيد مالك
العبيد كانت الاضافة حقيقية كقولك مولى العبيد وهذا هو المعنى في مالك يوم
الدين ويجوز ان يكون المعنى ملك الامور يوم الدين كقوله ونادى اصحاب الجنة ونادى
اصحاب الاعراف والدليل عليه قراءة ابي حنيفة ملك يوم الدين وهذه الاوصاف
التي اجريت على الله سبحانه من كونه ربا مالكا للعالمين لا يخرج منهم شيء من ملكوته
وربوبيته ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلائل والدقائق
ومن كونه مالكا للامر كله في العاقبة يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص
الحمد به وانه به حقيق في قوله الحمد لله دليل على ان من كانت هذه صفاته لم يكن
احد احق منه بالحمد والثناء عليه بما هو اهله **اياك نعبد واياك نستعين**

ايا ضمير منفصل للمنصوب واللواحق التي تلحقه من الكاف والهاء والياء في
قوله اياك واياه واياي لبيان الخطاب والغيبة والتكلم ولا محل لها من الاعراب كما لا
محل للكاف في ارايتك وليست باسماء مضمرة وهو مذهب الاخفش وعليه المحققون
واما ما حكاه الخليل عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب
فشيء شاذ لا يعول عليه وتقديم المفعول لقصد الاختصاص كقوله قل افغير الله
تأمروني اعبد قل اغير الله ابغي ربا والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب
المعونة وقرئ اياك بتخفيف الياء واياك بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب
الهمزة هاء قال طفيل الغنوي فهياك والامر الذي ان تراحبت
موارده ضاقت عليك مصادره والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل
ومنه ثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسج ولذلك لم
يستعمل الا في الخضوع لله لانه مولى اعظم النعم فكان حقيقا باقصى غاية
الخضوع فان قلت لم عدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب قلت هذا يسمى
الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة
ومن الغيبة الى التكلم كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله
الله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقد التفت امرؤ القيس
ثلث التفاتات في ثلث ابيات تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي
ولم ترقد وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الارمد وذلك
من نبإ جاءني وخبرته عن ابي الاسود وذلك على عادة افتنانهم في
الكلام وتصرفهم فيه ولان الكلام اذا نقل من اسلوب الى اسلوب كان
ذلك احسن تطرية لنشاط السامع وايقاظا للاصغاء اليه من اجرائه على
اسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوائد ومما اختص به هذا الموضع انه
لما ذكر الحقيق بالحمد واجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم
عظيم الشان حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات
فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل اياك يا من هذه صفاته

نخص بالعبادة لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون الخطاب ادل على ان
العبادة له لذلك التميز الذي لا يحق العبادة الا به فان قلت لم
قرنت الاستعانة بالعبادة قلت ليجمع بين ما يتقرب به العباد
الى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون اليه من جهته فان قلت فلم قدمت
العبادة على الاستعانة قلت لان تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة
ليستوجبوا الاجابة اليها فان قلت لم اطلقت الاستعانة قلت
لتتناول كل مستعان فيه والاحسن ان تراد الاستعانة به وبتوفيقه
على اداء العبادة ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كانه قيل
كيف اعينكم فقالوا اهدنا الصراط المستقيم وانما كان احسن لتلاؤم
الكلام واخذ بعضه بحجزة بعض وقرا ابن حبيش نستعين بكسر النون
اهدنا الصراط المستقيم هدى اصله ان يتعدى باللام او بالى كقوله تعالى
ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم فعومل
معاملة اختار في قوله واختار موسى قومه ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون
طلب زيادة الهدى بمنح الالطاف كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وعن علي وابي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا
وصيغة الامر والدعاء واحدة لان كل واحد منهما طلب وانما يتفاوتان في
الرتبة وقرا عبد الله ارشدنا السراط الجادة من سرط الشيء اذا ابتلعه لانه
يسترط السابلة اذا سلكوه كما سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا
لاجل الطاء كقوله مصيطر في مسيطر وقد تشم الصاد صوت الزاي وقرئ
بهن جميعا وفصحاهن اخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام
ويجمع صرطا نحو كتاب وكتب ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل والمراد به طريق
الحق وهو ملة الاسلام صراط الذين انعمت عليهم بدل من الصراط المستقيم
وهو في حكم تكرير العامل كانه قيل اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين
انعمت عليهم كما قال للذين استضعفوا لمن امن منهم فان قلت ما فائدة البدل

وهلا

وهلا قيل اهدنا صراط الذين انعمت عليهم قلت فائدته التوكيد لما فيه
من التثنية والتكرير والاشعار بان الصراط المستقيم بيانه وتفسيره صراط
المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على ابلغ وجه
واكده كما تقول هل ادلك على اكرم الناس وافضلهم فلان فيكون ذلك
ابلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل ادلك على فلان الاكرم
الافضل لانك ثنيت ذكره مجملا اولا ومفصلا ثانيا واوقعت فلانا
تفسيرا وايضاحا للاكرم الافضل فجعلته علما في الكرم والفضل
فكانك قلت من اراد رجلا جامعا للخصلتين فعليه بفلان فهو
المشخص المعين لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا منازع والذين انعمت
عليهم هم المؤمنون واطلق الانعام ليشمل كل انعام لان من انعم الله
عليه بنعمة الاسلام لم تبق نعمة الا اصابته واشتملت عليه وعن
ابن عباس رضي الله عنه هم اصحاب موسى قبل ان يغيروا وقيل هم
الانبياء وقرا ابن مسعود صراط من انعمت عليهم غير المغضوب
عليهم بدل من الذين انعمت عليهم على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا
من غضب الله والضلال فان قلت كيف صح ان يقع غير صفة
للمعرفة وهو لا يتعرف وان اضيف الى المعارف قلت الذين انعمت
عليهم لا توقيت فيه فهو كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني ولان المغضوب
عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم فليس في غير اذن الابهام الذي
يابى عليه ان يتعرف وقرئ بالنصب على الحال وهي قراءة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب ورويت عن ابن كثير وذو الحال الضمير في عليهم
والعامل انعمت وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله من لعنه الله وغضب
عليه والضالون هم النصارى لقوله قد ضلوا من قبل فان قلت
ما معنى غضب الله قلت هو ارادة الانتقام من العصاة وانزال
العقوبة بهم

وان سئلهم ما يفعل الملك اذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضبه
ونسأله رضاه ورحمته فان قلت اي فرق بين عليهم الاولى والثانية
قلت الاولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع على الفاعلية
فان قلت لم دخلت لا في ولا الضالين قلت لما في غير من معنى النفي
كأنه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين وتقول انا زيدا غير ضارب مع
امتناع قولك انا زيدا مثل ضارب لانه بمنزلة قولك انا زيدا لا ضارب
وعن عمر وعلي رضي الله عنهما انهما قرآ وغير الضالين وقرأ ايوب السختياني
ولا الضألين بالهمز كما قرأ عمرو بن عبيد ولا جأن وهذه لغة من جد
في الهرب من التقاء الساكنين ومنها ما حكاه ابو زيد من قولهم شأبة ودأبة
آمين صوت سمي به الفعل الذي هو استجب كما ان رويد وحيهل
وهلم اصوات سميت بها الافعال التي هي امهل واسرع واقبل وعن ابن عباس
سألت رسول الله عن معنى آمين فقال افعل وفيه لغتان مد الفه وقصرها
قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا
وعن النبي صلى الله عليه لقنني جبريل آمين عند فراغي من قراءة فاتحة
الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليس من القرآن بدليل انه لم يثبت
في المصاحف وعن الحسن لا يقولها الامام لانه الداعي وعن ابي حنيفة رحمه الله
مثله والمشهور عنه وعن اصحابه انه يخفيها وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل
وانس عن رسول الله عليه السلام وعند الشافعي يجهر بها وعن وائل بن حجر
ان النبي صلى الله عليه كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها
صوته عن رسول الله صلى الله عليه انه قال لابي بن كعب الا اخبرك
بسورة لم ينزل في التوراة والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله
قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته
وعن حذيفة بن اليمان ان النبي عليه السلام قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب
حتما مقضيا

فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى
فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية وهي مائتان وسبع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم اعلم ان الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف المبسوطة
التي منها ركبت الكلم فقولك ضاد اسم سمي به ضه من ضرب
اذا تهجيته وكذلك را با اسمان لقولك ره به وقد روعيت
في هذه التسمية لطيفة وهي ان المسميات لما كانت الفاظا كاساميها
وهي حروف وحدان والاسامي عدد حروفها مرتق الى الثلاثة اتجه
لهم طريق الى ان يدلوا في التسمية على المسمى فلم يغفلوها وجعلوا
المسمى صدر كل اسم منها كما ترى الا الالف فانهم استعاروا الهمزة
مكان مسماها لانه لا يكون الا ساكنا ومما يضاهيها في ايداع اللفظ
دلالة على المعنى التهليل والحوقلة والحيعلة والبسملة وحكمها
ما لم تلها العوامل ان تكون ساكنة الاعجاز موقوفة كاسماء الاعداد فيقال
الف لام ميم كما تقول اثنان ثلاثة فاذا وليتها العوامل ادركها
الاعراب تقول هذه الف وكتبت الفا ونظرت الى الف وهكذا
كل اسم عمدت الى تأدية ذاته فحسب قبل ان تحدث فيه بدخول العوامل
شيئا من تأثيراتها فحقك ان تلفظ به موقوفا الا ترى انك اذا
اردت ان تلقي على الحاسب اجناسا مختلفة ليرفع حسبانها
كيف تصنع وكيف تلقيها اغفالا من سمة الاعراب فتقول دار
غلام جارية ثوب بساط ولو اعربت ركبت شططا فان قلت
لم قضيت لهذه الالفاظ بالاسمية وهلا زعمت انها حروف كما وقع في
عبارات المتقدمين قلت قد استوضحت بالبرهان النير انها
اسماء غير حروف فعلمت ان قولهم خليق بان يصرف الى التسامح

وقد وجدناهم متباحثين في تسمية كثير من الأسماء التي لا تتنوع أشكالها في اسميتها كالظروف وغيرها بالحروف ومستعملين الحرف في معنى الكلمة وذلك ان قولك الف دلالته على اوسط حروف قال ونام دلالة فرس على الحيوان المخصوص لا فصل فيما يرجع الى التسمية بين الدلالتين الا ترى ان الحرف ما دل على معنى في غيره وهذا كما ترى دال على معنى في نفسه ولانها متصرف فيها بالامالة كقولك با تا وبالتفخيم كقولك ياها وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والاسناد والاضافة وجميع ما للاسماء المتصرفة ثم اني عثرت من جانب الخليل على نص في ذلك قال سيبويه قال الخليل يوما وسأل اصحابه كيف تقولون اذا اردتم ان تلفظوا بالكاف التي في لك والباء التي في ضرب فقيل نقول باكاف فقال انما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال اقول كه به وذكر ابو علي في كتاب الحجة في يا سين وامالة يا انهم قالوا يا زيد في التهجي فاما لوا وان كان حرفا قال فاذا كانوا قد اما لوا ما لا يمال من الحروف من اجل الياء فلان يميلوا الاسم الذي هو ياسين اجدر الا ترى ان هذه الحروف اسماء لما يلفظ بها فان قلت من اي قبيل هي من الاسماء امعربة ام مبنية قلت بل هي اسماء معربة وانما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من الاسماء حيث لا يمسها اعراب لفقد مقتضيه وموجبه والدليل على ان سكونها وقف وليس ببناء انها لو بنيت لحذي بها حذو كيف واين وهؤلاء ولم يقل صاد قاف نون مجموعا فيها بين الساكنين فان قلت فلم لفظ المتهجي بما آخره الف منها مقصورا فلما اعرب مد فقال هذه باء وياء وهاء وذلك يخيل ان وزانها وزان قولك لا مقصورة فاذا جعلتها اسما مددت فقلت كتبت لاء قلت هذا التخييل يضمحل بما لخصته من الدليل والسبب في

ان

قصرت متهجاة ومدت حين مسها الاعراب ان حال التهجي خليقة بالاخف الاوجز واستعمالها فيه اكثر فان قلت قد تبين انها اسماء لحروف المعجم وانها من قبيل المعربة وان سكون اعجازها عند الهجاء لاجل الوقف فما وجه وقوعها على هذه الصور فواتح للسور قلت فيه اوجه احدها وعليه اطباق الاكثر انها اسماء السور وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذي كسره على ذكرها في حد ما لا ينصرف باب اسماء السور وهي في ذلك على ضربين احدهما ما لا يتأتى فيه اعراب نحو كهيعص والمر والثاني ما يتأتى فيه الاعراب وهو اما ان يكون اسما فردا كصاد وقاف ونون او اسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كحاميم وطاسين وياسين فانها موازنة لقابيل وهابيل وكذلك طاسين ميم يتأتى فيها ان تفتح نونها وتصير ميم مضمومة الى طاسين فيجعلا اسما واحدا كدارابجرد فالنوع الاول محكي ليس الا واما النوع الثاني فسائغ فيه الامران الاعراب والحكاية قال قاتل محمد بن طلحة السجاد وهو شريح بن ابي اوفى العبسي

يذكرني حاميم والرمح شاجر ٭ فهلا تلا حاميم قبل التقدم

فاعرب حاميم ومنعها الصرف وهكذا كل ما اعرب من اخواتها لاجتماع سببي منع الصرف فيها وهما العلمية والتانيث والحكاية ان تجيء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته الاولى كقولك دعني من تمرتان وبدأت بالحمد لله وقرأت سورة انزلناها وقال الله عز وجل كتاب بني تميم ٭ ازق الخيل بالركض المعار ٭ وقال ذو الرمة سمعت الناس ينتجعون غيثا ٭ فقلت لصيدح انتجعي بلالا ٭ وقال الآخر تنادوا بالرحيل غدا وفي ٭ ترحالهم نفسي ٭ فحكى عمروبا ومنصوبا ويقول اهل الحجاز في استعلام من يقول رأيت زيدا من زيدا وقال سيبويه سمعت العرب لا ير

فان قلت فما وجه قرآءة من قرأ صاد وقاف ونون مفتوحات
قلت الاوجه ان يقال ذاك نصب وليس بفتح وانما لم يصحبه التنوين
لامتناع الصرف على ما ذكرت وانتصابها بفعل مضمر نحو اذكر وقد اجاز
سيبويه مثل ذلك في حاميم وطاسين وياسين لو قرئ به وحكى ابو سعيد
السيرافي ان بعضهم قرأ ياسين ويجوز ان يقال حركت لالتقاء الساكنين
كما قرأ من قرأ ولا الضالين فان قلت هلا زعمت انها مقسم بها
وانها نصبت نصب قولهم نعم الله لافعلن واي الله لافعلن على حذف
حرف الجر واعمال فعل القسم كقوله الا رب من قلبي له الله ناصح
ومن قلبه لي في الظباء السوانح وقوله فذاك امانة الله الثريد
قلت ان القرآن والقلم بعد هذه الفواتح محلوف بهما فلو زعمت
ذلك لجمعت بين قسمين على مقسم عليه واحد وقد استكرهوا ذلك قال
الخليل في قوله عز وجل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر
والانثى الواوان الاخريان ليستا بمنزلة الاولى ولكنهما الواوان اللتان
تضمان الاسماء الى الاسماء في قولك مررت بزيد وعمرو والاولى بمنزلة
الباء والتاء قال سيبويه قلت للخليل فلم لا تكون الاخريان بمنزلة
الاولى فقال انما اقسم بهذه الاشياء على شيء ولو كان انقضى قسمه بالاول
على شيء لجاز ان يستعمل كلاما آخر فيكون كقولك بالله لافعلن بالله
لاخرجن اليوم ولا يقوى ان تقول وحقك وحق زيد لافعلن والواو
الآخرة واو قسم لا يجوز الا مستكرها قال وتقول وحياتي ثم حياتك
لافعلن فثم هنا بمنزلة الواو وهذا ولا سبيل فيما نحن بصدده الى ان
تجعل الواو للعطف لمخالفة الثاني الاول في الاعراب فان قلت فقدرها
مجرورة باضمار الباء القسمية لا بحذفها فقد جاء عنهم الله لافعلن مجرورا
ونظيره قولهم لاه ابوك غير انها فتحت في موضع الجر لكونها غير مصروفة

واجعل الواو للعطف حتى يستتب لك المصير الى نحو ما اشرت اليه
قلت هذا لا يبعد عن الصواب ويعضده ما رووا عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه قال اقسم الله بهذه الحروف فان قلت فما وجه
قرآءة بعضهم صاد وقاف بالكسر قلت وجهها ما ذكرت من التحريك
لالتقاء الساكنين والذي يبسط من عذر المحرك ان الوقف لما استمر
بهذه الاسامي شاكلت لذلك ما اجتمع في آخره ساكنان من المبنيات
فعوملت تارة معاملة هؤلاء فان قلت هل تسوغ في المحكية
مثل ما سوغت في المعربة من ارادة معنى القسم قلت لا عليك
في ذلك وان تقدر حرف القسم مضمرا في نحو قوله عز وعلا حم والكتاب
المبين كانه قيل اقسم بهذه السورة وبالكتاب المبين انا جعلناه واما
قوله الم الله فيمن فتح الميم فينبغي ان تقضي له بالنصب والجر جميعا على
حذف الجار واضماره فان قلت فما معنى تسمية السور بهذه الالفاظ
خاصة قلت كان المعنى في ذلك الاشعار بان الفرقان ليس الا كلما
عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الالفاظ كما قال عز من
قائل قرآنا عربيا فان قلت فما بالها مكتوبة في المصحف على صور الحروف
انفسها لا على صور اساميها قلت لان الكلم لما كانت مركبة من ذوات
الحروف واستمرت العادة متى تهجيت ومتى قيل للكاتب اكتب كيت
وكيت ان يلفظ بالاسماء وتقع في الكتابة الحروف انفسها عمل على
تلك الشاكلة المألوفة في كتابة هذه الفواتح وايضا فان شهرة امرها
واقامة السن الاسود والاحمر لها وان اللافظ بها غير متهجاة لا يحلى
بطائل منها وان بعضها مفرد لا يخطر ببال غير ما هو عليه من مورده
امنت وقوع اللبس فيها وقد اتفقت في خط المصحف اشياء خارجة
عن القياسات التي بني عليها علم الخط والهجاء ثم ما عاد ذلك بضير ولا
نقصان

لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف
قال عبد الله بن درستويه في كتابه المترجم بكتاب الكتاب المتمم في
الخط والهجاء خطان لا يقاسان خط المصحف لأنه سنة وخط العروض
لأنه يثبت فيه ما أثبته اللفظ ويسقط عنه ما أسقطه والوجه الثاني
أن يرد بعد هذه الأسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد كالإيقاظ
وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن وبغرابة نظمه وكالتحريك للنظر في أن هذا
المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون
منه كلامهم ليؤديهم النظر إلى أن يستيقنوا أن لم تتساقط مقدرتهم
دونه ولم تظهر معجزتهم عن أن يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة
وهم أمراء الكلام وزعماء الحوار وهم الحراص على التساجل في اقتضاب الخطب
والمتهالكون على الافتنان في القصيد والرجز ولم يبلغ من الجزالة وحسن
النظم المبالغ التي بزت بلاغة كل ناطق وشقت غبار كل سابق ولم يتجاوز
الحد الخارج من قوى الفصحاء ولم يقع وراء مطامح أعين البصراء إلا لأنه
ليس بكلام البشر وأنه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من القوة والخلاقة
بالقبول بمنزل ولناصره على الأول أن يقول إن القرآن إنما نزل بلسان العرب
مصبوبا في أساليبهم واستعمالاتهم والعرب لم يتجاوزوا ما سموا به مجموع اسمين
ولم يسم أحد منهم بمجموع ثلاثة أسماء الشيء حقيقة تخرج إلى ما ليس في لغة العرب
ويؤدي أيضا إلى صيرورة الاسم والمسمى واحدا فإن اعترضت عليه بأنه
قول مستقل على وجه الرمز وأنه لا سبيل إلى رده أجابك بأن له محملا سوى
ما يذهب إليه وأنه نظير قول الناس فلان يروي قفا نبك وعفت الديار
ويقول الرجل لصاحبه ما قرأت فيقول الحمد لله وبراءة من الله ورسوله
ويوصيكم الله في أولادكم والله نور السموات والأرض ليست هذه الجمل
بأسامي هذه القصائد وهذه السور والآي وإنما تعني رواية القصيدة
التي ذاك

استهلالها وتلاوة السورة أو الآية التي تلك فاتحتها فلما جرى الكلام على
أسلوب من يقصد التسمية واستفيد منها ما يستفاد من التسمية قالوا ذلك
على سبيل المجاز دون الحقيقة ولك أن تجيب عن الاعتراض على الوجه الأول
أن تقول التسمية بثلاثة أسماء فصاعدا مستنكرة لعمري وخروج عن
كلام العرب ولكن إذا جعلت اسما واحدا على طريقة حضرموت فأما
غير مركبة منثورة نثر أسماء العدد فلا استنكار فيها لأنها من باب التسمية
بما حقه أن يحكى حكاية كما سموا بتأبط شرا وبرق نحره وشاب
قرناها وكما لو سمي بزيد منطلق أو بيت شعر وناهيك بتسوية سيبويه
بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر والتسمية بطائفة من أسماء حروف
المعجم دلالة قاطعة على صحة ذلك وأما تسمية السور كلها بفاتحتها وليست
بتصيير الاسم والمسمى واحدا لأنها تسمية مؤلف بمفرد والمؤلف غير
المفرد ألا ترى أنهم جعلوا اسم الحرف مؤلفا منه ومن حرفين مضمومين
إليه كقولهم صاد فلم يكن من جعل الاسم والمسمى واحدا حيث كان الاسم
مؤلفا والمسمى مفردا والوجه الثالث أن ترد السور مصدرة بذلك ليكون
أول ما يقرع الأسماع مستقلا بوجه من الإغراب وتقدمة من دلائل الإعجاز
وذلك أن النطق بالحروف أنفسها كانت العرب فيه مستوية الأقدام الأميون
منهم وأهل الكتاب بخلاف النطق بأسامي الحروف فإنه كان مختصا بمن خط
وقرأ وخالط أهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستغربا مستبعدا من الأمي
التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة كما قال عز وجل وما كنت تتلو من قبله
من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون فكان حكم النطق بذلك
مع اشتهار أنه لم يكن ممن اقتبس شيئا من أهله حكم الأقاصيص المذكورة
في القرآن التي لم تكن قريش ومن دان بدينها في شيء من الإحاطة بها في أن ذلك
حاصلا من جهة الوحي وشاهدا بصحة نبوته وبمنزلة أن يتكلم بالرطانة

من غير ان يتمّمها من احد واعلم انك اذا تأمّلت ما اورده الله
عزّ سلطانه في الفواتح من هذه الاسماء وجدتها نصف اسامي
حروف المعجم اربعة عشر سواء وهي الالف واللام والميم والصاد
والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف
والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ثم اذا
نظرت في هذه الاربعة عشر وجدتها مشتملة على انصاف اجناس
الحروف بيان ذلك ان فيها من المهموسة نصفها الصاد والكاف
والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم
والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة
نصفها الالف والكاف والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها
اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء
والنون ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء ومن
المنخفضة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء
والياء والعين والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها
القاف والطاء ثم اذا استقريت الكلم وتراكيبها رأيت الحروف
التي ألغى الله ذكرها من هذه الاجناس المعدودة مكثورة
بالمذكورة منها فسبحان الذي دقّت في كل شيء حكمته وقد
علمت ان معظم الشيء وجلّه ينزل منزلة كله وهو المطابق للطائف
التنزيل واختصاراته فكأنّ الله عزّ اسمه عدّد على العرب
الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما ذكرت من
التبكيت لهم والزام الحجة اياهم ومما يدل على انه تعمّد بالذكر
من حروف المعجم اكثرها وقوعا في تراكيب الكلم ان الالف
واللام لما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا في معظم هذه الفواتح

مكرّرتين وهي فواتح سورة البقرة وآل عمران والروم والعنكبوت
ولقمان والسجدة والاعراف والرعد ويونس وابراهيم وهود
ويوسف والحجر فان قلت فهلا عدّدت باجمعها في اول القرآن
وما لها جاءت مفرّقة على السور قلت لان اعادة التنبيه
على ان المتحدّى به مؤلّف منها لا غير وتجديده في غير موضع
واحد اوصل الى الغرض واقرّ له في الاسماع والقلوب من ان
يفرد ذكره مرّة وكذلك مذهب كل تكرير جاء في القرآن
فمطلوب به تمكين المكرّر في النفوس وتقريره فان قلت
فهلا جاءت على وتيرة واحدة ولم اختلفت اعداد حروفها
فوردت ص وق ون على حرف وطه وطس ويس وحم
على حرفين والم والر وطسم على ثلاثة احرف والمص
والمر على اربعة احرف وكهيعص وحم عسق على خمسة احرف
قلت هذا على عادة افتنانهم في اساليب الكلام وتصرّفهم
فيه على طرق شتّى ومذاهب متنوّعة وكما ان ابنية كلماتهم
على حرف وحرفين الى خمسة احرف لم تتجاوز ذلك سُلك
بهذه الفواتح ذلك المسلك فان قلت فما وجه اختصاص
كل سورة بالفاتحة التي اختصّت بها قلت اذا كان الغرض
هو التنبيه والمبادي كلها في تأدية هذا الغرض سواء لا
مفاضلة كان تطلّب وجه الاختصاص ساقطا كما اذا سمّى الرجل
بعض اولاده زيدا والآخر عمرا لم يقل له لم خصصت
ولدك هذا بزيد وذاك بعمرو لان الغرض هو التمييز وهو
حاصل ايّة سلك وكذلك لا يقال لم سمّي هذا الجنس بالرجل
وذاك بالفرس ولم قيل للاعتماد الضرب وللانتصاب القيام

ولنقيضه التعوذ فان قلت فما بالهم عدّوا بعض هذه الفواتح
آية دون بعض قلت هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه
كمعرفة السور اما الم فآية حيث وقعت من السور المفتتحة
بها وهي ست وكذلك المص آية والمر لم تعدّ آية والر ليست
بآية في سورها الخمس وطسم آية في سورتيها وطه ويس آيتان
وطس ليست بآية وحم آية في سورها كلها وحم عسق آيتان
وكهيعص آية واحدة وص وق ون ثلاثتها لم تعدّ آية
هذا مذهب الكوفيين ومن عداهم لم يعدّوا شيئا منها آية فان قلت
فكيف عدّ ما هو في حكم كلمة واحدة آية قلت كما عدّ الرحمن وحده
ومدهامتان وحدها آيتين على طريق التوقيف فان قلت
ما حكمها في باب الوقف قلت يوقف على جميعها وقف التمام
اذا حملت على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده وذلك
اذا لم تجعل اسماء للسور ونعق بها كما ينعق بالاصوات او
جعلت وحدها اخبار ابتداء محذوف كقوله عز قايلا الم الله
اي هذه الم ثم ابتدا فقال الله لا اله الا هو فان قلت هل
لهذه الفواتح محل من الاعراب قلت نعم لها محل فيمن جعلها
اسماء للسور لانها عنده كسائر الاسماء الاعلام فان قلت ما
محلها قلت يحتمل الاوجه الثلاثة اما الرفع فعلى الابتداء واما
النصب والجر فلما مر من صحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله
على اللغتين ومن لم يجعلها اسماء للسور لم يتصور ان يكون لها محل
في مذهبه كما لا محل للجمل المبتدأة وللمفردات المعددة فان قلت
لم صحت الاشارة بذلك الى ما ليس ببعيد قلت وقعت الاشارة
الى الم بعد ما سبق التكلم به وتقضى والمتقضي في حكم المتباعد

ذلك الكتاب

وهذا في كل كلام يحدث الرجل بحديث ثم يقول وذلك ما لا شك فيه
ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا وقال الله تعالى لا فارض
ولا بكر عوان بين ذلك وقال ذلكما مما علمني ربي ولانه لما
وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حد البعد كما تقول
لصاحبك وقد اعطيته شيئا احتفظ بذلك وقيل معناه ذلك
الكتاب الذي وعدوا به فان قلت لم ذكر اسم الاشارة والمشار
اليه مؤنث وهو السورة قلت لا اخلو من ان اجعل الكتاب
خبره او صفته فان جعلته خبره كان ذلك في معناه ومسماه مسماه
فجاز اجراء حكمه عليه في التذكير كما اجري عليه في التأنيث في
قولهم من كانت امك وان جعلته صفته فانما اشير به الى الكتاب
صريحا لان اسم الاشارة مشار به الى الجنس الواقع صفة له
تقول هند ذلك الانسان او ذلك الشخص فعل كذا وقال الذبياني
نبئت نعما على الهجران عاتبة ❊ سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري
فان قلت اخبرني عن تأليف ذلك الكتاب مع الم قلت ان
جعلت الم اسما للسورة ففي التأليف وجوه ان يكون الم مبتدأ وذلك
مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الاول ومعناه
ان ذلك هو الكتاب الكامل كان ما عداه من الكتب في مقابلته
ناقص وانه الذي يستاهل ان يسمى كتابا كما تقول هو الرجل
اي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات
الخصال وكما قال ❊ هم القوم كل القوم يا ام خالد ❊ وان يكون
الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وان يكون الم
خبر مبتدأ محذوف اي هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا او
بدلا على ان الكتاب صفة وان يكون هذه الم وذلك الكتاب
جملة اخرى

وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب اي
ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل او الكتاب صفته والخبر
ما بعده او تقدير مبتدا محذوف اي هو يعني المؤلف من هذه الحروف
ذلك الكتاب وقرأ عبد الله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه وتأليف
هذا ظاهر والريب مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقة
الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه ما روى الحسن بن علي
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دع ما يريبك الى
ما لا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمأنينة اي فان
كون الامر مشكوكا مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه
صادقا مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق
النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه ومنه انه مر بظبي حاقف
فقال لا يريبه احد بشيء فان قيل كيف نفى الريب على سبيل الاستغراق
وكم من مرتاب فيه قلت ما نفى ان احدا لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه
متعلقا للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان
بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه والآية التي تليها وان كنتم في ريب
مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله فما ابعد وجود الريب
منهم وانما عرف لهم الطريق الى مزيل الريب وهو ان يحزروا انفسهم
ويبذلوا قواهم في البلاغة هل تتم للمعارضة ام تتضاءل دونها
فيتحققوا عند عجزهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة
فان قلت فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول في
قوله تعالى لا فيها غول قلت لان القصد في ايلاء الريب حرف
النفي نفي الريب عنه واثبات انه حق وصدق لا باطل وكذب
كما كان المشركون يدعونه ولو اولي الظرف لقصد الى ما يبعد
عن المراد

لا ريب فيه

وهو ان كتابا آخر فيه الريب لا فيه كما قصد في قوله تعالى لا فيها غول
تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بانها لا تغتال العقول كما تغتالها
هي كأنه قيل ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة وقرأ
ابو الشعثاء لا ريبٌ فيه بالرفع والفرق بينها وبين المشهورة ان
المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه والوقف على فيه هو
المشهور وعن نافع وعاصم انهما وقفا على لا ريب ولا بد للواقف
من ان ينوي خبرا ونظيره قوله تعالى قالوا لا ضير وقول العرب
لا بأس وهي كثيرة في لسان اهل الحجاز والتقدير لا ريب فيه فيه

هدى للمتقين

هدى الهدى مصدر على فعل كالسرى والبكى وهو الدلالة الموصلة
الى البغية بدليل وقوع الضلالة في مقابلته قال الله تعالى اولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى وقال لعلى هدى او في ضلال مبين
ولذلك يقال مهدي في موضع المدح كمهتد ولان اهتدى مطاوع
هدى ولن يكون المطاوع في خلاف معنى اصله الا ترى الى نحو
غمه فاغتم وكسره فانكسر واشباه ذلك فان قيل فلم قيل هدى
للمتقين والمتقون مهتدون قلت هو كقولك للعزيز المكرم
اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة الى ما هو ثابت فيه
واستدامته كقوله اهدنا الصراط المستقيم ووجه آخر وهو
انه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين كقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه وعن ابن عباس
رضي الله عنهما اذا اراد احدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض
وتضل الضالة وتكون الحاجة فسمى المشارف للقتل والمرض والضلال
قتيلا ومريضا وضالة ومنه قوله تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اي
صائرا الى الفجور والكفر فان قلت فهلا قيل هدى للضالين

قلت لان الضالين فريقان فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع
على قلوبهم وفريق علم ان مصيرهم الى الهدى فلا يكون هدى للفريق
الباقين على الضلالة فبقي ان يكون هدى لهؤلاء فلو جيء بالعبارة
المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين الى الهدى بعد الضلال
فاختصر الكلام باجرائه على الطريقة التي ذكرنا فقيل هدى للمتقين
وايضا فقد جعل ذلك سلما الى تصدير السورة التي هي اولى الزهراوين
وسنام القرآن واول المثاني بذكر اولياء الله والمرتضين من عباده
والمتقي في اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة
ومنه فرس واق وهذه الدابة تقي من وجاها اذا اصابه ضلع من
غلظ الارض ورقة الحافر فهو يقي حافره ان يصيبه ادنى شيء يؤلمه
وهو في الشريعة الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل
او ترك واختلف في الصغائر وقيل الصحيح انه لا يتناولها لانها
تقع مكفرة عن مجتنبي الكبائر وقيل يطلق على الرجل اسم المؤمن
لظاهر الحال والمتقي لا يطلق الا عن خبرة كما لا يجوز اطلاق العدل
الا على المختبر ومحل هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتدأ محذوف
او خبر مع لا ريب فيه لذلك او مبتدأ اذا جعل الظرف المقدم
خبرا عنه ويجوز ان ينصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة
او الظرف والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة ان يضرب عن هذه
المحال صفحا وان يقال ان قوله الم جملة برأسها او طائفة من
حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا
ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد اصيب بترتيبها مفصل
البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من
غير حرف نسق وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض

فالثانية متحدة بالاولى معتنقة لها وهلم جرا الى الثالثة والرابعة
بيان ذلك انه نبه اولا على انه الكلام المتحدى به ثم اشير
اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة
التحدي وشدا من اعضاده ثم نفى عنه ان يتشبث به طرف
من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال اكمل
مما للحق واليقين ولا نقص انقص مما للباطل والشبهة وقيل لبعض
العلماء فيم لذتك فقال في حجة تتبختر اتضاحا وفي شبهة تتضاءل
افتضاحا ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه
يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الاربع بعد ان رتبت
هذا الترتيب الانيق ونظمت هذا النظم السري من نكتة
ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى الغرض بالطف وجه
وارشقه وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة
ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر
الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد وايراده منكرا
والايجاز في ذكر المتقين زادنا الله اطلاعا على اسرار كلامه
وتبيينا لنكت تنزيله وتوفيقا للعمل بما فيه **الذين يؤمنون**
اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة او مدح منصوب او مرفوع
بتقدير اعني الذين يؤمنون او هم الذين يؤمنون واما مقتطع
عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه باولئك على
هدى فاذا كان موصولا كان الوقف على المتقين حسنا غير تام
واذا كان مقتطعا كان وقفا تاما فان قلت ما هذه الصفة
اواردة بيانا وكشفا للمتقين ام مسرودة مع المتقين تفيد

أم جارية على سبيل المدح والثناء كصفات الله الجارية عليه
تمجيدا قلت يحتمل أن ترد على طريق البيان والكشف لاشتمالها
على ما أسست عليه حال المتقين من فعل الحسنات وترك السيئات
اما الفعل فقد انطوى تحت ذكر الايمان الذي هو أساس
الحسنات ومنبعها وذكر الصلوة والصدقة لانهما أمّا العبادات
البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما الم تر كيف سمى رسول
الله الصلوة عماد الدين وجعل الفاصل بين الاسلام والكفر
ترك الصلوة وسمى الزكوة قنطرة الاسلام وقال الله تعالى وويل
للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة فلما كانتا بهذه المثابة
كان من شأنهما استجرار سائر العبادات واستتباعها ومن ثم
اختصر الكلام اختصارا بأن استغنى عن عد الطاعات بذكر ما هو
كالعنوان لها والأب الذي اذا وجد لم يتوقف اخواته ان يقترن به مع
ما في ذلك من الافصاح عن فضل هاتين العبادتين واما الترك
فكذلك الا ترى الى قوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ويحتمل
ان لا تكون بيانا للمتقين وتكون صفة برأسها دالة على فعل
الطاعات ويراد بالمتقين الذين يجتنبون المعاصي ويحتمل ان
تكون مدحا للموصوفين بالتقى وتخصيصا للايمان بالغيب واقام
الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهارا لانافتهما على سائر ما يدخل
تحت حقيقة هذا الاسم من الحسنات والايمان افعال من الامن
يقال أمنته وآمنتيه غيري ثم يقال آمنه اذا صدقه وحقيقته
آمنه التكذيب والمخالفة واما تعديته بالباء فلتضمينه معنى اقر
واعترف واما ما حكى ابو زيد عن العرب ما آمنت ان اجد
صحابة اي ما وثقت فحقيقته صرت ذا امن به اي ذا سكون

وطمأنينة

يتقون
وكلا الوجهين حسن يؤمنون بالغيب اي يعترفون به او
بأنه حق ويجوز ان لا يكون بالغيب صلة للايمان وان يكون في
موضع الحال اي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته
ملتبسين بالغيب كقوله الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم اني لم اخنه
بالغيب ويعضده ما روي ان اصحاب عبد الله ذكروا
اصحاب رسول الله وايمانهم فقال ابن مسعود ان امر محمد كان بينا
لمن رآه والذي لا اله غيره ما آمن مؤمن افضل من ايمان
بغيب ثم قرأ هذه الآية فان قلت فما المراد بالغيب ان جعلته
صلة وان جعلته حالا قلت ان جعلته صلة كان بمعنى الغائب
اما تسمية بالمصدر من قولك غاب الشيء غيبا كما سمي الشاهد
بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن
من الارض غيبا وعن النضر بن شميل شربت الابل حتى
وارت غيوبها كذلك ما يريد بالغيب الخمصة التي تكون في موضع
الكلية اذا بطنت الدابة انتفخت واما ان يكون فيعلا
فخفف كما قيل قيل واصله قيّل والمراد به الخفي الذي لا ينفذ
فيه ابتداء الا علم اللطيف الخبير وانما نعلم منه نحن ما اعلمناه
او نصب لنا دليلا عليه ولهذا لا يجوز ان يطلق فيقال فلان يعلم
الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها
والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك وان
جعلته حالا كان بمعنى الغيبة والخفاء فان قلت ما الايمان
الصحيح قلت ان يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه
بعمله فمن اخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق ومن
اخل بالشهادة فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق ومعنى

اقامة الصلوة

تعديل أركانها وحفظها من أن يقع زيغ في فرايضها وسننها وآدابها
من أقام العود إذا قوّمه أو الدوام عليها والمحافظة كما قال
الله عز وجل الذين هم على صلوتهم دائمون والذين هم على
صلواتهم يحافظون من قامت السوق إذا نفقت وأقامها
قال أقامت غزالة سوق الضراب لأهل العراقين حولاً قميطا
لأنها إذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي تتوجه إليه
الرغبات ويتنافس فيه المحصلون وإذا عطلت وأضيعت
كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه أو التجلد والتشمر
لأدائها وأن لا يكون في مؤديها فتور عنها ولا توان من قولهم
قام بالأمر وقامت الحرب على ساقها وفي ضده قعد عن الأمر
وتقاعد عنه إذا تقاعس وتثبط أو أداؤها فعبر عن الأداء
بالإقامة لأن القيام بعض أركانها كما عبر عنه بالقنوت
والقنوت القيام وبالركوع والسجود وقالوا سبّح إذا صلى لوجود
التسبيح فيها فلولا أنه كان من المسبحين والصلوة فعلة
من صلى كالزكوة من زكى وكتبتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة
صلى حرك الصلوين لأن المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده
ونظيره كفّر اليهودي إذا طأطأ رأسه وانحنى عند تعظيم
صاحبه لأنه ينثني على الكاذتين وهما الكافرتان وقيل للداعي
مصلٍ تشبيهاً في تخشعه بالراكع والساجد وإسناد الرزق إلى
نفسه للإعلام بأنهم ينفقون الحلال الطلق الذي يستأهل
أن يضاف إلى الله تعالى ويسمى رزقاً منه وأدخل من التبعيضية
صيانة لهم وكفّاً عن الإسراف والتبذير المنهي عنه وقدّم
مفعول الفعل دلالة على كونه أهم كأنه قال ويخصّون بعض المال
الحلال

ومما رزقناهم ينفقون

بالتصدقة وجائز أن يراد به الزكوة المفروضة لاقترانه
بأخت الزكوة وشقيقتها وهي الصلوة وأن يراد هي وغيرها
من النفقات في سبل الخير لمجيئه مطلقاً يصلح أن يتناول
كل منفق وأنفق الشيء وأنفده أخوان وعن يعقوب نفق الشيء
ونفد واحد وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء دال على معنى
الخروج والذهاب ونحو ذلك إذا تأملت فإن قلت والذين
يؤمنون أهم غير الأولين أم هم الأولون وإنما وسّط العاطف
كما يوسط بين الصفات في قولك هو الشجاع والجواد وفي قوله
إلى الملك القرم وابن الهمام • وليث الكتيبة في المزدحم
وقوله يا لهف زيابة للحارث • الصابح فالغانم فالآيب
قلت يحتمل أن يراد بهؤلاء مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن
سلام وأضرابه من الذين آمنوا فاشتمل إيمانهم على كل وحي أنزل
من عند الله وأيقنوا بالآخرة إيقاناً زال معه ما كانوا عليه من
أنه لا يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى وأن النار
لن تمسهم إلا أياماً معدودات واجتماعهم على الإقرار بالنشأة الأخرى
وإعادة الأرواح في الأجساد ثم افتراقهم فرقتين منهم من قال
تجري حالهم في التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب مجراها
في الدنيا ودفعه آخرون فزعموا أن ذلك إنما احتيج إليه في هذه الدار
من أجل نماء الأجسام ولمكان التوالد والتناسل وأهل الجنة
مستغنون عنه فلا يتلذذون إلا بالنسيم والأرواح العبقة والسماع
اللذيذ والفرح والسرور واختلافهم في البقاء والانقطاع فيكون
المعطوف غير المعطوف عليه ويحتمل أن يراد وصف الأولين ووسّط
العاطف على معنى أنهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه فإن قلت

والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك

فاذا أريد بهؤلاء غيرُ أولئك فهل يدخلون في جملة المتقين أم لا
قلت ان عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا وكان
صفة المتقين مشتملة على الزمرتين من مؤمني اهل الكتاب
وغيرهم وان عطفتهم على المتقين لم يدخلوا وكانه قيل هدى للمتقين
وهدى للذين يؤمنون بما أنزل اليك فان قلت قوله بما أنزل
اليك ان عني به القران بأسره والشريعة عن آخرها فلم يكن ذلك
منزلا وقت ايمانهم فكيف قيل أنزل بلفظ المضي وان أريد المقدار
الذي سبق انزاله وقت ايمانهم فهو ايمان ببعض المنزل واشتمال
الايمان على الجميع سالفه ومترقبه واجب قلت المراد المنزل
كله وانما عبر عنه بلفظ المضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا
للموجود على ما لم يوجد كما يغلب المتكلم على المخاطب والمخاطب
على الغايب فيقال انا وانت فعلنا وانت وزيد تفعلان ولانه اذا كان
بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كان كله قد نزل وانتهى
نزوله ويدل عليه قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى
ولم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله منزلا ولكن سبيله سبيل ما ذكرنا
ونظيره قولك كل ما خطب به فلان فهو فصيح وما تكلم به الا وهو
نادر ولا تريد بهذا الماضي منه فحسب دون الآتي لكونه معقودا
بعضه ببعض ومربوطا آتيه بماضيه وذكر يونس قطيب
بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك على لفظ ما سمى فاعله وفي تقديم الآخرة
وبناء يوقنون على هم تعريض باهل الكتاب وبما كانوا عليه من اثبات
امر الآخرة على خلاف حقيقته وان قولهم ليس بصادر عن ايقان وان
اليقين ما عليه من آمن بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والايقان
اتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه والآخرة تأنيث الآخر الذي
هو نقيض الاول

قوله بما انزل من قبلك لم يأمر بالايمان بما انزل من بعده دليل على ان محمدا خاتم الانبياء

كاصل الخطاب ان كلا الجنسين كانه منا اما ازلا فلانه تعالى الخلق الماضي وازاد ... تغليبا ... الكل عالما

اي العلم الركين شانه ان يطرد الشك والشبهة اذا انتفيا عنه حصل الايقان ولذلك لا يوصف به العلم القديم والعلوم الضرورية لا يقال تيقنت ان السماء فوقي

وهي صفة الدار بدليل قوله تلك الدار الآخرة وهي من الصفات
الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع انه خففها بان حذف الهمزة
والقى حركتها على اللام كقوله دابة الارض وقرأ ابو حية النميري
يؤقنون بالهمز جعل الضمة في جار الواو كانها فيها فقلبها كما قلبت
واو وجوه ووقتت ونحوه شعر لحب المؤقدان الى مؤسى
وجعدة اذ اضاءهما الوقود اولئك على هدى الجملة
في محل الرفع ان كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ
والا فلا محل لها ونظم الكلام على الوجهين انك
اذا نويت الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب فقد
ذهبت به مذهب الاستيناف وذلك انه لما قيل
هدى للمتقين فاختص المتقون بان الكتاب لهم
هدى اتجه لسائل ان يسأل فيقول ما بال المتقين
مخصوصين بذلك فوقع قوله الذين يؤمنون بالغيب
الى ساقته كانه جواب لهذا السؤال المقدر وجيء بصفة
المتقين المنطوية تحتها خصائصهم التي استوجبوا بها
من الله ان يلطف بهم ويفعل بهم ما لا يفعل بمن ليسوا
على صفتهم اي الذين هؤلاء عقائدهم واعمالهم احقاء
بان يهديهم الله ويعطيهم الفلاح ونظيره قولك احب
رسول الله الانصار الذين قارعوا دونه وكشفوا
الكرب عن وجهه اولئك اهل للمحبة وان جعلته تابعا
للمتقين وقع الاستيناف على اولئك كانه قيل ما للمستقلين
بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فاجيب بان اولئك
الموصوفين غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى

عاجلاً وبالفلاح آجلاً واعلم أن هذا النوع من الاستئناف
يجي تارةً باعادة اسم من استونف عنه الحديث كقولك قد احسنت
الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارةً باعادة صفته
كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهلٌ لذلك منك
فيكون الاستيناف باعادة الصفة احسن وابلغ لانطوائها
على بيان الموجب وتلخيصه فان قلت هل يجوز ان
يجري الموصول الاول على المتقين وان يرتفع الثاني على
الابتداء واولئك خبره قلت نعم على ان يجعل اختصاصهم
بالهدى والفلاح تعريضاً باهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة
رسول الله وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون
انهم ينالون الفلاح عند الله وفي اسم الاشارة الذي هو
اولئك ايذان بان ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله اهل
لاكتسابه من اجل الخصال التي عددت لهم كما قال حاتم ولله
صعلوك ثم عدد له خصالاً فاضلة ثم عقب تعديدها
بقوله شعر فذلك إن يهلك فحسنى ثناؤه وان عاش لم يقعد ضعيفاً مذمما
ومعنى الاستعلاء في قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى
واستقرارهم عليه وتمسكهم به شبهت حالهم بحال من اعتلى
الشي وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا
بذلك في قولهم جعل الغواية مركباً وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى
ومعنى هدى من ربهم اي منحوه من عنده واوتوه من قبله
وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على اعمال الخير
والترقي الى الافضل فالافضل ونكر هدى ليفيد ضرباً مبهماً
لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره كانه قيل على اي هدى

كما تقول لو ابصرت فلاناً لابصرت رجلاً وقال الهذلي شعر
فلا وابي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم
والنون في من ربهم ادغمت بغنة وبغير غنة فالكسائي
وحمزة ويزيد وورش في رواية والهاشمي عن ابن كثير لم يغنوها
وقد اغنها الباقون الا ابا عمرو فقد روي عنه فيها روايتان
وفي تكرير اولئك تنبيه على انهم كما ثبتت لهم الاثرة بالهدى
فهي ثابتة لهم بالفلاح فجعلت كل واحدة من الاثرتين في
تمييزهم بها عن غيرهم بالمثابة التي لو انفردت كفت مميزة
على حيالها فان قلت لم جاء مع العاطف وما الفرق بينه وبين
قوله اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون قلت
قد اختلف الخبران ههنا فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين
ثمة فانهما متفقان لان التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم
شي واحد فكانت الجملة الثانية مقررة لما في الاولى فهي من العطف
بمعزل وهم فصل وفائدته الدلالة على ان الوارد بعده
خبر لا صفة والتوكيد وايجاب ان فائدة المسند ثابتة
للمسند اليه دون غيره او هو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة
خبر اولئك ومعنى التعريف في المفلحون الدلالة على ان المتقين
هم الناس الذين بلغك انهم يفلحون في الآخرة كما اذا
بلغك ان انساناً قد تاب من اهل بلدك فاستخبرت
من هو فقيل زيد التائب اي هو الذي قد اخبرت بتوبته
او على انهم الذين ان حصلت صفة المفلحين وتحققوا ما هم
وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة
كما تقول لصاحبك هل عرفت الاسد وما جبل عليه من
فرط الاقدام

ان الذين كفروا

ان زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عز من قايل التنبيه على اختصاص
المتقين بنيل ما لا يناله احد على طرق شتى وهي ذكر اسم الاشارة
وتكريره وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل بينه وبين اوليك
ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم
ما قدموا ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب والتمني
على الله ما لا تقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته اللهم زينا بلباس
التقوى واحشرنا في زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة والمفلح
الفائز بالبغية كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق
عليه والمفلج بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلقة استفلحي بامرك
بالحاء والجيم والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذلك
اخواته في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى لما قدم ذكر اوليائه
وخالصة عباده بصفاتهم التي اهلتهم لاصابة الزلفى عنده
وبين ان الكتاب هدى ولطف لهم خاصة قفى على اثره بذكر
اضدادهم وهم العتاة المردة من الكفار الذين لا ينفع فيهم
الهدى ولا يجدي عليهم اللطف وسواء عليهم وجود الكتاب
وعدمه وانذار الرسول وسكوته فان قلت لم قطعت قصة
الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف كنحو قوله ان الابرار
لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وغيره من الآي الكثيرة قلت
ليس وزان هاتين القصتين وزان ما ذكرت لان الاولى فيما نحن
فيه مسوقة لذكر الكتاب وانه هدى للمتقين وسيقت
الثانية لان الكفار من صفتهم كيت وكيت فبين الجملتين تباين
في الغرض والاسلوب وهما على حد لا مجال فيه للعاطف فان قلت
هذا اذا زعمت ان الذين يؤمنون جار على المتقين فاما اذا
ابتداته

وبنيت الكلام لصفة المؤمنين ثم عقبته بكلام آخر في صفة
اضدادهم كان مثل تلك الآي المتلوة قلت قد مر لي
ان الكلام المبتدا عقيب المتقين سبيله الاستيناف
وانه مبني على تقدير سؤال فذلك ادراج له في حكم المتقين
وتابع له في المعنى وان كان مبتدا في اللفظ فهو في الحقيقة
كالجاري عليه والتعريف في الذين كفروا يجوز ان يكون
للعهد وان يراد بهم ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل
والوليد بن المغيرة واضرابهم وان يكون للجنس متناولا كل
من صمم على كفره تصميما لا يرعوي بعده وغيرهم ودل على
تناوله للمصرين الحديث عنهم باستواء الانذار وتركه عليهم
وسواء اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر
ومنه قوله تعالى الى كلمة سواء بيننا وبينكم في اربعة ايام سواء
للسايلين بمعنى مستوية وارتفاعه على انه خبر لان
وانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع المرتفع به على الفاعلية كانه
قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كما
تقول ان زيدا مختصم اخوه وابن عمه او يكون انذرتهم ام
لم تنذرهم في موضع الابتدا وسواء خبرا مقدما بمعنى سواء
عليهم انذارك وعدمه والجملة خبر لان فان قلت الفعل ابدا
خبر لا مخبر عنه فكيف صح الاخبار عنه في هذا الكلام قلت
هو من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ الى جانب المعنى
وقد وجدنا العرب يميلون في مواضع من كلامهم مع المعاني
ميلا بينا من ذلك قولهم لا تاكل السمك وتشرب اللبن معناه
لا يكن منك اكل السمك وشرب اللبن وان كان ظاهر اللفظ

من عطف الاسم على الفعل لانه لو كان عطف الفعل على الفعل
لكان التاء، قولك وتشرب مكسورة والهمزة وام مجردتان
لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام راسا
قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على
حرف النداء قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة يعني ان هذا
جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما ان ذلك جرى
على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء استواؤهما في علم
المستفهم عنهما لانه قد علم ان احد الامرين كائن اما الانذار
واما عدمه ولكن لا بعينه وكلاهما معلوم بعلم غير معين وقرئ
أأنذرتهم بتحقيق الهمزتين والتخفيف اعرب واكثر وبتخفيف
الثانية بين بين وبتوسيط الف بينهما محققتين وبتوسيطها
والثانية بين بين وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه والقاء
حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح فان قلت ما تقول
فيمن يقلب الثانية الفا قلت هو لاحن خارج من كلام
العرب خروجين احدهما الاقدام على جمع الساكنين على غير حده
وحده ان يكون الاول حرف لين والثاني حرفا مدغما نحو قوله
ولا الضالين وخويصة والثاني اخطاء طريق التخفيف
لان طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها
ان تخرج بين بين فاما القلب الفا فهو تخفيف الهمزة
الساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة راس والانذار التخويف
من عقاب الله بالزجر عن المعاصي فان قلت ما موقع
لا يؤمنون قلت اما ان يكون جملة مؤكدة للجملة
قبلها او خبرا لان والجملة قبلها اعتراض الختم

لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة

والكتم اخوان لان في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه
كتما له وتغطية لئلا يتوصل اليه ولا يطلع عليه والغشاوة
الغطاء فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل
على الشيء كالعصابة والعمامة فان قلت ما معنى
الختم على القلوب والاسماع وتغشية الابصار قلت لا ختم
ولا تغشية ثم على الحقيقة وانما هو من باب المجاز ويحتمل ان
يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل اما الاستعارة
فان تجعل قلوبهم لان الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص الى
ضمائرها من قبل اعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده
واسماعهم لانها تمجه وتنبو عن الاصغاء اليه وتعاف استماعه
كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لانها لا تجتلي آيات
الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما تجتليها اعين
المعتبرين المستبصرين كانما غطي عليها وحجبت وحيل
بينها وبين الادراك واما التمثيل فان تمثل حيث لم يستنفعوا
بها في الاغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من اجلها
باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية
وقد جعل بعض المازنيين الحبسة في اللسان والعي ختما عليه
فقال شعر ختم الاله على لسان عذافر ختما فليس على الكلام
بقادر واذا اراد النطق خلت لسانه لحما يحركه لصقر ناقر
فان قلت فلم اسند الختم الى الله واسناده اليه يدل على المنع
من قبول الحق والتوصل اليه بطرقه وهو قبيح
والله يتعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا لعلمه بقبحه وعلمه
بغناه عنه وقد نص على تنزيه ذاته بقوله وما انا بظلام للعبيد

وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين. إن الله لا يأمر بالفحشاء ونظائر
ذلك مما نطق به التنزيل. قلت: القصد إلى صفة القلوب بأنها
كالمختوم عليها، وأما إسناد الختم إلى الله عز وجل فلينبه على أن
هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقي غير العرضي
ألا ترى إلى قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور عليه يريدون أنه
بليغ في الثبات عليه، وكيف يتخيل ما خيل إليك وقد وردت
الآية ناعية على الكفار شناعة صفتهم ووخامة حالهم ونيط
بذلك الوعيد بعذاب عظيم. ويجوز أن تضرب الجملة كما
هي وهي ختم الله على قلوبهم مثلاً كقولهم سال به الوادي إذا
هلك وطارت به العنقاء إذا أطال الغيبة وليس للوادي
ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا في طول غيبته وإنما هو تمثيل، مثلت
حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من
طارت به العنقاء، فكذلك مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه
من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها نحو قلوب
الأغتام التي هي في خلوها عن الفطن كقلوب البهائم أو بحال
قلوب البهائم أنفسها أو بحال قلوب مقدر ختم الله عليها حتى
لا تعي شيئاً ولا تفقه، وليس له عز وجل فعل في تجافيها عن الحق
ونبوها عن قبوله وهو متعال عن ذلك. ويجوز أن يستعار الإسناد
في نفسه من غير الله لله فيكون الختم مسنداً إلى اسم الله على
سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة. تفسير هذا أن للفعل ملابسات
شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان
والمسبب له، فإسناده إلى الفاعل حقيقة وقد يسند إلى هذه
الأشياء على طريق المجاز المسمى استعارة، وذلك لمضاهاتها
الفاعل

في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الأسد في جراءته فيستعار له
اسمه، فيقال في المفعول به عيشة راضية وماء دافق وفي عكسه
سيل مفعم، وفي المصدر شعر شاعر وذيل ذائل، وفي الزمان
نهاره صائم وليله قائم، وفي المكان طريق سائر ونهر
جار وأهل مكة يقولون صلى المقام، وفي المسبب بنى الأمير المدينة
وناقة ضبوث وحلوب، وقال: إذا رد عافي القدر من يستعيرها
فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة أو الكافر، إلا أن الله سبحانه
لما كان هو الذي أقدره ومكنه أسند إليه الختم كما يسند الفعل
إلى المسبب. ووجه رابع وهو أنهم لما كانوا على القطع والبت
ممن لا يؤمن ولا تغني عنهم الآيات والنذر ولا تجدي عليهم
الألطاف المحصلة ولا المقربة إن أعطوها، لم يبق بعد استحكام
العلم بأنه لا طريق إلى أن يؤمنوا طوعاً واختياراً طريق إلى
إيمانهم إلا القسر والإلجاء، وإذا لم تبق طريق إلا أن يقسرهم
ويلجئهم ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف
عبر عن ترك القسر والإلجاء بالختم إشعاراً بأنهم الذين
ترامى أمرهم في التصميم على الكفر والإصرار عليه إلى حد لا
يتناهون عنه إلا بالقسر والإلجاء، وهي الغاية القصوى في
وصف لجاجهم في الغي واستشرائهم في الضلال والبغي. ووجه
خامس وهو أن يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكماً بهم
من قولهم قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر
ومن بيننا وبينك حجاب، ونظيره في الحكاية والتهكم قوله لم يكن
الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة
فإن قلت: اللفظ يحتمل أن تكون الأسماع داخلة في حكم الختم وفي
حكم التغشية

فعلى انهما نعوت قلت ما وجهها في حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه
وجعل على بصره غشاوة ولو قفهم على سمعهم دون قلوبهم فان قلت
اي فائدة في تكرير الجار في قوله وعلى سمعهم قلت لو لم يكرر لكان
انتظاما للقلوب والاسماع في تعدية واحدة وحين استجد للاسماع
تعدية على حدة كان ادل على شدة الختم في الموضعين ووحد
السمع كما وحد البطن في قوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا يفعلون
ذلك اذا امن اللبس فاذا لم يؤمن كقولك فرسهم وثوبهم وانت
تريد الجمع رفضوه ولك ان تقول السمع مصدر في اصله والمصادر
لا تجمع فلمح الاصل يدل عليه جمع الاذن في قوله وفي آذاننا وقر
وان تقدر مضافا محذوفا اي وعلى حواس سمعهم وقرأ ابن ابي عبلة
وعلى اسماعهم فان قلت هل امتنع ابا عمرو والكسائي من امالة ابصارهم
لما فيه من حرف الاستعلاء وهو الصاد قلت لان الراء المكسورة
تغلب المستعلية لما فيها من التكرير كان فيها كسرتين وذلك
اعون شيء على الامالة وان يمال له ما لا يمال والبصر نور العين
وهو ما يبصر به الرائي ويدرك المرئيات كما ان البصيرة
نور القلب وهو ما به يستبصر ويتأمل وكانهما جوهران
لطيفان خلقهما الله فيهما آلتين للابصار والاستبصار
وقرئ غشاوة بالكسر والنصب وغشاوة بالضم والرفع وغشاوة
بالفتح والنصب وغشوة بالكسر والرفع وغشوة بالفتح والرفع
والنصب وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع من العشا والعذاب
مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول اعذب عن الشيء اذا
امسك عنه كما تقول نكل عنه ومنه العذب لانه ينقع العطش
ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ويدل عليه تسميتهم اياه نقاخا

لانه ينقخ العطش اي يكسره وفراتا لانه يرفته على القلب
ثم اتسع فيه فسمي كل الم فادح عذابا وان لم يكن نكالا
اي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة والفرق بين
العظيم والكبير ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير
فكان العظيم فوق الكبير كما ان الحقير دون الصغير ويستعملان
في الجثث والاحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او
خطره ومعنى التنكير ان على ابصارهم نوعا من الاغطية غير ما
يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله ولهم من
بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله اللهم
اجرنا من عذابك ولا تبلنا بسخطك يا واسع المغفرة افتتح

ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين

سبحانه بذكر الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت فيه
قلوبهم ألسنتهم ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم ثم ثنى بالذين
محضوا الكفر ظاهرا وباطنا قلوبا وألسنة ثم ثلث بالذين
آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وابطنوا خلاف ما
اظهروا وهم الذين قال فيهم مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا
الى هؤلاء وسماهم المنافقين وكانوا اخبث الكفرة وابغضهم
اليه وامقتهم عنده لانهم خلطوا بالكفر تمويها وتدليسا
وبالشرك استهزاء وخداعا ولذلك انزل فيهم ان المنافقين
في الدرك الاسفل ووصف حال الذين كفروا في آيتين وحال
الذين نافقوا في ثلاث عشرة آية نعى عليهم فيها خبثهم ونكرهم
وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل
بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال
الشنيعة وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين
كفروا

كما تعطف الجملة على الجملة واصل ناس اناس حذفت همزته تخفيفا
كما قيل لوقة في الوقة وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد
يقال الاناس ويشهد له الاصل انسان واناسي وانس
وسموا لظهورهم وانهم يؤنسون اي يبصرون كما سمي الجن لاجتنانهم
ولذلك سموا بشرا ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصول
لا الاتباع تقول في وزن قه افعل وليس معك الا العين وحدها
وهو من اسماء الجمع كرخال واما نويس في المصغر الآتي
على خلاف مكبره كانيسيان ودروجل ولام التعريف فيه للجنس
ويجوز ان تكون للعهد والاشارة الى الذين كفروا المار ذكرهم
كأنه قيل ومن هؤلاء من يقول هم عبد الله بن ابي واصحابه
ومن كان في حالهم من اهل التصميم على النفاق ونظيره موقعه
موقع القوم في قولك نزلت ببني فلان فلم يقروني والقوم
لئام ومن موصوفة كأنه قيل ومن الناس ناس يقولون
كما في قوله من المؤمنين رجال ان جعلت اللام للجنس وان جعلتها
للعهد فموصولة كقوله ومنهم الذين يؤذون النبي فان قيل كيف يجعلون
بعض اولئك والمنافقون غير المختوم على قلوبهم قلت الكفر
جمع الفريقين معا وصيرهم جنسا واحدا وكون المنافقين نوعا
من نوعي هذا الجنس مغايرا للنوع الآخر بزيادة زادوها على
الكفر الجامع بينهما من الخديعة والاستهزاء لا يخرجهم من ان يكونوا
بعضا من الجنس فان الاجناس انما تنوعت لمغايرات وقعت
بين بعضها وبعض وتلك المغايرات انما هي بالنوعية ولا تأبى
الدخول تحت الجنسية فان قلت لم اختص بالذكر الايمان بالله
والايمان باليوم الآخر قلت اختصاصهما بالذكر كشف عن
افراطهم في الخبث

وتمادیهم فی الدعاوی لان القوم کانوا یهودا وایمان الیهود
بالله لیس بایمان لقولهم عزیر ابن الله وکذلک ایمانهم بالیوم الآخر
لانهم یعتقدونه علی خلاف صفته فکان قولهم آمنا بالله والیوم
الآخر خبثا مضاعفا وکفرا موجها لان قولهم هذا لو صدر عنهم
لا علی وجه النفاق وعقیدتهم عقیدتهم فهو کفر لا ایمان فاذا
قالوه علی وجه النفاق خدیعة للمسلمین واستهزاء بهم وادعوا
انهم مثلهم فی الایمان الحقیقی کان خبثا الی خبث وکفرا الی کفر
وایضا فقد ادعوا فی هذا المقال انهم احتازوا الایمان من جانبیه
واکتنفوه من قطریه واحاطوا باوله وآخره وفی تکریر الباء انهم
ادعوا کل واحد من الایمانین علی صفة الصحة والاستحکام فان قلت
کیف طابق قوله وما هم بمؤمنین قولهم آمنا بالله وبالیوم الآخر
والاول فی ذکر شان الفعل لا الفاعل والثانی ذکر شان الفعل
لا الفاعل والثانی ذکر شان الفاعل لا الفعل قلت القصد
الی انکار ما ادعوه ونفیه فسلک فی ذلک طریق ادی الی الغرض
المطلوب وفیه من التوکید والمبالغة ما لیس فی غیره وهو اخراج
ذواتهم وانفسهم من ان تکون طائفة من طوائف المؤمنین لما علم
من حالهم المنافیة لحال الداخلین فی الایمان واذا شهد علیهم بانهم فی
انفسهم علی هذه الصفة فقد انطوی تحت الشهادة علیهم بذلک
نفی ما انتحلوا اثباته لانفسهم علی سبیل القطع والبت ونحوه
قوله تعالی یریدون ان یخرجوا من النار وما هم بخارجین منها
هو ابلغ من قولک وما یخرجون منها فان قلت فلم جاء الایمان مطلقا
فی الثانی وهو مقید فی الاول قلت یحتمل ان یراد التقیید
ویترک لدلالة المذکور علیه وان یراد بالاطلاق انهم لیسوا من
الایمان فی شیء قط

لا من الإيمان بالله وباليوم الآخر ولا من الإيمان بغيرهما فإن قلت
ما المراد باليوم الآخر قلت يجوز أن يراد به الوقت الذي
لا حد له وهو الأبد الدائم الذي لا ينقطع لتأخره عن الأوقات
المنقضية وأن يراد الوقت المحدود من النشور إلى أن يدخل
أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لأنه آخر الأوقات
المحدودة الذي لا حد للوقت بعده والخدع أن يوهم

يخادعون الله

صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه من قولهم ضبٌّ خادعٌ
وخدعٌ إذا أمرّ الحارش يده على باب جحره أوهمه إقباله
عليه ثم خرج من باب آخر فإن قلت كيف ذلك ومخادعة
الله والمؤمنين لا تصح لأن العالم الذي لا تخفى عليه خافية
لا يُخدع والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يَخدع والمؤمنون
وإن جاز أن يُخدعوا لم يجز أن يَخدعوا ألا ترى إلى قوله
واستمطروا من قريش كل منخدع. وقول ذي الرمة إن الحليم
وذا الإسلام يختلب. فقد جاء النعت بالانخداع ولم يأت
بالخدع قلت فيه وجوه أحدها أن يقال كانت صورة صنعهم مع
الله حيث يتظاهرون بالإيمان وهم كافرون صورة صنع
الخادعين وصورة صنع الله معهم حيث أمر بإجراء أحكام المسلمين
عليهم وهم عنده في عداد شرار الكفرة وأهل الدرك الأسفل
من النار صورة صنع الخادع وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم
حيث امتثلوا أمر الله فيهم فأجروا أحكامه عليهم والثاني أن يكون
ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم أن الله ممن يصح خداعه
لأن من كان ادعاؤه الإيمان بالله نفاقاً لم يكن عارفاً بالله
ولا بصفاته ولا أن لذاته تعلقاً بكل معلوم ولا أنه غني عن فعل
القبائح

بالمكروه
فلم يبعد من مثله تجويز أن يكون الله في زعمه مخدوعاً ومصاباً
من وجه خفي وتجويز أن يدلس على عباده ويخدعهم والثالث
أن يذكر الله ويراد الرسول لأنه خليفته في أرضه والناطق
عنه بأوامره ونواهيه مع عباده كما يقال قال الملك كذا ورسم
كذا وإنما القائل والراسم وزيره أو بعض خاصته الذين قولهم
قوله ورسمهم رسمه مصداقه قوله تعالى إن الذين يبايعونك إنما
يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ومن يطع الرسول فقد
أطاع الله والرابع أن يكون من قولهم أعجبني زيد وكرمه فيكون
المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله وفائدة هذه الطريقة
قوة الاختصاص ولما كان المؤمنون من الله بمكان سلك
بهم ذلك المسلك ومثله والله ورسوله أحق أن يرضوه وكذلك
إن الذين يؤذون الله ورسوله ونظيره في كلامهم علمت زيداً
فاضلاً الغرض فيه ذكر إحاطة العلم بفضل زيد لا به نفسه
لأنه كان معلوماً له قديماً كأنه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكر
زيد توطئة وتمهيد لذكر فضله فإن قلت هل للاقتصار بخادعت
على واحد وجه صحيح قلت وجهه أن يقال عني به فعلت إلا أنه
أخرج في زنة فاعلت لأن الزنة في أصلها للمغالبة والمباراة
والفعل متى غولب فيه فاعله جاء أبلغ وأحكم منه إذا زاوله
وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة الداعي إليه
ويعضده قراءة من قرأ يخدعون الله والذين آمنوا وهو
أبو حيوة ويخادعون بيان ليقول ويجوز أن يكون مستأنفاً
كأنه قيل ولم يدعون الإيمان كاذبين وما نفعهم في ذلك
فقيل يخادعون فإن قلت بم كانوا يخادعون قلت
كانوا

يخادعونهم عن أغراضهم ومقاصد منها متاركتهم وإعفاؤهم عن المحاربة وعما يطرقون به من سواهم من الكفار ومنها اصطناعهم بما يصطنعون به المؤمنين من الإكرام والإحسان إليهم وإعطائهم الحظوظ من المغانم ونحو ذلك من الفوائد ومنها اطلاعهم لاختلاطهم بهم على الأسرار التي كانوا حراصا على إذاعتها إلى منابذيهم فإن قلت فلو أظهر عليهم حتى لا يصلوا إلى هذه الأغراض بخداعهم عنها قلت لم يظهر عليهم لما أحاط به علما من المصالح التي لو أظهر عليهم لانقلبت مفاسد وإبقاء إبليس وخدعته ومتاركتهم وما هم عليه من إغواء المنافقين وتلقينهم النفاق أشد من ذلك ولكن السبب فيه ما علمه الله تعالى من المصلحة فإن قلت ما المراد بقوله وما يخادعون إلا أنفسهم قلت يجوز أن يراد وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين إلا أنفسهم لأن ضررها يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما تقول فلان يضار فلانا وما يضار إلا نفسه أي دائرة الضرار راجعة إليه وغير متخطية إياه وأن يراد حقيقة المخادعة أي وهم في ذلك يخدعون أنفسهم حيث يمنونها الأباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به وأنفسهم كذلك تمنيهم وتحدثهم بالأماني وأن يراد وما يخدعون فجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة وقرئ وما يخدعون ويخدعون من خدّع ويخدّعون بفتح الياء بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على لفظ ما لم يسم فاعله والنفس ذات الشيء وحقيقته يقال عندي كذا نفسا ثم قيل للقلب النفس لأن النفس به ألا ترى إلى قولهم المرء بأصغريه وكذلك بمعنى الروح وللدم نفس لأن قوامها بالدم وللماء نفس

والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون

لفرط حاجتها إليه قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي وحقيقة نفس الرجل بمعنى عينه أصيبت نفسه كقولهم صدر الرجل وقلبه وفلان يؤامر نفسيه إذا تردد في الأمر واتجه له رأيان وداعيان لا يدري على أيهما يعرج كأنهم أرادوا داعي النفس وهاجسي النفس فسموهما نفسين إما لصدورهما عن النفس وإما لأن الداعيين لما كانا كالمشيرين عليه والآمرين له شبهوهما بذاتين فسموهما نفسين والمراد بالأنفس ههنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم أن الخداع لاصق بهم لا يعدوهم إلى غيرهم ولا يتخطاهم إلى من سواهم ويجوز أن يراد قلوبهم ودواعيهم وآراؤهم والشعور علم الشيء علم حس من الشعار ومشاعر الإنسان حواسه والمعنى أن لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له واستعمال المرض في القلب يجوز أن يكون حقيقة ومجازا فالحقيقة أن يراد الألم كما تقول في جوفه مرض والمجاز أن يستعار لبعض أعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل إلى المعاصي والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائض ذلك والمراد به ههنا ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر أو من الغل والحسد والبغضاء لأن صدورهم كانت تغلي على رسول الله والمؤمنين غلا وحنقا ويبغضونهم البغضاء التي وصفها الله في قوله قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ويتحرقون عليهم حسدا إن تمسسكم حسنة تسؤهم وناهيك بما كان من ابن أبي وقول سعد بن عبادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم

في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا

اعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد اعطاك الله الذي
اعطاك ولقد اصطلح اهل هذه البحيرة ان يعصبوه بالعصابة
فلما ردّ الله ذلك بالحق الذي اعطاكه شرق بذلك او ما
تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور فان قلوبهم كانت
قوية اما لقوة طمعهم فيما كانوا يتحدثون به ان ريح الاسلام
تهب حينا ثم تسكن ولواءه يخفق اياما ثم يقر فضعفت
حين ملكها اليأس عند انزال الله على رسوله النصر واظهار
دين الحق على الدين كله واما لجراءتهم وجسارتهم في الحروب
فضعفت جبنا وخورا حين قذف الله في قلوبهم الرعب وشاهدوا
شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر ومعنى زيادة الله
اياهم مرضا انه كلما انزل على رسوله الوحي فيسمعونه كفروا به
فازدادوا كفرا الى كفرهم فكأن الله هو الذي زادهم ما
ازدادوه اسنادا للفعل الى المسبب كما اسنده الى السورة في
قوله فزادتهم رجسا لكونها سببا او كلما زاد رسوله نصرة
وبسطة في البلاد ونقصا من اطراف الارض ازدادوا
حسدا وغلا وبغضا وازدادت قلوبهم ضعفا وقلة طمع فيما عقدوا به
رجاءهم وجبنا وخورا ويحتمل ان يراد بزيادة المرض الطبع
لابي عمرو في رواية الاصمعي مرض ومرضا بسكون الراء ولهم عذاب اليم
هو اليم كوجع فهو وجيع ووصف العذاب به نحو قوله
تحية بينهم ضرب وجيع • وهذا على طريقة قولهم جدّ جدّه
والالم في الحقيقة للمؤلم كما ان الجد للجاد والمراد بكذبهم
قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وفيه رمز الى قبح الكذب
وسماجته

وتخييل ان العذاب الاليم لاحق بهم من اجل كذبهم ونحو قوله
مما خطيئاتهم اغرقوا والقوم كفرة وانما خصت الخطيئات
استعظاما لها وتنفيرا عن ارتكابها والكذب الاخبار عن الشيء
على خلاف ما هو به وهو قبيح كله واما ما روي عن ابراهيم
صلوات الله عليه انه كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض
ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سمي به وعن ابي بكر الصديق
رضي الله عنه مرفوعا اياكم والكذب فانه مجانب للايمان
وقرئ يكذّبون من كذّبه الذي هو نقيض صدّقه او من كذّب الذي
هو مبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدّق ونظيرهما بان
الشيء وبيّن وقلص الثوب وقلّص او بمعنى الكثرة كقولك
موّتت البهائم وبرّكت الابل او من قولهم كذّب الوحشي
اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لان المنافق متوقف
متردد في امره ولذلك قيل له مذبذب وقال عليه السلام مثل
المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة
والى هذه مرة واذا قيل لهم معطوف على يكذبون لانك لو قلت ولهم
عذاب اليم بما كانوا اذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن
مصلحون كان كلاما فصيحا ويجوز ان يعطف على يقول آمنا لانك
لو قلت ومن الناس من اذا قيل لهم لا تفسدوا كان صحيحا والاول
اوجه والفساد خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعا
به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة
والفساد في الارض هيج الحروب والفتن لان في ذلك فساد
ما في الارض وانتفاء الاستقامة عن احوال الناس والزروع والمنافع
الدينية والدنيوية قال الله تعالى واذا تولى سعى في الارض
ليفسد فيها

ويهلك الحرث والنسل وكان الفعل فيهما من يفسد فيها ويسفك الدماء
ومنه قيل لحرب كانت بين طيء حرب الفساد وكان فساد
المنافقين في الأرض أنهم كانوا يمايلون الكفار ويمالئونهم على
المسلمين بإفشاء أسرارهم إليهم وإغرائهم عليهم وذلك مما يؤدي
إلى هيج الفتن بينهم فلما كان ذلك من صنيعهم مؤديا إلى الفساد
قيل لهم لا تفسدوا كما تقول للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق
نفسك في النار إذا أقدم على ما هذه عاقبته وإنما لقصر الحكم على شيء
كقولك إنما ينطلق زيد أو لقصر الشيء على حكم كقولك إنما زيد كاتب ومعنى
إنما نحن مصلحون أن صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير
شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد وألا مركبة من همزة
الاستفهام وحرف النفي لإعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها
والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحقيقا كقوله أليس ذلك بقادر
ولكونها في هذا المنصب من التحقيق لا يكاد تقع الجملة بعدها إلا
مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم وأختها التي هي أما من مقدمات
اليمين وطلائعها أما والذي لا يعلم الغيب غيره أما والذي
أبكى وأضحك رد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين
أبلغ رد وأدله على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستئناف
وما في كلتا الكلمتين ألا وإن المؤكدين وتعريف الخبر وتوسيط
الفصل وقوله لا يشعرون أتوهم في النصيحة من وجهين أحدهما
تقبيح ما كانوا عليه لبعده من الصواب وجره إلى الفساد والفتنة
والثاني تبصيرهم الطريق الأسد من اتباع ذوي الأحلام ودخولهم
في عدادهم فكان من جوابهم أن سفهوهم لفرط سفههم وجهلوهم
لتمادي جهلهم وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة فإن قلت

ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون

وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس

كيف صح أن يسند قيل إلى لا تفسدوا وآمنوا وإسناد الفعل إلى
ما لا يصح قلت الذي لا يصح هو إسناد الفعل إلى معنى الفعل
وهذا إسناد له إلى لفظه كأنه قيل وإذا قيل لهم هذا القول وهذا
الكلام فهو نحو قولك ألف ضرب من ثلاثة أحرف ومنه زعموا
مطية الكذب وما في كما يجوز أن تكون كافة مثلها في ربما ومصدرية
مثلها في بما رحبت واللام في الناس للعهد أي كما آمن رسول الله
ومن معه وهم ناس معهودون أو عبد الله بن سلام وأشياعه
لأنهم من جلدتهم ومن أبناء جنسهم أي كما آمن أصحابكم وإخوانكم
أو للجنس أي كما آمن الكاملون في الإنسانية أو جعل المؤمنون
كأنهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز بين
الحق والباطل والاستفهام في أنؤمن في معنى الإنكار واللام
في السفهاء مشار بها إلى الناس كما تقول لصاحبك إن زيدا قد سعى
بك فيقول أوقد فعل السفيه ويجوز أن تكون للجنس وينطوي تحته
الجارون ذكرهم على زعمهم واعتقادهم لأنهم عندهم أعرق الناس
في السفه فإن قلت لم سفهوهم واستركوا عقولهم وهم العقلاء
المراجيح قلت لأنهم لجهلهم وإخلالهم بالنظر وإنصاف أنفسهم
اعتقدوا أن ما هم فيه هو الحق وأن ما عداه باطل ومن ركب
متن الباطل كان سفيها ولأنهم كانوا في رياسة وبسطة في قومهم
ويسار وكان أكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال
وخباب فدعوهم سفهاء تحقيرا لشأنهم أو لأن عبد الله بن
سلام وأشياعه فارقوا دينهم وما غاظهم من إسلامهم
وفت في أعضادهم قالوا ذلك على سبيل التجلد توقيا من الشماتة
بهم مع علمهم أنهم من السفه بمعزل والسفه سخافة العقل

قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء

وخفة الحلم فان قلت لم فصلت هذه الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا
يشعرون قلت لان امر الديانة والوقوف على ان المؤمنين على الحق
وهم على الباطل يحتاج الى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة
واما النفاق وما فيه من البغي المؤدي الى الفتنة والفساد في
الارض فامر دنيوي مبني على العادات معلوم عند الناس
خصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان قائما بينهم من التغاور
والتناحر والتحارب والتحازب فهو كالمحسوس المشاهد ولانه
قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه احسن طباقا له

واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم

هذه الآية بخلاف ما سيقت له اول قصة المنافقين فليس بتكرير لان
تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان ما كانوا يعملون
عليه مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه
المصادقين وايهامهم انهم معهم فاذا فارقوهم الى شطار دينهم
صدقوهم ما في قلوبهم وروي ان عبد الله بن ابي واصحابه خرجوا
ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله فقال عبد الله
انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا
بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار
الباذل نفسه وماله له ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني
عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول
الله ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد
بني هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رأيتموني
فعلت فاثنوا عليه خيرا فنزلت ويقال لقيته ولاقيته اذا
استقبلته قريبا منه وهو جاري ملاقيّ ومُوافيّ وقرأ ابو حنيفة
رحمه الله واذا لاقوا وخلوت بفلان واليه اذا انفردت معه
وتعجب ان يخلو من خلاك ذم اي عداك ومضى عنك
ومنه القرون الخالية ومن خلوت به اذا سخرت منه وهو من
قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه واذا انهوا السخرية
بالمؤمنين الى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول احمد اليك فلانا
واذمه اليك شياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وقد
جعل سيبويه نون الشيطان في موضع من كتابه اصلية وفي آخر
زائدة والدليل على اصالتها قولهم تشيطن واشتقاقه من شطن
اذا بعد لبعده من الصلاح والخير ومن شاط اذا بطل اذا جعلت
نونه زائدة ومن اسمائه الباطل

قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون

انا معكم انا مصاحبوكم وموافقوكم
على دينكم فان قلت لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم
بالاسمية محققة بان قلت ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديرا باقوى
الكلامين واوكدهما لانهم في ادعاء حدوث الايمان منهم ونشئه
من قبلهم لا في ادعاء انهم اوحديون في الايمان غير مشقوق فيه
غبارهم وذلك اما لان انفسهم لا تساعدهم عليه اذ ليس لهم من
عقائدهم باعث ومحرك وهكذا كل قول لم يصدر عن اريحية
وصدق رغبة واعتقاد واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ
التوكيد والمبالغة وكيف يقولونه ويطمعون في رواجه وهم بين
ظهراني المهاجرين والانصار الذين مثلهم في التوراة ومثلهم
في الانجيل الا ترى الى حكاية الله قول المؤمنين ربنا اننا آمنا
واما مخاطبة اخوانهم فهم فيما اخبروا به عن انفسهم من الثبات
على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر والبعد من ان يزلوا
عنه على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به وما قالوه
من ذلك فهو رائج عنهم متقبل منهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد

تعلق

فإن قلت أنى تعلق قوله إنما نحن مستهزئون بقوله إنا معكم قلت هو توكيد له لأن قوله إنا معكم معناه الثبات على اليهودية وقوله إنما نحن مستهزئون ردّ للإسلام ودفع له منهم لأن المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدًّا به ودفع نقيض الشيء تأكيد لثباته أو بدل منه لأن من حقّر الإسلام فقد عظّم الكفر أو استئناف كأنهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم إنا معكم فقالوا فما بالكم إن صح أنكم معنا توافقون أهل الإسلام فقالوا إنما نحن مستهزئون والاستهزاء السخرية والاستخفاف وأصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على المكان عن بعض العرب مشيت فلغبت فظننت لأهزأنّ على مكاني وناقته تهزأ به أي تسرع وتخف فإن قلت لا يجوز الاستهزاء على الله تعالى لأنه متعال عن القبيح والسخرية من باب العيب والجهل ألا ترى إلى قوله قالوا أتتخذنا هزوًا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين فما معنى استهزائه بهم قلت معناه إنزال الهوان والحقارة بهم لأن المستهزئ غرضه الذي يرميه هو طلب الخفة والزراية ممن يهزأ به وإدخال الهوان والحقارة عليه والاشتقاق كما ذكرنا شاهد لذلك وقد كثر التهكم في كلام الله بالكفرة والمراد به تحقير شأنهم وازدراء أمرهم والدلالة على أن مذاهبهم حقيقة بأن يسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون ويجوز أن يراد به ما مرّ في المخادعة من أنه تجري عليهم أحكام المسلمين في الظاهر وهم مبطنون بادخار ما يراد بهم وقيل سمي جزاء الاستهزاء باسمه لقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه فإن قلت كيف ابتدئ قوله الله يستهزئ بهم ولم يعطف على الكلام قبله قلت هو استئناف في غاية الجزالة والفخامة.

الله يستهزئ بهم

وفيه أن الله عز وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ الذي ليس استهزاؤهم إليه باستهزاء ولا يؤبه له في مقابلته لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل وفيه أن الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقامًا للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين أن يعارضوهم باستهزاء مثله فإن قلت هلا قيل الله مستهزئ بهم ليكون طبقًا لقوله إنما نحن مستهزئون قلت لأن يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتًا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين وما كانوا يخلون في أكثر أوقاتهم من تهتك أستار وتكشف أسرار ونزول في شأنهم واستشعار حذر من أن تنزل فيهم يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا إن الله مخرج ما تحذرون ويمدهم في طغيانهم من مدّ الجيش وأمدّه إذا زاده وألحق به ما يقويه ويكثّره وكذلك مدّ الدواة وأمدها زادها ما يصلحها ومددت السراج والأرض إذا استصلحتهما بالزيت والسماد ومدّه الشيطان في الغي وأمدّه إذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيّه ويزداد انهماكًا فيه فإن قلت لم زعمت أنه من المدد دون المدّ في العمر والإملاء والإمهال قلت كفاك دليلًا على أنه من المدد دون المدّ قراءة ابن كثير وابن محيصن ويُمدهم وقراءة نافع وإخوانهم يُمدونهم على أن الذي بمعنى أمهله إنما هو مدّ له مع اللام كأملى له فإن قلت فكيف جاز أن يولي الله تعالى مددًا في الطغيان وهو فعل الشياطين ألا ترى إلى قوله وإخوانهم يمدونهم في الغي قلت إما أن يحمل على أنهم لما منعهم الله ألطافه التي يمنحها المؤمنين

ويمدهم في طغيانهم يعمهون

ومنعهم بسبب كفرهم واصرارهم عليه فبقيت قلوبهم تتزايد الرين
والظلمة فيها تزايد الانشراح والنور في قلوب المؤمنين فسمي ذلك
التزايد مددا واسند الى الله سبحانه لانه مسبب عن فعله بهم
بسبب كفرهم واما على منع القسر والالجاء واما على ان يسند فعل
الشيطان الى الله تعالى لانه بتمكينه واقداره والتخلية بينه وبين
اغواء عباده فان قلت فما حملهم على تفسير المد في الطغيان بالامهال
وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه قلت استجرهم الى
ذلك خوف الاقدام على ان يسندوا الى الله ما اسند الى الشياطين
ولكن المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ وشهد لصحته والا فمنه
بمنزلة الاروى من النعام ومن حق مفسر كتاب الله الباهر
وكلامه المعجز ان يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه
والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي سليما من القادح فاذا
لم يتعاهد اوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على
مراحل ويعضد ما قلناه قول الحسن في تفسيره في ضلالتهم يتمادون
وان هؤلاء من اهل الطبع والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة
الحد في العتو وقرا زيد بن علي رضي الله عنه في طغيانهم بالكسر
وهما لغتان كلقيان ولقيان وغنيان وغنيان فان قلت اي
نكتة في اضافته اليهم قلت فيها ان الطغيان والتمادي في
الضلالة مما اقترفته انفسهم واجترحته ايديهم وان الله بريء
منه ردا لاعتقاد الكفرة القائلين لو شاء الله ما اشركنا ونفيا
لوهم من عسى يتوهم عند اسناد المد الى ذاته لولا اضافة الطغيان
اليهم ان الطغيان فعله فلما اسند المد اليه على الطريق الذي
ذكر اضاف الطغيان اليهم ليميط الشبهة ويقلعها ويدفع في

صدر من يلحد في صفاته ومصداق ذلك انه حين اسند المد
الى الشياطين اطلق الغي ولم يقيده بالاضافة في قوله واخوانهم
يمدونهم في الغي والعمه مثل العمى الا ان العمى عام في البصر
والراي والعمه في الراي خاصة وهو التحير والتردد لا يدري
اين يتوجه ومنه قوله بالجاهلين العمه اي الذين لا راي
لهم ولا دراية بالطرق وسلك ارضا عمهاء لا منار بها
ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى اختيارها عليه واستبدالها به
على سبيل الاستعارة لان الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ
آخر ومنه اخذت بالجمة راسا ازعرا • وبالثنايا الواضحات
الدردرا • وبالطويل العمر عمرا جيدرا • كما اشترى المسلم اذ تنصرا •
وعن وهب قال الله عز وجل فيما يعيب به بني اسرائيل تفقهون لغير
الدين وتعلمون لغير العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة فان قلت
كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قلت جعلوا
لتمكنهم منه واعراضه لهم كانه في ايديهم فاذا تركوه الى الضلالة
فقد عطلوه واستبدلوها به ولان الدين القيم هو فطرة
الله التي فطر الناس عليها فكل من ضل فهو مستبدل خلاف
الفطرة والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال
ضل منزله وضل دريص نفقه فاستعير للذهاب عن الصواب
في الدين والربح الفضل على راس المال ولذلك سمي الشف
من قولك اشف بعض ولده على بعض اذا فضله ولهذا على صاحبه شف
والتجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح وناقة
تاجرة كانها من حسنها وسمنها تبيع نفسها وقرا ابن ابي عبلة
تجاراتهم فان قلت كيف اسند الخسران الى التجارة وهو لاصحابها

فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين

قلت هو من الاسناد المجازي وهو ان يسند الفعل الى شي يتلبس
بالذي هو في الحقيقة له كما تلبست التجارة بالمشترين فان قلت
هل يصح ربح عبدك وخسرت جاريتك على الاسناد المجازي قلت
نعم اذا دلت الحال وكذلك الشرط في صحة رايت اسدا وانت
تريد المقدام ان لم تقم حال دالة لم يصح فان قلت هب ان شرى
الضلالة بالهدى وقع مجازا في معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة
كان ثم مبايعة على الحقيقة قلت هذا من الصنعة البديعة التي تبلغ
بالمجاز الذروة العليا وهو ان تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى باشكال
لها واخوات اذا تلاحقن لم تر كلاما احسن ديباجة واكثر ماء ورونقا
منه وهو المجاز المرشح وذلك نحو قول العرب في البليد كان اذني قلبه
خطلاوان جعلوه كالحمار ثم رشحوا ذلك روما لتحقيق البلادة فادعوا
لقلبه اذنين وادعوا لها الخطل ليمثلوا البلادة تمثيلا يلحقها ببلادة
الحمار مشاهدة معاينة ونحوه ولما رايت النسر عز ابن داية وعشش في
وكريه جاش له صدري لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب
اتبعه ذكر التعشيش والوكر ونحوه قول بعض فتاكهم في امه وما ام الرديني
وان ادلت بعالمة باخلاق الكرام اذا الشيطان قصع في قفاها
تنفقناه بالحبل التؤام اي اذا دخل الشيطان في قفاها استخرجناه
من نافقائه بالحبل المثنى المحكم يريد اذا حردت واساءت الخلق اجتهدنا
في ازالة غضبها واماطة ما يسوء من خلقها استعار التقصيع اولا ثم ضم اليه
التنفق ثم الحبل التؤام فكذلك لما ذكر سبحانه الشرى اتبعه ما يشاكله
ويواخيه وما يكمل ويتم بانضمامه اليه تمثيلا لخسارهم وتصويرا لحقيقته
فان قلت ما معنى قوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين قلت
معناه ان الذي يطلبه التجار في متصرفاتهم شيئان سلامة راس المال

مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم

والربح وهو راس المال قد اضاعوا الطلبتين معا لان راس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة وحين لم يبق في ايديهم الا الضلالة لم يوصفوا باصابة الربح وان ظفروا بما ظفروا به من الاغراض الدنيوية لان الضال خاسر دامر ولانه لا يقال لمن لم يسلم له راس ماله قد ربح وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان ولضرب العرب الامثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شان ليس بالخفي في ابراز خبيات المعاني ورفع الاستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كانه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الالد وقمع لسورة الجامح الابي ولامر ما اكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه امثاله وفشت في كلام رسول الله وكلام الانبياء والحكماء قال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون ومن سور الانجيل سورة الامثال والمثل في اصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا ولا راوه اهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول الا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم حوفظ عليه وحمي من التغيير فان قلت ما معنى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد نارا حتى شبه احد المثلين بصاحبه قلت قد استعير المثل استعارة الاسد للمقدام للحال او الصفة او القصة اذا كان لها شان وفيها غرابة كانه قيل حالهم العجيبة الشان

قوله كيف مثلت الجماعة لا توجيه لهذا السؤال لانه جعل المثل كحال العجيبة وصرح بان معنى الاية
ان حالهم العجيبة كحال الذي استوقد فالتمثيل ليس الا تمثيل حال الجماعة بحال الواحد لا تمثيل
الجماعة بالواحد فان قلت لما شبهت حال الجماعة بحال الواحد فقد شبهت الجماعة بالواحد ضمنا قلنا
اما ان يستلزم تمثيل الحال بالحال تمثيل الجماعة بالواحد او لا فان استلزم لم يتوجه الجواب الاخير
وان لم يستلزم لم يتوجه السؤال مطلقا ٥ قط

المتقون

كمثل الذي استوقد نارا وهذا كقوله مثل الجنة التي وعد
اي فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة
ثم اخذ في بيان عجائبها ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي
له شان من العظمة والجلالة مثلهم في التورية اي صفتهم وشانهم
المتعجب منه ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا فلان مثلة
في الخير والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب الشان فان قلت
كيف مثلت الجماعة بالواحد قلت وضع الذي موضع
الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا والذي سوغ وضع الذي
موضع الذين ولم يجز وضع القائم موضع القائمين ولا نحوه
من الصفات امران احدهما ان الذي لكونه وصلة الى وصف
كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه في كلامهم ولكونه مستطالا لا
بصلته حقيق بالتخفيف ولذلك نهكوه بالحذف فحذفوا ياءه
ثم كسرته ثم اقتصروا به على اللام وحدها في اسماء الفاعلين
والمفعولين والثاني ان جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون
انما ذاك علامة لزيادة الدلالة الا ترى ان سائر الموصولات
لفظ الجمع والواحد فيهن واحد او قصد جنس المستوقدين او اريد
الجمع او الفوج الذي استوقد نارا على ان المنافقين وذواتهم
لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد
انما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ونحوه قوله مثل الذين
حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله ينظرون
اليك نظر المغشي عليه من الموت ووقود النار سطوعها وارتفاع
لهبها ومن اخواته وقل في الجبل اذا صعد وعلا والنار جوهر لطيف
مضيء حار محرق والنور ضوءها وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة

هذا بناء على ما سيقوله من ان الضوء ازيد واقوى من النور مستشهدا
بقوله جعل الشمس ضياء والقمر نورا وما نقوله الضوء
ثم دلالة على الزيادة في جواب السؤال عن ذهب الله بضوئهم
وفي قوله النور يسمى نهارا من النار نظرا لان الثاني
...النور وزيادة فكيف يكون النور مستفادا
...الواجب ان يكون الامر بالعكس ٥ قط

واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا والنور
مشتق منها والاضاءة فرط الانارة ومصداق ذلك قوله هو الذي
جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الآية متعدية ويحتمل ان تكون
غير متعدية مسندة الى ما حوله والتانيث للحمل على المعنى لان
ما حول المستوقد اماكن واشياء ويعضده قراءة ابن ابي عبلة ضاءت
وفيه وجه آخر وهو ان يستتر في الفعل ضمير النار ويجعل اشراق
ضوء النار حوله بمنزلة اشراق النار نفسها على ان ما مزيدة
او موصولة في معنى الامكنة وحوله نصب على الظرف وتاليفه
للدوران والاطافة وقيل للعام حول لانه يدور فان قلت
اين جواب لما قلت فيه وجهان احدهما ان جوابه ذهب الله
بنورهم والثاني انه محذوف كما في قوله فلما ذهبوا به وانما
حذفه لاستطالة الكلام مع امن الالباس للدال عليه وكان الحذف
اولى من الاثبات لما فيه من الوجازة مع الاعراب عن الصفة
التي حصل عليها المستوقد بما هو ابلغ من اللفظ في اداء المعنى
كانه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام
متحيرين متحسرين على فوت الضوء خائبين بعد الكدح في
احياء النار فان قلت فاذا قدر الجواب محذوفا فبم يتعلق
ذهب الله بنورهم قلت يكون كلاما مستانفا كانهم لما
شبهت حالهم بحال المستوقد الذي طفئت ناره اعترض
سائل فقال ما بالهم قد اشبهت حالهم حال المستوقد فقيل
له ذهب الله بنورهم او يكون بدلا من جملة التمثيل
على سبيل البيان فان قلت قد رجع الضمير في هذا الوجه الى
المنافقين فما مرجعه في الوجه الثاني قلت مرجعه
الذي

استوقد نارا لانه في معنى الجمع وأما جمع هذا
وتوحيده في حوله فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى
فإن قلت فما معنى إسناد الفعل إلى الله تعالى في قوله
ذهب الله بنورهم قلت إذا طفئت النار بسبب سماوي
ريح أو مطر فقد أطفأها الله وذهب بنور المستوقد ووجه
آخر وهو أن يكون المستوقد في هذا الوجه مستوقد نار
لا يرضاها الله ثم إما أن تكون نارا مجازية كنار الفتنة
والعداوة للإسلام وتلك النار متقاصرة مدة
اشتعالها قليلة البقاء ألا ترى إلى قوله كلما أوقدوا
نارا للحرب أطفأها الله وإما نارا حقيقية أوقدها
الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها إلى بعض المعاصي
ويهتدوا بها في طرق العبث فأطفأها الله وخيب
أمانيهم فإن قلت كيف صح في النار المجازية أن توصف
بإضاءة ما حول المستوقد قلت هو خارج على طريقة
المجاز المرشح فأحسن تدبره فإن قلت هلا قيل ذهب الله
بضوئهم لقوله فلما أضاءت قلت ذكر النور أبلغ لأن
الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم
لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض
إزالة النور عنهم رأسا وطمسه أصلا ألا ترى
كيف ذكر عقيبه وتركهم في ظلمات والظلمة
عبارة عن عدم النور وانطماسه وكيف جمعها وكيف
نكرها وكيف أتبعها ما يدل على أنها
ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان وقوله لا يبصرون فإن قلت

فلم وصفت بالإضاءة قلت هذا على مذهب
قولهم للباطل صولة ثم يضمحل ولريح الضلال
عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل نزوة كل طماح والفرق
بين أذهبه وذهب به أن معنى أذهبه أزاله وجعله
ذاهبا ويقال ذهب به إذا استصحبه ومضى به معه
وذهب السلطان بماله أخذه فلما ذهبوا به إذا لذهب
كل إله بما خلق ومنه ذهبت به الخيلاء والمعنى أخذ الله
نورهم وأمسكه وما يمسك الله فلا مرسل له فهو أبلغ من الإذهاب
وقرأ اليماني أذهب الله نورهم وترك بمعنى طرح
وخلى إذا علق بواحد كقولهم تركه ترك ظبي ظله
فإذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجري مجرى
أفعال القلوب كقول عنترة فتركته جزر السباع ينشنه
ومنه قوله وتركهم في ظلمات أصله هم في ظلمات
ثم دخل ترك فنصب الجزأين والظلمة عدم النور
وقيل عرض ينافي النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك
أن تفعل كذا أي ما منعك وشغلك لأنها تسد
البصر وتمنع الرؤية وقرأ الحسن ظلْمات بسكون
اللام وقرأ اليماني في ظلمة على التوحيد والمفعول
الساقط من لا يبصرون من قبيل المقدر المنوي كأن
الفعل غير متعد أصلا نحو يعمهون في قوله ويذرهم
في طغيانهم يعمهون فإن قلت فيم شبهت حالهم بحال المستوقد
قلت في أنهم غب الإضاءة خبطوا في ظلمة
وتورطوا في حيرة فإن قلت وأين الإضاءة في حال المنافق وهل

مواقعا الإجابة خابط في ظلماء الكفر قلت المراد ما استضاءوا به
قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على ألسنتهم ووراء استضاءتهم بنور
هذه الكلمة ظلمة النفاق التي ترمي بهم إلى ظلمة سخط الله وظلمة
العقاب السرمد ويجوز أن يشبه بذهاب الله بنور المستوقد
اطلاع الله على أسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين واتسموا
به من سمة النفاق والأوجه أن يراد الطبع لقوله صم بكم عمي
وفي الآية تفسير آخر وهو أنهم لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى
عقّب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة
ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب
الله بنورهم وتركه إياهم في الظلمات وتنكير النار للتعظيم كانت
حواسهم سليمة ولكن لما سدّوا عن الإصاخة إلى الحق مسامعهم وأبوا
أن ينطقوا به ألسنتهم وأن ينظروا ويتبصروا بعيونهم جعلوا
كأنما أيفت مشاعرهم وانتقضت بناها التي بنيت عليها للإحساس
والإدراك كقوله شعر صمّ إذا سمعوا خيرا ذكرت به وإن ذكرت بسوء
عندهم أذنوا. وقوله أصمّ عما ساءه سميع. شعر أصمّ عن الشيء الذي لا أريده
وأسمع خلق الله حين أريد. شعر فأصممت عمرا وأعميته عن الجود والفخر يوم الفخار
فإن قلت كيف طريقته عند علماء البيان قلت طريقته قولهم هم
ليوث للشجعان وبحور للأسخياء إلا أن هذا في الصفات وذاك في الأسماء
وقد جاءت الاستعارة في الأسماء والصفات والأفعال جميعا تقول
رأيت ليوثا ولقيت صمّا عن الخير ودجا الإسلام وأضاء الحق
فإن قلت هل يسمى ما في الآية استعارة قلت مختلف فيه والمحققون
على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة لأن المستعار له مذكور وهم المنافقون
والاستعارة إنما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام

خلوا عنه صالحا لأن يراد به المنقول عنه والمنقول إليه لولا دلالة
الحال أو فحوى الكلام كقول زهير شعر لدى أسد شاكي السلاح مقذّف
له لبد أظفاره لم تقلّم. ومن ثمّ ترى المفلقين السحرة منهم كأنهم
يتناسون التشبيه ويضربون عن توهمه صفحا قال أبو تمام شعر
ويصعد حتى يظنّ الجهول بأن له حاجة في السماء. ولبعضهم شعر
لا تحسبوا أن في سرباله رجلا. ففيه غيث وليث مسبل مشبل
وليس لقائل أن يقول طوى ذكرهم عن الجملة لحذف المبتدأ فأتسلق
بذلك إلى تسميته استعارة لأنه في حكم المنطوق به نظيره قول من
يخاطب الحجاج شعر أسد عليّ وفي الحروب نعامة. فتخاء تنفر من صفير
الصافر. ومعنى لا يرجعون أنهم لا يعودون إلى الهدى بعد أن باعوه أو عن
الضلالة بعد أن اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع أو أراد أنهم
بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين في مكانهم لا يبرحون
ولا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون وكيف يرجعون إلى حيث
ابتدأوا منه. ثم ثنّى الله سبحانه في شأنهم بتمثيل آخر ليكون كشفا
لحالهم بعد كشف وإيضاحا غب إيضاح وكما يجب على البليغ في
مظانّ الإجمال والإيجاز أن يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه
في موارد التفصيل والإشباع أن يفصّل ويشبع. أنشد الجاحظ
يرمون بالخطب الطوال وتارة. وحي الملاحظ خيفة الرقباء
ومما ثنّي من التمثيل في التنزيل قوله وما يستوي الأعمى والبصير ولا
الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا
الأموات. ألا ترى إلى ذي الرمة كيف صنع في قصيدته شعر
أذاك أم نمش بالوشي أكرعه. أذاك أم خاضب بالسيّ مرتعه. فإن قلت
قد شبّه المنافق في التمثيل الأول بالمستوقد نارا وإظهاره الإيمان
بالإضاءة

وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار فما شبه في التمثيل الثاني
بالصيب وبالظلمات وبالرعد والبرق والصواعق قلت
لقائل أن يقول شبه دين الإسلام بالصيب لأن القلوب
تحيى به حياة الأرض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات
وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة
من الأفزاع والبلايا والفتن من جهة أهل الإسلام بالصواعق
والمعنى أو كمثل ذوي صيب والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء
على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا فإن قلت هذا تشبيه
أشياء بأشياء فأين ذكر المشبهات وهلا صرح به كما في
قوله وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات
ولا المسيء وفي قول امرئ القيس كأن قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالي قلت كما جاء ذلك صريحا
فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة كقوله تعالى وما يستوي
البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ضرب
الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل والصحيح
الذي عليه علماء البيان لا يتخطونه أن التمثيلين جميعا من
جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد
شيء يقدر شبهه به وهو القول الفحل والمذهب الجزل بيانه
أن العرب تأخذ أشياء فرادى معزولا بعضها من بعض لم يأخذ
هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها كما فعل امرؤ القيس وجاء
في القرآن وتشبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامت
وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا بأخرى مثلها كقوله تعالى
مثل الذين حملوا التوراة الآية الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها

بما فيها من التوبح وأما ثمة فالباهرة بحال الحمار في جهله بما يحمل من أسفار
الحكمة وتساوي الحالتين عنده من حمل أسفار الحكمة وحمل ما سواها
من الأوقار لا يشعر من ذلك إلا بما يمر بدفيه من الكد
والتعب وكقوله واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه
من السماء المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر
فأما أن يراد تشبيه الأفراد بالأفراد غير منوط بعضها
ببعض ومصيرة شيئا واحدا فلا وكذلك لما وصف وقوع المنافقين
في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم
وشدة الأمر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد إيقادها في
ظلمة الليل وكذلك من أخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد
وبرق وخوف من الصواعق فإن قلت الذي كنت تقدره
في المفرق من التشبيه من حذف المضاف وهو قولك أو كمثل ذوي
صيب هل تقدر مثله في المركب منه قلت لولا طلب الراجع
في قوله يجعلون أصابعهم في آذانهم ما يرجع إليه لكنت مستغنيا
عن تقديره لأني أراعي الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام فلا
علي أولي حرف التشبيه مفرد يتأتى التشبيه به أم لم يله
ألا ترى إلى قوله إنما مثل الحياة الدنيا كماء الآية كيف ولي الماء
الكاف وليس الغرض تشبيه الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل
لتقديره ومما هو بين في هذا قول لبيد وما الناس إلا كالديار
وأهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع لم يشبه الناس
بالديار وإنما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم
بحلول أهل الديار فيها ووشك نهوضهم عنها وتركها خلاء
خاوية فإن قلت أي التمثيلين أبلغ قلت الثاني لأنه
أدل

على فرط الحيرة وشدة الامر وفظاعته ولذلك أخرجوهم سد بريون
في نحوها من الصوت الى الاغلاظ فان قلت لم عطف احد التمثيلين
على الآخر بحرف الشك قلت او في اصلها لتساوي شيئين فصاعدا
في الشك ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي في غير الشك وذلك
قولك جالس الحسن او ابن سيرين تريد انهما سيان في استصواب
ان تجالسهما ومنه قوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا اي الآثم والكفور
متساويان في وجوب عصيانهما فكذلك قوله او كصيب معناه ان
كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتي هاتين القصتين وان القصتين
سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبأيتهما مثلتها
فانت مصيب وان مثلتها بهما جميعا فكذلك والصيب المطر
الذي يصوب اي ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب ايضا قال
الشماخ شعر وأسحم دان صادق الرعد صيب وتنكير صيب
لانه اريد نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار في التمثيل
الاول وقرئ كصائب والصيب ابلغ والسماء هذه المظلة
وعن الحسن انها موج مكفوف فان قلت من السماء ما الفائدة
في ذكره والصيب لا يكون الا من السماء قلت الفائدة فيه انه
جاء بالسماء معرفة فنفى ان يتصوب من سماء اي من افق واحد
من بين سائر الآفاق لان كل افق من آفاقها سماء كما ان كل
طبقة من الطباق سماء في قوله واوحى في كل سماء امرها والدليل
عليه قوله ومن بعد ارض بيننا وسماء والمعنى انه غمام مطبق آخذ
بآفاق السماء كما جاء بصيب وفيه مبالغات من جهة التركيب
والبناء والتنكير امد ذلك بأن جعله مطبقا وفيه ان
السحاب من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماءه لا كزعم من يزعم

انه ياخذه من البحر ويدل عليه قوله تعالى ويُنزّل من السماء من جبال فيها من برد
فان قلت بم ارتفع ظلمات قلت بالظرف على الاتفاق لاعتماده
على موصوف والرعد الصوت الذي يسمع من السحاب كأنّ اجرام
السحاب تضطرب وتنتفض اذا حدتها الريح فتصوّت عند ذلك
من الارتعاد والبرق الذي يلمع من السحاب من برق الشي بريقا
اذا لمع فان قلت قد جعل الصيب مكانا للظلمات فلا يخلو ان
يراد به السحاب او المطر فايهما اريد فما ظلماته قلت اما ظلمات
السحاب فاذا كان اسحم مطبقا فظلمتا سحمته وتطبيقه مضمومة
اليهما ظلمة الليل واما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه وانتساجه
بتتابع القطر وظلمة اظلال غمامه مع ظلمة الليل فان قلت كيف
يكون المطر مكانا للبرق والرعد وانما مكانهما السحاب قلت
اذا كانا في اعلاه ومصبه وملتبسين في الجملة فهما فيه الا
تراك تقول فلان في البلد وما هو منه الا في حيز يشغل جرمه
فان قلت هلا جمع الرعد والبرق اخذا بالابلغ كقول البحتري
يا عارضا متلفعا ببروده يختال بين بروقه ورعوده وكما قيل
ظلمات قلت فيه وجهان احدهما ان يراد العينان ولكنهما
لما كانا مصدرين في الاصل يقال رعدت السماء رعدا وبرقت
برقا روعي حكم اصلهما بان ترك جمعهما وان اريد معنى الجمع والثاني
ان يراد الحدثان كانه قيل وارعاد وابراق وانما جاءت
هذه الاشياء منكرات لان المراد انواع منها كانه قيل
فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وجاز رجع
الضمير في يجعلون الى اصحاب الصيب مع كونه محذوفا قائما
مقامه الصيب كما قال او هم قائلون لان المحذوف باق
معناه

وان سقط لفظه الابقي الحسبان كيف عوّل على بقآ معناه في قوله
يسقون من ورد البريص عليهم • بردى يصفق بالرحيق السلسل
حيث ذكر يصفق لان المعني ماء بردى ولا محل لقوله يجعلون
لكونه مستانفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة
والهول فكان قايلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد
فقيل يجعلون اصابعهم في آذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك
البرق فقيل يكاد البرق يخطف ابصارهم فان قلت رؤس
الاصابع هي التي تجعل في الاذن فهلا قيل اناملهم قلت هذا
من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر يحصرها كقوله فاغسلوا
وجوهكم وايديكم فاقطعوا ايديهما اراد البعض الذي هو الى المرفق
والذي الى الرسغ وايضا في ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس
في ذكر الانامل فان قلت فالاصبع التي يسد بها الاذن اصبع
خاصة فلم ذكر الاسم العام دون الخاص قلت لان السبابة
فعالة من السب فكان اجتنابها اولى باداب القرآن الا ترى
انهم قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة والسباحة والمهللة
والدعاءة فان قلت فهلا ذكر بعض هذه الكنايات قلت
هي الفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس في ذلك العهد وانما احدث
بعد وقوله من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجل الصواعق
يجعلون اصابعهم في اذانهم كقولك سقاه من العيمة والصاعقة
قصفة رعد تنقض معها شقة من نار قالوا تنقدح من السحاب
اذا اصطكت اجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا
اتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود يحكى انها سقطت
على نخلة فاحترقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة

اذا اهلكته فصعق اي مات اما بشدة الصوت او بالاحراق
ومنه قوله تعالى وخر موسى صعقا وقرا الحسن من الصواقع
وليس بقلب للصواعق لان كلا البنائين سواء في التصرف
واذا استويا كان كل واحد بناء على حياله الا تراك تقول صقعه
على راسه وصقع الديك وخطيب مصقع مجهر بخطبته ونظيره
جبذ في جذب ليس بقلبه لاستوائهما في التصرف وبناؤها
اما ان يكون صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء مبالغة كما
في الراوية او مصدرا كالكاذبة والعافية وقرا ابن ابي ليلى
حذار الموت وانتصب على انه مفعول له كقوله واغفر عوراء الكريم
ادخاره • والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض لا يصح معه
احساس معاقب للحيوة واحاطة الله بالكافرين مجاز والمعنى
انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة وهذه
الجملة اعتراض لا محل لها والخطف الاخذ بسرعة وقرا مجاهد
يخطف بكسر الطاء والفتح افصح واعلى وعن ابن مسعود يختطف
وعن الحسن يخطف بفتح الياء والخاء واصله يختطف وعنه يخطف
بكسرهما على اتباع الياء الخاء وعن زيد بن علي يخطف من
خطف وعن ابي يتخطف من قوله ويتخطف الناس من حولهم كلما
اضاء لهم استيناف ثالث كانه جواب لمن يقول كيف يصنعون
في تارتي خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الامر على
المنافقين بشدته على اصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير
والجهل بما ياتون وما يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع
خوف ان يخطف ابصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا
خطوات يسيرة فاذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن
الحركة

يكاد البرق يخطف ابصارهم

كلما اضاء لهم مشوا فيه

ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فأصمهم او في ضوء البرق فأعماهم
واضاء اما متعد بمعنى كلما نوّر لهم ممشى ومسلكا اخذوه والمفعول
محذوف واما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وملقى
ضوئه ويعضده قراءة ابن ابي عبلة كلما ضاء لهم والمشي جنس
الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعي فاذا ازداد فهو عدو فان قلت
كيف قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا قلت لانهم حراص
على وجود ما همهم به معقود من امكان المشي وتأتيه فكلما صادفوا
منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف والتحبس واظلم يحتمل
ان يكون غير متعد وهو الظاهر وان يكون متعديا منقولا من ظلم
الليل وتشهد له قراءة يزيد بن قطيب أُظلم على ما لم يسم فاعله وجاء
في شعر حبيب بن اوس
هما اظلما حاليّ ثمة اجليا ... ظلاميهما عن
وجه امرد اشيب
وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره في
اللغة فهو من علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه الا ترى
الى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقنعون بذلك لوثوقهم
بروايته واتقانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قامت
السوق اذا ركدت وقام الماء جمد ومفعول شاء محذوف لان الجواب
يدل عليه والمعنى ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب
بها ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء واراد لا يكادون يبرزون
المفعول الا في الشيء المستغرب كنحو قوله
فلو شئت ان ابكي دما لبكيته
وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا ولو اراد الله ان يتخذ ولدا
ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض
البرق وقرأ ابن ابي عبلة لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة والشيء ما صح ان يعلم ويخبر عنه

وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير

قال سيبويه في ساقه الباب المترجم بباب مجاري اواخر الكلم من العربية
وانما يخرج التأنيث من التذكير الا ترى ان الشيء يقع على كل ما
اخبر عنه من قبل ان يعلم أذكر هو ام انثى والشيء مذكر وهو اعم العام
كما ان الله اخص الخاص يجري على الجسم والعرض والقديم تقول
شيء لا كالاشياء اي معلوم لا كسائر المعلومات وعلى المعدوم
والمحال فان قلت كيف قيل على كل شيء قدير وفي الاشياء ما لا
تعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر آخر قلت مشروط في
حد القادر ان لا يكون الفعل مستحيلا فالمستحيل مستثنى في نفسه
عند ذكر القادر على الاشياء كلها فكأنه قيل على كل شيء مستقيم
قدير ونظيره فلان امير على الناس اي على من وراءه منهم ولم يدخل
فيهم نفسه وان كان من جملة الناس واما الفعل بين قادرين
فمختلف فيه فان قلت مم اشتقاق القدير قلت من التقدير
لانه يوقع فعله على مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به عن
العاجز لما عدد الله تعالى فرق المكلفين من المؤمنين والكفار
والمنافقين وذكر صفاتهم واحوالهم ومصارف امورهم وما
اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله
ويرديها اقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور عند قوله
اياك نعبد واياك نستعين وهو فن من الكلام جزل فيه هز
وتحريك من السامع كما انك اذا قلت لصاحبك حاكيا عن
ثالث لكما ان فلانا من قصته كيت وكيت فقصصت عليه ما
فرط منه ثم عدلت بخطابك الى الثالث فقلت يا فلان من
حقك ان تلزم الطريقة الحميدة في مجاري امورك وتستوي
على جادة السداد في مصادرك ومواردك نبهته بالتفاتك

يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم

نحوه فضل تنبيه واستدعيت اصغاءه الى ارشادك زيادة استدعاء
واوجدته بالانتقال من الغيبة الى المواجهة هازا من طبعه ما لا يجده
اذا استمررت على لفظ الغيبة وهكذا الافتنان في الحديث
والخروج فيه من صنف الى صنف يستفتح الآذان للاستماع
ويستهش الانفس للقبول وبلغنا باسناد صحيح عن ابرهيم
عن علقمة ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي ويا ايها الذين
آمنوا فهو مدني فقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم خطاب لمشركي
مكة ويا حرف وضع في اصله لنداء البعيد صوت يهتف به الرجل
بمن يناديه واما نداء القريب فله اي والهمزة ثم استعمل في مناداة
من سها وغفل وان قرب تنزيلا له منزلة من بعد فاذا نودي به
القريب المفاطن فذلك للتاكيد المؤذن بان الخطاب الذي
يتلوه معني به جدا فان قلت فما بال الداعي يقول في جؤاره يا رب
ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد واسمع به وابصر قلت هو
استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه الى
رضوان الله ومنازل المقربين هضما لنفسه واقرارا عليها بالتفريط
في جنب الله مع فرط التهالك على استجابة دعوته والاذن لندائه
وابتهاله واي وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام كما ان ذو والذي
وصلتان الى الوصف باسماء الاجناس ووصف المعارف بالجمل وهو
اسم مبهم يفتقر الى ما يوضحه ويزيل ابهامه فلا بد ان يردفه اسم جنس
او ما يجري مجراه يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء فالذي يعمل فيه
حرف النداء هو اي والاسم التابع له صفته كقولك يا زيد الظريف
الا ان ايا لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك من الصفة وفي
هذا التدرج من الابهام الى التوضيح ضرب من التاكيد والتشديد

وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدتين معاضدة
حرف النداء ومكانفته بتاكيد معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه
اي من الاضافة فان قلت لم كثر في كتاب الله النداء على
هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره قلت لاستقلاله باوجه من
التاكيد واسباب من المبالغة لان كل ما نادى الله له عباده من
اوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده واقتصاص
اخبار الامم الدارجة عليهم وغير ذلك مما انطق به كتابه امور
عظام وخطوب جسام ومعان عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا
بقلوبهم وبصائرهم اليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال
ان ينادوا بالآكد الابلغ فان قلت لا يخلو الامر بالعبادة
من ان يكون متوجها الى المؤمنين والكافرين جميعا او الى كفار مكة
خاصة على ما روي عن علقمة والحسن فالمؤمنون عابدون ربهم
فكيف امروا بما هم متلبسون به وهل هو الا كقول القائل
فلو اني فعلت كنت من تسأله وهو قائم ان يقوما واما
الكفار فلا يعرفون الله ولا يقرون به فكيف يعبدونه قلت
المراد بعبادة المؤمنين ازديادهم منها واقبالهم وثباتهم عليها
واما عبادة الكفار فمشروط فيها ما لا بد لها منه وهو الاقرار
كما يشترط على المامور بالصلوة شرائطها من الوضوء والنية
وغيرهما وما لا بد للفعل منه فهو مندرج تحت الامر به
وان لم يذكر حيث لم ينفعل الا به وكان من لوازمه على ان مشركي
مكة كانوا يعرفون الله ويعترفون به ولئن سألتهم من خلقهم
ليقولن الله فان قلت فقد جعلت قوله اعبدوا متناولا
شيئين معا الامر بالعبادة والامر بازديادها قلت الازدياد
من العبادة

عبادة وليس شيئا اخر فان قلت ربكم ما المراد به قلت كان
المشركون معتقدين ربوبيتين ربوبية الله وربوبية الهتهم فان
خصوا بالخطاب فالمراد به اسم يشترك فيه رب السموات والارض
والالهة التي كانوا يسمونها اربابا وكان قوله الذي خلقكم
صفة موضحة مميزة وان كان الخطاب للفريقين جميعا فالمراد به
ربكم على الحقيقة والذي خلقكم صفة جرت عليه على طريق
المدح والتعظيم ولا يمتنع هذا الوصف في خطاب الكفرة خاصة
الا ان الاولى اوضح واصح والخلق ايجاد الشي على تقدير واستوا
يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس وقرا ابو عمرو
خلقكم بالادغام وقرا ابو السميفع وخلق من قبلكم وفي قراءة
زيد بن علي والذين من قبلكم وهي قراءة مشكلة ووجهها على اشكالها
ان يقال اقحم الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كما
اقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا ابا لكم تيما الثاني بين الاول
وما اضيف اليه وكاقحامهم لام الاضافة بين المضاف والمضاف
اليه في لا اباك ولعل للترجي او الاشفاق تقول لعل زيدا
يكرمني ولعله يهينني وقال الله تعالى لعله يتذكر او يخشى لعل الساعة
قريب الا ترى الى قوله والذين امنوا مشفقون منها وقد
جاءت على سبيل الاطماع في مواضع من القرآن ولكن لانه اطماع من
كريم رحيم اذا اطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة لجري اطماعه مجرى
وعده المحتوم وفاؤه به قال من قال ان لعل بمعنى كي ولعل لا تكون
بمعنى كي ولكن الحقيقة ما القيت اليك وايضا فمن ديدن الملوك
وما عليه اوضاع امرهم ورسومهم ان يقتصروا في مواعيدهم
التي يوطنون انفسهم على انجازها على ان يقولوا عسى ولعل ونحوهما

من الكلمات او يخيلوا اخالة او يظفر منهم بالرمزة او الابتسامة
او النظرة الحلوة فاذا عثر على شي من ذلك منهم لم يبق للطالب
ما عندهم شك في النجاح والفوز بالمطلوب فعلى مثله ورد كلام
مالك الملك ذي العز والكبرياء او يجي على طريق الاطماع
دون التحقيق لئلا يتكل العباد كقوله يا ايها الذين امنوا
توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سياتكم فان قلت
فلعل التي في الاية ما معناها وما موقعها قلت ليست مما ذكرناه
في شي لان قوله خلقكم لعلكم تتقون لا يجوز ان يحمل على رجاء الله
تقواهم لان الرجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة وحمله على
ان يخلقهم راجين للتقوى ليس بسديد ايضا ولكن لعل واقعة
في الاية موقع المجاز لا الحقيقة لان الله عز وجل خلق عباده
ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وازاح
العلة في اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين ووضع في ايديهم
زمام الاختيار واراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو
منهم ان يتقوا ليترجح امرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان
كما ترجحت حال المرتجي بين ان يفعل وان لا يفعل ومصداقه
قوله عز وجل ليبلوكم ايكم احسن عملا وانما يبلى ويختبر من
تخفى عليه العواقب ولكن شبه بالاختبار بناء امرهم على الاختيار
فان قلت كما خلق المخاطبين لعلهم يتقون فكذلك خلق الذين
من قبلهم لذلك فلم قصره عليهم دون من قبلهم قلت لم يقصره
عليهم ولكن غلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم
جميعا فان قلت فهلا قيل تعبدون لاجل اعبدوا او اتقوا لمكان
تتقون ليتجاوب طرفا النظم قلت ليست التقوى غير العبادة

والذين من قبلكم لعلكم تتقون

لا ابالك ولا ابا لكم

حتى تؤدي ذلك الى تنافر النظم وانما التقوى قصارى أمر
العابد ومنتهى جهده فاذا قال اعبدوا ربكم الذي خلقكم للاستيلاء
على أقصى غايات العبادة كان أبعث على العبادة وأشد
الزاما لها وأثبت لها في النفوس ونحوه أن تقول لعبدك
احمل خريطة الكتب فما ملكتك يميني الا لجر الاثقال ولو
قلت لتحمل خرائط الكتب لم يقع من نفسه ذلك الموقع قدم
سبحانه من موجبات عبادته وملزمات حق الشكر له خلقهم
أحياء قادرين أولا لانه سابقة أصول النعم ومقدمتها والسبب
في التمكن من العبادة والشكر وغيرهما ثم خلق الارض التي
هي مكانهم ومستقرهم الذي لا بد لهم منه وهي بمنزلة عرصة
المسكن ومتقلبه ومفترشه ثم خلق السماء التي هي كالقبة المضروبة
والخيمة المطنبة على هذا القرار ثم ما سواه عز وجل من شبه
عقد النكاح بين المقلة والمظلة بانزال الماء منها عليها
والاخراج به من بطنها أشباه النسل المنتج من الحيوان من
ألوان الثمار رزقا لبني آدم ليكون لهم ذلك معتبرا ومتسلقا
الى النظر الموصل الى التوحيد والاعتراف ونعمة يتعرفونها
فيقابلونها بلازم الشكر ويتفكرون في خلق انفسهم وخلق
ما فوقهم وتحتهم وأن شيئا من هذه المخلوقات كلها لا يقدر على
ايجاد شيء منها فيتيقنوا عند ذلك أن لا بد لها من خالق ليس
كمثلها حتى لا يجعلوا المخلوقات له أندادا وهم يعلمون أنها لا
تقدر على نحو ما هو قادر عليه والموصول مع صلته اما أن يكون
في محل النصب وصفا كالذي خلقكم أو على المدح والتعظيم
واما أن يكون رفعا على الابتداء وفيه ما في النصب من المدح

وقرأ يزيد الشامي بساطا وقرأ طلحة مهادا ومعنى جعلها
فراشا وبساطا ومهادا للناس أنهم يقعدون عليها وينامون
ويتقلبون كما يتقلب أحدهم على فراشه وبساطه ومهاده فان قلت
هل فيه دليل على أن الارض مسطحة وليست بكرية قلت ليس
فيه الا أن الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش وسواء كانت
على شكل السطح أو شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا
مدفوع لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد أطرافها واذا كان
متسهلا في الجبل وهو وتد من أوتاد الارض فهو في الارض ذات
الطول والعرض أسهل والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان
أو قبة أو خباء أو طرافا وأبنية العرب أخبيتهم ومنه بنى
على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا
فان قلت ما معنى اخراج الثمرات بالماء وانما خرجت بقدرته
ومشيئته قلت المعنى أنه جعل الماء سببا في خروجها ومادة
لها كماء الفحل في خلق الولد وهو قادر على أن ينشئ الاجناس
كلها بلا أسباب ولا مواد كما أنشأ نفوس الاسباب والمواد
ولكن له في انشاء الاشياء مدرجا لها من حال الى حال وناقلا
من مرتبة الى مرتبة حكما ودواعي يجدد فيها لملائكته والنظار
بعيون الاستبصار من عباده عبرا وأفكارا صالحة وزيادة
طمأنينة وسكون الى عظيم قدرته وغرائب حكمته ليس ذلك
في انشائها بغتة من غير تدريج وترتيب ومن في من الثمرات
للتبعيض لشهادة قوله فأخرجنا به من كل الثمرات وقوله فأخرجنا
به ثمرات ولان المنكرين أعني ماء ورزقا يكتنفانه وقد
قصد بتنكيرهما معنى البعضية فكأنه قيل وأنزلنا من السماء
بعض الماء

فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا هو المطابق لصحة المعنى
لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر جميع الثمرات
ولا جعل الرزق كله في الثمرات ويجوز ان تكون للبيان كقولك
انفقت من الدراهم الفا فان قلت بم انتصب رزقا قلت
ان كانت من للتبعيض كان انتصابه بانه مفعول له وان كانت
مبينة كان مفعولا لاخرج فان قلت فالثمر المخرج بماء السماء كثير
جم فلم قيل الثمرات دون الثمر والثمار قلت فيه وجهان
احدهما ان يقصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان ادركت
ثمرة بستانه تريد ثماره ونظيره قولهم كلمة الحويدرة لقصيدته
وقولهم للقرية المدرة وانما هي مدر متلاحق والثاني ان الجموع يتعاور
بعضها موقع بعض لالتقائها في الجمعية كقوله كم تركوا من جنات
ثلاثة قروء ويعضد الوجه الاول قراءة محمد بن السميفع من الثمرة على
التوحيد ولكم صفة جارية على الرزق ان اريد به العين وان جعل
اسما للمعنى فهو مفعول به كانه قيل رزقا اياكم فان قلت بم تعلق
فلا تجعلوا قلت فيه ثلاثة اوجه ان يتعلق بالامر اي اعبدوا ربكم
فلا تجعلوا له اندادا لان اصل العبادة واساسها التوحيد وان
لا يجعل لله ند ولا شريك او بلعل على ان ينتصب تجعلوا انتصاب
فاطلع في قوله عز وجل لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع
الى اله موسى في رواية حفص عن عاصم اي خلقكم لكي تتقوا وتخافوا
عقابه فلا تشبهوه بخلقه او بالذي جعل لكم اذا رفعته على
الابتداء اي هو الذي خصكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل
النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند المثل
ولا يقال الا للمثل المخالف المناوي قال جرير اتيما تجعلون الي ندا
وما تيم لذي حسب نديد

فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون

وناددت الرجل خالفته ونافرته من ند ندودا اذا نفر ومعنى
قولهم ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه فان قلت
كانوا يسمون اصنامهم باسمه ويعظمونها بما يعظم به من القرب وما كانوا
يزعمون انها تخالف الله وتناويه قلت لما تقربوا اليها
وعظموها وسموها آلهة اشبهت حالهم حال من يعتقد انها آلهة مثله
قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما
تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع شانهم بان جعلوا اندادا كثيرة
لمن لا يصح ان يكون له ند قط وفي ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل
حين فارق دين قومه • شعر • اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور
وقرا محمد بن السميفع فلا تجعلوا لله ندا فان قلت ما معنى وانتم
تعلمون قلت معناه وحالكم وصفتكم انكم من صحة تمييزكم بين الصحيح
والفاسد والمعرفة بدقائق الامور وغوامض الاحوال والاصابة
في التدابير والدهاء والفطنة بمنزلة لا تدفعون عنه وهكذا كانت
العرب خصوصا ساكنو الحرم من قريش وكنانة لا يصطلى بنارهم
في استحكام المعرفة بالامور وحسن الاحاطة بها ومفعول تعلمون
متروك كانه قيل وانتم من اهل العلم والمعرفة والتوبيخ فيه آكد اي
انتم العرافون المميزون ثم ان ما انتم عليه في امر ديانتكم من جعل
الاصنام لله اندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز
ان تقدروا وانتم تعلمون انه لا يماثل او وانتم تعلمون ما بينه وبينها
من التفاوت او وانتم تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كقوله هل
من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء لما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية
ويحققها ويبطل الاشراك ويهدمه وعلم الطريق الى اثبات
ذلك وتصحيحه وعرفهم ان من اشرك فقد كابر عقله عطف على ما انتم عليه

وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله

من معرفة وتمييز عطف على ذلك ما هو الحجة على اثبات نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم وما يدحض الشبهة في كون القرآن معجزا واراهم كيف
يتعرفون اهو من عند الله كما يدعي ام هو من عند نفسه كما يدعون بارشادهم
الى ان يحزروا انفسهم ويذوقوا طباعهم وهم ابناء جنسه واهل جلدته
فان قلت لم قيل مما نزلنا على لفظ التنزيل دون الانزال قلت
لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان
التحدي وذلك انهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله
مخالفا لما يكون من عند الناس لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد
سورة وآيات غب آيات على حسب النوازل وكفاء الحوادث وعلى
سنن ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا
حينا فحينا وشيئا فشيئا حسب ما يعن لهم من الاحوال المتجددة والحاجات
السانحة لا يلقي الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمي الناثر بمجموع
خطبه او رسائله ضربة فلو انزله الله لانزله خلاف هذه العادة جملة
واحدة قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه
القرآن جملة واحدة فقيل ان ارتبتم في هذا الذي وقع انزاله
هكذا على مهل وتدريج فهاتوا انتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا
نجما من نجومه سورة من اصغر السور او آيات شتى مفتريات وهذه
غاية التبكيت ومنتهى ازاحة العلل وقرئ على عبادنا يريد
رسول الله وامته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي اقلها
ثلاث آيات وواوها ان كانت اصلا فاما ان تسمى بسور المدينة وهي
حائطها لانها طائفة من القرآن محدودة محوزة على حيالها كالبلد
المسور او لانها محتوية على فنون من العلم واجناس من الفوائد كاحتواء
سور المدينة على ما فيها واما ان تسمى بالسورة التي هي الرتبة قال النابغة

سورة

ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار لاجل المعنيين
لان السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ وهي ايضا
في انفسها مترتبة طوال واوساط وقصار او لرفعة شانها وجلالة
محلها في الدين وان جعلت واوها منقلبة عن همزة فلانها قطعة
وطائفة من القرآن كالسؤرة التي هي البقية من الشيء والفضلة
منه فان قلت ما فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سورا قلت
ليست الفائدة في ذلك واحدة ولامر ما انزل الله التوراة والانجيل و
الزبور وسائر ما اوحاه الى انبيائه على هذا المنهاج مسورة مترجمة
السور وبوب المصنفون في كل فن كتبهم ابوابا موشحة الصدور بالتراجم
ومن فوائده ان الجنس اذا انطوت تحته انواع واشتمل على اصناف
كان احسن وانبل وافخم من ان يكون بيانا واحدا ومنها ان القارئ
اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ في آخر كان انشط له واهز لعطفه
وابعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ومثله
المسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى فرسخا او انتهى الى راس بريد نفس
ذلك منه ونشطه للسير ومن ثم جزأ القراء القرآن اسباعا واجزاء
وعشورا واخماسا ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة اعتقد انه
اخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم
عنده ما حفظه ويجل في نفسه ويغتبط به ومنه حديث انس رضي الله عنه
كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا ومن ثم كانت
القراءة في الصلاة بسورة تامة افضل ومنها ان التفصيل بسبب
تلاحق الاشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض وبذلك تتلاحظ المعاني
ويتجاوب النظم الى غير ذلك من الفوائد والمنافع من مثله متعلق بسورة
صفة لها اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويرد

ان يتعلق بقوله فأتوا والضمير للعبد فان قلت وما مثله حتى يأتوا بسورة
من ذلك المثل قلت معناه فأتوا بسورة مما هو على صفته في
البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم او فأتوا ممن هو على
حاله من كونه بشرا عربيا او اميا لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من
العلماء ولا قصد الى مثل ونظير هنالك ولكنه نحو قول القبعثرى
للحجاج وقد قال له لاحملنك على الادهم مثل الامير حمل على الادهم
والاشهب اراد من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة
وبسطة اليد ولم يقصد احدا يجعله مثل الحجاج ورد الضمير الى
المنزل اوجه لقوله تعالى فأتوا بسورة مثله فأتوا بعشر سور مثله
على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولان القرآن جدير
بسلامة الترتيب والوقوع على اصح الاساليب والكلام مع
رد الضمير الى المنزل احسن ترتيبا وذلك ان الحديث في المنزل
لا في المنزل عليه وهو مسوق اليه ومربوط به فحقه ان لا يفك عنه
برد الضمير الى غيره الا ترى ان المعنى وان ارتبتم في ان القرآن
منزل من عند الله فهاتوا انتم نبذا مما يماثله ويجانسه وقضية
الترتيب لو كان الضمير مردودا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يقال وان ارتبتم في ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثله
ولانهم اذا خوطبوا جميعا وهم الجم الغفير بان يأتوا بطائفة
يسيرة من جنس ما اتى به واحد منهم كان ابلغ في التحدي من
ان يقال لهم ليأت واحد آخر بنحو ما اتى به هذا الواحد ولان
هذا التفسير هو الملائم لقوله وادعوا شهداءكم والشهداء جمع
شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة ومعنى دون ادنى
مكان من الشيء ومنه الشيء الدون وهو الدنيء الحقير ودون
الكتب

اذا جمعها لان جمع الاشياء ادناء بعضها من بعض وتقليل المسافة
بينها يقال هذا دون ذاك اذا كان احط منه قليلا ودونك
هذا اصله خذه من دونك اي من ادنى مكان منك فاختصر
واستعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو
في الشرف والعلم ومنه قول من قال لعدوه وقد اثنى عليه
انا دون هذا وفوق ما في نفسك واتسع فيه فاستعمل
في كل تجاوز حد الى حد وتخطي حكم الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ
المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا
ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس
ما لك دون الله من واق اي اذا تجاوزت وقاية الله ولم
تنالها لم يقك غيره ومن دون الله متعلق بادعوا او بشهداءكم فان
علقته بشهداءكم فمعناه ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون
الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيامة انكم على الحق او ادعوا
الذين يشهدون لكم بين يدي الله من قول الاعشى
تريك القذى من دونها وهي دونه اي تريك القذى قدامها
وهي قدام القذى لرقتها وصفائها وفي امرهم ان يستظهروا
بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القرآن المعجز بفصاحته غاية
التهكم بهم او ادعوا شهداءكم من دون الله اي من دون اوليائه
ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم انكم اتيتم بمثله وهذا من المساهلة
وارخاء العنان والاشعار بان شهداءهم وهم مدارة القوم
الذين هم وجوه المشاهد وفرسان المقاولة والمناقلة تأبى
عليهم الطباع وتجمح بهم الانسانية والانفة ان يرضوا لانفسهم
الشهادة بصحة الفاسد البين عندهم فساده واستقامة المحال
الجلي

في عتوّهم احالته وتعليقه بالدعاء في هذا الوجه جايز وان علّقته
بالشهداء فمعناه ادعوا من دون الله شهداءكم يعني لا تستشهدوا بالله
ولا تقولوا الله يشهد ان ما ندّعيه حق كما يقوله العاجز عن اقامة
البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم
بيّنة تصحّح بها الدعاوي عند الحكام وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم
وانخذالهم وان الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا غير قولهم
الله يشهد انا صادقون وقولهم هذا تسجيل منهم على انفسهم بتناهي
العجز وسقوط القدرة وعن بعض العرب انه سئل عن نسبه فقال
قرشي والحمد لله فقيل له قولك والحمد لله في هذا المقام ريبة او
ادعوا من دون الله شهداءكم يعني ان الله شاهدكم لانه اقرب
اليكم من حبل الوريد وهو بينكم وبين اعناق رواحلكم والجن
والانس الا الله تعالى لانه القادر وحده على ان ياتي بمثله
دون كل شاهد من شهدايكم نحو في معنى قوله قل لئن اجتمعت الانس
والجن الآية لما ارشدهم الى الجهة التي منها يتعرفون امر
النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به حتى يعثروا على حقيقته وسره
وامتيازه من باطله قال لهم فاذا لم تعارضوه ولم يتسهّل
لكم ما تبغون وبان لكم انه معجوز عنه فقد صرّح الحق عن محضه
ووجب التصديق فآمنوا وخافوا العذاب المعدّ لمن كذّب وفيه
دليلان على اثبات النبوة صحة كون المتحدّى به معجزا والاخبار
بانهم لن تفعلوا وهو غيب لا يعلمه الا الله فان قلت انتفاء اتيانهم
بالسورة واجب فهلا جيء باذا الذي للوجوب دون ان الذي للشك
قلت فيه وجهان احدهما ان يساق القول معهم على حسب حسبانهم
وطمعهم وان العجز عن المعارضة كان قبل التامل كالمشكوك فيه لديهم

لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام والثاني ان يتهكم بهم
كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه
ان غلبتك لم ابق عليك وهو يعلم انه غالبه ويتيقنه تهكما به
فان قلت لم عبّر عن الاتيان بالفعل واي فايدة في تركه اليه
قلت لانه فعل من الافعال تقول اتيت فلانا فيقال
لك نعم ما فعلت والفايدة فيه انه جار مجرى الكناية التي تعطيك
اختصارا ووجازة تغنيك عن طول المكنى عنه الا ترى ان الرجل
يقول ضربت زيدا في موضع كذا على صفة كذا وشتمته ونكلت به
ويعدّ كيفيات وافعالا فتقول بئس ما فعلت ولو ذكرت ما
انبته عنه لطال عليك وكذلك لو لم تعدل عن لفظ الاتيان الى
لفظ الفعل لاستطيل ان يقال فان لم تاتوا بسورة من مثله ولن
تاتوا بسورة من مثله فان قلت ولن تفعلوا ما محلها قلت لا محل
لها لانها جملة اعتراضية فان قلت ما حقيقة لن في باب النفي
قلت لا ولن اختان في نفي المستقبل الا ان في لن توكيدا وتشديدا
تقول لصاحبك لا اقيم غدا فان انكر عليك قلت لن اقيم غدا
كما تفعل في انا مقيم واني مقيم وهي عند الخليل في احدى الروايتين
عنه اصلها لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفها نونا وعند سيبويه
واحدى الروايتين عن الخليل حرف مقتضب لتاكيد نفي المستقبل
فان قلت من اين لك انه اخبار بالغيب على ما هو به حتى يكون معجزة
قلت لانهم لو عارضوه بشيء لم يمتنع ان يتواصفه الناس ويتناقلوه
اذ خفاء مثله فيما عليه مبنى العادة محال لا سيما والطاعنون
فيه اكثر عددا من الذابين عنه فحين لم ينقل علم انه اخبار
بالغيب على ما هو به فكان معجزة فان قلت ما معنى اشتراطه في
اتقاء النار

فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين

انتفاء اتيانهم بسورة من مثله قلت انهم اذا لم يأتوا بها وتبين
عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق رسول الله واذا صح عندهم
صدقه ثم لزموا العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا استوجبوا العقاب
بالنار فقيل لهم ان استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع فاتقوا
النار موضعه لان اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد من
حيث انه من نتائجه لان من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره ان
يقول الملك لحشمه ان اردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي يريد
فاطيعوني واتبعوا امري وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط وهو من
باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة وفائدته الايجاز
الذي هو من حلية القرآن وتهويل شان العناد بانابة اتقاء النار
منابه وابرازه في صورته مشيعا ذلك بتهويل صفة النار وتفظيع
امرها والوقود ما ترفع به النار واما المصدر فمضموم وقد جاء
فيه الفتح قال سيبويه وسمعنا من العرب من يقول وقدت النار
وقودا عاليا ثم قال والوقود اكثر والوقود الحطب وقرا عيسى بن
عمر الهمداني بالضم تسمية بالمصدر كما يقال فلان فخر قومه
وزين بلده وقد جوزوا ان يكون مثل قولك حياة المصباح السليط
اي ليست حياته الا به فكان نفس السليط حياته فان قلت
صلة الذي والتي يجب ان تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف
علم اولئك ان نار الآخرة توقد بالناس والحجارة قلت
لا يمتنع ان يتقدم لهم بذلك سماع من اهل الكتاب او سمعوا من
رسول الله صلى الله عليه وسلم او سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى
في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة فان قلت
فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة في سورة التحريم

وههنا معرفة قلت تلك الآية نزلت بمكة فعرفوا منها نارا
موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت هذه بالمدينة مشارا بها الى
ما عرفوه اولا فان قلت ما معنى قوله وقودها الناس والحجارة
قلت معناه انها نار ممتازة عن غيرها من النيران بانها لا
تتقد الا بالناس والحجارة وبان غيرها ان اريد احراق الناس
بها او احماء الحجارة اوقدت اولا بوقود ثم طرح فيها ما يراد
احراقه او احماؤه وتلك اعاذنا الله منها برحمته الواسعة
توقد بنفس ما تحرق وتحمى بالنار وانها لافراط حرها وشدة
ذكائها اذا اتصلت بما لا تشتعل به نار اشتعلت وارتفع
لهبها فان قلت انار الجحيم كلها موقدة بالناس والحجارة
ام هي نيران شتى منها نار بهذه الصفة قلت بل هي نيران
شتى منها نار توقد بالناس والحجارة يدل على ذلك تنكيرها
في قوله قوا انفسكم واهليكم نارا فانذرتكم نارا تلظى ولعل
لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين كما ان لكفرة
الانس نارا وقودها هم جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب
فان قلت لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقودا
قلت لانهم قرنوا بها انفسهم في الدنيا حيث نحتوها اصناما وجعلوها
لله اندادا وعبدوها من دونه قال الله تعالى انكم وما تعبدون من
دون الله حصب جهنم وهذه الآية مفسرة لما نحن فيه فقوله
انكم وما تعبدون من دون الله في معنى الناس والحجارة وحصب
جهنم في معنى وقودها ولما اعتقد الكفار في حجارتهم المعبودة
من دون الله انها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون بهم
ويستدفعون المضار عن انفسهم بمكانهم جعلها الله عذابهم

تتقد بها مُحَمّاةً في نار جهنم إبلاغاً في إيلامهم وإغراقاً في تحسيرهم ونحوه
ما يفعله بالكانزين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم عدّةً وذخيرةً
فشحّوا بها ومنعوها من الحقوق حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى
بها جباههم وجنوبهم وقيل هي حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير
دليل وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاني
التنزيل أُعِدَّت هُيِّئت لهم وجعلت عدّةً لعذابهم وقرأ عبد الله
اعتدت من العتاد بمعنى العدّة من عادته عز وعلا في كتابه
أن يذكر الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة بالإنذار إرادة
التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف ما يتلف
فلما ذكر الكفار وأعمالهم وأوعدهم بالعقاب قفّاه ببشارة
عباده الذين جمعوا بين التصديق والأعمال الصالحة من فعل الطاعات
وترك المعاصي وحموها من الإحباط بالكفر والكبائر بالثواب
فإن قلت من المأمور بقوله وبشّر قلت يجوز أن يكون رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأن يكون كل أحد كما قال عليه السلام بشّر
المشّائين إلى المساجد في الظُلَم بالنور التام يوم القيامة لم يأمر
بذلك واحداً بعينه وإنما كل أحد مأمور به وهذا الوجه أحسن
وأجزل لأنه يؤذن بأن الأمر لعظمه وفخامة شأنه محقوق بأن
يُبشَّر به كل من قدر على البشارة به فإن قلت علام عطف هذا الأمر
ولم يسبق أمر ولا نهي يصح عطفه عليه قلت ليس الذي اعتمد
بالعطف هو الأمر حتى يطلب له مشاكل من أمر أو نهي يعطف عليه
إنما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين فهي معطوفة على
جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب بالقيد والإرهاق
وبشّر عمراً بالعفو والإطلاق ولك أن تقول هو معطوف على قوله
فاتقوا

كما تقول يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشّر يا فلان بني أسد
بإحساني إليهم وفي قراءة زيد بن علي رضي الله عنه وبُشِّر على لفظ
المبني للمفعول عطفاً على أُعِدَّت والبشارة الإخبار بما يظهر
سرور المخبَر به ومن ثم قال العلماء إذا قال لعبيده أيكم بشّرني
بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق أولهم لأنه هو
الذي أظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال مكان بشّرني
أخبرني عتقوا جميعاً لأنهم جميعاً أخبروه ومنه البشرة لظاهر
الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من أوائل ضوئه وأما فبشّرهم
بعذاب أليم فمن العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء الزائد
في غيظ المستهزأ به وتألمه واغتمامه كما يقول الرجل لعدوه
أبشر بقتل ذريتك ونهب مالك ومنه قوله فأعتبوا بالصيلم
والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة
كيف الهجاء وما تنفك صالحةٌ من آل لأم بظهر الغيب تأتيني
والصالحات كل ما استقام من الأعمال بدليل العقل والكتاب والسنة
واللام للجنس فإن قلت أي فرق بين لام الجنس داخلةً على المفرد
وبينها داخلةً على المجموع قلت إذا دخلت على المفرد كان صالحاً
لأن يراد به الجنس إلى أن يحاط به وأن يراد به بعضه إلى الواحد
منه وإذا دخلت على المجموع صلح أن يراد به جميع الجنس وأن يراد
بعضه لا إلى الواحد لأن وزانه في تناول الجمعية في الجنس وزان
المفرد في تناول الجنسية والجمعية في جمل الجنس لا في وحدانه فإن قلت
فما المراد بهذا المجموع مع اللام قلت الجملة من الأعمال الصحيحة
المستقيمة في الدين على حسب حال المؤمن في مواجب التكليف
والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف
أغصانه

تاك نضحو تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا والتركيب دائر على
معنى الستر وكانها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التي هي المرة
من مصدر جنه اذا ستره كانها سترة واحدة لفرط التفافها
وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان فان قلت الجنة
مخلوقة ام لا قلت قد اختلف في ذلك والذي يقول انها مخلوقة
يستدل بسكنى آدم وحواء الجنة ومجيئها في القرآن على نهج الاسماء
الغالبة اللاحقة بالاعلام كالنبي والرسول والكتاب ونحوها فان قلت
ما معنى جمع الجنة وتنكيرها قلت الجنة اسم لدار الثواب كلها
وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات
العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان فان قلت اما يشترط
في استحقاق الثواب بالايمان والعمل الصالح ان لا يحبطهما المكلف
بالكفر والاقدام على الكبائر وان لا يندم على ما اوجده من فعل الطاعة
وترك المعصية فهلا شرط ذلك قلت لما جعل الثواب مستحقا بالايمان
والعمل الصالح والبشارة مختصة بمن يتولاهما وركز في العقول ان
الاحسان انما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء اذا لم يتعقبه ما
يفسده ويذهب بحسنه وانه لا ينفع مع وجود مفسده احسانا واعلم
بقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو اكرم الناس عليه واعزهم لئن
اشركت ليحبطن عملك وقال للمؤمنين ولا تجهروا له بالقول كجهر
بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم كان اشتراط حفظهما من الاحباط
والندم كالداخل تحت الذكر فان قلت كيف صورة جري الانهار
من تحتها قلت كما ترى الاشجار النابتة على شواطئ الانهار الجارية
وعن مسروق ان انهار الجنة تجري في غير اخدود وانزه البساتين
واكرمها منظرا ما كانت اشجاره مظللة والانهار في خلالها مطردة

ولولا ان الماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى وان الجنان
والرياض وان كانت آنق شيء واحسنه لا تروق النواظر ولا تبهج
الانفس ولا تجلب الاريحية والنشاط حتى يجري فيها الماء
والا كان الانس الاعظم فائتا والسرور الاوفر مفقودا وكانت
كتماثيل لا ارواح فيها وصور لا حياة لها لما جاء الله تعالى بذكر
الجنات مشفوعا بذكر الانهار الجارية من تحتها مسوقين على
قران واحد كالشيئين لا بد لاحدهما من صاحبه ولما قدمه على
سائر نعوتها والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر
يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية نهر
بفتح الهاء ومدار التركيب على السعة واسناد الجري الى
الانهار من الاسناد المجازي كقولهم بنو فلان يطؤهم الطريق
وصيد عليه يومان فان قلت لم نكرت الجنات وعرفت
الانهار قلت اما تنكير الجنات فقد ذكر واما تعريف الانهار
فان يراد الجنس كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين
والعنب والوان الفواكه تشير الى الاجناس التي في علم المخاطب
او يراد انهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الاضافة
كقوله واشتعل الراس شيبا او يشار باللام الى الانهار المذكورة
في قوله فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه الآية
وقوله كلما رزقوا لا يخلو من ان يكون صفة ثانية لجنات او خبر مبتدا
محذوف او جملة مستانفة لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع
ان يقع فيه اثمار تلك الجنات اشباه ثمار جنات الدنيا ام اجناس
اخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار جنات
الدنيا اي اجناسها اجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا
الله

كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا

فإن قلت ما موقع من ثمرة قلت هو كقولك كلما اكلت من بستانك
من الرمان شيئا حمدتك فموقع من ثمرة موقع قولك من الرمان
كانه قيل كلما رزقوا من الجنات من اي ثمرة كانت من تفاحها
او رمانها او عنبها او غير ذلك رزقا قالوا ذلك فمن في الاولى
والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لان الرزق قد ابتدئ من الجنات
والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة وتنزيله تنزيل ان تقول
رزقني فلان فيقال لك من اين فتقول من بستانه فيقال
من اي ثمرة رزقك من بستانه فتقول من الرمان وتحريره ان
رزقوا جعل مطلقا مبتدأ من ضمير الجنات ثم جعل مقيدا بالابتداء
من ضمير الجنات مبتدأ من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة
الواحدة او الرمانة الفذة على هذا التفسير وانما المراد النوع من
انواع الثمار ووجه آخر وهو ان يكون من ثمرة بيانا على منهاج
قولك رايت منك اسدا تريد انت اسد وعلى هذا يصح ان يراد
بالثمرة النوع من الثمار والجناة الواحدة فان قلت كيف
قيل هذا الذي رزقنا من قبل وكيف تكون ذات الحاضر عندهم
في الجنة هي ذات الذي رزقوه في الدنيا قلت معناه هذا
مثل الذي رزقناه من قبل وشبهه بدليل قوله واتوا به متشابها
وهذا كقولك ابو يوسف ابو حنيفة تريد انه لاستحكام الشبه كان ذاته
ذاته فان قلت إلام يرجع الضمير في قوله واتوا به قلت
إلى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعا لان قوله هذا الذي رزقنا
من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين ونظيره قوله تعالى
ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير لدلالة
قوله غنيا او فقيرا على الجنسين ولو رجع الضمير الى المتكلم به

قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها

لقيل اولى به على التوحيد فان قلت لاي غرض يتشابه ثمر الدنيا
وثمر الجنة وما بال ثمر الجنة لم يكن اجناسا أخر قلت لان الانسان
بالمألوف آنس والى المعهود اميل واذا راى ما لم يالفه نفر
عنه طبعه وعافته نفسه ولانه اذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له
به عهد وتقدم له معه الف وراى فيه مزية ظاهرة وفضيلة
بينة وتفاوتا بينه وبين ما عهد بليغا افرط ابتهاجه واغتباطه
وطال استعجابه واستغرابه وتبين كنه النعمة فيه وتحقق
مقدار الغبطة به ولو كان جنسا لم يعهد وان كان فائقا حسب
ان ذلك الجنس لا يكون الا كذلك فلا يتبين موقع النعمة حق
التبيين فحين ابصروا الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها في الحجم
وان الكبرى لا تفضل عن حد البطيخة الصغيرة ثم يبصرون
رمانة الجنة تشبع السكن والنبقة من نبق الدنيا في حجم الفلكة
ثم يرون نبق الجنة كقلال هجر كما رأوا ظل الشجرة من شجر الدنيا
وقدر امتداده ثم يرون الشجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها
مائة عام لا يقطعه كان ذلك ابين للفضل واظهر للمزية واجلب
للسرور وازيد في التعجب من ان يفاجئوا ذلك الرمان وذلك
النبق من غير عهد سابق بجنسهما وترديدهم هذا القول ونطقهم
به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر وتمادي الحال في
ظهور المزية وتمام الفضيلة وعلى ان ذلك التفاوت العظيم هو
الذي يستملي تعجبهم ويستدعي تبجحهم في كل اوان عن مسروق
نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال القلال
كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وانهارها تجري
في غير اخدود والعنقود اثنا عشر ذراعا ويجوز ان يرجع الضمير
في اتوا به

الى الوقت كأن هذا اشارة اليه ويكون المعنى ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة
يأتيهم متجانسا في نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى احدهم بالصحفة فيأكل
منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذي اتينا به من قبل فيقول الملك
كل فاللون واحد والطعم مختلف وعنه عليه السلم والذي نفس محمد بيده
ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي بواصلة الى
فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا ابصروها والهيئة هيئة الاولى
قالوا ذلك والتفسير الاول هو الوجه فان قلت كيف موقع قوله واتوا به
متشابها من نظم الكلام قلت هو كقولك فلان احسن بفلان
ونعم ما فعل ورأى من الرأي كذا وكان صوابا ومنه قوله تعالى وجعلوا
اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون وما اشبه ذلك من الجمل التي
تساق في الكلام معترضة للتقرير والمراد بتطهير الازواج ان طهرن
مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة وما لا يختص من
الاقذار والادناس ويجوز لمجيئه مطلقا ان يدخل تحته الطهر من
دنس الطباع وطبع الاخلاق الذي عليه نساء الدنيا مما يكتسبن
بانفسهن ومما اخذنه من اعراق السوء والمناصب الرديئة والمناشئ
المفسدة ومن سائر عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن فان قلت
فهلا جاءت الصفة مجموعة كالموصوف قلت هما لغتان فصيحتان
يقال النساء فعلن وهن فاعلات وفواعل والنساء فعلت وهي فاعلة
ومنه بيت الحماسة شعر واذا العذارى بالدخان تقنعت ٭
واستعجلت نصب القدور فملت والمعنى وجماعة ازواج مطهرة
وقرأ زيد بن علي مطهرات وقرأ عبيد بن عمير مطهرة بمعنى متطهرة
وفي كلام بعض العرب ما احوجني الى بيت الله فاطهر به اطهرة اي
فاتطهر به تطهرة فان قلت هلا قيل طاهرة قلت في مطهرة
فخامة

فاتوا به متشابها

ولهم فيها ازواج مطهرة

لصفتهن ليست في طاهرة وهي الاشعار بان مطهرا طهرهن وليس ذلك
الا الله عز وجل المريد بعباده الصالحين ان يخولهم كل مزية
فيما اعد لهم والخلد الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع
قال الله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت
فهم الخالدون وقال امرؤ القيس شعر الا انعم صباحا ايها الطلل
البالي ٭ وهل ينعمن من كان في العصر الخالي ٭ وهل ينعمن الا سعيد
مخلد ٭ قليل الهموم ما يبيت باوجال ٭ سيقت هذه الآية
لبيان ان ما استنكره الجهلة والسفهاء واهل العناد والمراء
من الكفار واستغربوه من ان تكون المحقرات من الاشياء مضروبا
بها المثل ليس بموضع للاستنكار والاستغراب من قبل ان
التمثيل انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن
الغرض المطلوب وادناء المتوهم من المشاهد فان كان المتمثل
له عظيما كان المتمثل به مثله وان كان حقيرا كان المتمثل به
كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل اذن الا امرا
تستدعيه حال المتمثل له وتستجره الى نفسها فيعمل الضارب للمثل
على حسب تلك القضية الا ترى الى الحق لما كان واضحا جليا
ابلج كيف تمثل له بالضياء والنور والى الباطل لما كان بضد
صفته كيف تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الآلهة التي جعلها
الكفار اندادا لله لا حال احقر منها واقل ولذلك جعل
بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن وجعلت اقل من
الذباب واخس قدرا وضربت لها البعوضة فالذي دونها
مثلا لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للمتمثل استحي من تمثيلها
بالبعوضة لانه مصيب في تمثيله محق في قوله سائق للمثل على
قضية

وهم فيها خالدون

ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة

مضروبة تحتذى على مثال ما يحتذيه ويتبعونه وليبين أن المؤمنين الذين
عادتهم الانصاف والعمل على العدل والتسوية والنظر في الامور
بناظر العقل اذا سمعوا بهذا التمثيل علموا انه الحق الذي
لا تمر الشبهة بساحته والصواب الذي لا يرتع الخطأ حول حماه
وان الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم وغصبهم على بصائرهم فلا
يتفطنون ولا يلقون اذهانهم او عرفوا انه الحق الا ان حب
الرياسة وهوى الالف والعادة لا يخليهم ان ينصفوا فاذا
سمعوه عاندوه وكابروه وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه
بالانكار وان ذلك سبب زيادة هدى المؤمنين وانهماك
الفاسقين في غيهم وضلالهم والعجب منهم كيف انكروا ذلك
وما زال الناس يضربون الامثال بالبهائم والطيور واحناش
الارض والحشرات والهوام وهذه امثال العرب بينهم
سائرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا بها باجمع
الاشياء فقالوا اجمع من ذرة واجرأ من الذباب واسمع من
قراد واصرد من جرادة واضعف من فراشة واكل من
السوس وقالوا في البعوضة اضعف من بعوضة واعز من مخ البعوض
وكلفتني مخ البعوض ولقد ضربت الامثال في الانجيل بالاشياء
المحقرة كالزؤان والنخالة وحبة الخردل والحصاة والارضة
والدود والزنابير والتمثيل بهذه الاشياء وباحقر منها
مما لا تغني استقامته وصحته على من به ادنى مسكة ولكن ديدن
المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له متمسك بدليل ولا متشبث بامارة
ولا اقناع ان يرمي لفرط الحيرة والعجز عن اعمال الحيلة بدفع
الواضح وانكار المستقيم بالتعويل على المكابرة والمغالطة اذا لم
يجد

يسمى ذلك مغالطة وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت
في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا
ما يشبه هذا كلام الله فانزل الله هذه الآية والحياء تغير
وانكسار يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه
من الحياة يقال حيي الرجل كما يقال نسي وحشي وشظي الفرس
اذا اعتلت هذه الاعضاء جعل الحيي لما يعتريه من الانكسار
والتغير منتكس القوة منتقص الحياة كما قالوا هلك فلان حياء
من كذا ومات حياء ورأيت الهلاك في وجهه من شدة الحياء
وذاب حياء وجمد في مكانه خجلا فان قلت كيف جاز وصف
القديم سبحانه به ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم وذلك في
حديث سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه [redacted] تعالى
حيي كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرا
حتى يضع فيهما خيرا قلت هو جار على [redacted] مثل تركه
تخييب العبد وانه لا يرد يديه صفرا من عطائه لكرمه بترك
من يترك رد المحتاج اليه حياء منه وكذلك معنى قوله ان الله
لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان
يتمثل بها لحقارتها ويجوز ان تقع هذه العبارة في كلام الكفرة
فقالوا اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالذباب
والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة واطباق الجواب على
السؤال وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب منه قول ابي تمام
من مبلغ افناء يعرب كلها ... اني بنيت الجار قبل المنزل
وشهد رجل عند شريح فقال انك لسبط الشهادة فقال
الرجل انها لم تجعد عني فقال لله بلادك وقبل شهادته

فالذي سوّغ بناء الجابر وتعقيب الشهادة مع مراعاة المشاكلة
ولولا انشاء الباب لم يحسن بناء الجابر وبسوطة الشهادة لامتنع
تجويدها وتلك امر التنزيل واحاطته بفنون البلاغة وشعبها
لا تكاد تستغرب منها فنا الا عثرت عليه فيه على اقوم مناهجه
واسدّ مدارجه وقد استعمل الحياء فيما لا يصح فيه اذا ما استحييت
الماء يعرض نفسه كرعت بسبت في اناء من الورد وقرأ ابن
كثير في رواية شبل يستحي بياء واحدة وفيه لغتان التعدي
بالجار والتعدي بنفسه يقولون استحييت منه واستحييته وهما
محتملتان هنا وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن
وضرب الخاتم وفي الحديث اضطرب رسول الله خاتما من ذهب
وما هذه ابهامية وهي التي اذا اقترنت باسم نكرة ابهمته ابهاما
وزادته شياعا وعموما كقولك اعطني كتابا ما تريد اي كتاب
كان او صلة للتاكيد كالتي في قوله فبما نقضهم ميثاقهم كانه قيل
لا يستحيي ان يضرب مثلا حقا او البتة هذا اذا نصبت
بعوضة فان رفعتها فهي موصولة صلتها الجملة لان التقدير هو
بعوضة فحذف صدر الجملة كما حذف في تماما على الذي احسن
ووجه آخر حسن جميل وهو ان تكون التي فيها معنى الاستفهام
لما استنكفوا من تمثيل الله لاصنامهم بالمحقرات قال ان
الله لا يستحيي ان يضرب للانداد ما شاء من الاشياء
المحقرة مثلا بله البعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي
بما وهب ما دينار وديناران والمعنى ان الله ان يتمثل للانداد
وحقارة شانها بما لا شيء اصغر منه واقل كما لو تمثل بالجزء
الذي لا يتجزأ وبما لا يدركه لتناهيه في صغره الا من جل

لطفه او بالمعدوم كما تقول العرب فلان اقل من لا شيء في العدد
ولقد ألمّ به قوله ان الله يعلم ما تدعون من دونه من شيء وهذه
القراءة تعزى الى رؤبة بن العجاج وهو امضغ العرب للشيح
والقيصوم المشهود له بالفصاحة وكانوا يشبهون به الحسن
وما اظنه ذهب في هذه القراءة الا الى هذا الوجه وهو المطابق
لفصاحته وانتصب بعوضة بانها عطف بيان لمثلا او مفعول
ليضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليه او انتصبا مفعولين
مجرى ضرب مجرى جعل واشتقاق البعوض من البعض وهو
القطع كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض وانشد
لنعم البيت بيت ابي دثار اذا ما خاف بعض القوم بعضا
ومنه بعض الشيء لانه قطعة منه والبعوض في اصله صفة على
فعول كالقطوع فغلبت وكذلك الخموش فما فوقها فيه معنيان
احدهما فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلا
وهو القلة والحقارة نحو قولك لمن يقول فلان اسفل الناس
وانذلهم هو فوق ذاك تريد هو ابلغ واعرق فيما وصف به
من السفالة والنذالة والثاني فما زاد عليها في الحجم كانه قصد بذلك
ردّ ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لانهما
اكبر من البعوضة كما تقول لصاحبك وقد ذم من عرفه
يشح بادنى شيء فيقال فلان يبخل بالدرهم والدرهمين
هو لا يبالي ان يبخل بنصف درهم فما فوقه تريد بما فوقه ما بخل
فيه وهو الدرهم والدرهمان كانك قلت فضلا عن الدرهم
والدرهمين ونحوه في الاحتمالين ما سمعناه في صحيح مسلم عن
ابراهيم عن الاسود قال دخل شباب من قريش على عائشة
وهي بمنى وهم يضحكون فقالت ما يضحككم قالوا فلان خر على
طنب

فسطاط انكادت عنقه او عينه ان تذهب فقالت لا تضحكوا
اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها
الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة يحتمل فما عدا الشوكة
وفاقها في القلة وهو نحو نخبة النملة في قوله عليه السلام ما اصاب
المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وهي عضتها
ويحتمل ما هو اشد من الشوكة واوجع كالخرور على طنب الفسطاط
فان قلت كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهي النهاية في
الصغر قلت ليس كذلك فان جناح البعوضة اقل منها واصغر
درجات وقد ضربه رسول الله مثلا للدنيا وفي خلق الله
حيوان اصغر منها ومن جناحها ربما رايت في تضاعيف الكتب
العتيقة دويبة لا يكاد يجليها للبصر الحاد الا تحركها فاذا سكنت
فالسكون يواريها ثم اذا لوحت لها بيدك حادت عنها وتجنبت
مضرتها فسبحان من يدرك صورة تلك واعضاءها الظاهرة
والباطنة وتفاصيل خلقتها ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها
ولعل في خلقه ما هو اصغر منها واصغر سبحان الذي خلق الازواج
كلها الآية وانشدت لبعضهم: يا من يرى مد البعوض جناحها
في ظلمة الليل البهيم الاليل ويرى عروق نياطها في نحرها والمخ
في تلك العظام النحل اغفر لعبد تاب من فرطاته ما كان منه في
الزمان الاول واما حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء وفائدته
في الكلام ان يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت
توكيد ذلك وانه لا محالة ذاهب وانه بصدد الذهاب وانه منه
عزيمة قلت اما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما
يكن من شيء فزيد ذاهب وهذا التفسير مدل بفائدتين بيان كونه
تاكيدا وانه في معنى الشرط وفي ايراد الجملتين مصدرتين به وان
لم يقل

فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا

فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احماد عظيم لامر المؤمنين
واعتداد بعلمهم انه الحق ونعي على الكافرين اغفالهم حظهم وعنادهم
ورميهم بالكلمة الحمقاء والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يقال
حق الامر اذا ثبت ووجب وحقت كلمة ربك وثوب محقق
محكم النسج وماذا فيه وجهان ان يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي
فيكون كلمتين وان يكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا فيكون
كلمة واحدة فهو على الوجه الاول مرفوع المحل على الابتداء وخبره ذا
مع صلته وعلى الثاني منصوب المحل في حكم ما وحده لو قلت ما اراد
الله والاصوب في جوابه ان يجيء على الاول مرفوعا وعلى الثاني منصوبا ليطابق
الجواب السؤال وقد جوزوا عكس ذلك تقول في جواب من قال ما
رايت خير اي المرئي خير وفي جواب ما الذي رايت خيرا اي
رايت خيرا وقرئ قوله ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو بالرفع
والنصب على التقديرين والارادة نقيض الكراهة وهي مصدر
اردت الشيء اذا طلبته نفسك ومال اليه قلبك وفي حدود المتكلمين
الارادة معنى يوجب للحي حالا لاجلها يقع منه الفعل على وجه دون
وجه وقد اختلفوا في ارادة الله فبعضهم على انه لا بد من مثل صفة المريد
منا الى القصد ومعنى زائد على كونه عالما غير ساه وبعضهم
على ان معنى ارادته لافعاله انه فاعلها وهو غير ساه ولا مكره ومعنى
ارادته لافعال غيره انه امر بها والضمير في انه الحق للمثل او لان
يضرب وفي قولهم ماذا اراد الله بهذا استرذال واستحقار كما قالت
عائشة في عبد الله بن عمرو بن العاص يا عجبا لابن عمرو هذا ومثلا نصب
على التمييز كقولك لمن اجاب بجواب غث ماذا اردت بهذا جوابا
ولمن حمل سلاحا رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا او على الحال كقوله

يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا

هذه ناقة الله لكم آية وقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جار مجرى
التفسير والبيان للجملتين المصدرتين باما وان فريق العالمين بانه الحق
وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة وان العلم بكونه
حقا من باب الهدى الذي ازداد به المؤمنون نورا الى نورهم وان الجهل
بحسن مورده من باب الضلالة التي زادت الجهلة خبطا في ظلماتهم
فان قلت لم وصف المهديون بالكثرة والقلة صفتهم وقليل من عبادي
الشكور وقليل ما هم الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة وعن الناس
اخبر تقله قلت اهل الهدى كثير في انفسهم وحين يوصفون بالقلة انما
يوصفون بها بالقياس الى اهل الضلال وايضا فان القليل من
المهديين كثير في الحقيقة وان قلوا في الصورة فسموا ذهابا الى الحقيقة
كثيرا ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا
واسناد الاضلال الى الله تعالى اسناد الفعل الى السبب لانه لما ضرب
المثل فضل به قوم واهتدى قوم تسبب لضلالهم وهداهم وعن مالك
بن دينار رحمه الله انه دخل على محبوس قد اخذ بمال عليه وقيد فقال
يا ابا يحيى اما ترى ما نحن فيه من القيود فرفع مالك راسه فرأى سلة فقال
لمن هذه السلة فقال لي فامر بها تنزل فاذا دجاج واخبصة فقال مالك
هذه وضعت القيود على رجلك وقرئ يضل به كثير ويهدى به كثير
وما يضل به الا الفاسقون والفسق الخروج عن القصد قال رؤبة
فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشريعة الخارج عن امر الله
بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين اي بين منزلة المؤمن
والكافر وقالوا ان اول من حد له هذا الحد ابو حذيفة واصل بن عطاء
وكونه بين بين ان حكمه حكم المؤمن في انه يناكح ويوارث ويغسل
ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن

والبراءة عنه

وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه

واعتقاد عداوته وان لا تقبل له شهادة ومذهب مالك بن انس
والزيدية ان الصلوة لا تجزئ خلفه وقال للخلفاء المردة
من الكفار الفسقة وقد جاء الاستعمالان في كتاب الله
عز وجل بئس الاسم الفسوق بعد الايمان يريد اللمز والتنابز
ان المنافقين هم الفاسقون النقض الفسخ وفك التركيب
فان قلت من اين ساغ استعمال النقض في ابطال العهد
قلت من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة
لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين ومنه قول ابن
التيهان في بيعة العقبة يا رسول الله ان بيننا وبين القوم حبالا
ونحن قاطعوها فنخشى ان الله اعزك واظهرك ان ترجع الى
قومك وهذا من اسرار البلاغة ولطائفها ان يسكتوا عن ذكر
الشيء المستعار ثم يرمزوا اليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا
بتلك الرمزة على مكانه ونحو قولك شجاع يفترس اقرانه
وعالم يغترف منه الناس واذا تزوجت امراة فاستوثقها
لم تقل هذا الا وقد نبهت على الشجاع والعالم بانهما اسد وبحر
وعلى المراة بانها فراش والعهد الموثق وعهد اليه في كذا اذا
وصاه به ووثقه عليه واستعهد منه اذا اشترط عليه واستوثق
منه والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله احبار اليهود المتعنتون
او منافقوهم او الكفار جميعا فان قلت فما المراد بعهد الله
قلت ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كانه امر وصاهم
به ووثقه عليهم وهو معنى قوله واشهدهم على انفسهم الست بربكم
قالوا بلى او اخذ الميثاق عليهم بانهم اذا بعث اليهم رسول
يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره فيما تقدمه
من الكتب

المنزلة عليهم كقوله واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقوله في الانجيل
لعيسى صلوات الله عليه سأنزل عليك كتابا فيه نبأ بني
اسرائيل وما اريتهم اياهم من الآيات وما انعمت عليهم وما
نقضوا من ميثاقهم الذي واثقوا به وما ضيعوا من عهدي اليهم
وحسن صنيعه للذين قاموا بميثاق الله واوفوا بعهده ونصره
اياهم وكيف انزل بأسه ونقمته بالذين غدروا ونقضوا
ميثاقه ولم يوفوا بعهده لان اليهود فعلوا باسم عيسى ما فعلوا
باسم محمد صلى الله عليهما من التحريف والجحود وكفروا به كما كفروا
به وقيل هو ما اخذ الله العهد عليهم انه لا يسفكوا دماءهم ولا يبغي
بعضهم على بعض ولا يقطعوا ارحامهم وقيل عهد الله الى خلقه
ثلاثة عهود العهد الاول الذي اخذه على جميع ذرية آدم الاقرار
بربوبيته وهو قوله واذ اخذ ربك وعهد خص به النبيين
ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو قوله
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء وهو قوله
واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس
ولا يكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله
من قبوله والزامه انفسهم ويجوز ان يكون بمعنى توثقته كما ان
الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة ويجوز ان يرجع الضمير
الى الله تعالى اي من بعد توثقته عليهم او من بعد ما وثق به
عهده من آياته وكتبه وانذار رسله ومعنى قطعهم ما امر الله
به ان يوصل قطعهم الارحام وموالاة المؤمنين وقيل قطعهم
ما بين الانبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق في
ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض فان قلت ما الامر قلت طلب الفعل

ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض

ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور
لان الداعي الذي يدعو اليه من يتولاه شبه بآمر به
فقيل له امر تسمية للمفعول به بالمصدر كأنه مأمور به
كما قيل له شأن والشأن الطلب والقصد يقال شأنت
شأنه اي قصدت قصده هم الخاسرون لانهم استبدلوا
النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعقابها
بثوابها معنى الهمزة التي في كيف مثله في قولك اتكفرون بالله
ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو الى الايمان وهو الانكار
والتعجب ونظيره قولك اتطير بغير جناح وكيف تطير
بغير جناح فان قلت قولك اتطير بغير جناح انكار
للطيران لانه مستحيل بغير جناح واما الكفر فهو غير مستحيل
مع ما ذكر من الاماتة والاحياء قلت قد اخرج في صورة
المستحيل لما قوي من الصارف عن الكفر والداعي الى الايمان
فان قلت قد تبين امر الهمزة وانها لانكار الفعل والايذان
باستحالته في نفسه او لقوة الصارف عنه فما تقول في كيف
حيث كان انكارا للحال التي يقع عليها كفرهم قلت
حال الشيء تابعة لذاته فاذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت
الحال فكان انكار حال الكفر لانها تبيع ذات الكفر ورديفها
انكارا لذات الكفر وثباتها على طريق الكناية وذلك اقوى
لانكار الكفر وابلغ وتحريره انه اذا انكر ان يكون لكفرهم حال
يوجد عليها وقد علم ان كل موجود لا ينفك من حال وصفة عند
وجوده ومحال ان يوجد بغير صفة من الصفات كان انكارا
لوجوده على الطريق البرهاني والواو في قوله وكنتم امواتا للحال

اولئك هم الخاسرون

كيف تكفرون بالله

وكنتم امواتا فاحياكم

فإن قلت فكيف صح أن يكون حالا وهو ماض ولا يقال جئت وقام الأمير
ولكن وقد قام الأمير إلا أن يضمر قد قلت لم تدخل الواو على كنتم أمواتا
وحده ولكن على جملة قوله كنتم أمواتا إلى ترجعون كأنه قيل كيف
تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم أنكم كنتم أمواتا نطفا في أصلاب
آبائكم فجعلكم أحياء ثم يميتكم بعد هذه الحيوة ثم يحييكم بعد الموت
ثم يحاسبكم فإن قلت بعض القصة ماض وبعضها مستقبل والماضي
والمستقبل كلاهما لا يصح أن يقع حالا حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود
ما هو حال عنه فما الحاضر الذي وقع حالا قلت هو العلم بالقصة كأنه
قيل كيف تكفرون وأنتم عالمون بهذه القصة بأولها وآخرها فإن قلت
فقد آل المعنى إلى قولك على أي حال تكفرون في حال علمكم بهذه القصة فما وجه
صحته قلت قد ذكرنا أن معنى الاستفهام في كيف الإنكار وأن إنكار
الحال متضمن لإنكار الذات على سبيل الكناية فكأنه قيل ما أعجب كفركم
مع علمكم بحالكم هذه فإن قلت إن اتصل علمهم بأنهم كانوا أمواتا
فأحياهم ثم يميتهم فلم يتصل بالإحياء الثاني والرجوع قلت قد تمكنوا
من العلم بهما بالدلائل الموصلة إليه فكان ذلك بمنزلة حصول العلم
وكثير منهم علموا ثم عاندوا والأموات جمع ميت كالأقوال في جمع قيل
فإن قلت كيف قيل لهم أموات في حال كونهم جمادا وإنما يقال ميت
فيما تصح فيه الحيوة من البنى قلت بل يقال ذلك لعادم الحيوة
كقوله بلدة ميتا وآية لهم الأرض الميتة أموات غير أحياء ويجوز أن
يكون استعارة لاجتماعهما في أن لا روح ولا إحساس فإن قلت ما
المراد بالإحياء الثاني قلت يجوز أن يراد به الإحياء في القبر وبالرجوع
النشور وأن يراد به النشور وبالرجوع المصير إلى الجزاء **فإن قلت**
لم كان العطف الأول بالفاء والأعقاب بثم **قلت** لأن الإحياء
الأول

ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون

قد تعقب الموت بغير تراخ وأما الموت فقد تراخى عن الإحياء
والإحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت إن أريد به النشور
تراخيا ظاهرا وإن أريد به إحياء القبر فمنه يكتسب العلم
بتراخيه والرجوع إلى الجزاء أيضا متراخ عن النشور فإن قلت من
أين أن اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها ألا إنها مشتملة على
آيات بينات تصرفهم عن الكفر على نعم جسام حقها أن تشكر
ولا تكفر قلت خلق لكم ما في الأرض جميعا لأن ما بعده آيات وهي
مع كونها آيات من أعظم النعم لكم لأجلكم ولانتفاعكم به في
دنياكم ودينكم أما الانتفاع الدنيوي فظاهر وأما الانتفاع
الديني فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع
القادر الحكيم وما فيه من التذكير بالآخرة وثوابها وعقابها لاشتماله
على أسباب الأنس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه
والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية وعلى أسباب الوحشة
والمشقة من أنواع المكاره كالنيران والصواعق والسباع والأحناش
والسموم والغموم والمخاوف وقد استدل بقوله خلق لكم على أن الأشياء
التي يصح أن ينتفع بها ولم تجر مجرى المحظورات في العقل خلقت في
الأصل مباحة مطلقا لكل أحد أن يتناولها ويستنفع بها فإن قلت
هل لقول من زعم أن المعنى خلق لكم الأرض وما فيها وجه صحة قلت
إن أراد بالأرض الجهات السفلية دون الغبراء كما تذكر السماء ويراد
الجهات العلوية جاز ذلك فإن الغبراء وما فيها واقعة في الجهات
السفلية وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني والاستواء الاعتدال
والاستقامة يقال استوى العود وغيره إذا قام واعتدل ثم قيل استوى
إليه كالسهم المرسل إذا قصده قصدا مستويا من غير أن يلوي على شيء

هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا

ثم استوى إلى السماء

العلو

ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم

ومنه استعير قوله ثم استوى الى السماء اي قصد اليها بارادته ومشيئته
بعد خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شيء
آخر والمراد بالسماء جهات العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق
والضمير في فسواهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره كقولهم
ربه رجلا وقيل الضمير راجع الى السماء والسماء في معنى
الجنس وقيل جمع سماءة والوجه العربي هو الاول ومعنى تسويتهن
تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور او اتمام
خلقهن وهو بكل شيء عليم فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من
غير تفاوت مع خلق ما في الارض على حسب حاجات اهلها
ومنافعهم ومصالحهم فان قلت ما فسرت به معنى الاستواء
الى السماء يناقضه ثم لاعطائه معنى التراخي والمهلة قلت
ثم هنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات
على خلق الارض لا للتراخي في الوقت كقوله ثم كان من
الذين آمنوا على انه لو كان بمعنى التراخي في الوقت لم يلزم ما
اعترضت به لان المعنى انه حين قصد الى السماء لم يحدث فيما
بين ذلك اي في تضاعيف القصد اليها خلقا آخر فان قلت
اما يناقض هذا قوله والارض بعد ذلك دحاها قلت لا لان
جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء واما دحوها فمتاخر
وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة
الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه
السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض فذلك
قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق واذ نصب باضمار اذكر
ويجوز ان ينتصب بقالوا والملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل

واذ قال ربك للملائكة

اني جاعل في الارض خليفة

في جمع شمأل والحاق التاء لتانيث الجمع وجاعل من جعل الذي
له مفعولان دخل على المبتدا والخبر وهما قولك في الارض
خليفة فكانا مفعوليه ومعناه مصير في الارض خليفة والخليفة
من يخلف غيره والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان
الارض فخلفهم فيها آدم وذريته فان قلت فهلا قيل خلائف
او خلفاء قلت اريد بالخليفة آدم واستغنى بذكره عن ذكر
بنيه كما تستغني بذكر ابي القبيلة في قولك مضر وهاشم او اريد
من يخلفكم او خلقا يخلفكم فوحد لذلك وقرئ خليقة بالقاف
ويجوز ان يريد خليفة مني لان آدم كان خليفة الله في ارضه
وكذلك كل نبي انا جعلناك خليفة في الارض فان قلت لاي
غرض اخبرهم بذلك قلت ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا
بما اجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل كونهم صيانة
لهم عن اعتراض الشبهة في وقت استخلافهم وقيل ليعلم عباده
المشاورة في امورهم قبل ان يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم
ونصحائهم وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة
اتجعل فيها تعجب من ان يستخلف مكان اهل الطاعة اهل
المعصية وهو الحكيم الذي لا يفعل الا الخير ولا يريد الا الخير
فان قلت من اين عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه وانما هو غيب
قلت عرفوه باخبار من الله او من جهة اللوح او ثبت في علمهم ان
الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون وكل خلق سواهم ليسوا
على صفتهم او قاسوا احد الثقلين على الآخر حيث اسكنوا الارض
فافسدوا فيها قبل سكنى الملائكة وقرئ ويسفك بضم الفاء ويسفك
ويسفك من اسفك وسفك والواو في ونحن للحال كما تقول

قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها

ويسفك الدماء

ونحن نسبح بحمدك

ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون وعلم آدم الاسماء كلها

الجنس الى فلان وانا احق منه بالاحسان والتسبيح تبعيد الله من السوء وكذلك تقديسه من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد وبحمدك في موضع الحال اي نسبح حامدين لك ومتلبسين بحمدك لانه لولا انعامك علينا بالتوفيق واللطف لم نتمكن من عبادتك اعلم ما لا تعلمون اي اعلم من المصالح في ذلك ما هو خفي عليكم فان قلت هلا بين لهم تلك المصالح قلت كفى العباد ان يعلموا ان افعال الله كلها حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة على انه قد بين لهم بعض ذلك فيما اتبعه من قوله وعلم آدم الاسماء كلها واشتقاقهم آدم من الادمة ومن اديم الارض نحو اشتقاقهم يعقوب من العقب وادريس من الدرس وابليس من الابلاس وما آدم الا اسم اعجمي واقرب امره ان يكون على فاعل كآزر وعازر وعابر وشالخ وفالغ واشباه ذلك الاسماء كلها اي اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الاسماء لان الاسم لا بد له من مسمى وعوض منه اللام كقوله واشتعل الرأس شيبا فان قلت هلا زعمت انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وان الاصل وعلم آدم مسميات الاسماء قلت لان التعليم وجب تعليقه بالاسماء لا بالمسميات لقوله انبئوني باسماء هؤلاء انبئهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم فكما علق الانباء بالاسماء لا بالمسميات ولم يقل انبئوني بهؤلاء وانبئهم بهم وجب تعليق التعليم بها فان قلت فما معنى تعليمه اسماء المسميات قلت اراه الاجناس التي خلقها وعلمه ان هذا اسمه

ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون

فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعلمه احوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ثم عرضهم اي عرض المسميات وانما ذكر لان في المسميات العقلاء فغلبهم وانما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل التبكيت ان كنتم صادقين يعني في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء ارادة للرد عليهم وان فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التي هي اصول الفوائد كلها ما يستأهلون لاجله ان يستخلفوا فاراهم بذلك وبين لهم بعض ما اجمل من ذكر المصالح في استخلافهم في قوله اني اعلم ما لا تعلمون وقوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض استحضار لقوله لهم اني اعلم ما لا تعلمون الا انه جاء به على وجه ابسط من ذلك واشرح وقرئ وعلم آدم على البناء للمفعول وقرأ عبد الله عرضهن وقرأ ابي عرضها والمعنى عرض مسمياتهن او مسمياتها لان العرض لا يصح في الاسماء وقرئ انبيهم بقلب الهمزة ياء وانبهم بحذفها والهاء مكسورة فيهما السجود لله تعالى على سبيل العبادة ولغيره على وجه التكرمة كما سجدت الملائكة لآدم وابو يوسف واخوته له ويجوز ان تختلف الاحوال والاوقات فيه وقرأ ابو جعفر للملائكة اسجدوا بضم التاء للاتباع ولا يجوز استهلاك الحركة الاعرابية بحركة الاتباع الا في لغة ضعيفة كقولهم الحمد لله الا ابليس استثناء متصل لانه كان جنيا واحدا بين اظهر الالوف من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه في قوله فسجدوا ثم استثني منهم استثناء واحد منهم ويجوز ان يجعل منقطعا ابى امتنع مما امر به

واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين

واستكبر عنه وكان من الكافرين من جنس كفرة الجن وشياطينهم
فلذلك أبى واستكبر كقوله كان من الجن ففسق عن امر ربه
اسكن من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار وانت
تاكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه ورغدا وصف للمصدر
اي اكلا رغدا واسعا رافها وحيث للمكان المبهم اي اي
مكان من الجنة شئتما أطلق لهما الاكل من الجنة على وجه التوسعة
البالغة المزيحة للعلة حين لم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض
المواضع الجامعة للماكولات من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر في التناول
من شجرة من بين اشجارها الفائتة للحصر وكانت الشجرة
فيما قيل الحنطة او الكرمة او التينة وقرئ ولا تقربا بكسر التاء
وهذي والشجرة بكسر الشين والشيرة بكسر الشين والياء وعن
ابي عمرو انه كرهها وقال يقرأ بها برابر مكة وسودانها من الظالمين
من الذين ظلموا انفسهم بمعصية الله فتكونا جزم عطف على تقربا
او نصب جواب للنهي الضمير في عنها للشجرة اي حملهما الشيطان
على الزلة بسببها وتحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنها وعن هذه
مثلها في قوله وما فعلته عن امري وقيل يزهوه عن اكل وعن ترك
وقيل فازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما عنها وابعدهما كما تقول زل
عن مرتبته وزل عني ذاك اذا ذهب عنك وزل من الشهر كذا
وقرئ فازالهما ما كانا فيه من النعيم والكرامة او من الجنة ان كان
الضمير للشجرة في عنها وقراءة عبد الله فوسوس لهما الشيطان عنها
وهذا دليل على ان الضمير للشجرة لان المعنى صدرت وسوسته
عنها فان قلت كيف توصل الى ازلالهما ووسوسته لهما بعد ما قيل
له اخرج منها فانك رجيم قلت يجوز ان يمنع دخولها على جهة التقريب
والتكرمة

فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين

كدخول الملائكة ولا يمتنع ان يدخل على جهة الوسوسة ابتلاء لادم وحواء
وقيل كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل قام عند الباب
فنادى وروي انه اراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية
حتى دخلت به وهم لا يشعرون قيل اهبطوا خطاب لادم
وحواء وابليس وقيل والحية والصحيح انه لادم وحواء والمراد هما
وذريتهما لانهما لما كانا اصل الانس ومتشعبهم جعلا كانهما
الانس كلهم والدليل عليه قوله قال اهبطا منها جميعا بعضكم
لبعض عدو ويدل على ذلك قوله فمن تبع هداي فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا باياتنا اولئك اصحاب النار هم
فيها خالدون وما هو الا حكم يعم الناس كلهم ومعنى بعضكم لبعض
عدو ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض
والهبوط النزول الى الارض مستقر موضع استقرار او استقرار
ومتاع وتمتع بالعيش الى حين يريد الى يوم القيامة وقيل الى الموت
ومعنى تلقي الكلمات استقبالها بالاخذ والقبول والعمل بها حين
علمها وقرئ بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته بان
بلغته واتصلت به فان قلت ما هن قلت قوله تعالى ربنا
ظلمنا انفسنا الاية وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان احب الكلام
الى الله ما قاله ابونا حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك
وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر
لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال
يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من
روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى
قال يا رب الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت

فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم

اراجعي انت الى الجنة قال نعم واكتفى بذكر توبة آدم دون توبة حوا
لانها كانت تبعا له كما طوي ذكر النسآء في اكثر القرآن والسنة
لذلك وقد ذكرها في قوله قالا ربنا ظلمنا انفسنا فتاب عليه فرجع
عليه بالرحمة والقبول فان قلت لم كرر قلنا اهبطوا قلت للتاكيد
ولما نيط به من زيادة قوله فاما ياتينكم مني هدى فان قلت ما جواب
الشرط الاول قلت الشرط الثاني مع جوابه هو كقولك ان جئتني فان
قدرت احسنت اليك والمعنى فاما ياتينكم مني هدى برسول
ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم بدليل قوله والذين كفروا وكذبوا
باياتنا في مقابلة قوله فمن تبع هداي فان قلت فلم جي بكلمة الشك اما
واتيان الهدى كاين لا محالة لوجوبه قلت للايذان بان الايمان
بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب وانه ان
لم يبعث رسولا ولم ينزل كتابا كان الايمان به وتوحيده واجبا
لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الادلة ومكنهم من النظر
والاستدلال فان قلت الخطيية التي اهبط بها آدم ان كانت كبيرة
فالكبيرة لا تجوز على الانبيآء وان كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى
بسببها من نزع اللباس والاخراج من الجنة والاهباط من السمآء
كما فعل بابليس ونسبته الى الغي والعصيان ونسيان العهد وعدم العزيمة
والحاجة الى التوبة قلت ما كانت الا صغيرة مغمورة باعمال قلبية من
الاخلاص والافكار الصالحة التي هي اجل الاعمال واعظم الطاعات
وانما جرى عليه ما جرى تعظيما للخطيية وتفظيعا لشانها وتهويلا
ليكون ذلك لطفا له ولذريته في اجتناب الخطايا واتقآء المآثم
والتنبيه على انه اخرج من الجنة بخطيية واحدة فكيف يدخلها ذو خطايا
جمة وقرئ فمن تبع هُدَيَّ على لغة هذيل فلا خوف بالفتح اسراييل

هو يعقوب عليه السلام لقب له ومعناه في لسانهم صفوة الله وقيل عبد الله
وهو بزنة ابراهيم واسماعيل غير منصرف مثلهما لوجود العلمية والعجمة
وقرئ اسرايل واسرال اذكروا نعمتي ان لا تخلوا بشكرها وتعتدوا
بها وتستعظموها وتطيعوا مانحها واراد بها ما انعم به على آبائهم مما
عدد عليهم من الانجآء من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن
اتخاذ العجل والتوبة عليهم وغير ذلك وما انعم به عليهم من ادراك
زمن محمد صلى الله عليه المبشر به في التورية والانجيل والعهد يضاف
الى المعاهِد والمعاهَد جميعا يقال اوفيت بعهدي اي بما عاهدت
عليه كقوله ومن اوفى بعهده من الله واوفيت بعهدك اي بما عاهدتك
عليه ومعنى واوفوا بعهدي واوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان
بي والطاعة لي كقوله ومن اوفى بما عاهد عليه الله ومنهم من عاهد
الله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه اوف بعهدكم بما عاهدتكم
عليه من حسن الثواب على حسناتكم واياي فارهبون فلا تنقضوا
عهدي وهو من قولك زيدا رهبته وهو اوكد في افادة الاختصاص
من اياك نعبد وقرئ اوفّ بالتشديد اي ابالغ في الوفآء بعهدكم
كقوله من جآء بالحسنة فله خير منها ويجوز ان يريد بقوله واوفوا بعهدي
ما عاهدوا عليه ووعدوه من الايمان بنبي الرحمة والكتاب المعجز
ويدل عليه قوله وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم اول كافر به
اول من كفر به او اول فريق او فوج كافر به او ولا يكن كل واحد
منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة اي كل واحد منا وهذا
تعريض بانه كان يجب ان يكونوا اول من يومن به لمعرفتهم به
وبصفته ولانهم كانوا المبشرين بزمان من اوحي اليه والمستفتحين
على الذين كفروا به وكانوا يعدون اتباعه اول الناس كلهم فلما
بعث

وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون

كان أمرهم على العكس كقوله لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب
والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة إلى قوله وما تفرق الذين أوتوا
الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به
ويجوز أن يراد ولا تكونوا مثل أول كافر به يعني من أشرك به
من أهل مكة أي ولا تكونوا وأنتم تعرفونه مذكوراً في التوراة موصوفاً
مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له وقيل الضمير في به
لما معكم لأنهم إذا كفروا بما يصدقه فقد كفروا به والاشتراء استعارة
للاستبدال كقوله اشتروا الضلالة بالهدى وقوله كما اشترى
المسلم إذ تنصرا فإني شريت الحلم بعدك بالجهل يعني ولا
تستبدلوا بآياتي ثمناً وإلا فالثمن هو المشترى به والثمن القليل
الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو أصبحوا أتباعاً
لرسول الله فاستبدلوها وهي بدل قليل ومتاع يسير بآيات
الله وبالحق الذي كل كثير إليه قليل وكل كبير إليه حقير فما
بال القليل الحقير وقيل كانت عامتهم يعطون أحبارهم من زروعهم
وثمارهم ويهدون إليهم الهدايا ويرشونهم الرشى على تحريفهم الكلم
وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع وكان ملوكهم يدرّون عليهم
الأموال ليكتموا أو يحرفوا الباء التي في بالباطل إن كانت صلة مثلها
في قولك لبست الشيء بالشيء وخلطته به كان المعنى ولا تكتبوا في
التوراة ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى
لا يميز بين حقها وباطلكم وإن كانت باء الاستعانة كالتي في قولك
كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبساً مشتبهاً بباطلكم الذي
تكتبونه وتكتموا جزم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا أو منصوب
بإضمار أن والواو بمعنى الجمع أي ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان
الحق

كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن فإن قلت لبسهم وكتمانهم
ليسا بفعلين متميزين حتى ينهوا عن الجمع بينهما لأنهم إذا لبسوا الحق
بالباطل فقد كتموا الحق قلت بل هما متميزان لأن لبس الحق
بالباطل ما ذكرنا من كتبهم في التوراة ما ليس منها وكتمانهم الحق أن
يقولوا لا نجد في التوراة صفة محمد أو حكم كذا أو يمحوا ذلك أو يكتبوه
على خلاف ما هو عليه وفي مصحف عبد الله وتكتمون بمعنى كاتمين وأنتم
تعلمون في حال علمكم أنكم لابسون كاتمون وهو أقبح لأن الجهل بالقبيح
ربما عذر راكبه وأقيموا الصلاة يعني صلاة المسلمين وزكاتهم واركعوا
مع الراكعين منهم لأن اليهود لا ركوع في صلاتهم وقيل الركوع
الخضوع والانقياد لما يلزمهم في دين الله ويجوز أن يراد بالركوع
الصلاة كما يعبر عنها بالسجود وأن يكون أمراً بأن تصلي مع المصلين
يعني في الجماعة كأنه قيل وأقيموا الصلاة وصلوها مع المصلين لا منفردين
أتأمرون الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم والبر سعة
الخير والمعروف ومنه البر لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت
وبررت وكان الأحبار يأمرون من نصحوه في السر من أقاربهم وغيرهم
باتباع محمد ولا يتبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون
وإذا أتوا بصدقات ليفرقوها خانوا فيها وعن محمد بن واسع بلغني
أن ناساً من أهل الجنة اطلعوا على ناس من أهل النار فقالوا لهم
قد كنتم تأمروننا بأشياء عملناها فدخلنا الجنة قالوا كنا نأمركم
بها ونخالف إلى غيرها وتنسون أنفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات
وأنتم تتلون الكتاب تبكيت مثل قوله وأنتم تعلمون يعني تتلون
التوراة وفيها نعت محمد أو فيها الوعيد على الخيانة وترك
البر ومخالفة القول العمل أفلا تعقلون توبيخ عظيم بمعنى أفلا
تفطنون

وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون

لقبح ما أقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وكأنكم
في ذلك مسلوبوا العقول لأن العقول تأباه وتدفعه ونحوه
أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون واستعينوا
على حوائجكم إلى الله بالصبر والصلاة أي بالجمع بينهما وأن تصلوا
صابرين على تكاليف الصلاة محتملين لمشاقها وما يجب فيها من
إخلاص القلب وحفظ النيات ودفع الوساوس ومراعاة
الآداب والاحتراس من المكاره مع الخشية والخشوع واستحضار
العلم بأنه انتصاب بين يدي جبار السموات ليسأل فك الرقاب
عن سخطه وعذابه ومنه قوله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر
عليها أو واستعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء إلى
الصلاة عند وقوعها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر
فزع إلى الصلاة وعن ابن عباس أنه نعي إليه أخوه قثم وهو في
سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق فصلى ركعتين أطال فيهما
الجلوس ثم قام يمشي إلى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر
والصلاة وقيل الصبر الصوم لأنه حبس عن المفطرات ومنه
قيل لشهر رمضان شهر الصبر ويجوز أن يراد بالصلاة الدعاء وأن
يستعان على البلايا بالصبر والالتجاء إلى الله في دفعه وإنها الضمير
للصلاة أو للاستعانة ويجوز أن يكون لجميع الأمور التي أمر بها
بنو إسرائيل ونهوا عنها من قوله اذكروا نعمتي إلى قوله واستعينوا
لكبيرة لشاقة ثقيلة من قولك كبر على هذا الأمر كبر على المشركين
ما تدعوهم إليه فإن قلت ما لها لم تثقل على الخاشعين والخشوع في
نفسه مما يثقل قلت لأنهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون
عليهم ألا ترى إلى قوله الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم أي يتوقعون

يعلمون
لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه وفي مصحف عبد الله
ومعناه يعلمون أن لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على
حسب ذلك ولذلك فسر يظنون بيتيقنون وأما من لم
يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة
فثقلت عليه كالمنافقين والمرائين بأعمالهم ومثاله من وعد
على بعض الأعمال والصنائع أجرة زائدة على مقدار عمله فتراه
يتناوله برغبة ونشاط وانشراح صدر ومضاحكة لحاضريه
كأنه يستلذ مزاولته بخلاف حال عامل يتسخره بعض الظلمة
ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في
الصلوة وكان يقول يا بلال روحنا والخشوع الإخبات
والتطامن ومنه الخشعة للرملة المتطامنة وأما الخضوع
فاللين والانقياد ومنه خضعت بقولها إذا لينته وأني
فضلتكم نصب عطف على نعمتي أي اذكروا نعمتي وتفضيلي
على العالمين على الجم الغفير من الناس كقوله باركنا فيها للعالمين
يقال رأيت عالما من الناس يراد الكثرة يوما يريد يوم
القيامة لا تجزي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق ومنه الحديث
في جذعة بن نيار تجزي عنك ولا تجزي عن أحد بعدك
~~ولا تجزي عن أحد بعدك~~ وشيئا مفعول به ويجوز أن يكون
في موضع مصدر أي قليلا من الجزاء كقوله ولا تظلمون شيئا
ومن قرأ لا تجزئ من أجزأ عنه إذا أغنى عنه فلا
يكون في قراءته إلا مصدرا أي شيئا من الإجزاء وقرأ أبو السرار
الغنوي لا تجزي نسمة عن نسمة شيئا وهذه الجملة منصوبة المحل

صفة ليوما

فان قلت فاين العائد منها الى الموصوف قلت هو محذوف تقديره
لا تجزي فيه ونحوه ما انشده ابو علي تروحي اجدر ان تقيلي
اي مكانا اجدر بان تقيلي فيه ومنهم من ينزل فيقول اتسع فيه
فاجري مجرى المفعول به فحذف الجار ثم حذف الضمير كما حذف
من قوله ام مال اصابوا ومعنى التنكير ان نفسا من الانفس
لا تجزي عن نفس منها شيئا من الاشياء وهو الاقناط الكلي
القطاع للمطامع وكذلك قوله ولا تقبل منها شفاعة ولا يؤخذ
منها عدل اي فدية لانها معادلة للمفدى ومنه الحديث لا
تقبل منها صرف ولا عدل اي توبة ولا فدية وقرأ قتادة ولا
تقبل منها شفاعة على بناء الفعل للفاعل وهو الله عز وجل
ونصب الشفاعة وقيل كانت اليهود تزعم ان آباءهم
الانبياء يشفعون لهم فأويسوا فان قلت هل فيه دليل
على ان الشفاعة لا تقبل للعصاة قلت نعم لانه نفى ان تقضي
نفس عن نفس حقا اخلت به من فعل او ترك ثم نفى ان
تقبل منها شفاعة شفيع فعلم انها لا تقبل للعصاة
فان قلت الضمير في ولا تقبل منها الى اي النفسين يرجع
قلت الى الثانية العاصية غير المجزي عنها وهي التي
لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا تقبل منها شفاعة ان جاءت
بشفاعة شفيع لم تقبل منها ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى
على انها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئا
ولو اعطت عدلا عنها لم يؤخذ منها ولا هم ينصرون يعني
ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير
بمعنى العباد والاناسي

اي شيئا قليلا او كثيرا في الحذف

اي كان الاصل لا تجزي فيه فحذف في كما حذف من في قوله تعالى واختار موسى قومه ثم لا تجزيه ثم حذف الضمير لانه صار منصوبا كما في قوله تعالى ابهذا الذي بعث الله رسولا اي بعثه

منه

سميت التوبة صرفا لانها تصرف من الحالة الذميمة الى الحالة الجميلة

كما يقول ثلاثة انفس اصل آل اهل ولذلك يصغر باهيل
فابدلت هاؤه الفا وخص استعماله باولي الخطر والشان
كالملوك واشباههم ولا يقال آل الاسكاف والحجام وفرعون
علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس
ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر
وفي ملح بعضهم قد جاء الموسى الكلوم فزاد في اقصى تفرعنه
وفرط عتوه وقرئ انجيناكم ونجيتكم يسومونكم من سامه
خسفا اذا اولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم اذا ما الملك سام
الناس خسفا ابينا ان نقر الخسف فينا واصله
من سام السلعة اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم سوء العذاب
ويريدونكم عليه والسوء مصدر السيئ يقال اعوذ بالله من
سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب
والعذاب كله سيئ اشده وافظعه كانه قبحه بالاضافة
الى سائره يذبحون بيان لقوله يسومونكم ولذلك ترك العاطف
كقوله يضاهئون قول الذين كفروا وقرأ الزهري يذبحون
بالتخفيف كقولك قطعت الثياب وقطعتها وقرأ عبد الله
يقتلون وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة انذروا فرعون بانه
يولد مولود يكون على يده هلاكه كما انذر نمرود فلم يغن
عنهما فلم تغن عنهما اجتهادهما في التحفظ وكان ما شاء الله والبلاء
المحنة ان اشير بذلكم الى صنيع فرعون والنعمة ان اشير به
الى الانجاء فرقنا فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك
لكم وقرئ فرّقنا بمعنى فصّلنا يقال فرق بين الشيئين وفرّق
بين الاشياء لان المسالك كانت اثني عشر على عدد الاسباط

لعل الكوفة كسرى بالكسر والبصرة بالفتح

يصف المحنة

السوم جاء بمعنى عذاب وظلم

اسم ممدود من البلاء وهو الاختبار

واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون

جمع سبط وهو القبيلة والاسباط في بني اسحاق كالقبائل في بني اسماعيل

فان قلت ما معنى بكم قلت فيه اوجه ان يراد انهم كانوا
يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكانما فرق بهم كما يفرق
بين الشيئين بما يوسط بينهما وان يراد فرقناه بسببكم وبسبب
انجائكم وان يكون في موضع الحال بمعنى فرقناه ملتبسا بكم كقوله
تدوس بنا الجماجم والتريبا اي تدوسها ونحن راكبوها وروي
ان بني اسرائيل قالوا لموسى اين اصحابنا لا نراهم قال سيروا
فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم
اعني على اخلاقهم السيئة فاوحي اليه ان قل بعصاك
هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا
وتسامعوا كلامهم وانتم تنظرون الى ذلك وتشاهدونه لا
تشكون فيه لما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون
ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله موسى ان ينزل
عليه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي
الحجة وقيل اربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالي
وقرئ واعدنا لان الله تعالى وعده الوحي ووعد هو المجيء
للميقات الى الطور من بعده من بعد مضيه الى الطور وانتم
ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم من بعد ذلك
من بعد ارتكابكم الامر العظيم وهو اتخاذكم العجل لعلكم تشكرون
ارادة ان تشكروا النعمة في العفو عنكم الكتاب والفرقان
يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق
والباطل يعني التوراة كقولك رايت الغيث والليث
تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة ونحوه قوله تعالى
ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا يعني
الكتاب

وإذ واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون

بين كونه فرقانا وضياء وذكرا او التوراة والبرهان الفارق
بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات
او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان
انفراق البحر وقيل النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله
يوم الفرقان يريد به يوم بدر قوله فاقتلوا انفسكم على
الظاهر وهو البخع وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل
امر من لم يعبد العجل ان يقتلوا العبدة وروي ان الرجل
كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنهم المضي
لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون
تحتها وامروا ان يحتبوا بافنية بيوتهم ويقعد الذين لم يعبدوا
العجل بالسيوف وقيل لهم اصبروا فلعن الله من مد طرفه
او حل حبوته او اتقى بيد او رجل فيقولون آمين فقتلوهم
الى المساء حتى دعا موسى وهارون وقالا يا رب هلكت
بنو اسرائيل البقية البقية فكشفت السحابة ونزلت
التوبة فسقطت الشفار من ايديهم وكانت القتلى سبعين
الفا فان قلت ما الفرق بين الفاءات قلت الاولى
للتسبيب لا غير لان الظلم سبب التوبة والثانية
للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم
من قبل ان الله تعالى جعل توبتهم قتل انفسهم ويجوز ان يكون
القتل تمام توبتهم فيكون المعنى فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل
تتمة لتوبتكم والثالثة متعلقة بمحذوف ولا تخلو اما ان ينتظم
في قول موسى لهم فتتعلق بشرط محذوف كانه قال فان فعلتم
فقد تاب عليكم واما ان يكون خطابا من الله لهم على طريقة
الالتفات

وإذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم

فيكون التقدير فعلتم ما امركم به موسى فتاب عليكم بارئكم فان قلت
من اين اختص هذا الموضع بذكر البارئ قلت البارئ
هو الذي خلق الخلق بريئا من التفاوت ما ترى في خلق الرحمن
من تفاوت ومتميزا بعضه من بعض بالاشكال المختلفة والصور
المتباينة فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم
الحكيم الذي برأهم بلطف حكمته على الاشكال المختلفة ابرياء
من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة
والبلادة في امثال العرب اشد من البقر حتى عرضوا انفسهم لسخط
الله ونزول امره بان يفك ما ركبه من خلقهم وينثر ما نظم من
صورهم واشكالهم حين لم يشكروا النعمة وغمطوها بعبادة من
لم يقدر على شيء منها وقيل القائلون السبعون الذين صعقوا
وقيل قاله عشرة آلاف منهم جهرة عيانا وهي مصدر من قولك
جهر بالقراءة وبالدعاء كأن الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية
والذي يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على المصدر لانها
نوع من الرؤية فنصبت بفعلها كما تنصب القرفصاء بفعل
الجلوس او على الحال بمعنى ذوي جهرة وقرئ جهرة بفتح الهاء
وهي اما مصدر كالغلبة واما جمع جاهر وفي هذا الكلام دليل
على ان موسى عليه السلام راجعهم القول وعرفهم ان رؤية ما لا يجوز عليه
ان يكون في جهة محال وان من استجاز على الله الرؤية فقد جعله
من جملة الاجسام والاعراض فراددوه بعد بيان الحجة ووضوح
البرهان ولجوا فكانوا في الكفر كعبدة العجل فسلط عليهم الصعقة
كما سلط على اولئك القتل تسوية بين الكفرين ودلالة على عظمهما
بعظم المحنة والصاعقة ما صعقهم اي اماتهم قيل نار وقعت
من السماء

واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون

فاحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل ارسل الله
جنودا سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وموسى
عليه السلام لم تكن صعقته موتا ولكن غشية بدليل قوله فلما افاق
والظاهر انه اصابهم ما ينظرون اليه لقوله وانتم تنظرون وقرأ
علي رضي الله عنه فاخذتكم الصعقة لعلكم تشكرون نعمة البعث بعد
الموت او نعمة الله بعدما كفرتموها اذا رأيتم بأس الله في
رميكم بالصاعقة واذاقتكم الموت وظللنا وجعلنا الغمام يظللكم
وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من
الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم
لا تتسخ ولا تبلى وينزل عليهم المن وهو الترنجبين مثل الثلج من
طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع ويبعث الله
الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها
ما يكفيه كلوا على ارادة القول وما ظلمونا يعني فظلموا بان
كفروا هذه النعم وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما
ظلمونا عليه القرية بيت المقدس وقيل اريحا من قرى
الشام امروا بدخولها بعد التيه والباب باب القرية وقيل
هو باب القبة التي كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس
في حياة موسى امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب شكرا لله
وتواضعا وقيل السجود ان ينحنوا ويتطامنوا داخلين
ليكون دخولهم بخشوع واخبات وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا
رؤوسهم فلم يخفضوها ودخلوا متزحفين على ادبارهم حطة فعلة
من الحط كالجلسة والركبة وهي خبر مبتدأ محذوف اي مسألتنا
حطة او امرك حطة والاصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة

وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين

اضرب بعصاك الحجر واللام اما للعهد والاشارة الى حجر معلوم
فقد روي انه حجر طوري حمله معه وكان حجرا مربعا له اربعة
اوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث اعين لكل سبط عين
تسيل في جدول الى السبط الذي امر ان يسقيهم وكانوا ستمائة
الف وسعة المعسكر اثني عشر ميلا وقيل اهبطه آدم من
الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا
وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل اذ رموه
بالادرة ففر به فقال له جبريل يقول الله تعالى ارفع هذا
الحجر فان فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته واما
للجنس اي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر وعن الحسن
لم يامره ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا اظهر في الحجة وابين
في القدرة وروي انهم قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض ليست
فيها حجارة فحمل حجرا في مخلاته فحيثما نزلوا القاه وقيل
كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا ان فقد
موسى عصاه متنا عطشا فاوحى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها
تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان من رخام وكان ذراعا
في ذراع وقيل مثل راس الانسان وقيل كان من آس
الجنة طوله عشرة اذرع على طول موسى وله شعبتان تتقدان
في الظلمة وكان يحمل على حمار فانفجرت الفاء متعلقة بمحذوف
اي فضرب فانفجرت او فان ضربت فقد انفجرت كما ذكرنا
في قوله فتاب عليكم وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع الا في كلام
بليغ وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان كل اناس
كل سبط منهم عينهم التي يشربون منها كلوا على ارادة
القول

وانما رفعت لتعطي معنى الثبات كقوله صبر جميل فكلانا مبتلى
والاصل صبرا على اصبر صبرا وقرأ ابن ابي عبلة بالنصب
على الاصل وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية
ونستقر فيها فان قلت هل يجوز ان تنصب حطة في قراءة
من نصبها بقولوا على معنى قولوا هذه الكلمة قلت لا يبعد
والاجود ان تنصب باضمار فعلها وتنصب محل ذلك المضمر
بقولوا وقرئ يغفر لكم على البناء للمفعول بالياء والتاء وسنزيد
المحسنين اي من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا في
زيادة ثوابه ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة فبدل الذين
ظلموا اي وضعوا مكان حطة قولا غيرها يعني انهم امروا بقول
معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى
ما امروا به ولم يمتثلوا امر الله وليس الغرض انهم امروا بلفظ
بعينه وهو لفظ الحطة فجاءوا بلفظ آخر لانهم لو جاءوا بلفظ آخر
مستقل بمعنى ما امروا به لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان
حطة نستغفرك ونتوب اليك او اللهم اعف عنا وما اشبه
ذلك وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية
حطا سمقاثا اي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم
وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون من
اغراض الدنيا وفي تكرير الذين ظلموا زيادة في تقبيح امرهم
وايذان بان انزال الرجز عليهم لظلمهم وقد جاء في سورة الاعراف
فارسلنا عليهم على الاضمار والرجز العذاب وقرئ بضم الراء
وروي انه مات منهم في ساعة بالطاعون اربعة وعشرون الفا
وقيل سبعون الفا عطشوا في التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل
له

واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين

وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها

من رزق الله مما رزقكم من الطعام وهو المن والسلوى ومن
دقل الماء ينبت منه الزروع والثمار فهو رزق يؤكل منه
ويشرب والعثى اشد الفساد فقيل لهم لا تمادوا في الفساد
في حال افسادكم لانهم كانوا متمادين فيه كانوا فلا تحمل فنزلوا الى
عكرهم فاحبوا اما كانوا فيه من النعمة وطلبت انفسهم الشقاء على
طعام واحد ارادوا ما رزقوا في التيه من المن والسلوى فان قلت
هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد قلت ارادوا بالواحد ما لا
يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة يداوم عليها
كل يوم لا يبدلها قيل لا يأكل فلان الا طعاما واحدا يراد بالوحدة
نفي التبدل والاختلاف ويجوز ان يريدوا انهما ضرب واحد لانهما
معا من طعام اهل التلذذ والتترف ونحن قوم فلاحة اهل
زراعات فلا نريد الا ما ألفناه وضرينا به من الاشياء المتفاوتة
كالبقول والحبوب ونحو ذلك ومعنى يخرج لنا يظهر لنا ويوجد والبقل
ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايب البقول التي تؤكل
النابت كالنعناع والكرفس والكراث واشباهها وقرئ وقثائها
بالضم والفوم الحنطة ومنه فوموا لنا اي اخبزوا وقيل الثوم ويدل
عليه قراءة ابن مسعود وثومها وهو للعدس والبصل ادنى الذي
هو ادنى اقرب منزلة وادون مقدارا والدنو والقرب
يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال هو داني المحل وقريب المنزلة كما
يعبر بالبعد عن عكس ذلك فيقال بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون
الرفعة والعلو وقرأ زهير الفرقبي ادنأ بالهمز من الدناءة
اهبطوا مصرا وقرئ اهبطوا بالضم انحدروا اليه من التيه
يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج وبلاد
التيه

قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير

اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة

ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهي اثنا عشر فرسخا في ثمانية
فراسخ ويحتمل ان يريد العلم وانما صرفه مع اجتماع السببين
فيه وهما التعريف والتانيث لسكون وسطه كقوله نوحا ولوطا
وفيهما العجمة والتعريف وان اريد به البلد فما فيه الا سبب واحد
وان يريد مصرا من الامصار وفي مصحف عبد الله وقرأ به
الاعمش اهبطوا مصر بغير تنوين كقوله ادخلوا مصر وقيل
هو مصرايم فعرب وضربت عليهم الذلة جعلت الذلة محيطة
بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه او
الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على
الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون اذلاء اهل مسكنة ومدقعة
اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة ان تضاعف عليهم
الجزية وباءوا بغضب من الله من قولك باء فلان بفلان
اذا كان حقيقا بان يقتل لمساواته له ومكافأته اي صاروا
احقاء بغضبه ذلك اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة
والخلاقة بالغضب اي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء وقد
قتلت اليهود لعنوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم فان قلت
قتل الانبياء لا يكون الا بغير الحق فما فائدة ذكره قلت معناه
انهم قتلوهم بغير الحق عندهم لانهم لم يقتلوا ولا افسدوا في الارض
فيقتلوا وانما نصحوهم ودعوهم الى ما ينفعهم فقتلوهم فلو سئلوا وانصفوا
من انفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل عندهم وقرأ علي
رضي الله عنه ويقتلون بالتشديد ذلك تكرار للاشارة بما عصوا
بسبب ارتكابهم انواع المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل شيء مع
كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء وقيل هو اعتداؤهم في السبت

وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون

ويجوز ان يشار بذلك الى الكفر وقتل الانبياء على معنى ان ذلك بسبب عصيانهم
واعتدائهم لانهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على
جحود الآيات وقتل الانبياء او ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا
ان الذين آمنوا بألسنتهم من غير مواطأة القلوب وهم
المنافقون والذين هادوا والذين تهودوا يقال هاد يهود
وتهود اذا دخل في اليهودية وهو هائد والجمع هود والنصارى
وهو جمع نصران يقال رجل نصران وامرأة نصرانة قال
كما سجدت نصرانة لم تحنف والياء في نصراني للمبالغة
كالتي في أحمري سموا لانهم نصروا المسيح والصابئين وهو
من صبأ اذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين
اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة من آمن من هؤلاء
الكفرة ايمانا خالصا فلهم اجرهم الذي يستوجبونه بايمانهم وعملهم
فان قلت ما محل من آمن قلت الرفع ان جعلته مبتدأ
خبره فلهم اجرهم والنصب ان جعلته بدلا من اسم ان والمعطوف
عليه فخبر ان في الوجه الاول الجملة كما هي وفي الثاني فلهم والفاء
لتضمن من معنى الشرط واذ اخذنا ميثاقكم بالعمل على ما في
التوراة ورفعنا فوقكم الطور حتى قبلتم واعطيتم الميثاق وذلك
ان موسى عليه السلام جاءهم بالالواح فرأوا ما فيها من الآصار
والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وأبوا قبولها فأمر جبريل
عليه السلام فقلع الطور من اصله ورفعه فظلله فوقهم وقال لهم موسى
ان قبلتم والا القي عليكم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما آتيناكم
من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه واحفظوا
ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه لعلكم تتقون

ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون

ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين

رجاء منكم ان تكونوا متقين او قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا
ثم توليتم ثم اعرضتم عن الميثاق والوفاء به فلولا فضل الله
عليكم بتوفيقكم للتوبة لخسرتم وقرئ خذوا ما آتيتكم وتذكروا
واذكروا السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم
السبت وان ناسا منهم اعتدوا فيه اي جاوزوا ما حد لهم
فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وذلك
ان الله ابتلاهم فما كان يبقى حوت في البحر الا اخرج خرطومه
يوم السبت فاذا مضى تفرقت كما قال تأتيهم حيتانهم يوم
سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم
فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت
الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس
في الحياض هو اعتداؤهم قردة خاسئين خبران اي كونوا
جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد فجعلناها
يعني المسخة نكالا عبرة تنكل من اعتبر بها اي تمنعه ومنه
النكل القيد لما بين يديها لما قبلها وما خلفها وما بعدها من
الامم والقرون لان مسختهم ذكرت في كتب الاولين
فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين او اريد
بما بين يديها ما بحضرتها من القرى والامم وقيل نكالا عقوبة
منكلة لما بين يديها لاجل ما تقدمها من ذنوبهم وما تأخر منها
وموعظة للمتقين للذين نهوهم عن الاعتداء من
صالحي قومهم او لكل متق سمعها كان في بني اسرائيل شيخ
موسر فقتله بنو عمه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم
جاءوا يطالبون بديته فامرهم الله ان يذبحوا بقرة

ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين

فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين

واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين

ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبرهم بقاتله قالوا أتتخذنا هزوا
أتجعلنا مكان هزؤ أو أهل هزؤ أو مهزوا بنا أو الهزؤ
نفسه لفرط الاستهزاء من الجاهلين لأن الهزؤ في مثل هذا
من باب الجهل والسفه وقرئ هزؤا بضمتين وهزءا بسكون
الزاي نحو كفؤا وكفؤا وقرأ حفص هزوا بالضمتين والواو
وكذلك كفوا والعياذ واللياذ من واد واحد وفي قراءة عبد الله
سل لنا ربك ما هي سؤال عن حالها وصفتها وذلك أنهم
تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فسألوا
عن صفة تلك البقرة العجيبة الشأن الخارجة عما عليه البقر
والفارض المسنة وقد فرضت فروضا قال خفاف بن ندبة
لعمري لقد أعطيت ضيفك فارضا تساق إليه ما تقوم على
رجل وكأنها سميت فارضا لأنها فرضت سنها أي قطعتها
وبلغت آخرها والبكر الفتية والعوان النصف قال
نواعم بين أبكار وعون وقد عونت فإن قلت بين يقتضي
شيئين فصاعدا فمن أين جاز دخوله على ذلك قلت لأنه
في معنى شيئين حيث وقع مشارا به إلى ما ذكر من الفارض والبكر
فإن قلت كيف جاز أن يشار به إلى مؤنثين وإنما هو للإشارة
إلى واحد مذكر قلت جاز ذلك على تأويل ما ذكر وما تقدم
للاختصار في الكلام كما جعلوا فعل نائبا عن أفعال جمة تذكر
تقول للرجل نعم ما فعلت وقد ذكر لك أفعالا كثيرة وقصة
طويلة كما تقول له ما أحسن ذلك وقد يجري الضمير مجرى اسم
الإشارة في هذا قال أبو عبيدة قلت لرؤبة في قوله فيها خطوط
من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق إن أردت الخطوط

فقل كأنها وإن أردت السواد والبلق كأنهما فقال أردت
كأن ذاك ويلك والذي حسن منه أن أسماء الإشارة تثنيتها
وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة وكذلك الموصولات ولذلك
جاء الذي بمعنى الجمع ما تؤمرون أي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون
به من قوله أمرتك الخير أو أمركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول
بالمصدر كضرب الأمير الفقوع أشد ما يكون من الصفرة
وأنصعه يقال في التوكيد أصفر فاقع ووارس كما تقول أسود
حالك وحانك وأبيض يقق ولهق وأحمر قانئ وذريحي وأخضر
ناضر ومدهام وأورق خطباني وأرمك رداني فإن قلت
فاقع ههنا واقع خبرا عن اللون فلم يقع توكيدا لصفراء قلت
لم يقع خبرا عن اللون إنما وقع توكيدا لصفراء إلا أنه ارتفع
اللون به ارتفاع الفاعل واللون من سببها وملتبس بها
فلم يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها
فإن قلت فهلا قيل صفراء فاقعة وأي فائدة في ذكر
اللون قلت الفائدة فيه التوكيد لأن اللون اسم للهيئة
وهي الصفرة فكأنه قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من
قولك جد جده وجنونك مجنون وعن وهب إذا نظرت
إليها خيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها والسرور
لذة في القلب عند حصول نفع أو توقعه وعن علي رضي الله عنه
من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تسر الناظرين وعن
الحسن البصري صفراء فاقع لونها سوداء شديدة السواد
ولعله مستعار من صفة الإبل لأن سوادها تعلوه صفرة
وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر وقال الأعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي
هن صفر أولادها كالزبيب

ليزدادوا

ما هي مرة ثانية تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد
بيانا لوصفها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو اعترضوا أدنى
بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء
شؤم وعن بعض الخلفاء أنه كتب إلى عامله بأن يذهب إلى قوم فيقطع
أشجارهم ويهدم دورهم فكتب إليه بأيهما أبدأ فقال إن قلت
لك بقطع الشجر سألتني بأي أصنافه أم ما عنه فإن بينت لك قلت
أذكر أم أنثى فإن أخبرتك قلت أسوداء أم بيضاء فإذا أمرتك
بشيء فلا تراجعني وفي الحديث أعظم الناس جرما من سأل
عن شيء لم يحرم فحرم لأجل مسألته إن البقر تشابه علينا إن
البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا أيها
نذبح وقرئ تشابه بمعنى تتشابه بطرح التاء وإدغامها في
الشين وتشابهت ومتشابهة ومتشابه وقرأ محمد ذو الشامة
إن الباقر يشابه بالياء والتشديد جاء في الحديث لو لم يستثنوا
لما بينت لهم آخر الأبد أي لو لم يقولوا إن شاء الله والمعنى إنا
لمهتدون إلى البقرة المراد ذبحها أو إلى ما خفي علينا من أمر القاتل
لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني لم تذلل للكراب
وإثارة الأرض ولا هي من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحروث
ولا الأولى للنفي والثانية مزيدة لتوكيد الأولى لأن المعنى لا
ذلول تثير وتسقي على أن الفعلين صفتان لذلول كأنه قيل لا
ذلول مثيرة وساقية وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي لا ذلول
بمعنى لا ذلول هناك أي حيث هي وهو نفي لذلها ولأن توصف
به فيقال هي ذلول ونحوه قولك مررت بقوم لا بخيل ولا جبان
أي فيهم أو حيث هم وقرئ تسقي بضم التاء من أسقى مسلمة سلمها
الله

لان في الجملة لا بد من الضمير

من العيوب أو معفاة من العمل سلمها أهلها منه كقوله أو معيبة
الظهر بريئة عن وليتها ما حج ربها في الدنيا ولا اعتمرا أو مخلصة
اللون من سلم له كذا إذا خلص له لم يشب صفرتها شيء
من الألوان لا شية فيها لا لمعة في نقبتها من لون آخر سوى
الصفرة فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهي في الأصل
مصدر وشاه وشيا وشية إذا خلط بلونه لونا آخر ومنه ثور
موشى القوائم الآن جئت بالحق أي بحقيقة وصف البقرة
وما بقي إشكال في أمرها فذبحوها أي فحصلوا البقرة الجامعة
لهذه الأوصاف كلها فذبحوها وقوله وما كادوا يفعلون استثقال
لاستقصائهم واستبطاء لهم وأنهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم
ما كادوا يذبحونها وما كادت تنتهي سؤالاتهم وما كاد ينقطع
خيط إسهابهم فيها وتعمقهم وقيل وما كادوا يذبحونها لغلاء
ثمنها وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل وروي أنه كان في بني
إسرائيل شيخ صالح له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم إني
استودعتكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت
من أحسن البقر وأسمنه فساوموها اليتيم وأمه حتى
اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة
دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة أربعين سنة فإن قلت
كانت البقرة التي تناولها الأمر بقرة من شق البقر غير مخصوصة
ثم انقلبت مخصوصة بلون وصفات فذبحوا المخصوصة فما فعل
الأمر الأول قلت رجع منسوخا لانتقال الحكم إلى البقرة المخصوصة
والنسخ قبل الفعل جائز على أن الخطاب كان للإبهام متناولا
لهذه البقرة الموصوفة كما تناول غيرها ولو وقع الذبح عليها بحكم الخطاب

قبل التخصيص لكان امتثالاً لانكر لكنه اذا وقع عليها بعد التخصيص
وإذ قتلتم نفساً خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم فادّارأتم فاختلفتم
واختصمتم في شأنها لأن المتخاصمين يدفع بعضهم بعضاً أو
يدفعه ويزحمه أو تدافعتم بأن طرح قتلها بعضكم على بعض فدفع
المطروح عليه الطارح أو لأن الطرح في نفسه دفع أو دفع بعضكم
بعضاً عن البراءة واتهمه والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهره لا محالة
ما كتمتم من أمر القتل لا يتركه مكتوماً فإن قلت كيف أعمل مخرج
وهو في معنى المضي قلت قد حكى ما كان مستقبلاً في وقت
التدارؤ كما حكى الحاضر في قوله باسط ذراعيه وهذه الجملة اعتراض
بين المعطوف والمعطوف عليه وهما ادّارأتم فقلنا والضمير في
اضربوه إما أن يرجع إلى النفس والتذكير على تأويل الشخص والإنسان
وإما إلى القتيل لما دل عليه من قوله ما كنتم تكتمون ببعضها ببعض
البقرة واختلف في البعض الذي ضرب فقيل لسانها وقيل
فخذها اليمنى وقيل عجبها وقيل العظم الذي يلي الغضروف
وهو أصل الأذن وقيل الأذن وقيل البضعة بين الكتفين
والمعنى فضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة قوله كذلك يحيي الله
الموتى روي أنهم لما ضربوه قام بإذن الله وأوداجه تشخب دماً
وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتاً فأُخذا وقتلا ولم
يورث قاتل بعد ذلك كذلك يحيي الله الموتى إما أن يكون
خطاباً للذين حضروا حياة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله
الموتى يوم القيامة ويريكم آياته دلائله على أنه قادر على كل شيء
لعلكم تعقلون تعملون على قضية عقولكم وأن من قدر على إحياء
نفس واحدة قدر على إحياء الأنفس كلها لعدم الاختصاص حتى لا ينكروا البعث

وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون

وإما أن يكون خطاباً للمنكرين في زمن رسول الله فإن قلت
هلا أحياه ابتداءً ولم شرط في إحيائه ذبح البقرة وضربه
ببعضها قلت في الأسباب والشروط حكم وفوائد وإنما شرط
ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب وأداء الواجب واكتساب
الثواب والإشعار بحسن تقديم القربة على الطلب وما في
التشديد عليهم لتشديدهم من اللطف لهم وللآخرين في ترك التشديد
والمسارعة إلى امتثال أوامر الله وارتسامها على الفور من غير
تفتيش وتكثير سؤال ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة
البر بالأبوين والشفقة على الأولاد وتجهيل الهازئ بما لا يعلم
كنهه ولا يطلع على حقيقته من كلام الحكماء وبيان أن من حق المتقرب
إلى ربه أن يتنوق في اختيار ما يتقرب به وأن يختاره فتي السن
غير قحم ولا ضرع حسن اللون بريئاً من العيوب يونق من ينظر
إليه وأن يغالي بثمنه كما يروى عن عمر رضي الله عنه أنه ضحى بنجيبة
بثلاثمائة دينار وأن الزيادة في الخطاب نسخ له وأن النسخ قبل
الفعل جائز وإن لم يجز قبل وقت الفعل وإمكانه لأدائه إلى
البداء وليعلم بما أمر من مس الميت بالميت وحصول الحياة
عقيبه أن المؤثر هو المسبب لا الأسباب لأن الموتين الحاصلين
في الجسمين لا يعقل أن يتولد منهما حياة فإن قلت فما للقصة
لم تقص على ترتيبها وكان حقها أن يقدم ذكر القتيل والضرب
ببعض البقرة على الأمر بذبحها وأن يقال وإذ قتلتم نفساً فادارأتم
فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها قلت كل ما قص من
قصص بني إسرائيل إنما قص تعديداً لما وجد منهم من الجنايات
وتقريعاً لهم عليها ولما جدد فيهم من الآيات العظام وهاتان
قصتان

كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين فالاولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الآية العظيمة وانما قدمت قصة الامر بذبح البقرة على ذكر القتيل لانه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض في تثنية التقريع ولقد روعيت نكتة بعدما استؤنفت الثانية استئناف قصة برأسها ان وصلت بالاولى دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله اضربوه ببعضها حتى تبين انهما قصتان فيما يرجع الى التقريع وتثنيته باخراج الثانية مخرج الاستئناف مع تأخيرها وانهما قصة واحدة بالضمير الراجع الى البقرة ثم قست استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها ونحوه ثم انتم تمترون وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار وان المواعظ لا تؤثر فيها وذلك اشارة الى احياء القتيل او الى جميع ما عدد من الآيات المعدودة فهي كالحجارة في قسوتها مثل الحجارة او اشد قسوة منها واشد معطوف على الكاف اما على معنى او مثل اشد قسوة فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الاعمش بنصب الدال عطفا على الحجارة واما على او هي في انفسها اشد قسوة والمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بجوهر اقسى منها وهو الحديد مثلا او من عرفها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة فان قلت لم قيل اشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه افعل التفضيل وفعل التعجب قلت لكونه ابين وادل على فرط القسوة

ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون

ووجه آخر وهو ان لا يقصد معنى الاقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كأنه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم اشد قسوة وقرئ قساوة وترك ضمير المفضل عليه لعدم الالباس كقولك زيد كريم وعمرو اكرم وقوله وان من الحجارة بيان لفضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة وتقرير لقوله او اشد قسوة وقرئ وان بالتخفيف وهي ان المخففة من الثقيلة التي تلزمها اللام الفارقة ومنها قوله وان كل لما جميع والتفجر التفتح بالسعة والكثرة وقرأ مالك بن دينار ينفجر يشقق يتشقق وبه قرأ الاعمش والمعنى ان من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير الغزير ومنها ما يتشقق انشقاقا بالطول او بالعرض فينبع منه الماء ايضا يهبط يتردى من اعلى الجبل وقرئ بضم الباء والخشية مجاز عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما امرت به وقرئ يعملون بالياء والتاء وهو وعيد افتطمعون الخطاب لرسول الله والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان يصدقوكم او يؤمنوا لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم لقوله فآمن له لوط يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة ممن سلف منهم يسمعون كلام الله يعني ما يتلونه من التوراة ثم يحرفونه كما حرفوا صفة رسول الله وآية الرجم وقيل كان قوم من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما امر به ونهى ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا بأس وقرئ كلم الله من بعد ما عقلوه من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم يبق لهم شبهة في صحته

افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون

وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون والمعنى ان كفر هؤلاء وحرفوا
فلهم سابقة في ذلك وإذا لقوا يعني اليهود قالوا اي منافقوهم
آمنا بانكم على الحق وان محمدا هو الرسول المبشر به وإذا خلا بعضهم
الذين لم ينافقوا الى بعض الى الذين نافقوا قالوا عاتبين عليهم
أتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التوراة من صفة محمد
او قال المنافقون لاعقابهم يرونهم التصلب في دينهم اتحدثونهم
انكارا عليهم ان يفتحوا عليهم شيئا في كتابهم فينافقون المؤمنين
وينافقون اليهود ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم
في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند
الله الا تراك تقول هو في كتاب الله هكذا وهو عند الله هكذا
بمعنى واحد يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن ذلك اسرارهم
الكفر واعلانهم الايمان ومنهم اميون لا يحسنون الكتب فيطالعوا
التوراة ويتحققوا ما فيها لا يعلمون الكتاب التوراة الا اماني
الا ما هم عليه من امانيهم وان الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يواخذهم
بخطاياهم وان اباءهم الانبياء يشفعون لهم وما يمنيهم احبارهم
من ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا اكاذيب
مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد قال اعرابي
لابن دأب في شيء حدث به اهذا شيء رويته ام تمنيته اي
اختلقته وقيل الا ما يقرءون من قوله تمنى كتاب الله اول ليلة
والاشتقاق من منى اذا قدر لان المتمني يقدر في نفسه ويحزر ما
يتمناه وكذلك المختلق والقارئ يقدر ان كلمة كذا بعد كذا
والا اماني من الاستثناء المنقطع وقرئ اماني بالتخفيف ذكر
العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم والاستيقان ثم العوام
الذين

وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون

ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون

فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون

قلدوهم ونبه على انهم في الضلال سواء لان العالم عليه ان يعمل
وعلى العامي ان لا يرضى بالتقليد والظن وهو متمكن من العلم
يكتبون الكتاب المحرف بايديهم تاكيد وهو من مجاز التاكيد كما
تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه يا هذا كتبته بيمينك هذا مما يكسبون
من الرشى اياما معدودة اربعين يوما عدد ايام عبادة العجل
وعن مجاهد كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب
مكان كل الف سنة يوما فلن يخلف متعلق بمحذوف تقديره ان
اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وام اما ان تكون
معادلة بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير لان العلم واقع
بكون احدهما ويجوز ان تكون منقطعة بلى اثبات لما بعد حرف
النفي وهو قوله لن تمسنا النار اي بلى تمسكم ابدا بدليل قوله هم فيها خالدون
من كسب سيئة من السيئات يعني كبيرة من الكبائر واحاطت
به خطيئته تلك واستولت عليه كما يحيط العدو ولم يتفص عنها
بالتوبة وقرئ خطاياه وخطيئاته وقيل في الاحاطة كان ذنبه
اغلب من طاعته وسال رجل الحسن فقال سبحان الله الا اراك
ذا لحية وما تدري ما الخطيئة المحيطة لا تعبدون اخبار في معنى
النهي كما تقول تذهب الى فلان تقول له كذا تريد الامر وهو ابلغ
من صريح الامر والنهي لانه كانه سورع الى الامتثال والانتهاء
فهو يخبر عنه وينصره قراءة عبد الله وابي لا تعبدوا والامر
ارادة القول ويدل عليه ايضا قوله وقولوا وقوله وبالوالدين احسانا
اما ان يتعلق بتحسنون بالوالدين او احسنوا وقيل هو جواب قوله
اخذنا ميثاق بني اسرائيل اجراء له مجرى القسم كانه قيل واذ
اقسمنا عليهم لا تعبدون وقيل معناه ان لا تعبدوا فلما حذف ان
رفع

وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون

والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون

وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون

كقوله ألا أيهذا الزاجري أحضرُ الوغى وتدل عليه قراءة
عبد الله أن لا تعبدوا ويحتمل أن لا تعبدوا أن تكون أن
فيه مفسرة وأن تكون أن مع الفعل بدلا عن الميثاق كأنه
قيل أخذنا ميثاق بني إسرائيل توحيدهم وقرئ بالتاء
حكاية لما خوطبوا به وبالياء لأنهم غيب حسنا قولا هو
حسن في نفسه لإفراط حسنه وقرئ حُسنا وحُسنى على
المصدر كبشرى ثم توليتم على طريقة الالتفات أي
توليتم عن الميثاق ورفضتموه إلا قليلا منكم قيل هم الذين
أسلموا منهم وأنتم معرضون وأنتم قوم عادتكم الإعراض
عن المواثيق والتولية لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون
أنفسكم لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه إذا
اتصل به أصلا أو دينا وقيل إذا قتل غيره فكأنما
قتل نفسه لأنه يقتص منه ثم أقررتم بالميثاق واعترفتم
على أنفسكم بلزومه وأنتم تشهدون عليها كقولك فلان
مقر على نفسه بكذا شاهد عليها وقيل وأنتم تشهدون اليوم
يا معشر اليهود على إقرار أسلافكم بهذا الميثاق ثم أنتم
هؤلاء استبعاد لما أسند إليهم من القتل والإجلاء
والعدوان بعد أخذ الميثاق منهم وإقرارهم وشهادتهم
والمعنى ثم أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعني أنكم
قوم آخرون غير أولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة
تغير الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذي خرجت به
وقوله تقتلون بيان لقوله ثم أنتم هؤلاء وقيل هؤلاء موصول
بمعنى الذي وقرئ تظاهرون بحذف التاء وإدغامها

وتتظاهرون بإثباتها وتظّهّرون بمعنى تتظهرون أي تتعاونون عليهم
وقرئ تفدوهم وتفادوهم وأسرى وأسارى وهو ضمير الشأن
ويجوز أن يكون مبهما تفسيره إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب
أي بالفداء وتكفرون ببعض أي بالقتال والإجلاء وذلك أن
قريظة كانوا حلفاء الأوس والنضير حلفاء الخزرج فكان
كل فريق يقاتل مع حلفائه وإذا غلبوا خربوا ديارهم وأخرجوهم
وإذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب
وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون أمرنا أن نفديهم
وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي أن نذل حلفاءنا والخزي
قتل بني قريظة وأسرهم وإجلاء بني النضير وقيل الجزية وإنما
رد من فعل منهم ذلك إلى أشد العذاب لأن عصيانه أشد
وقرئ يردون ويعملون بالياء والتاء فلا يخفف عنهم عذاب
الدنيا بنقصان الجزية ولا ينصرهم أحد بالدفع عنهم وكذلك عذاب
الآخرة الكتاب التوراة آتاه إياها جملة واحدة ويقال
قفاه إذا أتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه به
إذا أتبعه إياه يعني وأرسلنا على أثره الكثير من الرسل كقوله
ثم أرسلنا رسلنا تترى وهم يوشع وأشمويل وشمعون وداود
وسليمان وشعيا وأرميا وعزير وحزقيل وإلياس واليسع
ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وقيل عيسى بالسريانية
أيشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل مريم بالعربية من
النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة قلت لزير
لم تصله مريمه ووزن مريم عند النحويين مفعل لأن فعيلا
بفتح الفاء لم يثبت في الأبنية كما ثبت نحو عثير وعليب

البينات المعجزات الواضحات والحجج كإحياء الموتى وإبراء الأكمه
والأبرص والإخبار بالمغيبات وقرئ وآيدناه من آجده
بالجيم إذا قواه يقال الحمد لله الذي آجدني بعد ضعف
وأوجدني بعد فقر بروح القدس بالروح المقدسة كما يقول
حاتم الجود ورجل صدق ووصفها بالقدس كما قال وروح
منه فوصفه بالاختصاص والتقريب للكرامة وقيل لأنه
لم تضمه الأصلاب ولا أرحام الطوامث وقيل بجبريل
وقيل بالإنجيل كما قال في القرآن روحا من أمرنا وقيل
باسم الله الأعظم الذي يحيي الموتى بذكره والمعنى ولقد آتينا
يا بني إسرائيل أنبياءكم ما آتيناهم أفكلما جاءكم رسول منهم
بالحق استكبرتم عن الإيمان به فوسط الهمزة بين الفاء وما تعلقت به
توبيخا وتعجيبا من شأنهم ويحتمل أن يريد ولقد آتيناهم ما آتيناهم
ففعلتم ما فعلتم ثم وبخهم على ذلك ودخول الفاء لعطفه على المقدر
فإن قلت هلا قال وفريقا قتلتم قلت هو على وجهين أن يراد
الحال الماضية لأن الأمر فظيع فأريد استحضاره في النفوس وتصويره
في القلوب وأن يراد وفريقا تقتلونهم بعد لأنكم حول قتل محمد عليه السلام
لولا أني أعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقال عليه السلام
عند موته ما زالت أكلة خيبر تعاودني فهذا أوان قطعت أبهري
غلف جمع أغلف أي هي خلقة وجبلة مغشاة بأغطية لا يتوصل
إليها ما جاء به محمد ولا تفقهه مستعار من الأغلف الذي لم يختن كقوله
قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه ثم رد الله أن تكون قلوبهم مخلوقة
كذلك لأنها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق بأن الله
لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم فهم الذين غلفوا قلوبهم بما أحدثوا من

الكفر

وما قالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين

الزائغ عن الفطرة وتسببوا بذلك لمنع الألطاف التي تكون للمتوقع
إيمانهم وللمؤمنين فقليلا ما يؤمنون فإيمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة
وهو إيمانهم ببعض الكتاب ويجوز أن يكون القلة بمعنى العدم وقيل
غلف تخفيف غلف جمع غلاف أي قلوبنا أوعية للعلم فنحن مستغنون
بما عندنا عن غيره وروي عن أبي عمرو قلوبنا غلف بضمتين كتاب من
عند الله هو القرآن مصدق لما معهم من كتابهم لا يخالفه وقرئ
مصدقا على الحال فإن قلت كيف جاز نصبها عن النكرة قلت
إذا وصفت النكرة تخصصت فصح انتصاب الحال عنها وقد وصف
كتاب بقوله من عند الله وجواب لما محذوف وهو كذبوا به
واستهانوا بمجيئه وما أشبه ذلك يستفتحون على الذين كفروا يستنصرون
على المشركين إذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في
آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التوراة ويقولون لأعدائهم
من المشركين قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه
قتل عاد وإرم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم
أن نبيا يبعث منهم قد قرب أوانه والسين للمبالغة أي يسألون
أنفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر أو يسأل بعضهم
بعضا أن يفتح عليهم فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به بغيا
وحسدا وحرصا على الرياسة على الكافرين أي عليهم ووضع
الظاهر موضع المضمر للدلالة على أن اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام
للعهد ويجوز أن تكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا أوليا ما نكرة
منصوبة مفسرة لفاعل بئس بمعنى بئس شيئا اشتروا به أنفسهم
والمخصوص بالذم أن يكفروا واشتروا بمعنى باعوا بغيا حسدا
وطلبا لما ليس لهم وهو علة اشتروا أن ينزل لأن ينزل
مفعول له

بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين

او على ان ينزل اي حسدوه على ان ينزل الله من فضله الذي
هو الوحي على من يشاء من عباده لرسالته فباءوا بغضب
على غضب فصاروا احقاء بغضب مترادف لانهم كفروا بنبي الحق
وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد بعد عيسى وقيل بعد قولهم عزير ابن الله
وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من انواع كفرهم بما انزل الله مطلق
فيما انزل الله من كل كتاب قالوا نؤمن بما انزل علينا مقيدا بالتورية
ويكفرون بما وراءه اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التورية
وهو الحق مصدقا لما معهم منها غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم لانهم
اذا كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا بها ثم اعترض عليهم بقتلهم
الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتورية والتورية لا تسوغ قتل الانبياء
وانتم ظالمون يجوز ان يكون حالا اي عبدتم العجل وانتم واضعون
العبادة غير موضعها وان يكون اعتراضا بمعنى وانتم قوم عادتكم
الظلم وكرر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الاولى
مع ما فيه من التوكيد واسمعوا ما امرتم به في التورية قالوا سمعنا
قولك وعصينا امرك فان قلت فكيف طابق قوله جوابهم قلت
طابقه من حيث انه قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة
فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة واشربوا في قلوبهم العجل
اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ
وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون في بطونهم
نارا بكفرهم بسبب كفرهم قل بئسما يامركم به ايمانكم بالتورية لانه
ليس في التورية عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم كما قال
قوم شعيب اصلواتك تامرك وكذلك اضافة الايمان اليهم وقوله ان كنتم
مؤمنين تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعواهم له خالصة
نصب

واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يامركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين

قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين

على الحال من الدار الآخرة والمراد الجنة اي سالمة لكم خاصة
بكم ليس لاحد سواكم فيها حق يعني ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا
من كان هودا او نصارى والناس للجنس وقيل للعهد
وهم المسلمون فتمنوا الموت لان من ايقن انه من اهل
الجنة اشتاق اليها وتمنى سرعة الوصول الى النعيم والتخلص
من الدار ذات الشوائب كما روي عن المبشرين بالجنة ما
روي كان علي رضي الله عنه يطوف بين الصفين في غلالة فقال
له ابنه الحسن ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي
ابوك على الموت سقط ام عليه سقط الموت وعن حذيفة
انه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا
افلح من ندم يعني على التمني وقال عمار بصفين الآن الاقي
الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة يحب
الموت ويحن اليه وعن انس عن النبي عليه السلام لو تمنوا الموت
لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض
يهودي بما قدمت ايديهم بما اسلفوا من موجبات النار
من الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به وتحريف كتاب
الله تعالى وسائر انواع الكفر والعصيان وقوله ولن يتمنوه
ابدا من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر
كقوله ولن تفعلوا فان قلت ما ادراك انهم لم يتمنوا قلت
لانهم لو تمنوا لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث ولكان
ناقلوه من اهل الكتاب وغيرهم من اولي المطاعن
في الاسلام اكثر من الذر وليس منهم احد نقل ذلك
فان قلت التمني من اعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه
احد

فمن اين علمت انهم لم يتمنوا قلت ليس التمني من اعمال القلوب
انما هو قول الانسان بلسانه ليت لي كذا اذا قاله قالوا تمنى
وليت كلمة التمني ومحال ان يقع التحدي بما في الضمائر
والقلوب ولو كان التمني بالقلوب وتمنوا لقالوا قد تمنينا
الموت في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك فان قلت لم
يقولوه لانهم علموا انهم لا يصدقون قلت كم حكي عنهم من
اشياء قاولوا بها المسلمين من الافتراء على الله تعالى
وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا انهم غير مصدقين
فيه ولا محمل له الا الكذب البحت ولم يبالوا فكيف
يمتنعون من ان يقولوا ان التمني من افعال القلوب
وقد فعلناه مع احتمال ان يكونوا صادقين في قولهم
واخبارهم عن ضمائرهم وكان الرجل يخبر عن نفسه
بالايمان فيصدق مع احتمال ان يكون كاذبا لانه امر
خاف لا سبيل الى الاطلاع عليه والله عليم بالظالمين
تهديد لهم ولتجدنهم هو من وجد بمعنى علم المتعدي الى مفعولين
في قولهم وجدت زيدا ذا الحفاظ ومفعولاه هم احرص
فان قلت لم قال على حيوة بالتنكير قلت لانه اراد
حيوة مخصوصة وهي الحيوة المتطاولة ولذلك كانت
القراءة بها اوقع من قراءة ابي على الحيوة ومن الذين
اشركوا محمول على المعنى لان معنى احرص الناس احرص
من الناس فان قلت الم يدخل الذين اشركوا
تحت الناس قلت بلى ولكنهم افردوا بالذكر لان
حرصهم شديد ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا

ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون

فحذف لدلالة احرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لان الذين
اشركوا لا يؤمنون بعاقبة ولا يعرفون الا الحيوة الدنيا
فحرصهم عليها لا يستبعد لانها جنتهم فاذا زاد عليهم في
الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا باعظم
التوبيخ فان قلت لم زاد حرصهم على حرص المشركين
قلت لانهم علموا لعلمهم بحالهم انهم صائرون الى النار
لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك وقيل اراد بالذين
اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش الف نيروز
والف مهرجان وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو قول
الاعاجم زي هزار سال وقيل ومن الذين اشركوا كلام
مبتدأ اي ومنهم ناس يود احدهم على حذف الموصوف
كقوله وما منا الا له مقام معلوم والذين اشركوا على هذا
مشار به الى اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله والضمير
في وما هو لاحدهم وان يعمر فاعل بمزحزحه اي وما احدهم
بمن يزحزحه من النار تعميره وقيل الضمير لما دل
عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه ويجوز ان يكون
مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة التبعيد والانحاء
فان قلت يود احدهم ما موقعه قلت هو بيان لزيادة
حرصهم على طريق الاستئناف فان قلت كيف اتصل
لو يعمر بيود احدهم قلت هو حكاية لودادتهم ولو
في معنى التمني وكان القياس لو اعمر الا انه جرى على
لفظ الغيبة لقوله يود احدهم كقولك حلف بالله ليفعلن
لكن ان عبد الله [illegible] من اجناد ذلكم

جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عمن يهبط عليه بالوحي
فقال جبريل عليه السلم فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا
بك وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت
المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل
غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاكه
فانه لا يسلطكم عليه وان لم يكن اياه فعلى اي حق تقتلونه وقيل
امره الله تعالى ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروي انه كان
لعمر رضي الله عنه ارض باعلى المدينة وكان ممره على مدارس اليهود
وكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا
لنطمع فيك فقال والله ما اجيئكم لحبكم ولا اسألكم لاني شاك في
ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد وارى آثاره
في كتابكم ثم سألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على
اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وان ميكائيل يجيء بالخصب
والسلام فقال لهم وما منزلتهما عند الله قالوا اقرب منزلة جبريل
عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر لئن
كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان
عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا
لله ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال النبي عليه السلم
لقد وافقك ربك يا عمر قال عمر رضي الله عنه لقد رأيتني في دين
الله بعد ذلك اصلب من الحجر وفي جبريل بوزن قنديل
وجبرئل بلام مشددة وجبرائيل بوزن جبراعيل
وجبرائل بوزن جبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة
وقيل معناه عبد الله الضمير في نزله للقرآن ونحو هذا الاضمار

قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين

اعني اضمار ما لم يسبق ذكره فيه فخامة لشأن صاحبه حيث يجعل
لفرط شهرته كانه يدل على نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح
بذكر شيء من صفاته على قلبك اي حفظه اياك وفهمكه باذن
الله تعالى بتيسيره وتسهيله فان قلت كان حق الكلام ان
يقال على قلبي قلت جاءت على حكاية كلام الله تعالى
كما تكلم به كانه قيل قل ما تكلمت به من قولي من كان عدوا
لجبريل فانه نزله على قلبك فان قلت كيف استقام قوله فانه نزله
جزاء للشرط قلت فيه وجهان احدهما ان عادى جبريل
احد من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا
مصدقا للكتب بين يديه فلو انصفوا لاحبوه وشكروا له
صنيعه في انزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم والثاني ان
عاداه احد فالسبب في عداوته انه نزل عليك القرآن
مصدقا لكتابهم وموافقا له وهم كارهون للقرآن ولموافقته
لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له كقولك
ان عاداك فلان فقد آذيته واشارة اليه افرد الملكان
بالذكر لفضلهما كانهما من جنس آخر وهو مما ذكر ان التغاير
في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات وقرئ ميكال
بوزن قنطار وميكائيل كميكاعيل وميكائل كميكاعل
وميكئل كميكعل وميكئيل كميكعيل قال ابن جني العرب
اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه عدو للكافرين اراد عدو
لهم فجاء بالظاهر ليدل على ان الله انما عاداهم لكفرهم وان
عداوة الملائكة كفر واذا كانت عداوة الانبياء كفرا
فما بال الملائكة وهم اشرف والمعنى من عاداهم عاداه الله

من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين

ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون

وعاقبه اسد العقاب الا الفاسقون الا المتمردون من الكفرة
وعن الحسن اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم
ذلك النوع من كفر وغيره وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ابن
صوريا لرسول الله عليه السلام ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل
عليك من آية فنتبعك لها فنزلت واللام في الفاسقون
للجنس والاحسن ان يكون اشارة الى اهل الكتاب اوكلما الواو
للعطف على محذوف معناه اكفروا بالآيات البينات وكلما
عاهدوا وقرأ ابو السمال بسكون الواو على ان الفاسقين بمعنى
الذين فسقوا فكانه قيل وما يكفر بها الا الذين فسقوا او نقضوا
عهد الله مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا واليهود موسومون
بالغدر ونقض العهود وكم اخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا
وكم عاهدهم رسول الله فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون
عهدهم في كل مرة والنبذ الرمي بالذمام ورفضه وقرأ عبد الله
نقضه فريق منهم وقال فريق منهم لان منهم من لم ينقض بل
اكثرهم لا يؤمنون بالتورية وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون
نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به كتاب الله يعني التورية
لانهم بكفرهم برسول الله المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها
وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعدما لزمهم تلقيه بالقبول
كانهم لا يعلمون انه كتاب الله لا يداخلهم فيه شك يعني ان
علمهم بذلك رصين ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذوه وراء ظهورهم
مثل لتركهم واعراضهم عنه مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء
عنه وقلة الالتفات اليه وعن الشعبي هو بين ايديهم يقرؤونه
ولكنهم نبذوا العمل به وعن سفيان ادرجوه في الديباج والحرير

وهو ابو عيينة دون الثوري

اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل اكثرهم لا يؤمنون ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون

اورد هذا الكلام للاستشهاد على قوله كم اخذ الله الميثاق منهم ومن ... والاستشهاد بها ... لانها وردت في بني قريظة وهم من اهل الكتاب ذكره المصنف في سورة الانفال في هذه الآية

اي بعد السدي على قول الشعبي وسفيان فما ادار بعد كتاب الله التورية

وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه واتبعوا
اي نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين يعني واتبعوا
كتب السحر والشعوذة التي كانت تقرؤها على ملك
سليمان اي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك ان الشياطين
كانوا يسترقون السمع ثم يضمون الى ما سمعوا اكاذيب
يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد دونوها في كتب
يقرؤونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمن سليمان
حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم
سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وبه يسخر
الانس والجن والريح التي تجري بامره وما كفر سليمان
تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من
اعتقاد السحر والعمل به وسماه كفرا ولكن الشياطين كفروا
هم الذين كفروا باستعمال السحر وتدوينه يعلمون الناس
السحر يقصدون به اغواءهم واضلالهم وما انزل على
الملكين عطف على السحر اي ويعلمونهم ما انزل على الملكين
وقيل هو عطف على ما تتلوا اي واتبعوا ما انزل وهاروت
وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما والذي انزل عليهما
هو علم السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه منهم وعمل به
كان كافرا ومن تجنبه او تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه
ولئلا يغتر به كان مؤمنا عرفت الشر لا للشر لكن
لتوقيه ومن لم يعرف الشر من الناس يقع فيه كما ابتلي
قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه
فانه مني وقرأ الحسن على الملكين بكسر اللام على ان المنزل
عليهما

واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر

قبل نبينا محمد عليه السلام فلما ولد ... كلاما ... السماء الدنيا ... وذكر المصنف ... يسترق السمع ... كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات ولما ولد محمد عليه السلام منعوا من السموات كلها

وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق

علم السحر كانا ملكين بابل وما يعلمان من احد حتى ينبهاه
وينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة اي ابتلاء واختبار من
الله فلا تكفر فلا تتعلم معتقدا انه حق فتكفر فيتعلمون منهما الضمير
لما دل عليه من احد اي فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون
به بين المرء وزوجه اي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق
بين الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك
مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز والخلاف ابتلاء منه
لا ان السحر له اثر في نفسه بدليل قوله وما هم بضارين به
من احد الا باذن الله لانه وغيره انما يحدث الله عنده فعلا
من افعاله وربما يحدث ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم
لانهم يقصدون به الشر وفيه ان اجتنابه اصلح كتعلم
الفلسفة التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية ولقد علموا لمن
اشتراه اي استبدل ما تتلوا الشياطين على
كتاب الله ما له في الآخرة من خلاق من نصيب ولبئس
ما شروا به انفسهم اي باعوها وقرئ الحسن الشياطون ومن
بعض العرب بستان فلان حوله بساتون وتد ذكر وجهه
فيما بعد وقرأ الزهري هاروت وماروت بالرفع على هما
هاروت وماروت وهما اسمان اعجميان بدليل منع
الصرف ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما ذكر بعضهم
لانصرفا وقرئ بلحيه وما يعلمان من اعلم وقرئ بين المرء بضم
الميم وكسرها مع الهمز والمر بالتشديد على تقدير التخفيف والوقف
كقولهم فرج واجراء الوصل مجرى الوقف وقرأ الاعمش وما هم
بضاري بطرح النون والاضافة الى احد والفصل بينهما
بالظرف

فان قلت كيف يضاف الى احد وهو مجرور بمن قلت جعل الجار
جزءا من المجرور فان قلت كيف اثبت لهم العلم اولا في
قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم في قوله
لو كانوا يعلمون قلت معناه لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم
حين لم يعملوا به كانهم منسلخون عنه ولو انهم آمنوا بالرسول
والقرآن واتقوا الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب
الله واتباع كتب الشياطين لمثوبة من عند الله خير
وقرئ لمثوبة كمشورة ومشورة لو كانوا يعلمون ان ثواب
الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لترك العمل بالعلم
فان قلت كيف اوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في
جواب لو قلت لما في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة
واستقرارها كما عدل عن النصب الى الرفع في سلام عليكم
فان قلت فهلا قيل لمثوبة الله خير قلت لان المعنى
لشيء من الثواب خير لهم ويجوز ان يكون قوله ولو انهم آمنوا
تمنيا لايمانهم على سبيل المجاز عن ارادة الله تعالى ايمانهم
واختيارهم له كانه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدئ لمثوبة من
عند الله خير كان المسلمون يقولون لرسول الله عليه السلام اذا
القى عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله اي راقبنا
وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت لليهود
كلمة يتسابون بها عبرانية او سريانية وهي راعينا فلما
سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول
وهم يعنون به تلك المسبة فنهي المؤمنون عنها وامروا
بما هو في معناها وهو انظرنا من نظره اذا انتظره وقرأ ابي

ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون

ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون

يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم

انظرنا من النظرة اي امهلنا حتى نحفظ وقرا عبد الله بن مسعود راعونا على انهم كانوا يخاطبونه بلفظ الجمع للتوقير وقرا الحسن راعنا بالتنوين من الرعن وهو الهوج اي لا تقولوا قولا راعنا منسوبا الى الرعن بمعنى رعنيا كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان سببا للسب اتصف بالرعن واسمعوا واحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله ويلقي عليكم من المسائل باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه تاكيدا عليهم ترك تلك الكلمة وروي ان سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فنزلت وللكافرين يعني اليهود الذين تهاونوا برسول الله وسبوه عذاب اليم من الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين والثانية مزيدة لاستغراق الخير والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة كقوله اهم يقسمون رحمة ربك والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون ان ينزل عليكم شيء من الوحي والله يختص بالنبوة من يشاء ولا يشاء الا ما تقتضيه الحكمة والله ذو الفضل العظيم اشعار بان ايتاء النبوة من الفضل العظيم كقوله ان فضله كان عليك كبيرا روي انهم طعنوا في النسخ فقالوا الا ترون

الى محمد

ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم

يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت وهي ما ننسخ من آية وما ننسي بضم النون من انسخ او ننسارها وقرى ننسيها وننسها بالتشديد وننسها وتنسها على خطاب الرسول وقرا عبد الله ما ننسك من آية او ننسخها وقرا حذيفة ما ننسخ من آية او ننسكها ونسخ الآية ازالتها بابدال اخرى مكانها وانساخها الامر بنسخها وهو ان يامر جبريل بان يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها ونسؤها تاخيرها واذهابها لا الى بدل وانساوها ان يذهب بحفظها عن القلوب والمعنى ان كل آية نذهب بها على ما توجبه المصلحة من ازالة لفظها وحكمها معا او من احدهما الى بدل او غير بدل نات بآية خير منها للعباد اي بآية العمل بها اكثر للثواب او مثلها في ذلك على كل شيء قدير فيقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله في الخير له ملك السموات والارض فهو يملك اموركم ويدبرها ويجريها على حسب ما يصلحكم وهو اعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ لما بين لهم انه مالك امورهم ومدبرها على حسب مصالحهم من نسخ الآيات وغيره وقررهم على ذلك بقوله الم تعلم اراد ان يوصيهم بالثقة به فيما هو اصلح لهم مما يتعبدهم به وينزل عليهم وان لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحته آباء اليهود على موسى من الاشياء التي كانت عاقبتها وبالا عليهم كقولهم اجعل لنا الها ارنا الله جهرة وغير ذلك ومن يتبدل الكفر بالايمان ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل روي ان فنحاص بن عازورا ووهب بن قيس

ما ننسخ من آية او ننسها نات بخير منها او مثلها الم تعلم ان الله على كل شيء قدير

الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ام تريدون ان تسالوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل

ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة
احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا
فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض
العهد فيكم قالوا شديد قال فاني قد عاهدت ان لا اكفر بمحمد
ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة واما
انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن
اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله واخبراه
فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت فان قلت بم تعلق قوله من
عند انفسهم قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بود على معنى
انهم تمنوا ان ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك من عند انفسهم ومن
قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك
من بعد ما تبين لهم انكم على الحق فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق واما
ان يتعلق بحسدا اى حسدا متبالغا منبعثا من اصل نفوسهم فاعفوا
واصفحوا فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل
والعداوة حتى يأتي الله بامره الذي هو قتل بني قريظة واجلاء
بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم ان الله على كل شيء قدير
فهو يقدر على الانتقام منهم من خير من حسنة صلوة او صدقة او
غيرهما تجدوه عند الله تجدوا ثوابه عنده ان الله بما تعملون
بصير عالم لا يضيع عنده عمل عامل الضمير في وقالوا لاهل الكتاب
من اليهود والنصارى والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا
من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى
فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد الى كل فريق قوله
وامنا من الالتباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل
كل واحد منهما لصاحبه

ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى ياتى الله بامره ان الله على كل شيء قدير واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير

وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك امانيهم

دينهم وقالوا كونوا هودا او نصارى والهود جمع هائد كعائذ وعوذ
وبازل وبزل فان قلت كيف قيل كان هودا على توحيد الاسم
وجمع الخبر قلت حمل الاسم على لفظ من والخبر على معناه كقراءة الحسن
الا من هو صالوا الجحيم بقوله فانه [illegible] وقرأ ابي بن
كعب الا من كان يهوديا او نصرانيا فان قلت لم قيل تلك امانيهم
وقولهم لن يدخل الجنة امنية واحدة قلت اشير بها الى الاماني
المذكورة وهي امنيتهم ان لا يدخل الجنة غيرهم اي تلك الاماني
الباطلة امانيهم وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقولهم لن يدخل الجنة
الا من كان هودا او نصارى وتلك امانيهم اعتراض او اريد
امثال تلك الامنية امانيهم على حذف المضاف واقامة المضاف
اليه مقامه يريد ان امانيهم جميعا في البطلان مثل امنيتهم
هذه والامنية افعولة من التمني مثل الاضحوكة والاعجوبة هاتوا
برهانكم هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين
في دعواكم وهذا اهدم شيء لمذهب المقلدين وان كل قول لا دليل
عليه فهو باطل غير ثابت وهات صوت بمنزلة هاء بمعنى
احضر بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه
لله من اخلص نفسه له لا يشرك به غيره وهو محسن في عمله فله
اجره الذي يستوجبه فان قلت من اسلم وجهه كيف موقعه
قلت يجوز ان يكون بلى ردا لقولهم ثم يقع من اسلم كلاما مبتدأ
ويكون من متضمنا لمعنى الشرط وجوابه فله اجره وان يكون
من اسلم فاعلا لفعل محذوف اي بلى يدخلها من اسلم ويكون
فله اجره كلاما معطوفا على يدخلها من اسلم على شيء يصح
ويعتد به وهذه مبالغة عظيمة لان المحال والمعدوم يقع عليهما
اسم الشيء

قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين

بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب

فاذا نفي اطلاق اسم الشيء عليه فقد بولغ في ترك الاعتداد به الى ما ليس بعده
وهذا كقولهم اقل من لا شيء. وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب
للجنس اي قالوا ذلك وحالهم انهم من اهل العلم والتلاوة للكتب
وحق من حمل التورية او الانجيل او غيرهما من كتب الله وآمن به ان
لا يكفر بالباقي لان كل واحد من الكتابين مصدق للثاني شاهد بصحته
وكذلك كتب الله جميعا متواردة في تصديق بعضها بعضا كذلك
اي مثل ذلك الذي سمعت به على ذلك المنهاج قال الجهلة الذين
لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم قالوا
لكل اهل دين ليسوا على شيء وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا
انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم وروي ان وفد نجران
لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه اتاهم احبار اليهود فتناظروا
حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود ما انتم على شيء من الدين وكفروا
بعيسى والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى والتورية
فالله يحكم بين اليهود والنصارى يوم القيامة بما يقسم لكل فريق
منهم من العقاب الذي استحقه وعن الحسن حكم الله بينهم ان
يكذبهم ويدخلهم النار ان يذكر ثاني مفعولي منع لانك تقول منعته
كذا ومثله وما منعنا ان نرسل وما منع الناس ان يؤمنوا ويجوز
ان يحذف حرف الجر مع ان ولك ان تنصبه مفعولا له بمعنى منعها
كراهة ان يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وان مانعها من
ذكر الله مفرط في الظلم والسبب فيه ان النصارى كانوا
يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا
فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا التورية وقتلوا وسبوا
وقيل منع المشركين رسول الله ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية

كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون

ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين

فان قلت فكيف قيل مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب
على مسجد واحد وهو بيت المقدس او المسجد الحرام قلت لا بأس
ان يجيء الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا
واحدا ومن اظلم ممن آذى الصالحين وكما قال الله عز وعلا
ويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه الاخنس بن شريق وسعى في خرابها
بانقطاع الذكر او بتخريب البنيان وينبغي ان يراد بمن منع العموم
كما اريد بمساجد الله ولا يراد الذين منعوا باعيانهم من اولئك النصارى
او المشركين اولئك المانعون ما كان لهم ان يدخلوها اي
ما كان ينبغي لهم ان يدخلوا مساجد الله الا خائفين على حال التهيب
وارتعاد الفرائص من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا
عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب
الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل ما كان لهم في حكم الله يعني
ان الله قد حكم وكتب في اللوح انه ينصر المؤمنين ويقويهم
حتى لا يدخلوها الا خائفين يروى انه لا يدخل بيت المقدس
احد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقال قتادة لا يوجد
نصراني في بيت المقدس الا انهك ضربا وابلغ اليه في
العقوبة وقيل نادى رسول الله صلى الله عليه الا لا يحجن بعد هذا
العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وقرأ عبد الله الا خيفا
وهو مثل صيم وقد اختلف الفقهاء في دخول الكافر المسجد
فجوزه ابو حنيفة رحمه الله ولم يجوزه مالك وفرق الشافعي بين
المسجد الحرام وغيره وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول
والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله خزي
قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية وقيل فتح مدائنهم قسطنطينية
ورومية وعمورية

لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم

ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم

ولله المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها
لله هو مالكها ومتوليها فاينما تولوا في اي مكان فعلتم
التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله تعالى
فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم
شطره فثم وجه الله اي جهته التي امر بها ورضيها والمعنى
انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او في بيت المقدس
فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا في اي بقعة شئتم من
بقاعها وافعلوا التولية فيها فان التولية ممكنة في كل مكان
لا تختص امكانها في مسجد دون مسجد ولا في مكان دون مكان
ان الله واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده والتيسير
عليهم عليم بمصالحهم وعن ابن عمر رضي الله عنه نزلت في صلوة
المسافر على الراحلة اينما توجهت وعن عطاء عميت
القبلة على قوم فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا
خطاءهم فعذروا وقيل معناه فاينما تولوا للدعاء والذكر
ولم يرد الصلوة وقرأ الحسن فاينما تولوا بفتح التاء من التولي
يريد فاينما توجهوا القبلة وقالوا وقرئ بغير واو يريد الذين
قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملائكة بنات
الله سبحانه تنزيه له عن ذلك وتبعيد بل له ما في السموات
والارض هو خالقه ومالكه ومن جملته الملائكة وعزير
والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنع شيء منه على تكوينه
وتقديره ومشيته ومن كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه
حتى يكون ولدا فتكون من جنس الوالد والتنوين في كل عوض
من المضاف اليه اي كل ما في السموات والارض ويجوز
ان يراد

وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض

كل له قانتون

كل من جعلوه لله ولدا له قانتون مطيعون عابدون مقرون
بالربوبية منكرون لما اضافوا اليهم فان قلت كيف جاء
بما الذي لغير اولي العلم مع قوله قانتون قلت هو كقوله
سبحان ما سخركن لنا وكانه جاء بما دون من تحقيرا لهم
وتصغيرا لشانهم كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا
تعالى بديع الشيء فهو بديع كقولك بزع الرجل فهو بزيع
وبديع السموات من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها
اي بديع سمواته وارضه وقيل البديع بمعنى المبدع
كما ان السميع في قول عمرو امن ريحانة الداعي السميع
بمعنى المسمع وفيه نظر كن فيكون من كان التامة اي
احدث فيحدث وهذا مجاز من الكلام وتمثيل ولا قول
ثمة كما لا قول في قوله اخفت الانساع للبطن الحق وانما
المعنى ان ما قضاه من الامور واراد كونه فانما يكون
ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كما ان المامور
المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون
منه الاباء اكد بهذا استبعاد الولادة لان من كان بهذه
الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لاحوال الاجسام
في توالدها وقرئ بديع السموات مجرورا على انه بدل من
الضمير في له وقرأ المنصور بالنصب على المدح وقال الذين
لا يعلمون وقال الجهلة من المشركين وقيل من اهل الكتاب
ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا
كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكبارا منهم وعتوا او تاتينا
آية جحودا لان يكون ما آتاهم من آيات الله آيات واستهانة
بها

وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تاتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم

تشابهت قلوبهم اى قلوب هولاء ومن قبلهم فى العمى كقوله اتواصوا به
قد بينا الآيات لقوم ينصفون فيوقنون انها آيات يجب
الاعتراف بها والاذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها انا
ارسلناك لان تبشر وتنذر لا لتجبر على الايمان وهذا تسلية
لرسول الله وتسرية عنه لانه كان يغتم ويضيق صدره لاصرارهم
وتصميمهم على الكفر ولا تسأل عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا
بعد ان بلغت وبلغت جهدك فى دعوتهم كقوله فانما عليك
البلاغ وعلينا الحساب وقرئ ولا تسأل على النهى روى
انه قال ليت شعرى ما فعل ابواى فنهى عن السؤال عن
احوال الكفرة والاهتمام باعداء الله وقيل معناه تعظيم ما وقع
فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا عن
الواقع فى بلية فيقال لك لا تسأل عنه ووجه التعظيم ان
المستخبر يجزع ان يجرى على لسانه ما هو فيه لفظاعته فلا
تسأله ولا تكلفه ما يضجره او انت يا مستخبر لا تقدر على
استماع خبره لايحاشه السامع واضجاره فلا تسأل وتعضد
القراءة الاولى قراءة عبد الله ولن تسأل وقراءة ابى وما
تسأل كانهم قالوا لن نرضى عنك وان ابلغت فى طلب
رضانا حتى تتبع ملتنا اقناطا منهم لرسول الله عن دخولهم فى
الاسلام فحكى الله عز وجل كلامهم ولذلك قال قل ان
هدى الله هو الهدى على طريقة اجابتهم عن قولهم يعنى ان هدى
الله الذى هو الاسلام هو الهدى بالحق والذى يصح ان يسمى هدى
وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون الى اتباعه
ما هو بهدى انما هو هوى الا ترى الى قوله ولئن اتبعت اهواءهم

قد بينا الآيات لقوم يوقنون
انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن اصحاب الجحيم ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذى جاءك من العلم ما لك من الله من ولى ولا نصير

اى اقوالهم التى هى اهواء وبدع بعد الذى جاءك من العلم اى من
البراهين الصحيحة الذين آتيناهم الكتاب هم مؤمنو
اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه
من نعت رسول الله اولئك يؤمنون بكتابهم دون المحرفين
ومن يكفر به من المحرفين فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا
الضلالة بالهدى ابتلى ابراهيم ربه بكلمات اختبره باوامر
ونواه واختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار احد
الامرين ما يريد الله وما يشتهيه العبد كانه يمتحنه ما يكون
منه حتى يجازيه على حسب ذلك وقرأ ابو حنيفة رحمه الله
وهى قراءة ابن عباس ابراهيم ربه رفع ابراهيم ونصب ربه
والمعنى انه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه
اليهن ام لا فان قلت الفاعل فى القراءة المشهورة يلى الفعل
فى التقدير فتعلق الضمير به اضمار قبل الذكر قلت الاضمار قبل
الذكر ان يقال ابتلى ربه ابراهيم فاما ابتلى ابراهيم ربه او ابتلى
ربه ابراهيم فليس واحد منهما باضمار قبل الذكر اما الاول فقد ذكر
فيه صاحب الضمير قبل الضمير ذكرا ظاهرا واما الثانى فابراهيم
فيه مقدم فى المعنى وليس كذلك ابتلى ربه ابراهيم فان الضمير
فيه قد تقدم لفظا ومعنى فلا سبيل الى صحته والمستكن فى
فاتمهن فى احدى القراءتين لابراهيم بمعنى فقام بهن حق
القيام واداهن احسن التأدية من غير تفريط وتوان
ونحوه وابراهيم الذى وفى وفى الاخرى لله تعالى بمعنى فاعطاه
ما طلبه لم ينقص منه شيئا ويعضده ما روى عن مقاتل ان تفسير
الكلمات ما سأل ابراهيم ربه فى قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا

الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال انى جاعلك للناس اماما

واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا ربنا تقبل منا فإن قلت
ما العامل في إذ قلت إما مضمر نحو واذكر إذ ابتلى أو وإذ ابتلى
كان كيت وكيت وإما قال إني جاعلك للناس إماما
فإن قلت فما موقع قال قلت هو على الأول استئناف كأنه
قيل فماذا قال له ربه حين أتم الكلمات فقيل قال إني
جاعلك للناس إماما وعلى الثاني جملة معطوفة على ما قبلها
ويجوز أن يكون بيانا لقوله ابتلى وتفسيرا له فيراد بالكلمات
ما ذكره من الإمامة وتطهير البيت ورفع قواعده والإسلام
قبل ذلك في قوله إذ قال له ربه أسلم وقيل في الكلمات هي
خمس في الرأس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة
والاستنشاق وخمس في البدن الختان والاستحداد
والاستنجاء وتقليم الأظفار ونتف الإبط وقيل ابتلاه
من شرائع الإسلام بثلاثين سهما عشر في براءة التائبون
العابدون وعشر في الأحزاب إن المسلمين والمسلمات وعشر
في المؤمنون وسأل سائل إلى قوله والذين هم على صلاتهم يحافظون
وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والإحرام والتعريف
وغيرهن وقيل ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس والختان
وذبح ابنه والنار والهجرة والإمام اسم من يؤتم به على زنة الإله
كالإزار لما يؤتزر به أي يأتمون بك في دينهم ومن ذريتي
عطف على الكاف كأنه قال وجاعل بعض ذريتي كما يقال
لك سأكرمك فتقول وزيدا لا ينال عهدي الظالمين وقرئ
الظالمون أي من كان ظالما من ذريتك لا يناله استخلافي
وعهدي إليه بالإمامة وإنما ينال من كان عادلا بريئا من
الظلم

قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين

وقالوا في هذا دليل على أن الفاسق لا يصلح للإمامة وكيف
يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته ولا تجب طاعته ولا يقبل
خبره ولا يقدم للصلوة وكان أبو حنيفة رحمه الله يفتي سرا
بوجوب نصرة زيد بن علي رضي الله عنهما وحمل المال إليه والخروج
معه على اللص المتغلب المتسمي بالإمام والخليفة كالدوانيقي
وأشباهه وقالت له امرأة أشرت على ابني بالخروج مع
إبراهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل فقال ليتني
مكان ابنك وكان يقول في المنصور وأشياعه لو أرادوا بناء
مسجد وأرادوني على عد آجره لما فعلت وعن ابن عيينة
لا يكون الظالم إماما قط وكيف يجوز نصب الظالم للإمامة والإمام
إنما هو لكف الظلمة فإذا نصب من كان ظالما في نفسه فقد جاء
المثل السائر من استرعى الذئب ظلم والبيت اسم غالب
للكعبة كالنجم للثريا مثابة للناس مباءة ومرجعا للحجاج
والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون إليه أي يثوب إليه أعيان الذين
يزورونه أو أمثالهم وأمنا وموضع أمن كقوله حرما آمنا ويتخطف
الناس من حولهم ولأن الجاني يأوي إليه فلا يتعرض له حتى
يخرج وقرئ مثابات لأنه مثاب لكل من الناس لا يختص به
واحد منهم سواء العاكف فيه والباد واتخذوا على إرادة القول
أي وقلنا اتخذوا منه موضع صلوة تصلون فيه وهو على وجه
الاختيار والاستحباب دون الوجوب وعن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه أخذ بيد عمر فقال هذا مقام إبراهيم فقال عمر أفلا نتخذه
مصلى يريد أفلا نؤثره لفضيلة الصلوة فيه تبركا به وتيمنا
بموطئ قدم إبراهيم فقال لم أومر بذلك فلم تغب الشمس حتى
نزلت

وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى

وعن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استلم الحجر ورمل ثلاثة
اشواط ومشى اربعة حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه
ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقيل مصلى
مدعا ومقام ابراهيم الحجر الذي فيه اثر قدميه والموضع كان فيه
الحجر حين وضع عليه قدميه وهو الموضع الذي يسمى مقام ابراهيم
وعن عمر رضي الله عنه انه سال المطلب بن ابي وداعة هل
تدري اين كان موضعه الاول قال نعم فاراه موضعه اليوم
وعن عطاء مقام ابراهيم عرفة والمزدلفة والجمار لانه قام في
هذه المواضع ودعا فيها وعن النخعي الحرم كله مقام ابراهيم وقرئ
واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس من مكان
ابراهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده
قبلة يصلون اليها عهدنا امرناهما ان طهرا بيتي بان طهرا
او اي طهرا والمعنى طهراه من الاوثان والانجاس
وطواف الجنب والحائض والخبائث كلها او اخلصاه لهؤلاء
لا يغشه غيرهم والعاكفين المجاورين الذين عكفوا عنده
اي اقاموا لا يبرحون او المعتكفين ويجوز ان يريد بالعاكفين
الواقفين يعني القائمين في الصلوة كما قال للطائفين والقائمين
والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين لان القيام
والركوع والسجود هيئات المصلي اي اجعل هذا البلد او هذا
المكان بلدا آمنا ذا امن كقوله عيشة راضية او آمنا من فيه كقولك
ليل نائم ومن آمن منهم بدل من اهله يعني وارزق المؤمنين
من اهله خاصة ومن كفر عطف على من آمن كما عطف ومن ذريتي
على الكاف في جاعلك فان قلت لم خص ابراهيم صلوات الله عليه

المؤمنين حتى رد عليه قلت قاس الرزق على الامامة فعرف
الفرق بينهما لان الاستخلاف استرعاء يختص بمن ينتصح
للرعية وابعد الناس عن النصيحة الظالم بخلاف الرزق
فانه قد يكون استدراجا للمرزوق والزاما للحجة له والمعنى
وارزق من كفر فامتعه ويجوز ان يكون ومن كفر مبتدا متضمنا
معنى الشرط وقوله فامتعه جوابا للشرط اي ومن كفر فانا امتعه
وقرئ فامتعه فاضطره فالزه الى عذاب النار لز المضطر
الذي لا يملك الامتناع مما اضطر اليه وقرأ ابي فنمتعه قليلا
ثم نضطره وقرأ يحيى بن وثاب فاضطره بكسر الهمزة وقرأ
ابن عباس فامتعه قليلا ثم اضطره على لفظ الامر والمراد
الدعاء من ابراهيم دعا ربه بذلك فان قلت فكيف تقدير
الكلام على هذه القراءة قلت في قال ضمير ابراهيم اي قال ابراهيم
بعد مسالته اختصاص المؤمنين بالرزق ومن كفر فامتعه
قليلا ثم اضطره وقرأ ابن محيصن فاطره بادغام الضاد
في الطاء كما قالوا اطجع وهي لغة مرذولة لان الضاد من الحروف
الخمس التي يدغم فيها ما يجاورها ولا تدغم هي فيما يجاورها وهي حروف
ضم شفر يرفع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي
الاساس والاصل لما فوقه وهي صفة غالبة ومعناها الثابتة
ومنه قعدك الله اي اسال الله بقعدك اي بثباتك ورفع الاساس
البناء عليها لانها اذا بني عليها نقلت عن هيئة الانخفاض الى هيئة
الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر ويجوز ان يكون المراد بها
سافات البناء لان كل ساف قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع
فوقه ومعنى رفع القواعد رفعها بالبناء لانه اذا وضع سافا
فوق ساف

فقد رفع السافات ويجوز ان يكون المعنى واذ يرفع ابراهيم ما قعد من البيت
اي استوطأ يعني جعل هيئة القاعدة المستوطأة مرتفعة
عالية بالبناء وروي انه كان مؤسسا قبل ابراهيم فبنى
على الاساس وروي ان الله تعالى انزل البيت ياقوتة من
يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لآدم
اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه آدم من
ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا برّ حجك
يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج آدم اربعين
حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى
ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت
المعمور ثم ان الله امر ابراهيم ببنائه وعرّفه جبريل مكانه وقيل
بعث الله سحابة اظلته ونودي ان ابن على ظلها لا تزد
ولا تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل طور سينا وطور زيتا
ولبنان والجودي واسسه من حراء وجاءه جبريل بالحجر
الاسود من السماء وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه وقد
خبئ فيه ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من الجنة فلما مسته
الحيض في الجاهلية اسود وقيل كان ابراهيم يبني واسماعيل
يناوله الحجارة ربنا اي يقولان ربنا وهذا الفعل في محل النصب
على الحال وقد اظهره عبد الله في قراءته ومعناه يرفعانها
قائلين ربنا تقبل منا انك انت السميع لدعائنا العليم بضمائرنا ونياتنا
فان قلت هلا قيل قواعد البيت واي فرق بين العبارتين
قلت في ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام ما ليس في
اضافتها لما في الايضاح بعد الابهام من تفخيم لشأن المبين

ذكر الاذفر في الورد بالذال المعجمة

وهو جبل مشرف على مكة

ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم

هذا السؤال لا يلزم على التفسير الاخير ... وهذا الكلام سهو وغلط

مسلمين لك مخلصين لك اوجهنا من قوله اسلم لله او مستسلمين
يقال اسلم له وسلم واستسلم اذا خضع واذعن والمعنى زدنا
اخلاصا او اذعانا لك وقرئ مسلمين على الجمع كانهما ارادا
انفسهما وهاجر واجريا التثنية على حكم الجمع لانها منه ومن ذريتنا
واجعل من ذريتنا امة مسلمة لك ومن للتبعيض او للتبيين
كقوله وعد الله الذين آمنوا منكم فان قلت لم خصا ذريتهما
بالدعاء قلت لانهم احق بالشفقة والنصيحة قوا انفسكم واهليكم
نارا ولان اولاد الانبياء اذا صلحوا صلح بهم غيرهم وشايعوهم على
الخير الا ترى ان المتقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا على
السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم وقيل اراد بالامة
امة محمد صلى الله عليه وارنا منقول من رأى بمعنى ابصر او عرف
ولذلك لم يتجاوز مفعولين اي وبصرنا متعبداتنا في الحج او
وعرفناها وقيل مذابحنا وقرئ وارنا بسكون الراء قياسا على
فخذ في فخذ وقد استرذلت لان الكسرة منقولة من الهمزة
الساقطة دليل عليها فاسقاطها اجحاف وقرأ ابو عمرو باشمام
الكسرة وقرأ عبد الله وارهم مناسكهم وتب علينا ما فرط منا
من الصغائر او استتابا لذريتهما وابعث فيهم في الامة المسلمة
رسولا منهم من انفسهم وروي انه قيل له قد استجيب لك وهو في
آخر الزمان فبعث الله فيهم محمدا صلى الله عليه وآله وسلم قال انا
دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلو عليهم آياتك
يقرأ عليهم ويبلغهم ما توحي اليه من دلائل وحدانيتك وصدق
انبيائك ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة الشريعة وبيان
الاحكام ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وسائر الارجاس كقوله

ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك

وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم

ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك

وروي ان آمنة رأت في المنام انه خرج منها نور ملأ مكة

ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم

ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه

كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ومن يرغب انكار
واستبعاد لان يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي
هو ملة ابراهيم ومن سفه في محل الرفع على البدل من الضمير في يرغب
وصح البدل لان من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك احد الا زيد
سفه نفسه امتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة ومنه
زمام سفيه وقيل انتصاب النفس على التمييز نحو غبن رايه
والم راسه ويجوز ان يكون في شذوذ تعريف المميز نحو قوله ولا بفزارة الشعر
الرقابا اجب الظهر ليس له سنام وقيل معناه سفه في نفسه
فحذف الجار كقولهم زيد ظني مقيم اي في ظني والوجه هو الاول
ويشهد له ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس
وذلك انه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ في اذلال
نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة ولقد اصطفيناه
بيان لخطاء راي من رغب عن ملته لان من جمع الكرامة عند الله
في الدارين بان كان صفوته وخيرته في الدنيا وكان مشهودا له
بالاستقامة على الخير في الآخرة لم يكن احد اولى بالرغبة في طريقته
منه اذ قال ظرف لاصطفيناه اي اخترناه في ذلك الوقت او انتصب
باضمار اذكر استشهادا على ما ذكر من حاله كانه قيل اذكر ذلك الوقت
لتعلم انه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة مثله وقيل معنى قال له
اسلم اخطر بباله النظر في الدلائل المؤدية الى المعرفة والاسلام فقال
اسلمت اي فنظر وعرف وقيل اسلم اي اذعن واطع وروي
ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام
فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التورية اني باعث من ولد
اسماعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يومن به

ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين

اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين

ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب

فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فنزلت ووصى واوصى
وهو في مصاحف اهل الحجاز والشام والضمير في بها لقوله اسلمت
لرب العالمين على تاويل الكلمة والجملة ونحوه رجوع الضمير في قوله
وجعلها كلمة باقية الى قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني
وقوله كلمة باقية دليل على ان التانيث على تاويل الكلمة ويعقوب
عطف على ابراهيم داخل في حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه
ايضا وقرئ ويعقوب بالنصب عطفا على بنيه ومعناه ووصى
بها ابراهيم بنيه ونافلته يعقوب يا بني على اضمار القول عند
البصريين وعند الكوفيين متعلق بوصى لانه في معنى القول ونحوه
قول القائل رجلان من ضبة اخبرانا انا راينا رجلا عريانا
بكسر الهمزة فهو بتقدير القول عندنا وعندهم متعلق بفعل الاخبار
وفي قراءة ابي وابن مسعود يا بني ان الله اصطفى لكم الدين اعطاكم
الدين الذي هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم
للاخذ به فلا تموتن معناه فلا يكون موتكم الا على حال كونكم ثابتين
على الاسلام فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الاسلام اذا
ماتوا كقولك لا تصل الا وانت خاشع فلا تنهاه عن الصلوة ولكن
عن ترك الخشوع في حال صلوته فان قلت فاي نكتة في ادخال حرف
النهي على الصلوة وليس منهيا عنها قلت النكتة فيه اظهار ان
الصلوة التي لا خشوع فيها كلا صلوة فكانه قال انهاك عنها اذا لم
تصلها على هذه الحالة الا ترى الى قوله عليه السلام لا صلوة لجار المسجد الا في
المسجد فانه كالتصريح بقولك لجار المسجد لا تصل الا في المسجد وكذلك
المعنى في الآية اظهار ان موتهم لا على حال الثبات على الاسلام موت
لا خير فيه وانه ليس بموت السعداء وان من حق هذا الموت ان لا يحل
فيهم وتقول في الامر ايضا مت وانت شهيد وليس مرادك الامر بالموت

يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون

ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي

ولكن بالكون على صفة الشهداء إذا مات وإنما أمرته بالموت
اعتدادًا منك بميتته واظهارًا على غيرها وانها حقيقة بان
يحث عليها أم كنتم شهداء هي أم المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار
والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر اي ما كنتم حاضرين يعقوب
عليه السلم إذ حضره الموت اي حين احتضر والخطاب للمؤمنين
بمعنى ما شهدتم ذلك وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي
وقيل الخطاب لليهود لانهم كانوا يقولون ما مات نبيّ الا على
اليهودية الا انهم لو شهدوه وسمعوا ما قال لبنيه وما قالوه
لظهر لهم حرصه على ملة الاسلام ولما ادعوا عليه اليهودية فالآية
منافية لقولهم فكيف يقال لهم أم كنتم شهداء ولكن الوجه أن تكون
أم متصلة على أن يقدر قبلها محذوف كأنه قيل أتدعون على الأنبياء
اليهودية أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت يعني أن أوائلكم
من بني اسرائيل كانوا مشاهدين له إذ أراد بنيه على التوحيد
وملة الاسلام وقد علمتم ذلك فما لكم تدعون على الأنبياء ما هم منه
براء وقرئ حضر بكسر الضاد وهي لغة ما تعبدون أي شيء تعبدون
وما عام في كل شيء فإذا علم فرق بما ومن وكفاك دليلا قول
العلماء من لما يعقل ولو قيل من تعبدون لم يعمّ الا أولي العلم
وحدهم ويجوز أن يقال ما تعبدون سؤال عن صفة المعبود كما تقول
ما زيد تريد أفقيه أم طبيب أم غير ذلك من الصفات وابراهيم
واسماعيل واسحاق عطف بيان لآبائك وجعل اسماعيل وهو
عمه من جملة آبائه لأن العم أب والخالة أم لانخراطهما في
سلك واحد وهو الأخوة لا تفاوت بينهما ومنه قوله عليه السلم عم الرجل
صنو أبيه أي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة
وقال في العباس هذا بقية آبائي وقال ردوا علي أبي فاني أخشى

قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون

ان يفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود وقرأ
وإله ابراهيم بطرح آبائك وقرئ أبيك وفيه وجهان أن يكون
واحدًا وابراهيم وحده عطف بيان له وأن يكون جمعا بالواو
والنون قال وفدّيننا بالأبينا إلها واحدا بدل من إله آبائك
كقوله بالناصية ناصية كاذبة أو على الاختصاص أي نريد بإله
آبائك إلها واحدا ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد أو من
مفعوله لرجوع الهاء إليه في له ويجوز أن يكون جملة معطوفة على
نعبد وأن يكون جملة اعتراضية مؤكدة أي ومن حالنا أنا له مسلمون
مخلصون التوحيد أو مذعنون تلك إشارة إلى الأمة المذكورة
التي هي ابراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون والمعنى أن أحدا
لا ينفعه كسب غيره متقدما كان أو متأخرا فكما أن أولئك
لا ينفعهم إلا ما اكتسبوا فكذلك أنتم لا ينفعكم إلا ما اكتسبتم وذلك
أنهم افتخروا بأوائلهم ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه يا بني هاشم
لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم ولا تسألون عما
كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا ينفعكم حسناتهم بل
ملة ابراهيم بل نكون ملة ابراهيم أي أهل ملته كقول عدي بن
حاتم إني من دين يريد من أهل دين وقيل بل نتبع ملة ابراهيم
وقرئ ملة ابراهيم بالرفع أي ملته ملتنا أو أمرنا ملته أو نحن
ملته بمعنى أهل ملته وحنيفا حال من المضاف إليه كقولك
رأيت وجه هند قائمة والحنيف المائل عن كل دين باطل
إلى الدين الحق والحنف الميل في القدمين وتحنف إذا مال
وأنشد ولكنا خلقنا إذ خلقنا حنيفا ديننا عن كل دين وما كان
من المشركين تعريض بأهل الكتاب وغيرهم لأن كلا منهم

اتباع ابراهيم

تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون

وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين

قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون

وهو على الشرك. قولوا خطاب للمؤمنين ويجوز أن يكون خطابا
للكافرين أي قولوا لتكونوا على الحق وإلا فأنتم على الباطل وكذلك
قوله بل ملة إبراهيم يجوز أن يكون على بل اتبعوا أنتم ملة إبراهيم
أو كونوا أهل ملته. والسبط الحافد وكان الحسن والحسين سبطي
رسول الله والأسباط حفدة يعقوب ذراري أبنائه الاثني
عشر. لا نفرق بين أحد منهم لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض
كما فعلت اليهود والنصارى وأحد في معنى الجماعة ولذلك
صح دخول بين عليه. بمثل ما آمنتم به من باب التبكيت لأن
دين الحق واحد لا مثل له وهو دين الإسلام ومن يبتغ غير
الإسلام دينا فلن يقبل منه فلا يوجد إذن دين آخر يماثل
دين الإسلام في كونه حقا حتى إن آمنوا بذلك الدين
المماثل له كانوا مهتدين فقيل فإن آمنوا بكلمة الشك على سبيل
الفرض والتقدير أي فإن حصّلوا دينا آخر مثل دينكم مساويا
له في الصحة والسداد فقد اهتدوا وفيه أن دينهم الذي هم
عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل لأنه حق وهدى
وما سواه باطل وضلال ونحو هذا قولك للرجل الذي تشير عليه
هذا هو الرأي الصواب فإن كان عندك رأي أصوب منه
فاعمل به وقد علمت أن لا أصوب من رأيك ولكنك تريد
تبكيت صاحبك وتوقيفه على أن ما رأيت لا رأي وراءه
ويجوز أن لا تكون الباء صلة وتكون باء الاستعانة كقولك
كتبت بالقلم وعملت بالقدوم أي فإن دخلوا في الإيمان
بشهادة مثل شهادتكم التي آمنتم بها وقرأ ابن عباس وابن
مسعود بما آمنتم به وقرأ أُبيّ بالذي آمنتم به وإن تولوا عما تقولون

فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا

وإن تولوا فإنما هم في شقاق

لهم ولم ينصفوا فما هم إلا في شقاق أي في مناوأة ومعاندة لا غير
وليسوا من طلب الحق في شيء أو وإن تولوا عن الشهادة والدخول
في الإيمان بها فسيكفيكهم الله ضمان من الله لإظهار رسول الله
عليهم وقد أنجز وعده بقتل بني قريظة وسبيهم وإجلاء بني
النضير ومعنى السين أن ذلك كائن لا محالة وإن تأخر
إلى حين. وهو السميع العليم وعيد لهم أي يسمع ما ينطقون
ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه أو وعد
لرسول الله بمعنى يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده من
إظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك إلى مرادك.
صبغة الله مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله كما انتصب
وعد الله عما تقدمه وهي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس
وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لأن الإيمان
يطهر النفوس والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم
في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وإذا فعل
الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا فأمر المسلمون
بأن يقولوا لهم قولوا آمنا وصبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل
صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا أو يقول المسلمون
صبغنا الله بالإيمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم وإنما جيء
بلفظ الصبغة على طريق المشاكلة كما تقول لمن يغرس الأشجار
اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام. ومن أحسن
من الله صبغة يعني أنه يصبغ عباده بالإيمان ويطهرهم به
من أوضار الكفر فلا صبغة أحسن من صبغته. ونحن له
عابدون عطف على آمنا بالله وهذا العطف يرد قول من زعم

حاشية نظر المصنف في السين معنى التوكيد لا نها في مقابلة لن

مصدر مؤكد لنفسه لأن ما قبله يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الحكيم

أن صبغة الله بدل من ملة إبراهيم أو نصب على الإغراء أي
عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم وإخراج الكلام عن
التئامه واتساقه وانتصابها على أنها مصدر مؤكد هو الذي
ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام . وقرأ زيد بن ثابت أتحاجنا
بإدغام النون والمعنى أتجادلوننا في شأن الله واصطفائه
النبي من العرب دونكم وتقولون لو أنزل الله على أحد لأنزل علينا
وترونكم أحق بالنبوة منا وهو ربنا وربكم نشترك جميعا في أننا
عباده وهو ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من
عباده فهم فوضى في ذلك لا يختص به عجمي دون عربي إذا كان
أهلا للكرامة ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم يعني أن العمل هو
أساس الأمر وبه العبرة وكما أن لكم أعمالا يعتبرها الله في
إعطاء الكرامة ومنعها فنحن كذلك ثم قال ونحن له مخلصون
فجاء بما هو سبب الكرامة أي نحن له موحدون نخلصه بالإيمان
فلا تستبعدوا أن يؤهل أهل إخلاصه لكرامته بالنبوة
وكانوا يقولون نحن أحق بأن يكون النبوة فينا لأنا أهل
كتاب والعرب عبدة أوثان أم تقولون يحتمل فيمن قرأ
بالتاء أن يكون أم معادلة للهمزة في أتحاجوننا بمعنى أي الأمرين
تأتون المحاجة في حكم الله أم ادعاء اليهودية والنصرانية على
الأنبياء والمراد بالاستفهام عنهما إنكارهما معا وأن يكون منقطعة
بمعنى بل أتقولون والهمزة للإنكار أيضا وعلى قراءة بالياء لا تكون
إلا منقطعة قل أأنتم أعلم أم الله يعني أن الله شهد لهم بملة الإسلام
في قوله ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا
مسلما ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله أي كتم شهادة
الله

قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون

أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى

قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون

التي عنده أنه شهد بها وهي شهادته لإبراهيم بالحنيفية ويحتمل
معنيين أحدهما أن أهل الكتاب لا أحد أظلم منهم لأنهم
كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها والثاني أنا لو كتمنا هذه الشهادة
لم يكن أحد أظلم منا فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله
لمحمد بالنبوة في كتبهم وسائر شهاداته ومن في قوله شهادة
عنده من الله مثلها في قولك هذه شهادة مني لفلان إذا
شهدت له ومثله براءة من الله ورسوله سيقول السفهاء
الخفاف أحلامهم وهم اليهود لكراهتهم التوجه إلى الكعبة وأنهم
لا يرون النسخ وقيل المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء
وقيل المشركون قالوا رغب عن قبلة آبائه ثم رجع إليها والله
ليرجعن إلى دينهم فإن قلت أي فائدة في الإخبار بقولهم قبل
وقوعه قلت فائدته أن مفاجأة المكروه أشد والعلم به
قبل وقوعه أبعد من الاضطراب إذا وقع لما يتقدمه من توطين
النفس وأن الجواب العتيد قبل الحاجة إليه أقطع للخصم وأرد
لشغبه وقبل الرمي يراش السهم ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم
وهي بيت المقدس لله المشرق والمغرب أي بلاد المشرق والمغرب
والأرض كلها يهدي من يشاء من أهلها إلى صراط مستقيم وهو
ما توجبه الحكمة والمصلحة من توجيههم تارة إلى بيت المقدس
وأخرى إلى الكعبة وكذلك جعلناكم ومثل ذلك الجعل العجيب
جعلناكم أمة وسطا خيارا وهي صفة بالاسم الذي هو وسط
الشيء ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
ونحوه قوله عليه السلام وانظروا الثبجة يريد الوسيطة بين الجفاء
وصفا بالثبج وهو وسط الظهر إلا أنه ألحق تاء التأنيث

سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا

مراعاة لحق الوصف وقيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها
الخلل والاعوار والاوساط محمية محوطة ومنه قول الطائي
كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت
طرفا وقد اكتريت بمكة جمل اعرابي للحج فقال اعطني من
سطاتهنه اراد من خيار الدنانير او عدولا لان الوسط
عدل بين الاطراف ليس الى بعضها اقرب من بعض لتكونوا
شهداء على الناس روي ان الامم يوم القيامة يجحدون
تبليغ الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى
بامة محمد صلى الله عليه فيشهدون فتقول الامم من اين
عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله في كتابه الناطق
على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد عليه السلم فيسال عن
حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف
اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا
فان قلت هلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم
قلت لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له
جيء بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى والله على كل شيء
شهيد كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد وقيل
لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة
العدول الاخيار ويكون الرسول شهيدا عليكم يزكيكم ويعلم
بعدالتكم فان قلت لم اخرت صلة الشهادة اولا وقدمت
آخرا قلت لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم على
الامم وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم التي
كنت عليها ليست بصفة للقبلة انما هي ثاني مفعولي جعل يريد

فيطالب الله الانبياء صح

جمع سطة

وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه

وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة لان
رسول الله عليه السلم كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلوة
الى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألفا لليهود ثم حول
الى الكعبة فيقول وما جعلنا القبلة التي تحب ان تستقبلها
الجهة التي كنت عليها اولا بمكة يعني وما رددناك اليها
الا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الاسلام
الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه فيرتد
كقوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الآية ويجوز
ان يكون بيانا للحكمة في جعل بيت المقدس قبلته يعني
ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وان استقبالك بيت المقدس
كان امرا عارضا لغرض وانما جعلنا القبلة الجهة التي
كنت عليها قبل وقتك هذا وهي بيت المقدس لنمتحن
الناس وننظر من يتبع الرسول منهم ومن لا يتبعه وينفر عنه
وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه
كان يجعل الكعبة بينه وبينه فان قلت كيف قال لنعلم ولم
يزل عالما بذلك قلت معناه لنعلمه علما يتعلق به الجزاء
وهو ان نعلمه موجودا حاصلا ونحوه ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم ويعلم الصابرين وقيل ليعلم رسول الله والمؤمنون وانما
اسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه واهل الزلفى عنده وقيل
معناه لنميز التابع من الناكص كما قال الله عز وجل ليميز الله
الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز لان العلم به يقع التمييز
وان كانت لكبيرة هي ان المخففة التي تلزمها اللام الفارقة
والضمير في كانت لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت

وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤف رحيم

علما من الرحمة او التحويلة او الجعلة ويجوز ان يكون للقبلة
لكبيرة لثقيلة شاقة الا على الذين هدى الله الا على الثابتين
الصادقين في اتباع الرسول الذين لطف الله بهم وكانوا اهلا
للطفه وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان
وانكم لم تزلوا ولم ترتابوا بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب
العظيم ويجوز ان يراد وما كان الله ليترك تحويلكم لعلمه
ان تركه مفسدة واضاعة لايمانكم وقيل من كان صلى الى بيت
المقدس قبل التحويل فصلاته غير ضائعة عن ابن عباس لما
وجه رسول الله الى الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحويل
من اخواننا فنزلت لرؤف رحيم لا يضيع اجورهم ولا يترك
ما يصلحهم ويحكى عن الحجاج انه قال للحسن ما رايك في ابي تراب
فقرا قوله الا على الذين هدى الله ثم قال وعلي منهم وهو ابن
عم رسول الله وختنه على ابنته واقرب الناس اليه واحبهم
وقرئ الا ليعلم على البناء للمفعول ومعنى العلم المعرفة ويجوز ان
يكون متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا عنها العلم كقولك علمت
ازيد في الدار ام عمرو وقرا ابن ابي اسحاق على عقبيه بسكون
القاف وقرا اليزيدي لكبيرة بالرفع ووجهها ان تكون كان
مزيدة كما في قوله وجيران لنا كانوا كرام الاصل وان هي
لكبيرة كقولك ان زيد لمنطلق ثم وان كانت لكبيرة وقرئ
لرؤف بالتشديد قد نرى ربما نرى ومعناه كثرة الرؤية
كقوله قد اترك القرن مصفرا انامله تقلب وجهك تردد
وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء وكان رسول الله صلى الله عليه
يتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم وادعى
للعرب

الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود
وكان يراعي نزول جبريل والوحي بالتحويل فلنولينك فلنعطينك
ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا جعلته واليا
له او فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس ترضاها
تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التي اضمرتها ووافقت
مشية الله وحكمته شطر المسجد الحرام نحوه قال واظعن بالقوم
شطر الملوك وقرا ابي تلقاء المسجد الحرام عن البراء بن
عازب قدم النبي صلى الله عليه المدينة فصلى نحو بيت المقدس
ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب
بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله في
مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلوة الظهر فتحول
في الصلوة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء
والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وشطر
المسجد نصب على الظرف اي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد
اي في جهته وسمته لان استقبال عين القبلة فيه حرج عظيم
على البعيد وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على ان
الواجب مراعاة الجهة دون العين ليعلمون انه الحق اي التحويل
الى الكعبة هو الحق لانه كان في بشارة انبيائهم برسول الله انه
يصلي الى القبلتين يعملون قرئ بالياء والتاء ما تبعوا جواب
القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط بكل آية بكل برهان
قاطع ان التوجه الى الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك لان تركهم
اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجة انما هو عن مكابرة
وعناد مع علمهم بما في كتبهم من نعتك انك على الحق وما انت بتابع

فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره

وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض

قبلتهم حتى لا نطمعهم اذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا لو ثبت
على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا
في رجوعه الى قبلتهم وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة وما بعضهم
بتابع قبلة بعض يعني انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون
في شان القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا يرجى موافقتهم لك وذلك
ان اليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس
اخبر عز وعلا عن تصلب كل حزب فيما هو فيه وثباته عليه
فالمحق منهم لا يزل عن مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل لا يقلع
عن باطله لشدة شكيمته في عناده وقوله ولئن اتبعت اهواءهم
بعد الافصاح عن حقيقة حالك المعلومة عنده في قوله وما انت بتابع
قبلتهم كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير بمعنى ولئن اتبعتهم
مثلا بعد وضوح البرهان والاحاطة بحقيقة الامر انك اذا
لمن المرتكبين الظلم الفاحش وفي ذلك لطف للسامعين
وزيادة تحذير واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد انارته
ويتبع الهوى وتهييج والهاب للثبات على الحق فان قلت
كيف قال وما انت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة
وللنصارى قبلة قلت كلتا القبلتين باطلة مخالفة لقبلة
الحق فكانتا بحكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة يعرفونه
يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم معرفة جلية يميزون
بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص كما يعرفون ابناءهم
لا يشتبه عليهم ابناؤهم وابناء غيرهم وعن عمر رضي الله عنه
انه سال عبد الله بن سلام عن رسول الله فقال انا اعلم به
مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي

فاما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر راسه وجاز الاضمار
وان لم يسبق ذكره لان الكلام يدل عليه ولا يلتبس على
السامع ومثل هذا الاضمار فيه تفخيم واشعار بانه لشهرته
وكونه علما معلوم بغير اعلام وقيل الضمير للعلم او القرآن
او تحويل القبلة وقوله كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول وينصره
الحديث عن عبد الله بن سلام فان قلت لم اختص الابناء
قلت لان الذكور اشهر واعرف وهم لصحبة الآباء الزم
وبقلوبهم الصق وان فريقا منهم استثناء لمن آمن منهم او لجهالهم
الذين قال فيهم ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الحق من
ربك يحتمل ان يكون الحق خبر مبتدا محذوف اي هو الحق او مبتدا
خبره من ربك وفيه وجهان ان تكون اللام للعهد والاشارة
الى الحق الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم او الى الحق الذي في قوله
ليكتمون الحق اي هذا الذي يكتمونه هو الحق من ربك وان
تكون للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره يعني ان الحق
ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه وما لم يثبت انه من
الله كالذي عليه اهل الكتاب فهو الباطل فان قلت اذا جعلت
الحق خبر مبتدا فما محل من ربك قلت يجوز ان يكون خبرا بعد خبر
وان يكون حالا وقرا علي رضي الله عنه الحق من ربك على الابدال من
الاول اي يكتمون الحق الحق من ربك فلا تكونن من الممترين الشاكين
في كتمانهم الحق مع علمهم او في انه من ربك ولكل من اهل الاديان
المختلفة وجهة قبلة وفي قراءة ابي ولكل قبلة هو موليها هو موليها
وجهه فحذف احد المفعولين وقيل هو لله تعالى اي الله موليها اياه
وقرئ ولكل وجهة على الاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها فزيدت
اللام

ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون

الحق من ربك فلا تكونن من الممترين

ولكل وجهة هو موليها

لتقدم المفعول كقولك لزيد ضربت ولزيد ابوه ضاربه وقرا ابن عامر هو مولاها اى هو مولّى تلك الجهة قد وليها والمعنى لكل امة قبلة تتوجه اليها منكم ومن غيركم فاستبقوا انتم الخيرات واستبقوا اليها غيركم من امر القبلة وغيره ومعنى آخر وهو ان يراد ولكل منكم يا امة محمد وجهة اى جهة يصلى اليها جنوبية او شمالية او شرقية او غربية فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا للجزاء من موافق ومخالف لا تعجزونه ويجوز ان يكون المعنى فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهى الجهات المسامتة للكعبة وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة وكانكم تصلون حاضرى المسجد الحرام ومن حيث خرجت ومن اى بلد خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا المامور به وقرى يعملون بالياء والتاء وهذا التكرير لتاكيد امر القبلة وتشديده لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان والحاجة الى الفصل بينه وبين البداء فكرر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا ولانه نيط بكل واحد ما لم ينط بالآخر فاختلفت فوائدها الا الذين ظلموا استثناء من الناس ومعناه لئلا يكون حجة لاحد من اليهود الا للمعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء فان قلت اى حجة كانت تكون للمنصفين منهم لو لم يحول حتى احترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين قلت كانوا يقولون ما له لا يحول الى قبلة ابيه ابراهيم كما هو مذكور فى نعته فى التورية فان قلت

فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا ان الله على كل شى قدير

ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم

كيف اطلق اسم الحجة على قول المعاندين قلت لانهم يسوقونه سياق الحجة ويجوز ان يكون المعنى لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض فى ترككم التوجه الى الكعبة التى هى قبلة ابراهيم واسماعيل ابى العرب الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة حين يقولون بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وقرا زيد بن على رضى الله عنهما الا الذين ظلموا منهم على ان الا للتنبيه ووقف على حجة ثم استانف منبها فلا تخشوهم فلا تخافوا مطاعنهم فى قبلتكم فانهم لا يضرونكم واخشونى فلا تخالفوا امرى وما رايته مصلحة لكم ومتعلق اللام محذوف معناه ولاتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون امرتكم بذلك او يعطف على علة مقدرة كانه قيل واخشونى لاوفقكم ولاتم نعمتى عليكم وقيل هو معطوف على لئلا يكون وفى الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن على رضى الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا اما ان يتعلق بما قبله اى ولاتم نعمتى عليكم فى الآخرة بالثواب كما اتممتها عليكم فى الدنيا بارسال الرسول او بما بعده اى كما ذكرتكم بارسال الرسول فاذكرونى بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لى ما انعمت به عليكم ولا تكفرون ولا تجحدوا نعمائى اموات بل احياء هم اموات بل هم احياء ولكن لا تشعرون كيف حالهم فى حياتهم وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها

المراد بالناس فى الوجه الاول اليهود وفى هذا الوجه العرب ...

فلا تخشوهم واخشونى ولاتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون

فاذكرونى اذكركم واشكروا لى ولا تكفرون يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون

ولا يشعروا فيها وقالوا أنجوز أن يجمع الله من أجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل إليها النعيم وإن كانت في حجم الذرة وقيل نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك إصابة تشبه فعل المختبر لأحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما أنتم عليه من الطاعة وتسلمون لأمر الله وحكمه أم لا بشيء بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه وبشر الصابرين المسترجعين عند البلاء لأن الاسترجاع تسليم وإذعان وعن النبي صلى الله عليه من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروي أنه طفي سراج رسول الله فقال إنا لله وإنا إليه راجعون فقيل أمصيبة هي قال نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وإنما قلله في قوله بشيء ليؤذن أن كل بلاء أصاب الإنسان وإن جل ففوقه ما يقل إليه وليخفف عليهم ويريهم أن رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم وإنما وعدهم ذلك قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص عطف على شيء أو على الخوف يعني وشيء من نقص الأموال والخطاب في وبشر لرسول الله أو لكل من يتأتى منه البشارة وعن الشافعي رحمه الله الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الأموال الزكوات والصدقات ومن الأنفس الأمراض ومن الثمرات موت الأولاد وعن النبي صلى الله عليه إذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة أقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول أقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد والصلوة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرأفة

ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون

جمع بينهما وبين الرحمة كقوله تعالى رأفة ورحمة رؤوف رحيم والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة أي رحمة وأولئك هم المهتدون لطريق الصواب حيث استرجعوا وسلموا الأمر لله إن الصفا والمروة علمان للجبلين كالصمان والمقطم والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة أي من أعلام مناسكه ومتعبداته والحج القصد والاعتمار الزيارة فغلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما في المعاني كالنجم والبيت في الأعيان وأصل يطوف يتطوف فأدغم وقرئ أن يطوف من طاف فإن قلت كيف قيل إنهما من شعائر الله ثم قيل لا جناح عليه أن يطوف بهما قلت كان على الصفا إساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان يروى أنهما كانا رجلا وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله وكان أهل الجاهلية إذا سعوا مسحوهما فلما جاء الإسلام وكسرت الأوثان كره المسلمون الطواف بينهما لأجل فعل الجاهلية وأن لا يكون عليهم جناح في ذلك فرفع عنهم الجناح واختلف في السعي فقال من تطوع بدليل رفع الجناح وما فيه من التخيير بين الفعل والترك كقوله فلا جناح عليهما أن يتراجعا وغير ذلك ولقوله ومن تطوع خيرا كقوله فمن تطوع خيرا فهو خير له ويروى ذلك عن أنس وابن عباس وابن الزبير وتنصره قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما وعن أبي حنيفة رضي الله عنه أنه واجب وليس بركن وعلى تاركه دم وعند الأولين لا شيء عليه وعند مالك والشافعي رحمهما الله هو ركن لقوله عليه السلام اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي وقرئ ومن يطوع بمعنى ومن يتطوع فأدغم

إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه كنا نكره الطواف بين الصفا والمروة لأنهما كانا من مشاعر قريش في الجاهلية فتركناه في الإسلام فأنزل الله تعالى هذه الآية

وفي قراءة عبد الله ومن يطّوّع بخير إن الذين يكتمون من الأحبار
اليهود ما أنزلنا في التوراة من البينات من الآيات الشاهدة
على أمر محمد صلى الله عليه وسلم والهدى والهداية بوصفه إلى اتباعه والإيمان
به من بعد ما بيناه ولخصناه للناس في الكتاب في التوراة
لم ندع فيه موضع إشكال ولا اشتباه على أحد منهم فعمدوا إلى ذلك
المبين الملخص فكتموه ولبّسوا على الناس أولئك يلعنهم الله ويلعنهم
اللاعنون الذين يتأتى منهم اللعن عليهم وهم الملائكة والمؤمنون
من الثقلين وأصلحوا ما أفسدوا من أحوالهم وتداركوا ما فرط
منهم وبينوا ما بينه الله في كتابهم فكتموه أو بينوا للناس ما
أحدثوه من توبتهم ليمحوا سمة الكفر عنهم ويعرفوا بضده ما كانوا
يعرفون به ويقتدي بهم غيرهم من المفسدين إن الذين كفروا
يعني الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا ذكر لعنتهم أحياء
ثم لعنتهم أمواتا وقرأ الحسن والملائكة والناس أجمعون بالرفع
عطفا على محل اسم الله لأنه فاعل في التقدير كقولك عجبت من
ضرب زيد وعمرو تريد من أن ضرب زيد وعمرو كأنه قيل
أولئك عليهم أن لعنهم الله والملائكة فإن قلت ما معنى قوله والناس
أجمعين وفي الناس المسلم والكافر قلت أراد بالناس من
يعتد بلعنه وهم المؤمنون وقيل يوم القيامة يلعن بعضهم بعضا
خالدين فيها في اللعنة وقيل في النار وإنما أضمرت تفخيما لشأنها
وتهويلا ولا هم ينظرون من الإنظار أي لا يمهلون ولا يؤجلون
أو لا ينتظرون ليعتذروا أو لا ينظر إليهم نظر رحمة وإلهكم إله واحد فرد
في الإلهية لا شريك له فيها ولا يصح أن يسمى غيره إلها لا إله إلا
هو تقرير للوحدانية بنفي غيره وإثباته الرحمن الرحيم المولي لجميع
النعم

إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات
والهدى من بعد ما بيناه للناس
في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم
اللاعنون إلا الذين تابوا
وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب
عليهم وأنا التواب الرحيم

إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار
أولئك عليهم لعنة الله والملائكة
والناس أجمعين خالدين
فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم
ينظرون

وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو
الرحمن الرحيم

أصولها وفروعها ولا شيء يساويه في هذه الصفة فإن كل ما سواه إما نعمة
وإما منعم عليه وقيل كان للمشركين حول الكعبة ثلاثمائة وستون
صنما فلما سمعوا هذه الآية تعجبوا وقالوا إن كنت صادقا فأت
بآية نعرف بها صدقك فنزلت إن في خلق السموات والأرض
واختلاف الليل والنهار واعتقابهما لأن كل واحد منهما يعقب
الآخر كقوله جعل الليل والنهار خلفة بما ينفع الناس بالذي
ينفعهم مما يحمل فيها أو ينفع الناس فإن ذلك وبث فيها
عطف على أنزل أم أحيا قلت الظاهر أنه عطف على أنزل داخل
تحت حكم الصلة لأن قوله فأحيا به الأرض عطف على أنزل فاتصل
به وصارا جميعا كالشيء الواحد فكأنه قيل وما أنزل في الأرض
من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه على أحيا على معنى فأحيا
بالمطر الأرض وبث فيها من كل دابة لأنهم ينمون بالخصب ويعيشون
بالحيا وتصريف الرياح في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا
وفي أحوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقيما ولواقح وقيل
تارة بالرحمة وتارة بالعذاب والسحاب المسخر للرياح تقلبه
في الجو بمشيئة الله يمطر حيث شاء لآيات لقوم يعقلون ينظرون
بعيون عقولهم ويعتبرون لأنها دلائل على عظيم القدرة وباهر
الحكمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها
أي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها وقرئ والفلك بضمتين وتصريف
الريح على الإفراد أندادا أمثالا من الأصنام وقيل من الرؤساء
الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم وينزلون على أوامرهم ونواهيهم
واستدل بقوله إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا يحبونهم
يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب كحب الله كتعظيم الله
والخضوع له

إن في خلق السموات والأرض
واختلاف الليل والنهار والفلك
التي تجري في البحر بما ينفع
الناس وما أنزل الله من
السماء من ماء فأحيا به
الأرض بعد موتها وبث فيها
من كل دابة وتصريف الرياح
والسحاب المسخر بين السماء
والأرض لآيات لقوم يعقلون

ولا يكون على هذا الوجه فأحيا
عطفا على أنزل

ومن الناس من يتخذ من دون
الله أندادا يحبونهم كحب الله
والذين آمنوا أشد حبا لله
ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون
العذاب أن القوة لله جميعا
وأن الله شديد العذاب

اي كحبهم الله على انه مصدر من المبني للمفعول وانما استغني
عن ذكر من يحبه لانه غير ملبس وقيل كحبهم الله اي يسوون
بينه وبينهم في محبتهم لانهم كانوا يقرون بالله ويتقربون اليه
فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين اشد
حبا لله لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بخلاف المشركين فانهم
يعدلون عن اندادهم الى الله عند الشدائد فيفزعون اليه
ويخضعون له ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه فيقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره او ياكلونه
كما اكلت باهلة الهها من حيس عام المجاعة ولو يرى الذين ظلموا اشارة
الى متخذي الانداد اي ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم
بشركهم ان القدرة كلها لله على كل شيء من العقاب والثواب
دون اندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين اذا عاينوا
العذاب يوم القيامة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف
من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم فحذف الجواب
كما في قوله ولو ترى اذ وقفوا وقولهم لو رايت فلانا والسياط
تاخذه وقرئ ولو ترى على خطاب الرسول او كل مخاطب
اي ولو ترى ذلك لرايت امرا عظيما وقرئ اذ يرون
على البناء للمفعول واذ في المستقبل كقوله ونادى اصحاب الجنة
اذ تبرا بدل من اذ يرون العذاب اي تبرا المتبوعون
وهم الرؤساء من الاتباع وقرا مجاهد الاول على البناء للفاعل
اي تبرا الاتباع من الرؤساء وراوا العذاب الواو للحال
اي تبرؤوا في حال رؤيتهم العذاب وتقطعت عطف على
تبرا والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق

اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرا منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار

ومن الانساب والمحاب والاتباع والاستتباع كقوله لقد تقطع بينكم
لو في معنى التمني ولذلك اجيب بالفاء الذي يجاب به
التمني كانه قيل ليت لنا كرة فنتبرا منهم كذلك مثل ذلك الاراء
الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات اي ندامات وحسرات ثالث
مفاعيل ارى ومعناه ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون
الا حسرات مكان اعمالهم وما هم بخارجين منها بمنزلته في قوله
هم يفرشون اللبد كل طمرة في دلالته على قوة امرهم فيما اسند
اليهم لا على الاختصاص حلالا مفعول كلوا او حال مما في الارض
طيبا طاهرا من كل شبهة ولا تتبعوا خطوات الشيطان فتدخلوا
في حرام او شبهة او تحريم حلال او تحليل حرام ومن للتبعيض
لان كل ما في الارض ليس بماكول وقرئ خطوات بضمتين وخطوا
بضمة وسكون وخطؤات بضمتين وهمزة جعلت الضمة على
الطاء كانها على الواو وخطوات بفتحتين وخطوات بفتح وسكون
والخطوة المرة من الخطو والخطوة ما بين قدمي الخاطي وهما كالغرفة
والغرفة والقبضة والقبضة يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه
اذا اقتدى به واستن بسنته انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة لا خفاء به
انما يامركم بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته اي
لا يامركم بخير قط انما يامركم بالسوء بالشيء والقبيح وما يتجاوز
الحد في القبح من العظائم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب
فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون كقولكم هذا حلال
وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله مما لا يجوز عليه
فان قلت كيف كان الشيطان آمرا مع قوله ليس لك عليهم سلطان
قلت شبه تزيينه وبعثه على الشر بامر الآمر كما تقول امرتني

يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين

انما يامركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون

نفسي بكذا وتحته بمعنى أنكم منه على إلهام مورثين لطاعتكم له
وقبولكم وساوسه ولذلك قال ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام
ولآمرنهم فليغيرن خلق الله وقال الله تعالى إن النفس لأمارة
بالسوء لما كان الانسان يطيعها فيعطيها ما اشتهت لهم الضمير
للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات للنداء على ضلا
لتهم لأنه لا ضال أضل من المقلد كأنه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء
الحمقى ماذا يقولون فهم المشركون وقيل هم طائفة من اليهود
دعاهم رسول الله الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا
فإنهم كانوا خيرا منا وأعلم وألفينا بمعنى وجدنا بدليل قوله بل
نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم الواو للحال والهمزة بمعنى
الرد والتعجب معناه أيتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون
شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب لا بد من مضاف محذوف
تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق أو ومثل
الذين كفروا كبهائم الذي ينعق والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان
في أنهم لا يسمعون من الدعاء الا جرس النغمة ودوي الصوت
من غير إلقاء أذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التي
لا تسمع الا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجر
لها ولا تفقه شيئا آخر ولا تعي كما يفهم العقلاء ويعون ويجوز أن
يراد بما لا يسمع الأصم الأصلخ الذي لا يسمع من كلام الرافع
صوته بكلامه الا النداء والتصويت لا غير من غير فهم للحروف
وقيل معناه ومثلهم في اتباعهم آباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التي
لا تسمع الا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته فكذلك هؤلاء يتبعونهم
على ظاهر حالهم ولا يفقهون أهم على حق أم باطل وقيل معناه ومثلهم في
دعائهم

وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون

ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون

الأصنام كمثل الناعق بما لا يسمع الا قوله الا دعاء ونداء لا يساعد عليه
لأن الأصنام لا تسمع شيئا والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن
ونعق الراعي بالضأن قال الأخطل فانعق بضأنك يا جرير فإنما
منتك نفسك في الخلاء ضلالا وأما نغق الغراب فبالغين المعجمة
صم بكم عمي وهو رفع على الذم من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته
لأن كل ما رزقه الله لا يكون الا حلالا واشكروا لله الذي
رزقكموها إن كنتم إياه تعبدون إن صح أنكم تخصونه بالعبادة
وتقرون أنه مولى النعم وعن النبي صلى الله عليه يقول الله تعالى
إني والجن والإنس في نبإ عظيم أخلق ويعبد غيري وأرزق
ويشكر غيري قرئ حرم على البناء للفاعل وحرم على البناء للمفعول
وحرم بوزن كرم أهل به لغير الله أي رفع به الصوت للصنم
وذلك قول أهل الجاهلية باسم اللات والعزى غير باغ على مضطر
آخر بالاستيثار عليه ولا عاد سد الجوعة فإنه يدخل في الميتات
ما يمسك ومعنى السمك والجراد قال رسول الله صلى الله عليه أحلت لنا ميتتان
ودمان فلا يقصد ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه في العادة
ألا ترى أن القائل اذا قال أكل فلان ميتة لم يسبق الوهم الى
السمك والجراد كما لو قال أكل دما لم يسبق الى الكبد والطحال ولاعتبار
العادة والتعارف قالوا من حلف لا يأكل لحما فأكل سمكا لم يحنث
وإن أكل لحما في الحقيقة قال الله تعالى لتأكلوا منه لحما طريا
وشبهوه بمن حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وإن سماه الله تعالى
دابة في قوله إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فإن قلت
فأين ذكر لحم الخنزير دون شحمه قلت لأن الشحم داخل في ذكر اللحم
لكونه تابعا له وصفة فيه بدليل قولهم لحم سمين يريدون أنه شحيم في
بطونهم

يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم

إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم

ملء بطونهم يقال اكل فلان في بطنه واكل في بعض بطنه الا النار لانه
اذا اكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار ومنه
قولهم اكل فلان الدم اذا اكل الدية التي هي بدل منه قال اكلت دما
ان لم أرعك بضرة وقال يأكلن كل ليلة اكافا اراد ثمن الاكاف
فسماه اكافا لتلبسه بكونه ثمنا له ولا يكلمهم الله تعريض بحرمانهم
حال اهل الجنة في تكرمة الله اياهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء عليهم وقيل
نفي الكلام عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه
وقطع كلامه وقيل لا يكلمهم بما يحبون ولكن بنحو قوله اخسئوا فيها ولا
تكلمون فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات
النار من غير مبالاة منهم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب
السلطان ما اصبرك على القيد والسجن تريد انه لا يتعرض لذلك
الا من هو شديد الصبر على العذاب وقيل فما اصبرهم فاي شيء صبرهم
يقال اصبره على كذا وصبره بمعنى وهذا اصل معنى فعل التعجب
والذي روي عن الكسائي انه قال قال لي قاضي اليمن بمكة اختصم الي
رجلان من العرب فحلف احدهما على حق صاحبه فقال له ما اصبرك
على الله فمعناه ما اصبرك على عذاب الله ذلك بان الله نزل اي ذلك
العذاب بسبب ان الله نزل ما نزل من الكتب بالحق وان الذين
اختلفوا في كتب الله فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل وهم اهل
الكتاب لفي شقاق لفي خلاف بعيد عن الحق والكتاب للجنس او كفرهم
ذلك بسبب ان الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون وان الذين اختلفوا
فيه من المشركين فقال بعضهم سحر وبعضهم شعر وبعضهم اساطير
لفي شقاق بعيد يعني ان اولئك لو لم يختلفوا ولم يشاقوا لما جسروا
على ان يكفروا على البراهين للغير ولكل فعل مرضي ان تولوا وجوهكم

اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم على النار ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد

ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين

قبل المشرق والمغرب الخطاب لاهل الكتاب لان اليهود تصلي قبل المغرب
الى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق وذلك انهم اكثروا الخوض
في امر القبلة حين حول رسول الله الى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين
ان البر التوجه الى قبلته فرد عليهم وقيل ليس البر فيما انتم عليه فانه
منسوخ خارج من البر ولكن البر ما نبينه وقيل كثر خوض المسلمين
واهل الكتاب في امر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي يجب ان
تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر امر القبلة ولكن البر الذي
يجب الاهتمام به وصرف الهمة اليه بر من آمن وقام بهذه الاعمال
وقرئ ليس البر بالنصب على انه خبر مقدم وقرأ عبد الله بان
تولوا على ادخال الباء على الخبر للتأكيد كقولك ليس المنطلق بزيد
ولكن البر من آمن بالله على تأويل حذف المضاف اي بر من
آمن او بتأويل البر بمعنى ذي البر او كما قالت فانما هي اقبال
وادبار وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البر
بفتح الباء وقرئ ولكن البار وقرأ ابن عامر ونافع ولكن البر بالتخفيف
والكتاب جنس كتب الله او القرآن على حبه مع حب المال والشح
به كما قال ابن مسعود رضي الله عنه ان تؤتيه وانت صحيح شحيح
تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت
لفلان كذا ولفلان كذا وقيل على حب الله وقيل على حب الايتاء
يريد ان يعطيه وهو طيب النفس باعطائه وقدم ذوي القربى
لانهم احق قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك
اثنتان لانها صدقة وصلة وقال افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح
واطلق ذوي القربى واليتامى والمراد الفقراء منهم لعدم الالتباس
والمسكين الدائم السكون الى الناس لانه لا شيء له كالمسكير للدائم
السكر

وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلوة وآتى الزكوة

وابن السبيل المسافر المنقطع وجعل ابنا للسبيل لملازمته له
كما يقال للص القاطع ابن الطريق وقيل هو الضيف لان السبيل
يرعف به والسائلين المستطعمين قال رسول الله صلى الله عليه
للسائل حق وان جاء على ظهر فرسه وفي الرقاب وفي معاونة
المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها
وقيل في فك الاسارى فان قلت قد ذكر ايتاء المال في هذه
الوجوه ثم قفاه بايتاء الزكوة فهل دل ذلك على ان في المال
حقا سوى الزكوة قلت يحتمل ذلك وعن الشعبي ان في المال
حقا سوى الزكوة وتلا هذه الآية ويحتمل ان يكون ذلك بيان
مصارف الزكوة او يكون حثا على نوافل الصدقات والمبار وفي
الحديث نسخت الزكوة كل صدقة يعني وجوبها وروي ليس في المال
حق سوى الزكوة والموفون عطف على من آمن واخرج الصابرين
منصوبا على الاختصاص والمدح اظهارا لفضل الصبر في الشدائد
ومواطن القتال على سائر الاعمال وقرئ والصابرون وقرئ والموفين
والصابرين والبأساء الفقر والشدة والضراء المرض والزمانة
صدقوا كانوا صادقين جادين في الدين عن عمر بن عبد العزيز
والحسن البصري وعطاء وعكرمة وهو مذهب مالك والشافعي
رحمهم الله ان الحر لا يقتل بالعبد والذكر لا يقتل بالانثى اخذا
بهذه الآية ويقولون هي مفسرة لما ابهم في قوله النفس بالنفس
ولان تلك واردة لحكاية ما كتب في التورية على اهلها وهذه
خوطب بها المسلمون وكتب عليهم ما فيها وعن سعيد بن المسيب
والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهو مذهب ابي حنيفة
واصحابه رحمهم الله انها منسوخة بقوله النفس بالنفس والقصاص
ثابت

سوال العرب يعف الماشي فلان اذا سبح به كما يرعف الانف بالمخاط (ai نعتمد)
والرعف الانف طرق للانبيه والرعف الخيل متقدمه ورعف به صاحبه اي قدمه
قوله ويحتمل ان يكون الخ هذا احتمال بعيد لانه ازداد مالمسوق منها وقض ما هو منها والاولى الحمل على انه حث على نوافل الصدقات والمبار

والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى

وفيه نظر اذ مذهب الشافعي ان يقتل الذكر بالانثى
يجري القصاص بين الرجال والنساء وسوى الشافعي في الاطراف فلا يجري عندنا وعند الشافعي يجري في الاطراف ايضا

بين الحر والعبد والذكر والانثى ويستدلون بقوله عليه السلام المسلمون
تتكافأ دماؤهم وبان التفاضل غير معتبر في الانفس بدليل
ان جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به وروي انه كان بين حيين
من احياء العرب دماء في الجاهلية وكان لاحدهما طول على
الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى والاثنين
بالواحد فتحاكموا الى رسول الله حين جاء الله بالاسلام فنزلت
وامرهم ان يتباوؤا فمن عفي له من اخيه شيء معناه فمن عفي له من
جهة اخيه شيء من العفو على انه كقولك سير بزيد بعض السير
وطائفة من السير ولا يصح ان يكون شيء في معنى المفعول به لان
عفي لا يتعدى الى مفعول به الا بواسطة واخوه هو ولي المقتول
وقيل له اخوه لانه لابسه من قبل انه ولي الدم ومطالبه به كما تقول
للرجل قل لصاحبك كذا لمن بينه وبينه ادنى ملابسة او ذكره
بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من
الجنسية والاسلام فان قلت ان عفي يتعدى بعن لا باللام
فما وجه قوله فمن عفي له قلت يتعدى بعن الى الجاني والى الذنب
فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال الله تعالى عفا الله عنك وقال
عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان عما
جنى كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما في الآية
كأنه قيل فمن عفي له عن جنايته فاستغني عن ذكر الجناية فان قلت
هلا فسرت عفي بترك حتى يكون شيء في معنى المفعول به قلت لان
عفي الشيء بمعنى تركه ليس بثبت ولكن اعفاه ومنه قوله عليه السلام
واعفوا اللحى فان قلت فقد ثبت قولهم عفا اثره اذا محاه
وازاله فهلا جعلت معناه فمن محي له من اخيه شيء قلت عبارة
قلقة في مكانها

فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان

اي اسند الى النعل فانقلب فاعلا كما في النظيره

والعفو في باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب والسنة
واستعمال الناس فلا يعدل عنها الى اخرى قلقة نابية عن
مكانها وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ اذا اعضل
عليه تخريج وجه للمشكل من كلام الله على اختراع لغة وادعاء
على العرب ما لا تعرفه وهذه جرأة يستعاذ بالله منها فان قلت
لم قيل شيء من العفو قلت للاشعار بانه اذا عفي له طرف من العفو
وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم او عفا عنه بعض الورثة تم العفو
وسقط القصاص ولم تجب الا الدية فاتباع بالمعروف فليكن اتباع او
فالامر اتباع وهذه توصية للمعفو عنه والعافي جميعا يعني فليتبع
الولي القاتل بالمعروف بان لا يعنف به ولا يطالبه الا مطالبة جميلة
وليؤد اليه القاتل بدل الدم اداء باحسان بان لا يمطله ولا يبخسه
ذلك الحكم المذكور من العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لان اهل
التورية كتب عليهم القصاص البتة وحرم العفو واخذ الدية وعلى
اهل الانجيل العفو وحرم القصاص والدية وخيرت هذه الامة
بين الثلاث القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا فمن
اعتدى بعد ذلك التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل
او القتل بعد اخذ الدية فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل
بقبوله الدية ثم يظفر به فيقتله فله عذاب اليم نوع من العذاب شديد
الالم في الآخرة وعن قتادة العذاب الاليم ان يقتل لا محالة ولا يقبل منه
دية لقوله عليه السلام لا اعافي احدا قتل بعد اخذه الدية ولكم في القصاص
حيوة كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو ان القصاص قتل وتفويت
للحيوة وقد جعل مكانا وظرفا للحيوة ومن اصابة محز البلاغة بتعريف
القصاص وتنكير الحيوة لان المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو
القصاص

ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم

ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب لعلكم تتقون

بان يقول ابعفو عن بعض الدم فيأخذ لا مال البعض كذاه

حيوة عظيمة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل
مهلهل باخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل وكان يقتل
بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التشاجر فلما جاء
الاسلام بشرع القصاص كانت فيه حيوة اي حيوة او نوع من
الحيوة وهي الحيوة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص
من القاتل لانه اذا هم بالقتل فعلم انه يقتص منه فارتدع سلم
صاحبه من القتل وسلم هو من القود فكان القصاص سبب حيوة
نفسين وقرأ ابو الجوزاء ولكم في القصص القرآن اي لكم في القرآن
حيوة للقلوب كقوله روحا من امرنا ويحيى من حي عن بينة لعلكم
تتقون اي اريتكم ما في القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس
لعلكم تعملون عمل اهل التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به
وهو خطاب له فضل اختصاص بالائمة اذا حضر احدكم الموت
اذا دنا منه وظهرت اماراته خيرا مالا كثيرا عن عائشة رضي الله عنها
ان رجلا اراد الوصية وله عيال واربعمائة دينار فقالت ما
ارى فيه فضلا واراد آخر ان يوصي فسألته كم مالك فقال
ثلاثة آلاف قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان
ترك خيرا وان هذا لشيء يسير فاتركه لعيالك وعن علي رضي الله عنه
ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة فمنعه وقال قال الله تعالى
ان ترك خيرا والخير هو المال وليس لك مال والوصية فاعل كتب وذكر
فعلها للفاصل ولانها بمعنى ان يوصي ولذلك ذكر الراجع في قوله
فمن بدله بعد ما سمعه والوصية للوارث كانت في بدء الاسلام
فنسخت باية المواريث وبقوله عليه السلام ان الله اعطى كل ذي حق
حقه الا لا وصية لوارث وتلقته الامة بالقبول حتى لحق بالمتواتر

كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين

حيوة اي فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص وقيل القصص

كانوا

وإن كان من الآحاد لأنهم لا يتلقون بالقبول إلا الثبت الذي
وقيل لم تنسخ والوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الآيتين
وقيل ما هي بمخالفة لآية المواريث ومعناها كتب عليكم ما أوصى
به الله من توريث الوالدين والأقربين في قوله تعالى يوصيكم الله
في أولادكم أو كتب على المحتضر أن يوصي للوالدين والأقربين بتوفير
ما أوصى به الله لهم عليهم وأن لا ينقص من أنصبائهم بالمعروف
بالعدل وهو أن لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث
حقا مصدر مؤكد أي حق ذلك حقا فمن بدله فمن غير الإيصاء
عن وجهه إن كان موافقا للشرع من الأوصياء والشهود بعدما
سمعه وتحققه فإنما إثمه على الذين يبدلونه فما إثم الإيصاء المغير
أو التبديل إلا على مبدليه دون غيرهم من الموصي والموصى له لأنهما
بريئان من الحيف إن الله سميع عليم وعيد للمبدل فمن خاف
من موص توقع وعلم وهذا في كلامهم شائع يقولون أخاف أن ترسل
السماء يريدون التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم جنفا
ميلا عن الحق بالخطأ في الوصية أو إثما أو تعمدا للحيف فأصلح بينهم
بين الموصى لهم وهم الوالدان والأقربون بإجرائهم على طريق الشرع
فلا إثم عليه حينئذ لأن تبديله تبديل باطل إلى الحق ذكر من بدل
بالباطل ثم من بدل بالحق ليعلم أن كل تبديل لا يؤثم كما كتب على الذين
من قبلكم من الأنبياء والأمم من لدن آدم إلى عهدكم قال علي رضي الله عنه
أولهم آدم يعني أن الصوم عبادة قديمة أصلية ما أخلى الله أمة
من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم لعلكم تتقون بالمحافظة
عليها وتعظيمها لأصالتها وقدمها أو لعلكم تتقون المعاصي لأن
الصائم أظلف لنفسه وأردع لها من مواقعة السوء قال عليه السلام

ثم بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم فمن خاف من موص جنفا أو إثما فأصلح بينهم فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم

يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات

فعليه بالصوم فإن الصوم له وجاء أو لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين
لأن الصوم شعارهم وقيل معناه أنه كصومهم في عدد الأيام
وهو شهر رمضان كتب على أهل الإنجيل فأصابهم موتان فزادوا
عشرا قبله وعشرا بعده فجعلوه خمسين يوما وقيل كان وقوعه في
البرد الشديد والحر الشديد فشق عليهم في أسفارهم ومعايشهم
فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين يوما كفارة لتحويله
عن وقته وقيل الأيام المعدودات عاشوراء وثلاثة أيام من
كل شهر كتب على رسول الله صيامها حين هاجر ثم نسخت بشهر
رمضان وقيل كتب عليكم كما كتب عليهم أن يتقوا المفطر بعد أن
يصلوا العشاء وبعد أن يناموا ثم نسخ ذلك بقوله أحل لكم ليلة الصيام
الآية ومعنى معدودات موقتات بعدد معلوم أو قلائل كقوله دراهم
معدودة وأصله أن المال القليل يقدر بالعدد ويتحكر فيه والكثير
يهال هيلا ويحثى حثيا وانتصاب أياما بالصيام كقولك نويت
الخروج يوم الجمعة أو على سفر أو راكب سفر فعدة فعليه عدة وقرئ
بالنصب بمعنى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل مكتوب
عليهما أن يفطرا ويصوما عدة من أيام أخر واختلف في المرض المبيح
للإفطار فمن قائل كل مرض لأن الله تعالى لم يخص مرضا دون
مرض كما لم يخص سفرا دون سفر فكما أن لكل مسافر أن يفطر فكذلك
كل مريض وعن ابن سيرين أنه دخل عليه في رمضان وهو
يأكل فاعتل بوجع إصبعه وسئل مالك عن الرجل يصيبه الرمد
الشديد أو الصداع المضر وليس به مرض يضجعه فقال إنه في سعة
من الإفطار وقائل هو المرض الذي يعسر معه الصوم ويزيد فيه
لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وعن الشافعي رحمه الله

فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر

لا نفطر حتى نجهد الجهد غير المحتمل. واختلف أيضا في القضاء
فعامة العلماء على التخيير وعن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه
أن الله لم يرخص لكم في فطره وهو يريد أن يشق عليكم في
قضائه إن شئت فواتر وإن شئت ففرق وعن علي وابن
عمر والشعبي وغيرهم أنه يقضي كما فات متتابعا وفي قراءة أبي
فعدة من أيام أخر متتابعات. فإن قلت كيف قيل فعدة على التنكير
ولم يقل فعدتها أي فعدة الأيام المعدودات قلت لما قيل فعدة
والعدة بمعنى المعدود فأمر بأن يصوم أياما معدودة مكانها علم
أنه لا يؤمر بأن يزيد على عددها فأغنى ذلك عن التعريف بالإضافة
وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر بهم
إن أفطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر أو صاع
من غيره عند أهل العراق وعند أهل الحجاز مد وكان ذلك
في بدء الإسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم
فرخص لهم في الإفطار والفدية وقرأ ابن عباس يطوقونه
تفعيل من الطوق إما بمعنى الطاقة أو القلادة أي يكلفونه أو
يقلدونه ويقال لهم صوموا وعنه يتطوقونه بمعنى يتكلفونه أو
يتقلدونه ويطوقونه بإدغام التاء في الطاء ويطيقونه ويطيقونه
بمعنى يتطيقونه وأصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه على أنهما من فيعل
وتفيعل من الطوق فأدغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم
تديّر المكان وما بها ديّار وفيه وجهان أحدهما نحو معنى يطيقونه
والثاني يكلفونه أو يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ
والعجائز وحكم هؤلاء الإفطار والفدية وعلى هذا الوجه ثابت
غير منسوخ ويجوز أن يكون هذا معنى يطيقونه أي يصومونه جهدهم
وطاقتهم ومبلغ وسعهم

وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون

فمن تطوع خيرا فزاد على مقدار الفدية فهو خير له فالتطوع أخير له
أو الخير وقرئ فمن يطوع بمعنى يتطوع وأن تصوموا أيها
المطيقون أو المطوقون وتحملتم على أنفسكم وجهدتم طاقتكم خير
لكم من الفدية وتطوع الخير ويجوز أن ينتظم في الخطاب
المريض والمسافر أيضا وفي قراءة أبي والصيام خير لكم الرمضان
مصدر رمض إذا احترق من الرمضاء فأضيف إليه الشهر
وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والألف والنون كما قيل
ابن داية للغراب بإضافة الابن إلى داية البعير لكثرة وقوعه
عليها إذا دبرت فإن قلت لم سمي شهر رمضان قلت الصوم فيه
عبادة قديمة فكأنهم سموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع
ومقاساة شدته كما سموه ناتقا لأنه كان ينتقهم أي يزعجهم إضجارا
بشدته عليهم وقيل لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة
سموها بالأزمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام رمض
الحر فإن قلت فإذا كانت التسمية واقعة مع المضاف والمضاف
إليه جميعا فما وجه ما جاء في الأحاديث من نحو قوله عليه السلام من صام
رمضان إيمانا واحتسابا من أدرك رمضان فلم يغفر له
قلت هو من باب الحذف لأمن الإلباس كما قال بما أعيا النطاسي
حذيما أراد ابن حذيم وارتفاعه على أنه مبتدأ خبره الذي
أنزل فيه القرآن أو على أنه بدل من الصيام في قوله كتب عليكم الصيام
أو على أنه خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب على صوموا شهر
رمضان أو على الإبدال من أياما معدودات أو على أنه مفعول
وأن تصوموا ومعنى أنزل فيه القرآن ابتدئ فيه إنزاله وكان
ذلك في ليلة القدر وقيل أنزل جملة إلى سماء الدنيا ثم نزل إلى
الأرض

شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان

نحو ما دخل أنزل في شأنه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام كما
أنزل في عمر كذا وفي علي كذا وعن النبي صلى الله عليه نزلت صحف
ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين
والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين هدى
للناس وبينات نصب على الحال اي انزل وهو هداية للناس
الى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات مما يهدي الى الحق
ويفرق بين الحق والباطل فان قلت ما معنى قوله وبينات من
الهدى بعد قوله هدى للناس قلت ذكر اولا انه هدى ثم
ذكر انه بينات من جملة ما هدى به الله وفرق به بين الحق والباطل
من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال
فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن كان شاهدا اي حاضرا مقيما
غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب
على الظرف وكذلك الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولا به كقولك
شهدت الجمعة لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر يريد
الله ان ييسر عليكم ولا يعسر وقد نفى عنكم الحرج في الدين وامركم
بالحنيفية السمحة التي لا اصر فيها ومن جملة ذلك ما رخص
لكم فيه من اباحة الفطر في السفر والمرض ومن الناس من فرض
الفطر على المريض والمسافر حتى زعم ان من صام فعليه الاعادة
وقرئ اليسر والعسر بضمتين لفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما
سبق تقديره ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم
تشكرون شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر
وامر المرخص له بمراعاة عدة ما افطر فيه ومن الترخيص في اباحة
الفطر فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من
كيفية القضاء

فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون

والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير
وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدي الى تبينه
الا النقاب المحدث من علماء البيان وانما عدي فعل التكبير
بحرف الاستعلاء لكونه مضمنا معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا
الله حامدين على ما هداكم ومعنى ولعلكم تشكرون وارادة ان
تشكروا وقرئ ولتكملوا بالتشديد فان قلت هل يصح ان يكون
ولتكملوا معطوفا على علة مقدرة كانه قيل لتعلموا ما تعلمون
ولتكملوا العدة او على اليسر كانه قيل يريد الله بكم اليسر ولتكملوا
كقوله يريدون ليطفئوا قلت لا يبعد ذلك والاول اوجه
فان قلت ما المراد بالتكبير قلت تعظيم الله والثناء عليه
وقيل هو تكبير يوم الفطر وقيل هو التكبير عند الاهلال فاني
قريب تمثيل لحاله في سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه
حاجة من سأله بحال من قرب مكانه فاذا دعي اسرعت
تلبيته ونحوه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقوله عليه السلام هو
بينكم وبين اعناق رواحلكم وروي ان اعرابيا قال لرسول الله
صلى الله عليه اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت
فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اني اجيبهم اذا
دعوني لحوائجهم وقرئ يرشدون ويرشدون بفتح الشين وكسرها
كان الرجل اذا امسى حل له الاكل والشرب والجماع الى ان
يصلي العشاء الآخرة او يرقد فاذا صلاها او رقد ولم يفطر حرم
عليه الطعام والشراب والنساء الى القابلة ثم ان عمر رضي الله عنه
واقع اهله بعد صلوة العشاء الآخرة فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم
نفسه فاتى النبي صلى الله عليه وقال يا رسول الله اني اعتذر الى الله
واليك

واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون

أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم

من يعني هذه الخاطية واخبره بما فعل فقال عليه السلم ما كنت جديرا بذلك
يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت
وقرئ احل لكم الرفث اي احل الله وقرا عبد الله الرفوث وهو
الافصاح بما يجب ان يكنى عنه كلفظ النيك وعن ابن عباس
انه انشد وهو محرم وهن يمشين بنا هميسا
ان تصدق الطير ننك لميسا فقيل له ارفثت فقال انما الرفث
ما كان عند النساء وقال الله تعالى فلا رفث ولا فسوق وكني به عن
الجماع لانه لا يكاد يخلو من شيء من ذلك فان قلت لم كني عنه ههنا
بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله وقد افضى بعضكم
الى بعض فلما تغشيها باشروهن او لمستم النساء دخلتم بهن
فاتوا حرثكم من قبل ان تمسوهن فما استمتعتم به منهن ولا
تقربوهن قلت استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة كما سماه
اختيانا لانفسهم فان قلت لم عدي الرفث بالى قلت لتضمينه معنى
الافضاء لما كان الرجل والمراة يعتنقان ويشتمل كل واحد
منهما على صاحبه في عناقه شبهه باللباس المشتمل عليه قال الجعدي
اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت وكانت عليه لباسا فان قلت
ما موقع قوله هن لباس لكم قلت هو استيناف كالبيان لسبب
الاحلال وهو انه اذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة
والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك
رخص لكم في مباشرتهن تختانون انفسكم تظلمونها وتنقصونها
حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب
فيه زيادة وشدة فتاب عليكم حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور وابتغوا
ما كتب الله لكم واطلبوا ما قسم الله لكم واثبت في اللوح من الولد
بالمباشرة

هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم

فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر

اي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له
النكاح من التناسل وقيل هو نهي عن العزل لانه في الحراير وقيل
وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من
المحل المحرم وعن قتادة وابتغوا ما كتب الله لكم من الاباحة بعد الحظر
وقرا ابن عباس واتبعوا وقرا الاعمش واتوا وقيل معناه
واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب ان اصبتموها وقمتموها
وهو قريب من بدع التفاسير الخيط الابيض اول ما يبدو من الفجر
المعترض في الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود ما يمتد معه من
غبش الليل شبها بخيطين ابيض واسود قال ابو دواد فلما اضاءت
لنا سدفة ولاح من الصبح خيط انارا وقوله من الفجر بيان للخيط
الابيض واكتفي به عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما
بيان للثاني ويجوز ان يكون من للتبعيض لانه بعض الفجر واوله فان قلت
اهذا من باب الاستعارة ام من باب التشبيه قلت قوله من
الفجر اخرجه من باب الاستعارة كما ان قولك رايت اسدا مجاز
فاذا زدت من فلان رجع تشبيها فان قلت فلم زيد من الفجر
حتى كان تشبيها وهلا اقتصر به على الاستعارة التي هي ابلغ من
التشبيه وادخل في الفصاحة قلت لان من شرط المستعار ان
يدل عليه الحال او الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم ان الخيطين
مستعاران فزيد من الفجر فكان تشبيها بليغا وخرج عن ان يكون
استعارة فان قلت فكيف التبس على عدي بن حاتم مع هذا
البيان حتى قال عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت
وسادي فكنت اقوم من الليل فانظر اليهما فلا يتبين لي الابيض
من الاسود فلما اصبحت غدوت الى رسول الله فاخبرته
فضحك

وقال إنك لعريض القفا إنما ذاك
بياض النهار وسواد الليل وقيل غفل عن البيان ولذلك عرض
رسول الله صلى الله عليه قفاه لأنه مما يستدل به على بلاهة الرجل
وقلة فطنته وأنشدتني بعض البدويات لبدوي عريض القفا
ميزانه في شماله قد انحص من حسب القراريط شاربه فإن قلت
فما تقول فيما روي عن سهل بن سعد الساعدي أنها نزلت ولم
ينزل من الفجر فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجليه
الخيط الأبيض والخيط الأسود فلا يزال يأكل ويشرب حتى
يتبينهما فأنزل بعد ذلك من الفجر فعلموا أنه إنما يعني بذلك الليل
والنهار وكيف جاز تأخير البيان وهو يشبه العبث حيث لا يفهم منه
المراد إذ ليس باستعارة لفقد الدلالة ولا بتشبيه قبل ذكر الفجر فلا
يفهم منه إذن إلا الحقيقة وهي غير مرادة قلت أما من لا يجوز
تأخير البيان وهم أكثر الفقهاء والمتكلمين وهو مذهب أبي علي
وأبي هاشم فلم يصح عندهم هذا الحديث وأما من يجوزه فيقول ليس
بعبث لأن المخاطب يستفيد منه وجوب الخطاب ويعزم على فعله
إذا استوضح المراد به ثم أتموا الصيام إلى الليل فيه دليل
على جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز تأخير الغسل
إلى الفجر وعلى نفي صوم الوصال عاكفون في المساجد معتكفون فيها
والاعتكاف أن يحبس نفسه في المسجد يتعبد فيه والمراد
بالمباشرة الجماع لما تقدم من قوله أحل لكم ليلة الصيام الرفث
إلى نسائكم فالآن باشروهن وقيل معناه ولا تلامسوهن بشهوة
والجماع يفسد الاعتكاف وكذلك إذا لمس أو قبل فأنزل وعن
قتادة كان الرجل إذا اعتكف خرج فباشر امرأته ثم رجع إلى المسجد

هذا بيان الحماقة لأن الميزان على اليمين

ثم أتموا الصيام إلى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد

فنهاهم الله عن ذلك وقالوا فيه دليل على أن الاعتكاف لا يكون إلا في مسجد
وأنه لا يختص به مسجد دون مسجد وقيل لا يجوز إلا في مسجد نبي وهو
أحد المساجد الثلاثة وقيل في مسجد جامع والعامة على أنه في مسجد
جماعة وقرأ مجاهد في المسجد تلك الأحكام التي ذكرت حدود
الله فلا تقربوها فلا تغشوها فإن قلت كيف قيل فلا تقربوها
مع قوله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله قلت من كان
في طاعة الله والعمل بشرائعه فهو متصرف في حيز الحق فنهي أن
يتعداه لأن من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك
فنهي أن يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل
لئلا يداني الباطل وأن يكون في الواسطة متباعدا عن الطرف
فضلا أن يتخطاه كما قال رسول الله صلى الله عليه إن لكل ملك
حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه فالرتع
حول الحمى وقربان حيزه واحد ويجوز أن يريد بحدود الله محارمه
ومناهيه خصوصا لقوله ولا تباشروهن وهي حدود لا تقرب
ولا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل بالوجه الذي لم يبحه الله ولم
يشرعه ولا تدلوا بها ولا تلقوا أمرها والحكومة فيها إلى الحكام
لتأكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من أموال الناس بالإثم بشهادة الزور
أو باليمين الكاذبة أو بالصلح مع العلم بأن المقضي له ظالم وعن النبي
صلى الله عليه أنه قال للخصمين إنما أنا بشر وأنتم تختصمون إلي
ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه فمن
قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذن منه شيئا فإنما أقطع
له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا
فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه وقيل وتدلوا
بها

تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون

ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون

ولتلقوا بعضها الى حكام السوء على وجه الرشوة وتدلوا مجزوم داخل
في حكم النهي او منصوب باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وانتم
تعلمون انكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها اقبح
وصاحبه احق بالتوبيخ روي ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري
قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد
حتى يمتلي ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون
على حالة واحدة فنزلت مواقيت معالم يوقت بها الناس مزارعهم
ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وايام
حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك ومعالم للحج تعرف بها وقته
كان ناس من الانصار اذا احرموا لم يدخل احد منهم حائطا ولا
دارا ولا فسطاطا من باب فان كان من اهل المدر نقب نقبا في
ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما يصعد فيه وان كان
من اهل الوبر خرج من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم
من دخول الباب ولكن البر بر من اتقى ما حرم الله فان قلت ما وجه
اتصاله بما قبله قلت كانه قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن
الحكمة في نقصانها وتمامها معلوم ان كل ما يفعله الله عز وعلا
لا يكون الا لحكمة بالغة ومصلحة لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا
في واحدة تفعلونها انتم مما ليس من البر في شيء وانتم تحسبونها
برا ويجوز ان يجري ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر انها مواقيت
للحج لانه كان من افعالهم في الحج ويحتمل ان يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم
في سؤالهم وان مثلهم فيه كمثل من ترك باب البيت ودخله من
ظهره والمعنى ليس البر وما ينبغي ان تكونوا عليه بان تعكسوا في
مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله ثم
قال

وأتوا البيوت من ابوابها اي وباشروا الامور من وجوهها التي يجب
ان تباشر عليها ولا تعكسوا والمراد وجوب توطين النفوس وربط
القلوب على ان جميع افعال الله حكمة وصواب من غير اختلاج
شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسأل عنه لما في السؤال من
الاتهام بمقارفة الشك لا يسأل عما يفعل وهم يسألون المقاتلة
في سبيل الله هو الجهاد لاعلاء كلمة الله واعزاز الدين الذين
يقاتلونكم يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا
بقوله وقاتلوا المشركين كافة وعن الربيع بن انس هي اول آية نزلت
في القتال بالمدينة فكان رسول الله يقاتل من قاتله ويكف عمن كف
او الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من اهل المناصبة
من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء او الكفرة كلهم
لانهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم في حكم المقاتلة
قاتلوا او لم يقاتلوا وقيل لما صد المشركون رسول الله عام الحديبية
وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام فرجع لعمرة
القضاء خاف المسلمون ان لا يوفي لهم قريش ويصدوهم ويقاتلوهم
في الحرم وفي الشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت واطلق لهم قتال
الذين يقاتلونهم منهم في الحرم ورفع عنهم الجناح في ذلك ولا تعتدوا
بابتداء القتال او بقتال من نهيتم عن قتاله من النساء والشيوخ والصبيان
والذين بينكم وبينهم عهد او بالمثلة او بالمفاجأة من غير دعوة
حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم والثقف وجود
على وجه الاخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الاخذ لاقرانه
قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود من
حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل رسول الله بمن لم يسلم منهم يوم
الفتح

يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون

وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين

واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم

والفتنة اشد من القتل اى المحنة والبلاء الذى ينزل بالانسان
يتعذب به اشد عليه من القتل وقيل لبعض الحكماء ما اشد من
الموت قال الذى يتمنى فيه الموت جعل الاخراج من الوطن من الفتن
والمحن التى يتمنى عندها الموت ومنه قول القائل لقتل بحد السيف
اهون موقعا على النفس من قتل بحد فراق وقيل الفتنة عذاب
الآخرة ذوقوا فتنتكم وقيل الشرك اعظم من القتل فى الحرم وذلك
انهم كانوا يستعظمون القتال فى الحرم ويعيبون به المسلمين فقيل
والشرك الذى هم عليه اشد واعظم مما يستعظمونه ويجوز ان يراد
وفتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام اشد من قتلكم اياهم فى
الحرم او من قتلهم اياكم ان قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم وقرئ ولا
تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم جعل وقوع القتل فى بعضهم كوقوعه
فيهم تقول قتلتنا بنو فلان وقال فان تقتلونا نقتلكم فان انتهوا
عن الشرك والقتال كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف حتى
لا تكون فتنة اى شرك ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان
فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين
فلا تعتدوا على المنتهين لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم
فوضع قوله الا على الظالمين موضع المنتهين او فلا تظلموا الا
الظالمين غير المنتهين سمى جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله
فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او اريد انكم ان تعرضتم لهم
بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم قاتلهم المشركون
عام الحديبية فى الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم
لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك فى ذى القعدة الشهر
الحرام بالشهر الحرام اى هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه

والفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين

فان انتهوا فان الله غفور رحيم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين

الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص

يعنى تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم والحرمات قصاص
اى وكل حرمة يجرى فيها القصاص من هتك حرمة اى حرمة
كانت اقتص منه بان تهتك له حرمة حين هتك حرمته لكم
فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا واكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم
فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله فى حال كونكم
منتصرين ممن اعتدى عليكم ولا تعتدوا الى ما لا يحل لكم الباء
فى بايديكم مزيدة مثلها فى اعطى بيده للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا
التهلكة ايديكم اى لا تجعلوها آخذة بايديكم مالكة لكم وقيل
بايديكم بانفسكم [illegible] ولا تلقوا انفسكم بايديكم كما يقال
اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها والمعنى النهى
عن ترك الانفاق فى سبيل الله لانه سبب الهلاك او عن
الاسراف فى النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله او عن
الاستقتال والاخطار بالنفس او عن ترك الغزو الذى هو تقوية
للعدو وروى ان رجلا من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح
به الناس القى بيده الى التهلكة فقال ابو ايوب الانصارى نحن
اعلم بهذه الآية وانما انزلت فينا صحبنا رسول الله فنصرناه وشهدنا
معه المشاهد وآثرناه على اهالينا واموالنا واولادنا فلما فشا
الاسلام وكثر اهله ووضعت الحرب اوزارها رجعنا الى
اهالينا واولادنا واموالنا نصلحها ونقيم فيها فكانت التهلكة
الاقامة فى الاهل والمال وترك الجهاد وحكى ابو على فى الحلبيات عن
ابى عبيدة التهلكة والهلاك والهلك واحد قال فدل هذا من
قول ابى عبيدة على ان التهلكة مصدر ومثله ما حكاه سيبويه من قولهم
التضرة والتسرة ونحوها فى الاعيان التنضبة والتتفلة ويجوز ان
يقال

فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين

اصلها التهلكة كالتجربة والتبصرة ونحوهما على انها مصدر من هلّك فابدلت
من الكسرة ضمة كما جاء الجوار في الجوار. واتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما
تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله من غير توان ولا نقصان
يقع منكم فيهما قال: تمام الحج ان تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام
جعل الوقوف عليها كبعض مناسك الحج اللازم اداؤه وقيل اتمامهما
ان تحرم بهما من دويرة اهلك. روي ذلك عن علي وابن عباس وابن
مسعود رضي الله عنهم وقيل ان تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال
محمد رحمه الله حجة كوفية وعمرة كوفية افضل وقيل ان تكون النفقة
حلالا وقيل ان تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من التجارة
والاغراض الدنيوية. فان قلت هل فيه دليل على وجوب العمرة
قلت ما هو الا امر باتمامهما ولا دليل في ذلك على كونهما واجبين
او تطوعين فقد يؤمر باتمام الواجب والتطوع جميعا الا ان
تقول الامر باتمامهما امر بادائهما بدليل قراءة من قرأ واقيموا الحج
والعمرة والامر للوجوب في اصله الا ان يدل دليل على خلاف
الوجوب كما دل في قوله فاصطادوا فانتشروا ونحو ذلك فيقال لك
فقد دل الدليل على نفي الوجوب وهو ما روي انه قيل يا رسول الله العمرة
واجبة مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وعنه الحج جهاد
والعمرة تطوع فان قلت فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه
قال ان العمرة لقرينة الحج وعن عمر رضي الله عنه ان رجلا قال له
اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال
هديت لسنة نبيك وقد نظمت مع الحج في الامر بالاتمام فكانت واجبة
مثل الحج قلت كونها قرينة للحج ان القارن يقرن بينهما وانهما
يقترنان في الذكر فيقال حج فلان واعتمر والحجاج والعمار ولانها
الحج الاصغر

وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي

ولا دليل في ذلك على كونها قرينة له في الوجوب واما حديث عمر فقد
فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه بقوله اهللت بهما واذا اهل
بالعمرة وجبت عليه كما اذا كبر بالتطوع من الصلوة والدليل
الذي ذكرناه اخرج العمرة من صفة الوجوب فبقي الحج وحده
فيها فهما بمنزلة قولك صم شهر رمضان وستة من شوال
في انك تأمر بفرض وتطوع وقرأ علي وابن مسعود والشعبي
والعمرة لله بالرفع كانهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج
وهو الوجوب. فان احصرتم يقال احصر فلان اذا منعه
امر من خوف او مرض او عجز قال الله تعالى الذين
احصروا في سبيل الله وقال ابن ميادة وما هجر ليلى ان
تكون تباعدت عليك ولا ان احصرتك شغول هذا
هو الاكثر في كلامهم وهما بمعنى المنع في كل شيء مثل صدّه
منع عنده من عدو كان او مرض او غيرهما معتبر في
اثبات حكم الاحصار وعند مالك والشافعي رحمهما
الله منع العدو وحده وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كسر
او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل. فما استيسر من
الهدي فما تيسر منه يقال يسر الامر واستيسر
كما يقال صعب واستصعب والهدي جمع هدية
كمطية ومطي يعني فان منعتم من المضي الى البيت
وانتم محرمون بحج او عمرة فعليكم اذا اردتم التحلل
ما استيسر من الهدي من بعير او بقرة او شاة. فان قلت
اين ومتى ينحر هدي المحصر قلت ان كان حاجا
فبالحرم متى شاء عند ابي حنيفة رحمه الله يبعث به ويجعل

احصرتك شغول وحصر اذا حبسه عدو عن المضي او سجن ومنه قيل للمحبس الحصير وللملك الحصير

وكذلك قال الفراء وابو عمرو الشيباني

فيه اشعار بكونه قال والله اعلم فان احصرتم عن الحج فاردتم ان تحلوا فاذبحوا ما استيسر اذ الاحصار نفسه لا يوجب الهدي لكنه اذا اراد الخروج عنه يجب

للمبعوث على يده يوم أمار، وعندهما في أيام النحر، وإن كان معتمرًا فبالحرم في كل وقت عندهم جميعًا. ما استيسر رفع بالابتداء أي فعليه ما استيسر، أو نصب على فاهدوا ما استيسر. ولا تحلقوا رؤوسكم الخطاب للمحصرين أي لا تحلوا حتى تعلموا أن الهدي الذي بعثتموه إلى الحرم بلغ محله أي مكانه الذي يجب نحره فيه، ومحل الدين وقت وجوب قضائه، وهو ظاهر على مذهب أبي حنيفة رحمه الله، فإن قلت فإن النبي صلى الله عليه وسلم نحر هديه حيث أحصر، قلت كان محصره طرف الحديبية الذي إلى أسفل مكة وهو من الحرم. وعن الزهري أن رسول الله نحر هديه في الحرم. وقال الواقدي الحديبية من طرف الحرم على تسعة أميال من مكة. فمن كان منكم مريضًا فمن كان به مرض يحوجه إلى الحلق أو به أذى من رأسه وهو القمل أو الجراحة فعليه إذا احتلق فدية من صيام ثلاثة أيام أو صدقة على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر أو نسك وهو شاة. وعن كعب بن عجرة أن رسول الله صلى الله عليه قال له لعلك آذاك هوامك؟ قال نعم يا رسول الله، قال احلق رأسك وصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين أو انسك شاة. وكان كعب يقول فيّ نزلت هذه الآية. ويروى أنه مرّ به وقد قرح رأسه فقال كفى بهذا أذى وأمره بأن يحلق ويطعم أو يصوم. والنسك مصدر وقيل جمع نسيكة. وقرأ الحسن أو نسك بالتخفيف. فإذا أمنتم الإحصار يعني فإذا لم تحصروا وكنتم في حال أمن وسعة فمن تمتع أي استمتع بالعمرة إلى الحج واستمتاعه بالعمرة إلى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها إلى الله قبل الانتفاع بتقربه بالحج. وقيل إذا حل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرمًا عليه إلى أن يحرم بالحج فما استيسر من الهدي هو هدي المتعة

وهو نسك عند أبي حنيفة رحمه الله ويأكل منه، وعند الشافعي رحمه الله يجري مجرى الجنايات ولا يأكل منه، ويذبحه يوم النحر عندنا، وعنده يجوز ذبحه إذا أحرم بحجته. فمن لم يجد الهدي فعليه صيام ثلاثة أيام في الحج أي في وقته وهو أشهره ما بين الإحرامين إحرام العمرة وإحرام الحج، وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله، والأفضل أن يصوم يوم التروية وعرفة ويومًا قبلهما، وإن مضى هذا الوقت لم يجزئه إلا الدم. وعند الشافعي رحمه الله لا يصام إلا بعد الإحرام بالحج تمسكًا بظاهر قوله في الحج وسبعة إذا رجعتم يعني إذا نفرتم وفرغتم من أفعال الحج عند أبي حنيفة رحمه الله، وعند الشافعي هو الرجوع إلى أهاليهم. وقرأ ابن أبي عبلة وسبعةً بالنصب عطفًا على محل ثلاثة أيام كأنه قيل فصيام ثلاثة أيام كقوله أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيمًا. فإن قلت ما فائدة الفذلكة؟ قلت الواو قد تجيء للإباحة في نحو قولك جالس الحسن وابن سيرين، ألا ترى أنه لو جالسهما جميعًا أو واحدًا منهما كان ممتثلًا، ففذلكت نفيًا لتوهم الإباحة، وأيضًا ففائدة الفذلكة في كل حساب أن يعلم العدد جملة كما علم تفصيلًا ليحاط به من جهتين فيتأكد العلم، وفي أمثال العرب علمان خير من علم. وكذلك كاملة تأكيد آخر، وفيه زيادة توصية بصيامها وأن لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها، كما تقول للرجل إذا كان لك اهتمام بأمر تأمره به وكان منك بمنزل: الله الله لا تقصّر. وقيل كاملة في وقوعها بدلًا من الهدي. وفي قراءة أبيّ فصيام ثلاثة أيام متتابعات. ذلك إشارة إلى التمتع عند أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله، لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عندهم، ومن تمتع منهم أو قرن كان عليه دم وهو دم جناية لا يأكل منه. وأما القارن والمتمتع من أهل الآفاق

ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله

فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية من صيام او صدقة او نسك

فاذا امنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي

فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة

ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب

اى عزل من الصواب

محظورات الاول

فيه بهاديه نسكا بما كان منه وعند الشافعي اشارة الى الحكم الذي هو وجوب الهدي
او الصيام ولم يوجب عليهم شيا وحاضروا المسجد الحرام اهل المواقيت
فمن دونها الى مكة عند ابي حنيفة وعند اهل الحرم ومن كان من
الحرم على مسافة لا تقصر فيها الصلوة واتقوا الله في المحافظة على
حدوده وما امركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره واعلموا ان
الله شديد العقاب لمن خالف ليكون علمكم بشدة عقابه
لطفا لكم في التقوى اي وقت الحج اشهر كقولك البرد شهران
والاشهر المعلومات شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عند
ابي حنيفة وعند الشافعي تسع ذي الحجة وليلة يوم النحر وعند مالك
ذو الحجة كله فان قلت ما فائدة توقيت الحج بهذه الاشهر قلت
فائدته ان شيا من افعال الحج لا يصح الا فيها والاحرام بالحج لا ينعقد
ايضا عند الشافعي في غيرها وعند ابي حنيفة ينعقد الا انه مكروه
فان قلت فكيف كان الشهران وبعض الثالث اشهرا قلت
اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما
فلا سوال فيه اذن وانما كان يكون موضعا للسوال لو قيل ثلاثة
اشهر معلومات وقيل نزل بعض الشهر منزلة كله كما تقول رايتك
سنة كذا وعلى عهد فلان ولعل العهد عشرون سنة او اكثر وانما
رايته في ساعة منها فان قلت ما وجه مذهب مالك وهو مروي عن
عروة بن الزبير قلت ما روي ان العمرة غير مستحبة فيها عند
عمر وابن عمر فكانها مخلصة للحج لا مجال فيها للعمرة وعن عمر انه
كان يخفق الناس بالدرة وينهاهم عن الاعتمار فيهن وعن
ابن عمر انه قال لرجل ان اطعتني انتظرت حتى اذا اهللت المحرم
خرجت الى ذات عرق فاهللت منها بعمرة وقالوا لعل من مذهب

الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولي الالباب

عروة جواز تاخير طواف الزيارة الى آخر الشهر معلومات معروفات
عند الناس لا يشكلن عليهم وفيه ان الشرع لم يات على خلاف
ما عرفوه وانما جاء مقررا له فمن فرض فمن الزم نفسه
بالتلبية او بتقليد الهدي وسوقه عند ابي حنيفة وعند الشافعي
بالنية فلا رفث فلا جماع لانه يفسده او فلا فحش من الكلام ولا
فسوق ولا خروج عن حدود الشريعة وقيل هو السباب والتنابز
بالالقاب ولا جدال ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين وانما
امر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال لانه مع الحج
اسمج كلبس الحرير في الصلوة والتطريب في قراءة القرآن والمراد
بالنفي وجوب انتفائها وانها حقيقة بان لا تكون وقرى المنفيات
الثلاث بالنصب وبالرفع وقرا ابو عمرو وابن كثير الاولين
بالرفع والآخر بالنصب لانهما حملا الاولين على معنى النهي كانه
قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالث على معنى الاخبار بانتفاء
الجدال كانه قيل ولا شك ولا خلاف في الحج وذلك ان قريشا
كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب
يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويوخرونه سنة وهو
النسي فرد الى وقت واحد ورد الوقوف الى عرفة فاخبر الله انه قد
ارتفع الخلاف في الحج واستدل على ان المنهي عنه هو الرفث والفسوق
دون الجدال بقوله عليه السلام من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة
يوم ولدته امه وانه لم يذكر الجدال وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث
على الخير عقيب النهي عن الشر وان يستعملوا مكان القبيح من الكلام
الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق
الجميلة وقيل جعل فعل الخير عبارة عن ضبط انفسهم حتى لا يوجد فيهم ما
نهوا عنه

قال عليه السلام سباب المومن فسوق

ويتصدقوا وقوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي اجعلوا زادكم
الى الآخرة اتقاء القبائح فان خير الزاد اتقاؤها وقيل كان
اهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت
الله افلا يطعمنا فيكونون كلًّا على الناس فنزلت فيهم ومعناه وتزودوا
واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى
واتقون يا اولي الالباب يعني ان قضية اللب تقوى
الله ومن لم يتقه من الالباء فكانه لا لب له فضلًا من ربكم عطاء
منه وتفضلًا وهو النفع والربح بالتجارة وكان ناس من العرب
يتأثمون ان يتجروا ايام الحج واذا دخل العشر كفوا عن البيع
والشراء فلم تقم لهم سوق ويسمون من يخرج بالتجارة الداج ويقولون
هؤلاء الداج وليسوا بالحاج وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز
اسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها في ايام الموسم وكانت معايشهم منها
فلما جاء الاسلام تأثموا فرفع عنهم الجناح في ذلك وابيح لهم وانما يباح
ما لم يشغل عن العبادة وعن ابن عمر ان رجلًا قال له انا قوم نكري
في هذا الوجه وان قومًا يزعمون ان لا حج لنا فقال سأل رجل
رسول الله صلى الله عليه عما سألت فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم
جناح فدعا به فقال انتم حجاج وعن ابن عمر انه قيل له هل
كنتم تكرهون التجارة في الحج وقرأ ابن عباس فضلًا من ربكم في مواسم
الحج ان تبتغوا في ان تبتغوا افضتم دفعتم بكثرة وهو من افاضة
الماء وهو صبه بكثرة واصله افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول كما
ترك في دفعوا من موضع كذا وصبوا وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه
صب في دقران وهو يحرش بعيره بمحجنه ويقال افاضوا في
الحديث وهضبوا فيه وعرفات علم للموقف سمي بجمع كاذرعات فان قلت

ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين

فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة في الحج

هلا منعت الصرف وفيها السببان التعريف والتأنيث قلت
لا يخلو التأنيث اما ان يكون بالتاء التي في لفظها واما بتاء مقدرة
كما في سعاد فالتي في لفظها ليست للتأنيث وانما هي مع الالف
التي قبلها علامة جمع المؤنث ولا يصح تقدير التاء فيها لان هذه التاء
لاختصاصها بجمع المؤنث مانعة من تقديرها كما لا تقدر تاء التأنيث
في بنت لان التاء التي هي بدل من الواو لاختصاصها بالمؤنث كتاء
التأنيث فأبت تقديرها وقالوا سميت بذلك لانها وصفت
لابراهيم عليه السلام فلما ابصرها عرفها وقيل ان جبريل حين كان
يدور به في المشاعر اراه اياها فقال قد عرفت وقيل التقى فيها آدم
وحواء فتعارفا وقيل لان الناس يتعارفون فيها والله اعلم بحقيقة
ذلك وهي من الاسماء المرتجلة لان العرفة لا تعرف في اسماء الاجناس
الا ان تكون جمع عارف وقيل فيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة
لان الافاضة لا تكون الا بعده وعن النبي صلى الله عليه الحج
عرفة من ادرك عرفة فقد ادرك الحج فاذكروا الله بالتلبية والتهليل
والتكبير والثناء والدعوات وقيل بصلوة المغرب والعشاء والمشعر
الحرام قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة وقيل
المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة من مأزمي عرفة الى وادي محسر
وليس المأزمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام والصحيح انه الجبل
لما روى جابر ان النبي صلى الله عليه لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس
ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام قريبًا منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة
من جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر او
جعلت اعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند
المشعر والمشعر المعلم لانه معلم للعبادة ووصف بالحرام لحرمته

فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وقوله تعالى عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام

وعن ابن عباس رضي الله عنه انه نظر الى الناس ليلة جمع فقال لقد
ادركت الناس هذه الليلة لا ينامون وقيل سميت المزدلفة وجمعا
لان آدم اجتمع فيها مع حوآء وازدلف اليها اي دنا منها وعن قتادة
لانه يجمع فيها بين الصلاتين ويجوز ان يقال وصفت بفعل
اهلها لانهم يزدلفون الى الله اي يتقربون فيها كما هديكم ما مصدرية
او كافة والمعنى اذكروه ذكرا حسنا كما هديكم هداية حسنة او اذكروه
كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا عنه وان كنتم من قبله من قبل
الهدى لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه
وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة ثم افيضوا ثم لتكن
افاضتكم من حيث افاض الناس ولا تكن من المزدلفة وذلك
لما كان عليه الحمس من الترفع على الناس والتعالي عليهم وتعظمهم
عن ان يساووهم في الموقف وقولهم نحن اهل الله وقطان حرمه
فلا نخرج منه فيقفون بجمع وسائر الناس بعرفات فان قلت
فكيف موقع ثم قلت نحو موقعها في قولك احسن الى الناس ثم لا
تحسن الى غير كريم تاتي بثم لتفاوت ما بين الاحسان الى الكريم
والاحسان الى غيره وبعد ما بينهما فكذلك حين امرهم بالذكر
عند الافاضة من عرفات قال ثم افيضوا لتفاوت ما بين الافاضتين
وان احديهما صواب والثانية خطاء وقيل ثم افيضوا من حيث
افاض الناس وهم الحمس اي من المزدلفة الى منى بعد الافاضة
من عرفات وقرئ من حيث افاض الناس بكسر السين اي
الناسي وهو آدم من قوله ولقد عهدنا الى آدم فنسي يعني ان الافاضة
من عرفات شرع قديم فلا تخالفوا عنه واستغفروا الله من
مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم فاذا قضيتم مناسككم

ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم

فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم او اشد ذكرا

فاذا فرغتم من عباداتكم الحجية ونفرتم فاذكروا الله كذكركم آباءكم
فاكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخرهم
وايامهم وكانوا اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل
فيعددون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن ايامهم او اشد ذكرا
في موضع جر عطف على ما اضيف اليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول
كذكر قريش اباءهم او قوم اشد منهم ذكرا او في موضع نصب عطف
على اباءكم بمعنى او اشد ذكرا من آبائكم على ان ذكرا من فعل المذكور
فمن الناس من يقول معناه اكثروا ذكر الله ودعاءه فان الناس
من بين مقل لا يطلب بذكر الله الا اغراض الدنيا ومكثر يطلب
خير الدارين فكونوا من المكثرين آتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا
اي اعطاءنا في الدنيا خاصة وما له في الآخرة من خلاق اي
من طلب خلاق وهو النصيب او ما لهذا الداعي في الآخرة
من نصيب لان همه مقصور على الدنيا والحسنتان ما هو
طلبة الصالحين في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في الخير
وطلبتهم في الآخرة من الثواب وعن علي رضي الله عنه الحسنة
في الدنيا المراة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امراة
السوء اولئك الداعون بالحسنتين لهم نصيب مما كسبوا اي نصيب
من جنس ما كسبوا من الاعمال كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا او لهم
نصيب مما دعوا به نعطيهم منه ما يستوجبونه بحسب مصالحهم في
الدنيا واستحقاقهم في الآخرة وسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال
والاعمال موصوفة بالكسب بما كسبت ايديكم ويجوز ان يكون اولئك
للفريقين جميعا وان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا
والله سريع الحساب يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب العباد

فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق

ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب

واذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون

فبادروا إلى ذلك الذكر وطلب الآخرة او وصف نفسه بسرعة حساب
الخلائق على كثرة عددهم وكثرة اعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب
الحذر منه روي انه يحاسب الخلق في قدر حلب شاة وروي في
مقدار فواق ناقة وروي في مقدار لمحة الأيام المعدودات ايام
التشريق وذكر الله فيها التكبير في ادبار الصلوات وعند الجمار وعن
عمر رضي الله عنه انه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى
يكبر الناس في الطريق وفي الطواف فمن تعجل فمن عجل في النفر او استعجل النفر
وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في الامر
واستعجل ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة
اوفق لقوله ومن تأخر كما هي كذلك في قوله قد تبرك المتأني بعض
حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل لأجل المتأني في يومين
بعد يوم النحر يوم القر وهو الذي يسميه اهل مكة يوم الرؤس
واليوم بعده ينفر اذا فرغ من رمي الجمار كما يفعل الناس اليوم وهو
مذهب الشافعي ويروى عن قتادة وعند ابي حنيفة واصحابه ينفر
قبل طلوع الفجر ومن تأخر حتى رمى في اليوم الثالث والرمي في اليوم
الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يجوز
فان قلت كيف قال فلا اثم عليه عند التعجل والتأخر جميعا قلت
دلالة على ان التعجل والتأخر مخير فيهما كانه قيل فتعجلوا او تأخروا
فان قلت اليس التأخر بأفضل قلت بلى ويجوز ان يقع التخيير
بين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين الصوم والافطار
وان كان الصوم افضل وقيل ان اهل الجاهلية كانوا فريقين
منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتأخر آثما فورد القرآن
بنفي المأثم عنهما جميعا لمن اتقى اي ذلك التخيير ونفي الاثم عن
المتعجل

ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام

والمتأخر لاجل الحاج المتقي لئلا يتخالج في قلبه شيء منهما فيحسب ان احدهما
يرهق صاحبه آثام في الاقدام عليه لان ذا التقوى حذر متحرز
من كل ما يريبه ولانه هو الحاج على الحقيقة عند الله ثم قال واتقوا
الله ليعبأ بكم ويجوز ان يراد ذلك الذي مر ذكره من احكام الحج
وغيره لمن اتقى لانه هو المنتفع به دون من سواه كقوله ذلك خير
للذين يريدون وجه الله من يعجبك قوله اي يروقك ويعظم
في قلبك ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس وهو الاخنس
بن شريق كان رجلا حلو المنطق اذا لقي رسول الله الان
له القول وادعى انه يحبه وانه مسلم وقال يعلم الله اني صادق
وقيل هو عام في المنافقين كانت تحلو لي السنتهم وقلوبهم امر
من الصبر فان قلت بم يتعلق قوله في الحياة الدنيا قلت بالقول
اي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لان ادعاءه المحبة بالباطل يطلب به
حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الآخرة كما تراد بالايمان الحقيقي
والمحبة الصادقة للرسول فكلامه اذن في الدنيا لا في الآخرة
ويجوز ان يتعلق بيعجبك اي قوله حلو فصيح في الدنيا فهو يعجبك
ولا يعجبك في الآخرة لما يرهقه في الموقف من الحبسة واللكنة
او لانه لا يؤذن له في الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه
ويشهد الله على ما في قلبه اي يحلف ويقول الله شاهد على ما
في قلبي من محبتك ومن الاسلام وقرئ ويشهد الله وفي مصحف
ابي ويستشهد الله وهو ألد الخصام وهو شديد الجدال
والعداوة للمسلمين وقيل كان بينه وبين ثقيف خصومة
فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زروعهم والخصام المخاصمة
واضافة الالد بمعنى في كقولهم ثبت الغدر او جعل الخصام
الدا على المبالغة

[illegible marginal glosses]

وقيل الخصام جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى وهو اشد الخصوم
خصومة وإذا تولى وإذا تولى عنك وذهب بعد إلانة القول
وإحلاء المنطق سعى في الارض ليفسد فيها كما فعل بثقيف وقيل
وإذا تولى وإذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من
الفساد في الارض بإهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم
حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ
ويهلك الحرث والنسل على أن الفعل للحرث والنسل والرفع
للعطف على سعى وقرأ الحسن بفتح اللام وهي لغة نحو أبى يأبى
وروي عنه ويهلك على البناء للمفعول أخذته العزة بالإثم
من قولك أخذته بكذا إذا حملته عليه وألزمته إياه أي
حملته العزة التي فيه وحمية الجاهلية على الإثم الذي ينهى
عنه وألزمته ارتكابه وأن لا يخلي عنه ضرارا ولجاجا
أو على رد قول الواعظ يشري نفسه يبيعها أي يبذلها في
الجهاد وقيل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل وقيل
نزلت في صهيب بن سنان أراده المشركون على ترك
الإسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فقال لهم أنا شيخ كبير إن كنت
معكم لم أنفعكم وإن كنت عليكم لم أضركم فخلوني وما أنا عليه
وخذوا مالي فقبلوا منه ماله وأتى المدينة والله رؤوف بالعباد
حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء السلم بكسر
السين وفتحها وقرأ الأعمش بفتح السين واللام وهو الاستسلام
والطاعة أي استسلموا لله وأطيعوه كافة لا يخرج منكم أحد
يده عن طاعته وقيل هو الإسلام والخطاب لأهل الكتاب
لأنهم آمنوا بنبيهم وكتابهم أو للمنافقين لأنهم آمنوا بألسنتهم
ويجوز أن يكون كافة حالا من السلم لأنها تؤنث كما تؤنث
الحرب

وإذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد

ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد

يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين

قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من أنفاسها جرع
على أن المؤمنين أمروا بأن يدخلوا في الطاعات كلها وأن
لا يدخلوا في طاعة دون طاعة أو في شعب الإسلام وشرائعه
كلها وأن لا يخلوا بشيء منها وعن عبد الله بن سلام أنه
استأذن رسول الله أن يقيم على السبت وأن يقرأ
من التوراة في صلاته من الليل وكافة من الكف كأنهم كفوا
أن يخرج أحد منهم باجتماعهم فإن زللتم عن الدخول في السلم
من بعد ما جاءتكم البينات أي الحجج والشواهد على أن ما دعيتم
إلى الدخول فيه هو الحق فاعلموا أن الله عزيز غالب لا يعجزه
الانتقام منكم حكيم لا ينتقم إلا بحق وروي أن قارئا قرأ
غفور رحيم فسمعه أعرابي فأنكره ولم يقرأ القرآن
وقال إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر
الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه وقرأ أبو السمال
زللتم بكسر اللام وهما لغتان نحو ضللت وضللت أن يأتيهم الله
إتيان أمره كقوله أو يأتي أمر ربك فجاءهم بأسنا ويجوز
أن يكون المأتي به محذوفا بمعنى أن يأتيهم الله ببأسه
أو بنقمته للدلالة عليه بقوله فإن الله عزيز في ظلل جمع ظلة
وهي ما أظلك وقرئ ظلال وهي جمع ظلة كقلة وقلال أو
جمع ظل وقرئ والملائكة بالرفع كقوله هل ينظرون إلا أن
تأتيهم الملائكة وبالجر عطفا على ظلل أو على الغمام فإن قلت
لم يأتيهم العذاب في الغمام قلت لأن الغمام مظنة
الرحمة فإذا نزل منه العذاب كان الأمر أفظع وأهول
لأن الشر إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أغم كما أن الخير إذا
جاء من حيث لا يحتسب كان أسر

فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم

هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور

فكيف إذا جاءه الشر من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت الصاعقة
من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث ومن
ثمّ اشتد على المتفكرين في كتاب الله قوله تعالى وبدا لهم من الله
ما لم يكونوا يحتسبون وقضي الأمر وأتم أمر إهلاكهم وتدميرهم
وفرغ منه وقرأ معاذ بن جبل رضي الله عنه وقضاء الأمر على
المصدر المرفوع عطفا على الملائكة وقرئ ترجع وترجع على البناء
للفاعل والمفعول بالتأنيث والتذكير فيهما سل أمر للرسول
أو لكل أحد وهذا السؤال سؤال تقريع كما تسأل الكفرة
يوم القيامة كم آتيناهم من آية بينة على أيدي أنبيائهم وهي معجزاتهم
أو من آية في الكتب شاهدة على صحة دين الإسلام ونعمة
الله آياته وهي أجل نعمة من الله لأنها أسباب الهدى
والنجاة من الضلالة وتبديلهم إياها أن الله أظهرها
لتكون أسباب هداهم فجعلوها أسباب ضلالتهم كقوله
فزادتهم رجسا إلى رجسهم أو حرفوا آيات الكتب الدالة
على دين محمد صلى الله عليه فإن قلت كم استفهامية أم خبرية
قلت تحتمل الأمرين ومعنى الاستفهام فيها للتقرير فإن قلت
ما معنى من بعد ما جاءته قلت معناه من بعد ما تمكن من
معرفتها أو عرفها كقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه لأنه إذا
لم يتمكن من معرفتها أو لم يعرفها فكأنها غائبة عنه وقرئ
وعن [illegible] بالتخفيف المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا
وحسنها في أعينهم بوساوسه وحببها إليهم فلا يريدون غيرها
ويجوز أن يكون الله قد زينها لهم بأن خذلهم حتى استحسنوها
وأحبوها أو جعل إمهال المزين تزيينا ويدل عليه قراءة
من قرأ

سلطان

سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب

زين للذين كفروا الحيوة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب

زَيّن للذين كفروا الحيوة الدنيا على البناء للفاعل ويسخرون
من الذين آمنوا كان الكفرة يسخرون من المؤمنين
الذين لا حظ لهم من الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب
وغيرهم أي لا يريدون غيرها وهم يسخرون ممن لا حظ
له فيها أو ممن يطلب غيرها والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة
لأنهم في عليين من السماء وهم في سجين من الأرض أو حالهم
عالية لحالهم لأنهم في كرامة وهم في هوان أو هم عالون عليهم
متطاولون يضحكون منهم كما تطاولوا هنا عليهم في الدنيا
ويرون الفضل لهم عليهم فاليوم الذين آمنوا من الكفار
يضحكون والله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير
يعني أنه يوسع على من توجب الحكمة التوسيع عليه كما وسع على
قارون وغيره فهذه التوسعة عليكم من جهة الله لما فيها من
الحكمة وهي استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان أولياؤه
المؤمنون أحق بها منكم فإن قلت لم قال من الذين آمنوا
ثم قال والذين اتقوا قلت ليريك أنه لا يسعد عنده إلا المؤمن
المتقي وليكون بعثا للمؤمنين على التقوى إذا سمعوا ذلك كان
الناس أمة واحدة متفقين على دين الإسلام فبعث الله
النبيين يريد فاختلفوا فبعث الله وإنما حذف لدلالة قوله
ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه عليه وفي قراءة عبد الله كان
الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله والدليل عليه قوله
عز وعلا وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا وقيل كان الناس
أمة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والأول
الوجه فإن قلت متى كان الناس أمة واحدة متفقين على الحق
قلت

تطاول عليه أي تكبر

كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق

عن ابن عباس رضي الله عنه انه كان بين آدم ونوح عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا
وقيل هم نوح ومن كان معه في السفينة وأنزل معهم الكتاب
يريد الجنس او مع كل واحد منهم كتابه ليحكم الله او الكتاب
او النبي المنزل عليه فيما اختلفوا فيه في الحق ودين الاسلام الذي
اختلفوا فيه بعد الاتفاق وما اختلف فيه في الحق الا الذين
أوتوه الا الذين أوتوا الكتاب المنزل لازالة الاختلاف
اي ازدادوا في الاختلاف لما انزل عليهم الكتاب وجعلوا نزول
الكتاب سببا في شدة الاختلاف واستحكامه بغيا بينهم حسدا
بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة انصاف منهم من الحق بيان
لما اختلفوا فيه اي فهدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه
من اختلف ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها للتقرير وانكار الحسبان
واستبعاده لما ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف على النبيين
بعد مجيء البينات تشجيعا لرسول الله والمؤمنين على الثبات والصبر
مع الذين اختلفوا عليه من المشركين واهل الكتاب وانكارهم
لآياته وعداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات التي هي ابلغ ام حسبتم
ولما فيها معنى التوقع وهي في النفي نظيرة قد في الاثبات والمعنى
ان اتيان ذلك متوقع منتظر مثل الذين خلوا حالهم التي هي مثل
في الشدة مستهم بيان للمثل وهو استئناف كأن قائلا قال كيف
كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء وزلزلوا وازعجوا ازعاجا
شديدا شبيها بالزلزلة بما اصابهم من الاهوال والافزاع حتى يقول
الرسول الى الغاية التي قال الرسول ومن معه فيها متى نصر الله اي بلغ
بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه
واستطالة زمان الشدة وفي هذه الغاية دليل على تناهي الامر
في الشدة

وتماديه في العظم لان الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم
وضبطهم لانفسهم فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية
في الشدة التي لا مطمح وراءها الا ان نصر الله قريب على ارادة
القول يعني فقيل لهم ذلك اجابة لهم الى طلبتهم من عاجل النصر
وقرئ حتى يقول بالنصب على اضمار ان ومعنى الاستقبال لان
ان علم له وبالرفع على انه في معنى الحال كقولك شربت الابل حتى
يجيء البعير يجر بطنه الا انها حال ماضية محكية فان قلت
كيف طابق الجواب السؤال في قوله قل ما انفقتم وهم سألوا عن بيان
ما ينفقون واجيبوا ببيان المصرف قلت قد تضمن قوله
ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبنى الكلام على
ما هو اهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا ان تقع
موقعها ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع
وعن ابن عباس انه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم وله مال
عظيم فقال ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت وعن
السدي هي منسوخة بفرض الزكوة وعن الحسن هي في التطوع وهو
كره لكم من الكراهة بدليل قوله وعسى ان تكرهوا شيئا ثم اما ان
يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولها
فانما هي اقبال وادبار كانه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له
واما ان يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز اي وهو مكروه
لكم وقرأ السلمي بالفتح على ان يكون بمعنى المضموم كالضعف والضُعف
ويجوز ان يكون بمعنى الاكراه على سبيل المجاز كانهم اكرهوا عليه
لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم ومنه قوله تعالى حملته امه كرها
ووضعته كرها وعسى ان تكرهوا شيئا جميع ما كلفوه فان
النفوس

تكرهه وتنفر عنه وتحب طباعكم والله يعلم ما يصلحكم وما هو خير لكم وانتم
لا تعلمون ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه عبد الله بن جحش
على سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عيرا
لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه
واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها من تجارة الطائف وكان
ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت
قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخائف
ويتذعر فيه الناس الى معايشهم فوقف رسول الله العير والاسارى
وعظم ذلك على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا
ورد رسول الله العير والاسارى وعن ابن عباس لما نزلت
اخذ رسول الله الغنيمة والمعنى يسالك الكفار او المسلمون
عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا
في الحرم ولا في الشهر الحرام الا ان تقاتلوا فيه وما نسخت والاكثر
الاقاويل على انها منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وصد عن سبيل الله مبتدأ او اكبر خبره يعني وكبائر قريش
من صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفرهم بالله واخراج
اهل المسجد الحرام وهم رسول الله والمؤمنون اكبر عند الله مما
فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطأ والبناء
على الظن والفتنة الاخراج او الشرك والمسجد الحرام عطف على
سبيل الله ولا يحسن ان يعطف على الهاء في به ولا يزالون يقاتلونكم
اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وانهم لا ينفكون عنها
حتى يردوهم عن دينهم وحتى معناها التعليل كقولك فلان يعبد الله
حتى يدخل الجنة اي يقاتلونكم كي يردوكم وان استطاعوا استبعاد
لاستطاعتهم

يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا

وقتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وفي قراءة عبد الله عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم وقرأ عكرمة قتل فيه بلا الف قل قتال فيه كبير اي اثم كبير وعن عطاء انه يسئل عن القتال في الشهر الحرام صح

لانظرنه

كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق بانه
ومن يرتدد منكم ومن يرجع عن دينه الى دينهم ويثبط وعمهم
على ردته الى الموت على الردة فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا
والآخرة لما يفوتهم باحداث الردة مما للمسلمين في الدنيا من
ثمرات الاسلام وباستيفائها والموت عليها من ثواب الآخرة
وبها احتج الشافعي على ان الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت عليها
وعند ابي حنيفة رحمه الله انها تحبطها وان رجع مسلما ان الذين
آمنوا والذين هاجروا روي ان عبد الله بن جحش واصحابه
حين قتلوا الحضرمي ظن قوم انهم ان سلموا من الاثم فليس
لهم اجر فنزلت اولئك يرجون رحمة الله عن قتادة هؤلاء خيار
هذه الامة ثم جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا
طلب ومن خاف هرب نزلت في الخمر اربع آيات نزلت بمكة
ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا وكان المسلمون
يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة
قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال
فنزلت فيهما اثم كبير ومنافع للناس فشربها قوم وتركها
آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا
فام بعضهم فقرا يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا
الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك
قوما فيهم سعد بن ابي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى
انشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير
فشجه موضحة فشكا الى رسول الله فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر
بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر
انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه لو
وقعت قطرة في بير فبنيت مكانها
منارة لم اوذن عليها

ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون

لقوله تعالى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله ولقوله لئن اشركت ليحبطن عملك

ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمت الله والله غفور رحيم يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما

ولو وقعت في بئر ثم جفت ونبت فيه الكلأ لم أرعه وعن ابن
عمر لو ادخلت اصبعي فيه لم تتبعني وهذا هو الايمان حقاً وهم
الذين اتقوا الله حق تقاته والخمر ما غلى واشتد وقذف بالزبد
من عصير العنب وهو حرام وكذلك نقيع الزبيب والتمر الذي
لم يطبخ فان طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم غلا واشتد ذهب
خبثه ونصيب الشيطان وحل شربه ما دون السكر اذا لم يقصد
بشربه اللهو والطرب عند ابي حنيفة وعن بعض اصحابه لأن
اقول مرارا هو حلال احب الي من ان اقول مرة هو حرام ولأن
أخر من السماء فاتقطع قطعا احب الي من ان اتناول منه
قطرة وعند اكثر الفقهاء هو حرام كالخمر وكذلك كل ما اسكر من
كل شراب وسميت خمرا لتغطيتها العقل والتمييز كما سميت سكرا
لانها تسكرهما اي تحجزهما وكانها سميت بالمصدر من خمره
خمرا اذا ستره للمبالغة والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد
والمرجع من فعلهما يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه من اليسر
لانه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد ولا تعب او من
اليسار لانه سلب يساره وعن ابن عباس كان الرجل في الجاهلية
يخاطر على اهله وماله قال اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني اي
يفعلون بي ما يفعل الياسرون بالميسر فان قلت كيف
صفة الميسر قلت كانت لهم عشرة اقداح وهي الازلام والاقلام
الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى
والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد منها نصيب معلوم من
جزور ينحرونها ويجزؤنها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين
الا الثلاثة وهي المنيح والسفيح والوغد ولبعضهم لي في الدنيا
سهام ليس فيهن ربيح

واساميهن وغد وسفيح ومنيح للفذ سهم وللتوأم سهمان
وللرقيب ثلاثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل
ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها
على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل قدحا
منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب الموسوم
به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم يأخذ
شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء
الى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون
من لم يدخل فيه ويسمونه البرم وفي حكم الميسر انواع القمار
من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي صلى الله عليه اياكم
وهاتين اللعبتين المشؤمتين فانهما من ميسر العجم وعن
علي رضي الله عنه ان النرد والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين
كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسألونك عما في تعاطيهما
بدليل قوله فيهما اثم كبير واثمهما وعقاب الاثم في تعاطيهما
اكبر من نفعهما وهو الالتذاذ بشرب الخمر والقمار والطرب
فيهما والتوصل بهما الى مصادقات الفتيان ومعاشرتهم
والنيل من مطاعمهم ومشاربهم واعطياتهم وسلب الاموال
بالقمار والافتخار على الابرام وقرئ اثم كثير بالثاء وفي
قراءة ابي واثمهما اقرب ومعنى الكثرة ان اصحاب الشرب
والقمار يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة العفو نقيض
الجهد وهو ان ينفق ما لا يبلغ انفاقه منه الجهد واستفراغ
الوسع قال خذي العفو مني تستديمي مودتي ويقال للارض
السهلة العفو وقرئ بالرفع والنصب وعن النبي صلى الله عليه
ان

ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة

الخمر اسم لما يسكر من ماء العنب اذا صار مسكرا وهذا عندنا وعند البعض هو اسم لكل مسكر

وهذا كالتتمة الزائدة على ما هو الشيء ومن حوله ولا يلزم من حرمتها حرمة ما سبقها فكذلك لا يلزم من حرمة النقيع الاخير المسكر حرمة ما سبق

يسرا القوم الجزور اي اجتزروها فاقتسموا اعضاءها قال سحيم بن وثيل اليربوعي
اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني الم تيأسوا اني ابن فارس زهدم
سل احد هؤلاء القوم هنا المصيب اذ يسطعوني بالضرب الم تعلموا اني ابن صاحب هذا الفرس من الكبر العظيم

لواصل الطبرسي
واقدح ازلام القمار عديدة بينهن منها مسبل وسفيح
وفذ وحلس والمعلى ونافس رقيب ووغد توأم ومنيح

ولا تنطع في شيء حين تغضبه

رجلاً أتاه ببيضة من ذهب أصابها في بعض المغازي فقال خذها مني صدقة فأعرض عنه فقال هاتها مغضباً فأخذها فحذفه بها حذفاً لو أصابه لشجه أو عقره ثم قال يجيء أحدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس إنما الصدقة عن ظهر غنى. في الدنيا والآخرة إما أن تتعلق بتتفكرون فيكون المعنى لعلكم تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتأخذون بما هو أصلح لكم كما بينت لكم أن العفو أصلح من الجهد في النفقة أو تتفكرون في الدارين فتؤثرون أبقاهما وأكثرهما منافع ويجوز أن يكون إشارة إلى قوله وإثمهما أكبر من نفعهما لتتفكروا في عقاب الإثم في الآخرة والنفع في الدنيا حتى لا تختاروا النفع العاجل على النجاة من العقاب العظيم وإما أن تتعلق بيبين على معنى يبين لكم الآيات في أمر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون. لما نزلت إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً اعتزلوا اليتامى وتحاموهم وتركوا مخالطتهم والقيام بأموالهم والاهتمام بمصالحهم فشق ذلك عليهم وكاد يوقعهم في الحرج فقيل إصلاح لهم خير أي مداخلتهم على وجه الإصلاح لهم ولأموالهم خير من مجانبتهم وإن تخالطوهم وتعاشروهم ولم تجانبوهم فهم إخوانكم في الدين ومن حق الأخ أن يخالط أخاه وقد حملت المخالطة على المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح أي لا يخفى على الله من داخلهم بإصلاح أو إفساد فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الإصلاح ولو شاء الله لأعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة وأحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم وقرأ طاوس قل إصلاح إليهم ومعناه إيصال الصلاح إليهم وقرئ لعنتكم

رسول الله فأتاه من الجانب الأيمن بمثل ذلك فأعرض عنه ثم أتاه من الجانب الأيسر فأعرض عنه

ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم

غالب

بطرح الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وكذلك فلا إثم عليه إن الله عزيز غالب يقدر على أن يعنت عباده ويحرجهم ولكنه حكيم لا يكلف إلا ما يتسع فيه طاقتهم ولا تنكحوا وقرئ بضم التاء أي لا تتزوجوهن أو ولا تزوجوهن. والمشركات الحربيات والآية ثابتة وقيل المشركات الحربيات والكتابيات جميعاً لأن أهل الكتاب من أهل الشرك لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله إلى قوله سبحانه عما يشركون وهي منسوخة بقوله والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وسورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ منها شيء قط وهو قول ابن عباس والأوزاعي وروي أن رسول الله صلى الله عليه بعث مرثد بن أبي مرثد الغنوي إلى مكة ليخرج منها ناساً من المسلمين وكان يهوى امرأة في الجاهلية اسمها عناق فأتته وقالت ألا تخلو فقال ويحك إن الإسلام حال بيننا فقالت فهل لك أن تتزوج بي قال نعم ولكن أرجع إلى رسول الله فأستأمره فنزلت ولأمة مؤمنة والمرأة مؤمنة حرة كانت أو مملوكة وكذلك ولعبد مؤمن لأن الناس كلهم عبيد الله وإماؤه ولو أعجبتكم ولو كان الحال أن المشركة تعجبكم وتحبونها فإن المؤمنة خير منها مع ذلك أولئك إشارة إلى المشركات والمشركين أي يدعون إلى الكفر فحقهم أن لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين إلا المناصبة والقتال والله يدعو إلى الجنة يعني وأولياء الله وهم المؤمنون يدعون إلى الجنة والمغفرة وما يوصل إليهما فهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم وأن يؤثروا على غيرهم بإذنه بتيسير الله وتوفيقه للعمل الذي تستحق به الجنة والمغفرة

ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون

فأستأمره

لا تؤثروا عليهم غيرهم

ويسالونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النسا في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فاتوهن من حيث امركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين نساوكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المومنين

وقرا الحسن والمغفرة بالرفع اي والمغفرة حاصلة بتيسيره
المحيض مصدر يقال حاضت محيضا كقولك جا مجيا وبات
مبيتا قل هو اذى اي الحيض شي يستقذر ويوذي
من يقربه نفرة منه وكراهة له فاعتزلوا النسا فاجتنبوهن
يعني فاجتنبوا مجامعتهن روي ان اهل الجاهلية كانوا اذا
حاضت المراة لم يواكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها
على فرش ولم يساكنوها في بيت كفعل اليهود والمجوس فلما
نزلت اخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن فاخرجوهن من
بيوتهم فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد
والثياب قليلة فان اثرناهن بالثياب هلك سائر
اهل البيت وان استاثرنا بها هلكت الحيض فقال عليه السلام
انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم
باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى
كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهن
في كل شي فامر الله بالاقتصاد بين الامرين وبين الفقها خلاف
في الاعتزال فابو حنيفة وابو يوسف يوجبان اعتزال ما اشتمل
عليه الازار ومحمد بن الحسن لا يوجب الا اعتزال الفرج وروى
محمد حديث عايشة ان عبد الله بن عمر سالها هل يباشر
الرجل امراته وهي حايض فقالت تشد ازارها على سفلتها
ثم ليباشرها ان شا وما روى زيد بن اسلم ان رجلا سال
النبي صلى الله عليه ما يحل لي من امراتي وهي حايض قال
لتشد عليها ازارها ثم شانك باعلاها ثم قال وهذا قول
ابي حنيفة وقد جا ما هو ارخص من هذا عن عايشة انها قالت
يجتنب شعار الدم

وله ما سوى ذلك وقرى يطّهّرن بالتشديد اي يتطهرن
بدليل قوله فاذا تطهرن وقرا عبد الله حتى يتطهرن
ويطهرن بالتخفيف والتطهر الاغتسال والطهر انقطاع دم
الحيض وكلتا القراتين مما يجب العمل به فذهب ابو حنيفة
الى ان له ان يقربها في اكثر الحيض بعد انقطاع الدم وان
لم تغتسل وفي اقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل او يمضي
عليها وقت صلوة وذهب الشافعي الى انه لا يقربها حتى
تطهر وتتطهر فتجمع بين الامرين وهو قول واضح ويعضده
قوله فاذا تطهرن فاتوهن من حيث امركم الله من الماتى الذي
امركم الله به وحلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين
مما عسى يندر منهم من ارتكاب ما نهوا عنه من ذلك ويحب
المتطهرين المتنزهين عن الفواحش او ان الله يحب
التوابين الذين يطهرون انفسهم بطهرة التوبة من كل
ذنب ويحب المتطهرين من جميع الاقذار كمجامعة الحايض
والطاهر قبل الغسل واتيان ما ليس بمباح وغير ذلك
حرث لكم مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبههن بالمحارث
تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف التي منها النسل
بالبذور وقوله فاتوا حرثكم انى شئتم تمثيل اي فاتوهن كما
تاتون اراضيكم التي تريدون ان تحرثوها من اي جهة
شئتم لا يحظر عليكم جهة دون جهة والمعنى جامعوهن من
اي شق اردتم بعد ان يكون الماتى واحدا وهو موضع
الحرث وقوله هو اذى فاعتزلوا النسا من حيث امركم
الله فاتوا حرثكم انى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات
المستحسنة

ونحوها وأشباهها في كلام الله آداب حسنة على المؤمنين
أن يتعلموها ويتأدبوا بها ويتكلفوا مثلها في محاوراتهم
ومكاتباتهم وروي أن اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته
وهي مجبية من دبرها في قبلها كان ولدها أحول فذكر ذلك
لرسول الله صلى الله عليه فقال كذبت اليهود فنزلت وقدموا
لأنفسكم ما يجب تقديمه من الأعمال الصالحة وما هو خلاف
ما نهيتم عنه وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء
واتقوا الله فلا تجترئوا على المناهي واعلموا أنكم ملاقوه
فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين المستوجبين
للمدح والتعظيم بترك القبائح وفعل الحسنات فإن قلت
ما موقع قوله نساؤكم حرث لكم مما قبله قلت موقعه موقع البيان
والتوضيح لقوله فأتوهن من حيث أمركم الله يعني أن المأتي
الذي أمركم الله به هو مكان الحرث ترجمة له وتفسيرا وإزالة
للشبهة ودلالة على أن الغرض الأصلي في الإتيان هو طلب
النسل لا قضاء الشهوة فلا تأتوهن إلا من المأتي
الذي يتعلق به هذا الغرض فإن قلت ما بال يسألونك
جاء بغير واو ثلاث مرات ثم مع الواو ثلاثا قلت كان
سؤالهم عن تلك الحوادث الأول وقع في أحوال متفرقة فلم يؤت
بحرف العطف لأن كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ
وسألوا عن الحوادث الأخر في وقت واحد فجيء بحرف الجمع
لذلك كأنه قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر
والسؤال عن الإنفاق والسؤال عن كذا وعن كذا العرضة
فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة وهي اسم ما تعرضه
دون الشيء

قال النبي عليه السلام إذا وطئت امرأتك أو ما ملكت يمينك فقل باسم الله يكتب لك حسنات ما لم تغتسل فإن قدر لك ولد كتب لك بكل نفس منه ومن عقبه عشر حسنات إلى يوم القيامة

يسألونك ماذا ينفقون يسألونك عن الشهر الحرام يسألونك عن الخمر والميسر

ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم

من عرض العود على الإناء فيتعرض دونه ويصير حاجزا ومانعا
منه تقول فلان عرضة دون الخير والعرضة أيضا المعرض
للأمر قال فلا تجعلوني عرضة للوائم ومعنى الآية على
الأولى أن الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة
رحم أو إصلاح ذات بين أو إحسان إلى أحد أو عبادة
ثم يقول أخاف الله أن أحنث في يميني فيترك البر إرادة
البر في يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أي
حاجزا لما حلفتم عليه وسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين
كما قال النبي صلى الله عليه لعبد الرحمن بن سمرة إذا حلفت
على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير
وكفر عن يمينك أي على شيء مما تحلف عليه وقوله أن تبروا وتتقوا
وتصلحوا عطف بيان لأيمانكم أي للأمور المحلوف عليها التي
هي البر والتقوى والإصلاح بين الناس فإن قلت بم تعلقت
اللام في لأيمانكم قلت بالفعل أي ولا تجعلوا الله لأيمانكم برزخا
وحاجزا ويجوز أن يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض بمعنى
لا تجعلوه شيئا يعترض البر من اعترضني كذا ويجوز أن يكون
اللام للتعليل ويتعلق أن تبروا بالفعل أو بالعرضة أي ولا تجعلوا
الله لأجل أيمانكم به عرضة لأن تبروا ومعناها على الأخرى ولا
تجعلوا الله معرضا لأيمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك
ذم من أنزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين بأشنع المذام
وجعل الحلاف مقدمتها وأن تبروا علة للنهي أي إرادة أن
تبروا وتتقوا وتصلحوا لأن الحلاف مجترئ على الله غير معظم له
فلا يكون برا متقيا ولا يثق به الناس فلا يدخلونه في وساطاتهم
وإصلاح ذات بينهم

يكلف على أن لا يبر بالوالدين والغرباء وكونهما

حذف المضاف للدلالة السياق عليه

اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولذلك قيل لما لا يعتد به في الدية من اولاد الابل لغو واللغو من اليمين الساقط الذي لا يعتد به في الايمان وهو الذي لا عقد معه والدليل عليه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما كسبت قلوبكم واختلف الفقهاء فيه فعند ابي حنيفة واصحابه هو ان يحلف على الشيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه وعند الشافعي هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة وفيه معنيان احدهما لا يؤاخذكم اي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم اي اقترفته من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهي اليمين الغموس والثاني لا يؤاخذكم اي لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم اي بما نوت قلوبكم وقصدت من الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده والله غفور حليم حيث لم يؤاخذكم باللغو في ايمانكم وقرا عبد الله آلوا من نسائهم وقرا ابن عباس يقسمون من نسائهم فان قلت كيف عدي بمن وهو معدى بعلى قلت قد ضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد كانه قيل يبعدون من نسائهم مؤلين او مقسمين ويجوز ان يراد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك لي منك كذا والايلاء من المراة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون اربعة اشهر الا ما يحكى عن ابراهيم النخعي وحكم ذلك انه اذا فاء اليها في المدة بالوطء ان امكنه

لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم

للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر فان فاءوا فان الله غفور رحيم وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم

او بالقول ان عجز عن الفيء حنث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة بانت بتطليقة عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يصح الايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ثم يوقف المولي فاما ان يفيء واما ان يطلق وان ابى طلق عليه الحاكم ومعنى قوله فان فاءوا فان فاءوا في الاشهر بدليل قراءة عبد الله فان فاءوا فيهن فان الله غفور رحيم يغفر للمولين ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار النساء بالايلاء وهو الغالب وان كان يجوز ان يكون على رضى منهن اشفاقا منهن على الولد من الغيل او لبعض الاسباب لاجل الفيئة التي هي مثل التوبة وان عزموا الطلاق فتربصوا الى مضي المدة فان الله سميع عليم وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة وعلى قول الشافعي معناه فان فاءوا وان عزموا بعد مضي المدة فان قلت كيف موقع الفاء اذا كانت الفيئة قبل انتهاء مدة التربص قلت موقع صحيح لان قوله فان فاءوا وان عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى الآخر والا لم اقم الا ريثما اتحول فان قلت ما تقول في قوله فان الله سميع عليم وعزمهم الطلاق مما يعلم ولا يسمع قلت الغالب ان العازم للطلاق وترك الفيئة والضرار لا يخلو من مقاولة ودمدمة ولا بد له من ان يحدث نفسه ويناجيها بذلك وذلك حديث لا يسمعه الا الله كما يسمع وسوسة الشيطان والمطلقات اراد المدخول بهن من ذوات الاقراء فان قلت كيف جازت ارادتهن خاصة واللفظ يقتضي العموم قلت بل اللفظ مطلق في تناول الجنس صالح لكله وبعضه فجاء في احد ما يصلح له كالاسم المشترك

والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر

فان قلت فما معنى الاخبار عنهن بالتربص قلت هو خبر في معنى الامر
واصل الكلام وليتربص المطلقات واخراج الامر في صورة الخبر
تاكيد للامر واشعار بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى
امتثاله فكانهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عنه
موجودا ونحوه قولهم في الدعاء رحمك الله اخرج في صورة الخبر
ثقة بالاستجابة كانما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه
على المبتدا مما زاده ايضا فضل تاكيد ولو قيل ويتربص
المطلقات لم يكن بتلك الوكادة فان قلت هلا قيل يتربصن
ثلاثة قروء كما قيل تربص اربعة اشهر وما معنى ذكر الانفس
قلت في ذكر الانفس تهييج لهن على التربص وزيادة
بعث لان فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على ان يتربصن
وذلك ان انفس النساء طوامح الى الرجال فامرن ان
يقمعن انفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص
والقروء جمع قرء او قرء وهو الحيض بدليل قوله عليه السلام دعي
الصلاة ايام اقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها
حيضتان ولم يقل طهران وقوله تعالى واللائي يئسن من
المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر فاقام الاشهر
مقام الحيض دون الاطهار ولان الغرض الاصلي في العدة
استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرا به الارحام
دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الامة بالحيضة ويقال
اقرات المراة اذا حاضت وامراة مقرئ وقال ابو عمرو بن
العلاء دفع فلان جاريته الى فلانة تقرئها اي تمسكها عنده
حتى تحيض للاستبراء فان قلت فما تقول في قوله تعالى فطلقوهن

انما اشتراك القرء عند المصنف

لعدتهن والطلاق الشرعي انما هو في الطهر قلت معناه
مستقبلات لعدتهن كما تقول لقيته لثلاث بقين من الشهر
تريد مستقبلا لثلاث وعدتهن الحيض الثلاث فان قلت
فما تقول في قول الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا قلت
اراد لما ضاع فيها من عدة نسائكا لشهرة القرء عندهم في
الاعتداد بهن اي من مدة طويلة كالمدة التي تعتد فيها النساء
استطال مدة غيبته عن اهله كل عام لاقتحامه في الحروب
والغارات وانه تمر على نسائه مدة كمدة العدة ضائعة لا
يضاجعهن فيها او اراد من اوقات نسائك فان القرء والقارئ
جاء في معنى الوقت لم يرد لا حيضا ولا طهرا فان قلت
فعلام انتصب ثلاثة قروء قلت على انه مفعول به كقولك
المحتكر يتربص الغلاء اي يتربصن مضي ثلاثة قروء او على
انه ظرف اي يتربصن مدة ثلاثة قروء فان قلت لم جاء المميز
على جمع الكثرة دون القلة التي هي الاقراء قلت يتسعون
في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما
في الجمعية الا ترى الى قوله بانفسهن وما هي الا نفوس كثيرة
ولعل القروء كانت اكثر استعمالا في جمع قرء من الاقراء فاوثر
عليه تنزيلا للقليل الاستعمال منزلة المهمل فيكون مثل قولهم
ثلاثة شسوع وقرا الزهري ثلاثة قرو بغير همز ما خلق الله
في ارحامهن من الولد او من دم الحيض وذلك اذا ارادت
المراة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها ان
تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها او كتمت حيضها
وقالت وهي حائض قد طهرت استعجالا للطلاق ويجوز ان
يراد

قبله
وفي كل عام انت جاشم غزوة
تشد لاقصاها عزيم عزائكا
مورثة مالا وفي الحي رفعة
لما ضاع فيها من قروء نسائكا

لا تعلل اشياع

اللاتي يبغين إسقاط ما في بطونهن من الأجنة فلا يعترفن
ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في أرحامهن كناية عن إسقاطه
إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر تعظيم لفعلهن وأن من آمن
بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم والبعول جمع بعل
والتاء لاحقة لتأنيث الجمع كما في الحزونة والسهولة ويجوز أن يراد
بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة يعني وأهل
بعولتهن أحق بردهن برجعتهن وفي قراءة أبي بردتهن
في ذلك في مدة ذلك التربص فإن قلت كيف جعلوا أحق بالرجعة
كأن للنساء حقا فيها قلت المعنى أن الرجل إن أراد الرجعة
وأبتها المرأة وجب إيثار قوله على قولها وكان هو أحق منها لا أن
لها حقا في الرجعة إن أرادوا بالرجعة إصلاحا لما بينهم وبينهن
وإحسانا إليهن ولم يريدوا مضارتهن ولهن مثل الذي عليهن
ويجب لهن من الحق على الرجال مثل الذي يجب لهم عليهن بالمعروف
بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلفنهم
ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم ولا يعنف أحد الزوجين
صاحبه والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب في كونه حسنة
لا في جنس الفعل ولا يجب عليه إذا غسلت ثيابه أو خبزت
له أن يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال درجة زيادة
في الحق وفضيلة قيل المرأة تنال من اللذة مثل ما ينال الرجل وله
الفضيلة بقيامه عليها وإنفاقه في مصالحها الطلاق بمعنى
التطليق كالسلام بمعنى التسليم أي التطليق الشرعي تطليقة بعد
تطليقة على التفريق دون الجمع والإرسال دفعة واحدة ولم يرد
بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين
أي كرة بعد كرة

ويعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحا

ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم

الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله

مع التسمية كالتهاني جمع

لا كرتين اثنتين ونحو ذلك من التثاني التي يراد بها التكرير قولهم
لبيك وسعديك وحنانيك وهذاذيك ودواليك قوله
فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان تخيير لهم بعد أن علمهم كيف
وقيل معناه الطلاق الرجعي مرتان لأنه لا رجعة بعد الثلاث
فإمساك بمعروف أي برجعة أو تسريح بإحسان أي بأن لا
يراجعها حتى تبين بالعدة أو بأن لا يراجعها مراجعة يريد بها
تطويل العدة عليها وضرارها وقيل بأن يطلقها الثالثة في
الطهر الثالث وروي أن سائلا سأل رسول الله صلى الله عليه
أين الثالثة فقال عليه السلام أو تسريح بإحسان وعند أبي حنيفة
وأصحابه الجمع بين التطليقتين والثلاث بدعة والسنة أن
لا يوقع عليها إلا واحدة في طهر لم يجامعها فيه لما روي في حديث
ابن عمر أن رسول الله قال له إنما السنة أن تستقبل الطهر
استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة وعند الشافعي لا بأس
بإرسال الثلاث لحديث العجلاني الذي لاعن امرأته
فطلقها ثلاثا بين يدي رسول الله فلم ينكر عليه روي أن جميلة
بنت عبد الله بن أبي كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس
وكانت تبغضه وهو يحبها فأتت رسول الله فقالت يا رسول الله
لا أنا ولا ثابت لا يجمع رأسي ورأسه شيء والله ما أعيب عليه
في دين ولا خلق ولكني أكره الكفر في الإسلام ما أطيقه بغضا إني
رفعت جانب الخباء فرأيته أقبل في عدة فإذا هو أشدهم
سوادا وأقصرهم قامة وأقبحهم وجها فنزلت وكان قد أصدقها
حديقة فاختلعت منه بها وهو أول خلع كان في الإسلام فإن قلت
في قوله ولا يحل لكم أن تأخذوا إن قلت للأزواج لم يطابقه قوله فإن
خفتم أن لا يقيما حدود الله

يطلقون بين أن يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بمواجبهن وبين أن يسرحوهن السراح الجميل الذي علمهم صح

وان قلت للائمة والحكام فهؤلاء ليسوا بآخذين منهن ولا بمؤتيهن
قلت يجوز الامران جميعا ان يكون اول الخطاب للازواج وآخره للائمة
والحكام ونحو ذلك غير عزيز في القرآن وغيره وان يكون الخطاب كله
للائمة والحكام لانهم الذين يامرون بالاخذ والايتاء عند
الترافع اليهم فكانهم الآخذون والمؤتون مما آتيتموهن مما اعطيتموهن
من الصدقات الا ان يخافا الا ان يخاف
الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما
يحدث من نشوز المراة وسوء خلقها فلا جناح عليهما فلا جناح على
الرجل فيما اخذ ولا عليها فيما اعطت فيما افتدت به
نفسها واختلعت به من بذل ما اوتيت من المهر والخلع بالزيادة على
المهر مكروه وهو جائز في الحكم وروي ان امراة نشزت على زوجها
فرفعت الى عمر رضي الله عنه فاباتها في بيت الزبل ثلاث ليال ثم
دعاها فقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بت منذ كنت عنده
اقر لعيني منهن فقال لزوجها اخلعها ولو بقرطها قال قتادة يعني بمالها
كله هذا اذا كان النشوز منها وان كان منه كره له ان ياخذ منها
شيا وقرئ الا ان يخافا على البنا للمفعول وابدال ان لا يقيما
من الف الضمير وهو من بدل الاشتمال كقولك خيف زيد تركه
اقامة حدود الله ونحوه واسروا النجوى الذين ظلموا وتعضده
قراءة عبد الله الا ان يخافوا وفي قراءة ابي الا ان يظنا ويجوز ان
يكون الخوف بمعنى الظن يقولون اخاف ان يكون كذا وافرق
ان يكون يريدون اظن فان طلقها الطلاق المذكور الموصوف
بالتكرار في قوله الطلاق مرتان واستوفى نصابه او فان طلقها
مرة ثالثة بعد المرتين فلا تحل له من بعد ذلك التطليق حتى تنكح زوجا
غيره

فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون

فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره

التزوج
حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى المراة كما يسند الى الرجل
ويقال فلانة ناكح في بني فلان وقد تعلق من اقتصر على العقد
في التحليل بظاهره وهو سعيد بن المسيب والذي عليه الجمهور
انه لا بد من الاصابة لما روى عروة عن عائشة رضي الله عنها
ان امراة رفاعة جاءت الى النبي صلى الله عليه فقالت ان رفاعة
طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وان ما
معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه اتريدين
ان ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك
وروي انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت فقالت انه قد كان مسني
فقال لها كذبت في قولك الاول فلن اصدقك في الآخر فلبثت
حتى قبض رسول الله فاتت ابا بكر رضي الله عنه فقالت ارجع الى
زوجي الاول فقال قد عهدت رسول الله حين قال لك ما قال
فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر قالت مثله لعمر فقال ان اتيتني
بعد مرتك هذه لارجمنك فمنعها فان قلت فما تقول في النكاح
المعقود بشرط التحليل قلت ذهب سفيان والاوزاعي وابو عبيد
ومالك وغيرهم الى انه غير جائز وهو جائز عند ابي حنيفة مع الكراهة
وعنه انهما ان اضمرا التحليل ولم يصرحا به فلا كراهة وعن
النبي صلى الله عليه انه لعن المحلل والمحلل له وعن عمر رضي الله عنه
لا اوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما وعن عثمان رضي الله عنه
لا الا نكاح رغبة غير مدالسة فان طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليهما ان
يتراجعا ان يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج ان ظنا ان
كان في ظنهما انهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل ان علما انهما
يقيمان لان اليقين مغيب عنهما لا يعلمه الا الله ومن فسر الظن
هنا بالعلم

فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون

واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه

متقدمهم من طريق اللفظ والمعنى لانك لا تقول علمت ان يقوم زيد
ولان الانسان لا يعلم ما في الغد وانما يظن ظنا فبلغن اجلهن
اي آخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها
وعلى آخرها يقال لعمر الانسان اجل وللموت الذي ينتهي به اجل
وكذلك الغاية والامد يقول النحويون من لابتداء الغاية والى
لانتهاء الغاية وقال ... اذا انتهى امده ويتسع في البلوغ ايضا فيقال
بلغ البلد اذا شارفه وداناه ويقال قد وصلت ولم يصل وانما
شارف ولانه قد علم ان الامساك بعد تقضي الاجل لا وجه له لانها
بعد تقضيه غير زوجة له وفي غير عدة منه فلا سبيل له عليها فامسكوهن
بمعروف فاما ان يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة او
سرحوهن بمعروف واما ان يخليها حتى تنقضي عدتها وتبين من
غير ضرار ولا تمسكوهن ضرارا كان الرجل يطلق المراة ويتركها
حتى تقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول
العدة عليها فهو الامساك ضرارا لتعتدوا لتظلموهن وقيل لتلجئوهن
الى الافتداء فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله ولا تتخذوا
آيات الله هزوا اي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها
حق رعايتها والا فقد اتخذتموها هزوا ولعبا ويقال لمن لم يجد
في الامر انما انت لاعب وهازئ ويقال كن يهوديا والا فلا تلعب
بالتوراة وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت
لاعبا وعن النبي صلى الله عليه ثلاث جدهن جد وهزلهن
جد الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام
وبنبوة محمد عليه السلام وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة من القرآن
والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها يعظكم به بما انزل
عليكم

ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمت الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم

واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم ازكى لكم واطهر والله يعلم وانتم لا تعلمون

الدين
فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن اما ان يخاطب به الازواج الذين
يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما وقسرا ولحمية
الجاهلية لا يتركونهن يتزوجن من شئن من الازواج
والمعنى ان ينكحن ازواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون
لهن واما ان يخاطب به الاولياء في عضلهن ان يرجعن الى
ازواجهن روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته
ان ترجع الى الزوج الاول وقيل في جابر بن عبد الله حين عضل
بنت عم له والوجه ان يكون خطابا للناس اي لا يوجد فيما بينكم
عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين
والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب
بيضها فلم يخرج وانشد لابن هرمة وان قصائدي لك فاصطنعني
عقائل قد عضلن عن النكاح وبلوغ الاجل على الحقيقة وعن
الشافعي دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين اذا تراضوا
اذا تراضى الخطاب والنساء بالمعروف بما يحسن في الدين
والمروءة من الشرائط وقيل بمهر المثل ومن مذهب ابي حنيفة انها
اذا زوجت نفسها باقل من مهر مثلها فللاولياء ان يعترضوا
فان قلت لمن الخطاب في قوله ذلك يوعظ به قلت يجوز ان يكون
لرسول الله ولكل واحد ونحو ذلك خير لكم واطهر ازكى لكم واطهر
من ادناس الآثام وقيل ازكى واطهر افضل واطيب والله يعلم
ما في ذلك من الزكاء والطهر وانتم لا تعلمونه او والله يعلم ما
تستصلحون به من الاحكام والشرائع وانتم تجهلونه يرضعن
مثل يتربصن في انه خبر في معنى الامر المؤكد كاملين توكيد
كقوله تلك عشرة كاملة لانه مما يتسامح فيه فتقول اقمت عند فلان
حولين

والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة

ولم يستكملهما وقال ابن عباس أن يكمل الرضاعة وقرئ الرضاعة بكسر الراء
والرضعة وأن تتم الرضاعة وأن يتم الرضاع برفع الفعل تشبيها
لأن بما لتآخيهما في التأويل فإن قلت كيف اتصل قوله لمن أراد بما
قبله قلت هو بيان لمن توجه إليه الحكم كقوله تعالى هيت لك بيان
للمهيت به أي هذا الحكم لمن أراد إتمام الرضاع وعن قتادة حولين
كاملين ثم أنزل الله اليسر والتخفيف فقال لمن أراد أن يتم الرضاعة
أراد أنه يجوز النقصان وعن الحسن ليس ذلك بوقت لا ينقص منه
بعد أن لا يكون في الفطام ضرر وقيل اللام متعلقة بيرضعن كما تقول
أرضعت فلانة لفلان ولده أي يرضعن حولين لمن أراد أن يتم
الرضاعة من الآباء لأن الأب يجب عليه إرضاع الولد دون الأم
وعليه أن يتخذ له ظئرا إلا إذا تطوعت الأم بإرضاعه وهي مندوبة
إلى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استئجار الأم عند أبي حنيفة رحمه الله
ما دامت زوجة أو معتدة من نكاح وعند الشافعي يجوز وإذا انقضت
عدتها جاز بالاتفاق فإن قلت فما بال الوالدات مأمورات
بأن يرضعن أولادهن قلت إما أن يكون أمرا على وجه الندب
وإما على وجه الوجوب إذا لم يقبل الصبي إلا ثدي أمه أو لم توجد له
ظئر أو كان الأب عاجزا عن الاستئجار وقيل أراد الوالدات
المطلقات وإيجاب النفقة والكسوة لأجل الرضاع وعلى المولود له
وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في
المغضوب عليهم فإن قلت لم قيل المولود له دون الوالد قلت ليعلم
أن الوالدات إنما ولدن لهم لأن الأولاد للآباء ولذلك ينسبون إليهم
لا إلى الأمهات وأنشد للمأمون بن الرشيد وإنما أمهات الناس
أوعية مستودعات وللأبناء آباء وكان عليهم أن يرزقوهن ويكسوهن

وللآباء أبناء

هيت به إذا صاح به

صيانة للولد عن الضياع

وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك

إذا أرضعن ولدهم كالأظآر ألا ترى أنه ذكره باسم الوالد حيث
لم يكن هذا المعنى وهو قوله واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده
ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بالمعروف تفسيره ما يعقبه وهو أن
لا تكلف واحدة منهما ما ليس في وسعه ولا تتضار وقرئ لا تكلف بفتح
التاء ولا نكلف بالنون وقرئ لا تضار بالرفع على الإخبار وهو
يحتمل البناء للفاعل والمفعول وأن يكون الأصل تضارر بكسر
الراء أو تضارر بفتحها وقرئ لا تضار بالفتح وهي قراءة الأكثر وقرأ الحسن
لا تضار بالكسر على النهي وهو محتمل للبنائين أيضا ويبين ذلك أنه
قرئ لا تضارر بالجزم وفتح الراء الأولى وكسرها وقرأ أبو جعفر
لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وعن الأعرج لا
تضار بالسكون والتخفيف وهو من ضاره يضيره ونوى الوقف
كما نواه أبو جعفر أو اختلس الضمة فظنه الراوي سكونا وعن
كاتب عمر بن الخطاب لا تضارر والمعنى لا تضار والدة زوجها
بسبب ولدها وهو أن تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من
الرزق والكسوة وأن تشغل قلبه بالتفريط في شأن الولد وأن
تقول بعد ما ألفها الصبي اطلب له ظئرا وما أشبه ذلك ولا يضار
مولود له امرأته بسبب ولده بأن يمنعها شيئا مما وجب عليه من
رزقها وكسوتها ولا يأخذه منها وهي تريد إرضاعه ولا يكرهها
على الإرضاع وكذلك إذا كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن أن يلحق بها عز وجل
الضرار من قبل الزوج وعن أن يلحق الضرار بالزوج من قبلها
بسبب الولد ويجوز أن يكون تضار بمعنى تضر وأن تكون الباء
من صلته أي لا تضر والدة بولدها فلا تسيء غذاءه وتعهده
ولا تفرط فيما ينبغي له ولا تدفعه إلى الأب بعد ما ألفها ولا يضر
الوالد به بأن ينتزعه

بولدها
موضعها او تقصر في حقها فتقصر في حق الولد فان قلت كيف قيل
وبولده قلت لما نهيت المراة عن المضارة اضيف اليها الولد
استعطافا لها عليه وانه ليس باجنبي منها فمن حقها ان تشفق عليه
وكذلك الوالد وعلى الوارث عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن
وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف
عليه فكان المعنى وعلى وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق
والكسوة اي ان مات المولود له لزم من يرثه ان يقوم مقامه في ان
يرزقها ويكسوها بالشريطة التي ذكرت من المعروف وتجنب الضرار
وقيل هو وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه واختلفوا فعند ابن
ابي ليلى كل من ورثه وعند ابي حنيفة رحمه الله من كان ذا رحم محرم
منه وعند الشافعي لا نفقة فيما عدا الولاد وقيل من ورثه من
عصبته مثل الجد والاخ وابن الاخ والعم وابن العم وقيل المراد
وارث الاب وهو الصبي نفسه وانه ان مات ابوه وورثه وجبت
عليه اجرة رضاعه في ماله ان كان له مال وان لم يكن له مال اجبرت الام
على ارضاعه وقيل على الوارث على الباقي من الابوين من قوله واجعله
الوارث منا فان ارادا فصالا صادرا عن تراض منهما وتشاور
فلا جناح عليهما في ذلك زادا على الحولين او نقصا وهذه توسعة
بعد التحديد وقيل هو في غاية الحولين لا يتجاوز وانما اعتبر
تراضيهما في الفصال وتشاورهما اما الاب فلا كلام فيه واما الام
فلانها احق بالتربية وهي اعلم بحال الصبي وقوله فان اردتم استرضع
منقول من ارضع يقال ارضعت المراة الصبي واسترضعتها
الصبي فتعديه الى مفعولين كما تقول انجح الحاجة واستنجحته الحاجة
والمعنى ان تسترضعوا المراضع اولادكم فحذف احد المفعولين
للاستغناء عنه

فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير

كما تقول استنجحت الحاجة ولا تذكر من استنجحته وكذلك حكم كل مفعولين
لم يكن احدهما عبارة عن الاول اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما
اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة وقرى ما أتيتم من
أتى اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله تعالى انه كان وعده مأتيا
اي مفعولا وروى شيبان عن عاصم ما اوتيتم اي ما آتاكم الله واقدركم
عليه من الاجرة ونحوه وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وليس
التسليم بشرط للجواز والصحة وانما هو ندب الى الاولى ويجوز
ان يكون بعثا على ان يكون الشيء الذي تعطاه المرضع من
اهنأ ما يكون لتكون طيبة النفس راضية فيعود ذلك اصلاحا
لشان الصبي واحتياطا في امره فامر بايتائه ناجزا يدا
بيد كانه قيل اذا اديتم اليهن يدا بيد ما اعطيتموهن بالمعروف
متعلق بسلمتم امروا ان يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشري
الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن
حتى يؤمن تفريطهن بقطع معاذيرهن والذين يتوفون منكم
على تقدير حذف المضاف اي وازواج الذين يتوفون منكم
وقيل معناه يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ
يتوفون بفتح الياء اي يستوفون آجالهم وهي قراءة علي رضي الله عنه
والذي يحكى ان ابا الاسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة
فقال له رجل من المتوفي بكسر الفاء فقال الله وكان احد الاسباب
الباعثة لعلي رضي الله عنه على ان امره بان يضع كتابا في النحو تناقض
هذه القراءة يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا يعتددن
هذه المدة وهي اربعة اشهر وعشرة ايام وقيل عشرا ذهابا
الى الليالي والايام داخلة معها ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه
ذاهبين الى الايام

والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا

سواء صمت عشرا ولو ذكرت خرجت من كلامهم ومن البين فيه
إن لبثتم إلا عشرا ثم إن لبثتم إلا يوما فإذا بلغن أجلهن فإذا
انقضت عدتهن فلا جناح عليكم أيها الأئمة وجماعة المسلمين
فيما فعلن في أنفسهن من التعرض للخطاب بالمعروف بالوجه
الذي لا ينكره الشرع والمعنى أنهن لو فعلن ما هو منكر كان
على الأئمة أن يكفوهن وإن فرطوا كان عليهم الجناح فيما عرضتم
به هو أن يقول لها إنك لجميلة أو صالحة أو نافقة ومن
غرضي أن أتزوج وعسى الله أن ييسر لي امرأة صالحة ونحو ذلك
من الكلام الموهم أنه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه إن رغبت
فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول إني أريد أن أنكحك أو
أتزوجك أو أخطبك وروى ابن المبارك عن عبد الرحمن بن
سليمان عن خالته قالت دخل علي أبو جعفر محمد بن علي وأنا في
عدتي فقال قد علمت قرابتي من رسول الله وحق جدي علي
وقدمي في الإسلام فقلت غفر الله لك أتخطبني في عدتي
وأنت يؤخذ عنك فقال أو قد فعلت إنما أخبرتك بقرابتي
من رسول الله وموضعي قد دخل رسول الله صلى الله عليه على أم
سلمة وكانت عند ابن عمها أبي سلمة فتوفي عنها فلم يزل
يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى أثر الحصير
في يده من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة فإن قلت
أي فرق بين الكناية والتعريض قلت الكناية أن تذكر الشيء
بغير لفظه الموضوع له والتعريض أن تذكر شيئا تدل به على شيء لم
تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج إليه جئتك لأسلم عليك ولأنظر
إلى وجهك الكريم ولذلك قالوا وحسبك بالتسليم مني تقاضيا وكأنه
إمالة الكلام

فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا إلا أن تقولوا قولا معروفا

إلى عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح لأنه يلوح منه ما يريده
أو أكننتم في أنفسكم أو سترتم وأضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه
بألسنتكم لا معرضين ولا مصرحين علم الله أنكم ستذكرونهن
لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن ولا تصبرون
عنه وفيه طرف من التوبيخ كقوله علم الله أنكم كنتم تختانون
أنفسكم فإن قلت أين المستدرك بقوله ولكن لا تواعدوهن سرا
قلت هو محذوف لدلالة ستذكرونهن عليه تقديره علم الله
أنكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر
وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطء لأنه مما يسر قال الأعشى
ولا تقربن جارة إن سرها عليك حرام فانكحن أو تأبدا ثم
عبر به عن النكاح الذي هو العقد لأنه سبب فيه كما فعل
بالنكاح إلا أن تقولوا قولا معروفا وهو أن تعرضوا ولا تصرحوا فإن قلت
بم يتعلق حرف الاستثناء قلت بلا تواعدوهن أي لا تواعدوهن
مواعدة قط إلا مواعدة معروفة غير منكرة أو لا تواعدوهن إلا
بأن تقولوا أي لا تواعدوهن إلا بالتعريض ولا يجوز أن يكون
استثناء منقطعا من سرا لأدائه إلى قولك لا تواعدوهن إلا
التعريض وقيل معناه لا تواعدوهن جماعا وهو أن يقول لها إن
نكحتك كان كيت وكيت يريد ما يجري بينهما تحت اللحاف
إلا أن تقولوا قولا معروفا يعني من غير رفث وإفحاش في الكلام
وقيل لا تواعدوهن سرا أي في السر على أن المواعدة في السر عبارة
عن المواعدة بما يستهجن لأن مسارتهن في الغالب بما يستحيى
من المجاهرة به وعن ابن عباس إلا أن تقولوا قولا معروفا
هو أن يتواثقا أن لا تتزوج غيره ولا تعزموا عقدة النكاح

ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله

النكاح

من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة في النهي عن عقد النكاح في العدة لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهي عنه كان عن الفعل انهى ومعناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح وحقيقة العزم القطع لقوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لمن لم يبيت الصيام حتى يبلغ الكتاب اجله يعني ما كتب وفرض من العدة يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا عليه غفور حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من الجناح مهر ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن ما لم تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا لهن فريضة او حتى تفرضوا وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك ان المطلقة غير المدخول بها ان سمي لها مهر فلها نصف المهر وان لم يسم لها فليس لها نصف مهر المثل ولكن المتعة والدليل على ان الجناح تبعة المهر قوله وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف ما فرضتم اثبات للجناح المنفي ثمة والمتعة درع وملحفة وخمار على حسب الحال عند ابي حنيفة الا ان يكون مهر مثلها اقل من ذلك فلها الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها والموسع الذي له سعة والمقتر الضيق الحال وقدره مقداره الذي يطيقه لان ما يطيقه هو الذي يختص به وقرئ بفتح الدال والقدر والقدر لغتان وعن النبي صلى الله عليه انه قال لرجل من الانصار تزوج امراة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل ان يمسها امتعتها قال لم يكن عندي شيء قال متعها بقلنسوتك وعند اصحابنا رحمهم الله لا تجب المتعة الا لهن وحدها

العزم ثم الارادة ثم الفعل فاذا نهي عن الاول كان عن الثالث اعني

واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور حليم لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا ان يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح وان تعفوا اقرب للتقوى

وتجب لسائر المطلقات ولا تجب متاعا تاكيد لمتعوهن بمعنى تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروءة حقا صفة لمتاعا اي متاعا واجبا عليهم او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المحسنين على الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال عليه السلم من قتل قتيلا فله سلبه الا ان يعفون يريد المطلقات فان قيل اي فرق بين قولك الرجال يعفون والنساء يعفون قلت الواو في الاول ضميرهم والنون علم الرفع والواو في الثاني لام الفعل والنون ضميرهن والفعل مبني لا اثر فيه للعامل وهو في محل النصب ويعفو عطف على محله او يعفو الذي بيده عقدة النكاح الولي يعني الا ان يعفو المطلقات عن ازواجهن فلا يطالبنهم بنصف المهر وتقول المراة ما رآني ولا خدمته ولا استمتع بي فكيف آخذ منه شيئا او يعفو الولي الذي يلي عقد نكاحهن وهو مذهب الشافعي وقيل هو الزوج ويعفو ان يسوق اليها المهر كاملا وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله والاول ظاهر الصحة وتسمية الزيادة على الحق عفوا فيه نظر الا ان يقال كان الغالب عندهم ان يسوق اليها المهر عند التزوج فاذا طلقها استحق ان يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنه او سماه عفوا على طريق المشاكلة وعن جبير بن مطعم انه تزوج امراة وطلقها قبل ان يدخل بها فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وعنه انه دخل على سعد بن ابي وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق كاملا فقيل له لم تزوجتها فقال عرضها علي فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق قال فاين الفضل الفضل التفضل اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض

ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير

وتحابوا ولا تستقصوا وقرأ الحسن او يعفو الذي بسكون الواو
واسكان الواو والياء في موضع النصب تشبيه لهما بالالف
لانهما اختاها وقرأ ابو نهيك وان يعفوا بالياء وقرئ ولا
تنسوا الفضل بكسر الواو والصلوة الوسطى اى الوسطى
بين الصلوات او الفضلى من قولهم للافضل الاوسط وانما
افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهي
صلوة العصر وعن النبي صلى الله عليه انه قال يوم الاحزاب
شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم
نارا وقال عليه السلم انها الصلوة التي شغل عنها سليمان
ابن داود حتى توارت بالحجاب وعن حفصة انها قالت
لمن كتب لها المصحف اذا بلغت هذه الآية فلا تكتبها
حتى املها عليك كما سمعت رسول الله صلى الله عليه يقرأها
فاملت عليه والصلوة الوسطى صلوة العصر وروى عن
عائشة وابن عباس والصلوة الوسطى وصلوة العصر بالواو
فعلى هذه القراءة يكون التخصيص لصلوتين احديهما
الصلوة الوسطى اما الظهر واما الفجر واما المغرب على اختلاف
الروايات فيها والثانية العصر وقيل فضلها لما في
وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم وعن ابن
عمر هي صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكان رسول
الله صلى الله عليه يصليها بالهاجرة ولم تكن صلوة اشد
على الصحابة منها وعن مجاهد هي الفجر لانها بين صلوتي
النهار وصلوتي الليل وعن قبيصة بن ذويب هي
المغرب لانها وتر النهار ولا تنقص في السفر من ثلاث

وقرأ عبد الله وعلى الصلوة الوسطى وقرأت عائشة رضي الله عنها
والصلوة الوسطى بالنصب على المدح والاختصاص وقرأ
نافع الوصطى بالصاد وقوموا لله في الصلوة قانتين ذاكرين الله
في قيامكم والقنوت ان تذكر الله قائما وعن عكرمة كانوا يتكلمون
في الصلوة فنهوا وعن مجاهد هو الركود وكف الايدي والبصر
وروى انهم كانوا اذا قام احدهم في الصلوة هاب الرحمن ان
يمد بصره او يلتفت او يقلب الحصى او يحدث نفسه بشيء
من امور الدنيا فان خفتم فان كان بكم خوف من عدو او
غيره فرجالا فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام او
رجل يقال رجل رجل اي راجل وقرئ فرجالا بضم الراء
ورجالا بالتشديد ورجلا وعند ابي حنيفة رحمه الله لا يصلون
في حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف وعند الشافعي يصلون
في كل حال والراكب يومي ويسقط عنه التوجه الى القبلة فاذا
امنتم فاذا زال خوفكم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون
من صلوة الامن او فاذا امنتم فاشكروا الله على الامن
واذكروه بالعبادة كما احسن اليكم بما علمكم من الشرائع
وكيف تصلون في حال الخوف وفي حال الامن [illegible] فمن
قرأ وصية بالرفع فوصية الذين يتوفون او وحكم الذين
يتوفون وصية لازواجهم او والذين يتوفون اهل وصية
لازواجهم ومن قرأ بالنصب والذين يتوفون يوصون وصية
كقولك انما انت سير البريد باضمار تسير او والزم الذين
يتوفون وصية ويدل عليه قراءة عبد الله كتب عليكم الوصية
لازواجكم متاعا الى الحول مكان قوله والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا

حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين

فان خفتم فرجالا او ركبانا فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون

والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف والله عزيز حكيم

[illegible] وصية لازواجهم متاعا الى الحول وقرا ابو عمرو متاع لازواجهم وروى عنه فمتاع لازواجهم ومتاعا نصب بالوصية الا اذا اضمرت يوصون فانه نصب بالفعل وعلى قراءة الرفع متاعا نصب بمتاع لانه في معنى التمتيع كقولك الحمد لله حمد الشاكرين واعجبني ضربك زيدا ضربا شديدا وغير اخراج مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او بدل من متاعا او حال من الازواج اي غير مخرجات والمعنى ان حق الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان تمتع ازواجهم بعدهم حولا كاملا اي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك في اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وقيل نسخ ما زاد منه على هذا المقدار ونسخت النفقة بالارث الذي هو الربع والثمن واختلف في السكنى فعند ابي حنيفة واصحابه لا سكنى لهن فيما فعلن في انفسهن من التزين والتعرض للخطاب من معروف مما ليس بمنكر شرعا فان قلت كيف نسخت الآية المتقدمة المتأخرة قلت قد تكون الآية متقدمة في التلاوة وهي متأخرة في التنزيل كقوله تعالى سيقول السفهاء مع قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء وللمطلقات متاع عمم المتعة للمطلقات بالجواب بعد ما اوجبها لواحدة منهن وهي المطلقة غير المدخول بها وقال حقا على المتقين كما قال ثمة حقا على المحسنين وعن سعيد بن جبير وابي العالية والزهري انها واجبة لكل مطلقة وقيل قد تناولت التمتيع الواجب والمستحب جميعا وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة الم تر تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب واخبار الاولين

وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون

الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون

هذا الكلام

وتعجيب من شانهم ويجوز ان يخاطب به من لم ير ولم يسمع لانه جرى مجرى المثل في معنى التعجب روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر من حكم الله وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه واصابعه تعجبا مما رأى فاوحي اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادى فنظر اليهم قياما يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذرا من الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف فيه دليل على الالوف الكثيرة واختلف في ذلك فقيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون ومن بدع التفاسير الوف متالفون جمع آلف كقاعد وقعود فان قلت ما معنى قوله فقال لهم الله موتوا قلت معناه فاماتهم وانما جيء به على هذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد بامر الله ومشيئته وتلك ميتة خارجة عن العادة كانهم امروا بشيء فامتثلوه امتثالا من غير اباء ولا توقف كقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وان الموت اذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر فاولى ان يكون في سبيل الله ان الله لذو فضل على الناس حيث يبصرهم ما يعتبرون به ويستبصرون كما بصر اولئك وكما بصركم باقتصاص خبرهم او لذو فضل على الناس حيث احيا اولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى الى يوم البعث والدليل على انه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد ما اتبعه من الامر بالقتال في سبيل الله

واعلموا ان الله سميع يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون عليم
بما يضمرونه وهو من وراء الجزاء اقراض الله مثل لتقديم
العمل الذي يطلب به ثوابه والقرض الحسن اما المجاهدة
في نفسها واما النفقة في سبيل الله اضعافا كثيرة قيل الواحد
بسبعمائة وعن السدي كثيرة لا يعلم كنهها الا الله والله يقبض
ويبسط يوسع على عباده ويقتر فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم
لا يبدل لكم الضيقة بالسعة واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم
لنبي لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا انهض
للقتال معنا اميرا نصدر في تدبير الحرب عن رايه وننتهي الى
امره طلبوا من نبيهم نحو ما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه
من التامير على الجيوش التي كان يجهزها ومن امرهم بطاعته
وامتثال اوامره وروي انه امر الناس اذا سافروا ان يجعلوا
احدهم اميرا عليهم نقاتل قرئ بالنون والجزم على الجواب وبالنون
والرفع على انه حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال او استيناف
كانه قال لهم ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل وقرئ يقاتل
بالياء والجزم على الجواب وبالرفع على انه صفة لملكا خبر عسيتم
ان لا تقاتلوا والشرط فاصل بينهما والمعنى هل قاربتم ان لا
تقاتلوا يعني هل الامر كما اتوقعه انكم لا تقاتلون اراد ان يقول
عسيتم ان لا تقاتلوا يعني اتوقع جبنكم عن القتال فادخل هل
مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون واراد بالاستفهام التقرير
وتثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب في توقعه كقوله تعالى
هل اتى على الانسان معناه التقرير وقرئ عسيتم بكسر السين
وهو ضعيف وما لنا ان لا نقاتل اي داع لنا الى ترك القتال
واي غرض لنا فيه وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا وذلك ان
قوم جالوت

وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون
الم تر الى الملا من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين

كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فاسروا
من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين الا قليلا منهم قيل
كان القليل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر على عدد اهل بدر
والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في القعود عن
القتال وترك الجهاد طالوت اسم اعجمي كجالوت وداود انما
امتنع من الصرف لتعريفه وعجمته وزعموا انه من الطول
لما وصف به من البسطة في الجسم ووزنه ان كان من الطول
فعلوت منه اصله طولوت الا ان امتناع صرفه يدفع ان
يكون منه الا ان يقال انه اسم عبراني وافق عربيا كما وافق
حنطا حنطة وبشمالاها بخمانا رخيما بسم الله الرحمن الرحيم
فهو من الطول كما لو كان عربيا وكان احد سببيه العجمة لكونه
عبرانيا انى كيف ومن اين وهو انكار لتملكه عليهم واستبعاد
له فان قيل ما الفرق بين الواوين في ونحن احق ولم
يؤت قلت الاولى للحال والثانية لعطف الجملة على الجملة
الواقعة حالا وقد انتظمتهما معا في حكم واو الحال والمعنى كيف
يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق بالملك
وانه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به وانما قالوا ذلك
لان النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب والملك في
سبط يهوذا ولم يكن طالوت من احد السبطين ولانه كان
رجلا سقاء او دباغا فقيرا وروي ان نبيهم دعا الله حين
طلبوا منه ملكا فاتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها
الا طالوت قال ان الله اصطفاه عليكم يريد ان الله هو
الذي اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض
على حكم الله

وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال

قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم

المبسوط

ثم ذكر مصلحتين انفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم
والجسامة والظاهر ان المراد بالعلم المعرفة بما طلبوه لاجله
من امر الحرب ويجوز ان يكون عالما بالديانات وبغيرها
وقيل قد اوحي اليه ونبئ وذلك ان الملك لا بد ان يكون
من اهل العلم فان الجاهل مزدرى غير منتفع به وان يكون
جسيما يملأ العين جهارة لانه اعظم في النفوس واهيب في
القلوب والبسطة السعة والامتداد وروي ان الرجل
القائم كان يمد يده فينال راسه يؤتي ملكه من يشاء اي
الملك له غير منازع فيه فهو يؤتيه من يشاء من يستصلحه
للملك والله واسع الفضل والعطاء يوسع على من
ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر عليم بمن
يصطفيه للملك التابوت صندوق التوراة وكان موسى
عليه السلام اذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني
اسرائيل ولا يفرون والسكينة السكون والطمانينة
وقيل صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها راس
كراس الهر وذنب كذنبه وجناحان فتئن فيزف
التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا
وسكنوا ونزل النصر وعن علي رضي الله عنه كان لها وجه
كوجه الانسان وفيها ريح هفافة وبقية هي رضاض
الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة وكان
رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون
اليه فكان ذلك آية لاصطفاء الله طالوت وقيل كان
مع موسى ومع انبياء بني اسرائيل بعده يستفتحون به فلما
غيرت

بنو اسرائيل غلبهم عليه الكفار فكان في ارض جالوت
فلما اراد الله ان يملك طالوت اصابهم ببلاء حتى
هلكت خمس مداين فقالوا هذا بسبب التابوت بين
اظهرنا فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت
وقيل كان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من
ثلاثة اذرع في ذراعين وقرا ابي وزيد بن ثابت
التابوه بالهاء وهي لغة الانصار فان قلت ما وزن
التابوت قلت لا يخلو من ان يكون فعلوتا او فاعولا
فلا يكون فاعولا لقلة نحو سلس وقلق ولانه تركيب غير
معروف فلا يجوز ترك المعروف اليه فهو اذن فعلوت من
التوب وهو الرجوع لانه ظرف توضع فيه الاشياء وتودعه
فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع اليه فيما
يحتاج اليه من مودعاته واما من قرا بالهاء فهو فاعول
عنده الا انه جعل هاءه بدلا من التاء لاجتماعهما في
الهمس وانهما من حروف الزيادة ولذلك ابدلت من تاء
التانيث وقرا ابو السمال سكينة بفتح السين والتشديد
وهو غريب وقرئ يحمله بالياء فان قلت من آل موسى
وآل هارون قلت الانبياء من بني يعقوب بعدهما لان
عمران هو ابن قاهث بن لاوي بن يعقوب فكان اولاد
يعقوب آلهما ويجوز ان يراد مما تركه موسى وهارون والآل
مقحم لتفخيم شانهما فصل عن موضع كذا اذا انفصل عنه وجاوزه
واصله فصل نفسه ثم كثر محذوف المفعول حتى صار في حكم
غير المتعدي كانفصل وقيل فصل عن البلد فصولا ويجوز
ان يكون

ليكون اعظم خطرا في القلوب واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب

جعل نبيا

وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان ياتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين

الريح الهفافة الساكنة الطيبة

وفيه دلالة على ثبوت كرامة الاولياء

فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم

فصل يفصل فصلا وفصل فصولا كوقف وصد ونحوهما والمعنى انفصل
عن بلده بالجنود روي أنه قال لقومه لا يخرج معي رجل
بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج
بامرأة لم يبن عليها ولا أبتغي إلا الشاب النشيط الفارغ
فاجتمع إليه ممن اختار ثمانون ألفا وكان الوقت قيظا
وسلكوا مفازة فسألوا أن يجري الله لهم نهرا فقال إن الله
مبتليكم بما اقترحتموه من النهر فمن شرب منه فمن ابتداء شربه
من النهر بأن كرع فيه فليس مني فليس من أشياعي أو ليس بمتحد معي من قولهم
فلان مني كأنه بعضه لاختلاطهما واتحادهما ويكون للابتداء
فليس من جملتي وأشياعي ومن لم يطعمه ومن لم يذقه من
طعم الشيء إذا ذاقه ومنه طعم الشيء لمذاقه قال وإن شئت
لم أطعم نقاخا ولا بردا البيت كيف عطف عليه البرد
وهو النوم ويقال ما ذقت غماضا ونحو من الابتلاء ما ابتلي
به أهل أيلة من ترك الصيد مع إتيان الحيتان شرعا
بل هو أشد منه وأصعب وإنما عرف ذلك طالوت بإخبار
من النبي وإن كان نبيا كما يروى عن بعضهم فبالوحي
وقرئ بفتح بالسكون فإنه مني استثناء من قوله إلا من اغترف
فمن شرب منه فليس مني والجملة الثانية في
حكم المتأخرة إلا أنها قدمت للعناية كما قدم والصابئون
في قوله إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون ومعناه
الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والدليل عليه
قوله فشربوا منه أي كرعوا فيه إلا قليلا منهم وقرئ غرفة
بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف وقرأ أبي
والأعمش

إلا قليل بالرفع وهذا من ميلهم مع المعنى والإعراض عن اللفظ
جانبا وهو باب جليل من علم العربية فلما كان معنى
فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه حمل عليه كأنه قيل فلم
يطيعوه إلا قليل منهم ونحوه قول الفرزدق لم يدع من المال
إلا مسحت أو مجلف كأنه قال لم يبق من المال إلا مسحت
أو مجلف وقيل لم يبق مع طالوت إلا ثلاثمائة وثلاثة عشر
رجلا والذين آمنوا يعني القليل قال الذين يظنون
يعني الخلص منهم الذين نصبوا بين أعينهم لقاء الله وأيقنوا
أو الذين تيقنوا أنهم يستشهدون عما قريب ويلقون
الله والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين ونصوع البصيرة
وقيل الضمير في قالوا لا طاقة لنا للكثير الذين انخزلوا
والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه كأنهم
تقاولوا بذلك والنهر بينهما يظهر أولئك عذرهم في
الانخزال ويرد عليهم هؤلاء ما يعتذرون به وروي أن
الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه وإداوته والذين
شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش وجالوت
جبار من العمالقة من أولاد عمليق بن عاد كانت
بيضته فيها ثلاثمائة رطل وثبت أقدامنا وهب لنا
ما تثبت به في مداحض الحرب من قوة القلوب وإلقاء
الرعب في قلب العدو ونحو ذلك من الأسباب كان
إيشى أبو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان
داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فأوحي إلى أشمويل
أن داود بن إيشى هو الذي يقتل جالوت فطلبه من
أبيه

فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة أحجار دعاه كل واحد منها
وقالت له إنك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمى
بها جالوت فقتله وزوجه طالوت بنته وروي أنه حسده
وأراد قتله ثم تاب وآتاه الملك في مشارق الأرض
المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو إسرائيل على ملك
قط قبل داود والحكمة والنبوة وعلمه مما يشاء من صنعة
الدروع وكلام الطير والدواب وغير ذلك ولولا
دفع الله الناس ولولا أن الله يدفع بعض الناس
ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت
الأرض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من
الحرث والنسل وسائر ما يعمر الأرض وقيل ولولا
أن الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الأرض
بعيث الكفار فيها وقتل المسلمين أو لو لم يدفعهم بهم لعم
الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل أهل الأرض تلك
آيات الله يعني القصص التي اقتصها من حديث الألوف
وإماتتهم وإحيائهم وتمليك طالوت وإظهاره بالآية
التي هي نزول التابوت من السماء وغلبة الجبابرة على
يدي صبي بالحق باليقين الذي لا يشك فيه أهل الكتاب
لأنه في كتبهم كذلك وإنك لمن المرسلين حيث تخبر
بها من غير أن تعرف بقراءة كتاب ولا سماع أخبار
تلك الرسل إشارة إلى جماعة الرسل التي ذكرت
قصصها في السورة أو التي ثبت علمها عند رسول الله
فضلنا بعضهم على بعض لما أوجب ذلك من تفاضلهم في
الحسنات

الجزء الثالث

تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض

منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس

منهم من كلم الله منهم من فضله الله بأن كلمه من غير سفير
وهو موسى عليه السلام وقرئ كلم الله بالنصب وقرأ اليماني
كالم الله من المكالمة ويدل عليه قولهم كليم الله بمعنى مكالمه
ورفع بعضهم درجات أي ومنهم من رفعه على سائر
الأنبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل أفضل منهم بدرجات
كثيرة والظاهر أنه أراد محمدا صلى الله عليه لأنه هو
المفضل عليهم حيث أوتي ما لم يؤته أحد من الآيات
المتكاثرة المرتقية إلى ألف أو أكثر ولو لم يؤت إلا
القرآن وحده لكفى به فضلا منيفا على سائر ما أوتي
الأنبياء لأنه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون
سائر المعجزات وفي هذا الإبهام من تفخيم فضله وإعلاء
قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على أنه العلم الذي
لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس ويقال للرجل من
فعل هذا فيقول أحدكم أو بعضكم يريد به الذي تعورف
واشتهر بنحوه من الأفعال فيكون أفخم من التصريح به
وأنوه بصاحبه وسئل الحطيئة عن أشعر الناس
فذكر زهيرا والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت
الثالث أراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت
نفسي لم يفخم أمره ويجوز أن يريد إبراهيم ومحمدا وغيرهما
من أولي العزم من الرسل وعن ابن عباس كنا في
المسجد نتذاكر فضل الأنبياء فذكرنا نوحا بطول عبادته
وإبراهيم بخلته وموسى بتكليم الله إياه وعيسى برفعه
إلى السماء وقلنا رسول الله أفضل منهم بعث إلى الناس
كافة

ويغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهو خاتم الانبياء ويدل
عليه قوله انتم متذكرون انه قال لا ينبغي لاحد ان يكون خيرا
من يحيى بن زكريا فذكر انه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها
فان قلت فلم خص موسى وعيسى من بين الانبياء بالذكر
قلت لما اوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة
ولقد بين الله وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل
وهو آية من الآيات فلما كان هذان النبيان قد اوتيا
ما اوتيا من عظام الآيات خصا بالذكر في باب
التفضيل وهذا دليل بين ان من زيد تفضيلا بالآيات
منهم فقد فضل على غيره ولما كان نبينا صلى الله عليه
هو الذي اوتي منها ما لم يؤت احد في كثرتها وعظمها
كان هو المشهود له باحراز قصبات الفضل غير
مدافع اللهم ارزقنا شفاعته يوم الدين ولو شاء الله
مشيئة الجاء وقسر ما اقتتل الذين من بعد الرسل
لاختلافهم في الدين وتشعب مذاهبهم وتكفير بعضهم
بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن لالتزامه دين
الانبياء ومنهم من كفر لاعراضه عنه ولو شاء الله ما
اقتتلوا كرره للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد من
الخذلان والعصمة انفقوا مما رزقناكم اراد الانفاق
الواجب لاتصال الوعيد به من قبل ان ياتي يوم لا
تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق لانه لا بيع
فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه ولا خلة حتى يسامحكم اخلاؤكم
به وان اردتم ان يحط عنكم ما في ذمتكم من الواجب

يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون

لم تجدوا شفيعا يشفع لكم في حط الواجبات لان الشفاعة
ثمة في زيادة الفضل لا غير والكافرون هم الظالمون اراد
والتاركون الزكاة هم الظالمون فقال والكافرون للتغليظ
كما قال في آخر آية الحج ومن كفر مكان ومن لم يحج ولانه جعل
ترك الزكاة من صفات الكفار في قوله وويل للمشركين
الذين لا يؤتون الزكاة وقرئ لا بيع فيه ولا خلة ولا
شفاعة بالرفع الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء وهو
على اصطلاح المتكلمين الذي يصح ان يعلم ويقدر والقيوم
الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقرئ القيام والقيم
والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس
قال ابن الرقاع العاملي وسنان اقصده النعاس فرنقت
في عينه سنة وليس بنائم اي لا ياخذه نعاس ولا نوم
وهو تاكيد للقيوم لان من جاز عليه ذلك استحال ان
يكون قيوما ومنه حديث موسى انه سال الملائكة وكان
ذلك من قومه كطلب الرؤية اينام ربنا فاوحى الله اليهم
ان يوقظوه ثلاثا ولا يتركوه ينام ثم قال خذ بيدك
قارورتين مملوتين فاخذهما والقى الله عليه النعاس
فضرب احديهما على الاخرى فانكسرتا ثم اوحى اليه قل
لهؤلاء اني امسك السموات والارض بقدرتي فلو اخذني
نوم او نعاس لزالتا من ذا الذي يشفع عنده بيان لملكوته
وكبريائه وان احدا لا يتمالك ان يتكلم يوم القيامة
الا اذا اذن له في الكلام كقوله لا يتكلمون الا من اذن
له الرحمن يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما كان قبلهم وما كان
بعدهم

الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه

يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض

والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء
او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء من علمه من
معلوماته الا بما شاء الا بما علم الكرسي ما يجلس عليه ولا
يفضل عن مقعد القاعد وفي قوله وسع كرسيه اربعة
اوجه احدها ان كرسيه لم يضق عن السموات والارض
لبسطته وسعته وما هو الا تصوير لعظمته وتخييل
فقط ولا كرسي ثمة ولا قعود ولا قاعد كقوله وما قدروا
الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات
مطويات بيمينه من غير تصور قبضة وطي ويمين
وانما هو تخييل لعظمة شانه وتمثيل حسي الا ترى الى
قوله وما قدروا الله حق قدره والثاني وسع علمه وسمي
العلم كرسيا تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم والثالث
وسع ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك والرابع
ما روي انه خلق كرسيا هو بين يدي العرش دونه
السموات والارض وهو الى العرش كاصغر شي وعن
الحسن الكرسي هو العرش ولا يؤوده ولا يثقله ولا
يشق عليه حفظهما حفظ السموات والارض وهو
العلي الشان العظيم الملك والقدرة فان قلت كيف
ترتبت الجمل في آية الكرسي من غير حرف عطف قلت
ما منها جملة الا وهي واردة على سبيل البيان لما ترتبت
عليه والبيان متحد بالمبين فلو توسط بينها عاطف
لكان كما تقول العرب بين العصا ولحائها فالاولى
بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه
عنه

ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم

هذا مثل يستعمل لمن يدخل بين اثنين ... شيئا لها ... ولحائها ... اي لم يلج النحوي بين العصا ولحائها

والثانية لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياء شانه
والرابعة لاحاطته باحوال الخلق وعلمه بالمرتضى
منهم المستوجب للشفاعة وغير المرتضى والخامسة
لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها او لجلاله وعظم
قدره فان قلت لم فضلت هذه الآية حتى ورد في
فضلها ما ورد منه قوله عليه السلام ما قرئت هذه الآية في
دار الا اهتجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها
ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا علي علمها ولدك
واهلك وجيرانك فما نزلت آية اعظم منها وعن
علي رضي الله عنه سمعت نبيكم على اعواد المنبر وهو يقول
من قرا آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه
من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او
عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه آمنه الله على
نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة
افضل ما في القرآن فقال لهم علي اين انتم عن آية الكرسي
ثم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه يا علي سيد البشر
آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان
وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد
الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام
القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي
قلت لما فضلت له سورة الاخلاص من اشتمالها على
توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور
اعظم من رب العزة فما كان ذكرا له كان افضل من سائر
الاذكار

وممن لا يعلم أن أشرف العلوم وأعلاها منزلةً عند الله
علم أهل التوحيد والعدل ولا يغرنك عنه كثرة أعدائه
فإن العرانين تلقاها محسدة. لا إكراه في الدين أي لم يجر
الله أمر الإيمان على الإجبار والقسر ولكن على التمكين
والاختيار ونحوه قوله ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم
جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين أي لو شاء
لقسرهم على الإيمان ولكنه لم يفعل وبنى الأمر على الاختيار
قد تبين الرشد من الغي قد تميز الإيمان من الكفر بالدلائل الواضحة
فمن يكفر بالطاغوت فمن اختار الكفر بالشيطان أو الأصنام
والإيمان بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق
المحكم المأمون انفصامها أي انقطاعها وهذا تمثيل للمعلوم
بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع
كأنه ينظر إليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به وقيل
هو إخبار في معنى النهي أي لا تكرهوا في الدين ثم قال بعضهم
هو منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم
وقيل هو في أهل الكتاب خاصة لأنهم حصنوا أنفسهم بأداء
الجزية وروي أنه كان لأنصاري من بني سالم بن عوف ابنان
فتنصرا قبل أن يبعث رسول الله ثم قدما المدينة فلزمهما
أبوهما وقال والله لا أدعكما حتى تسلما فأبيا فاختصموا إلى
رسول الله فقال الأنصاري يا رسول الله أيدخل بعضي النار
وأنا أنظر فنزلت فخلاهما. الله ولي الذين آمنوا أي أرادوا
أن يؤمنوا يلطف بهم حتى يخرجهم بلطفه وتأييده
من الكفر إلى الإيمان والذين كفروا أي صمموا على
الكفر

أمورهم على عكس ذلك. الله ولي المؤمنين يخرجهم من الشبه في الدين
إن وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا
منها إلى نور اليقين والذين كفروا أولياؤهم الشياطين
يخرجونهم من نور البينات التي تظهر لهم إلى ظلمات
الشك والشبهة. ألم تر تعجيب من محاجة نمروذ في الله
وكفره به أن آتاه الله الملك متعلق بحاج على
وجهين أحدهما حاج لأن آتاه الله الملك على
معنى أن إيتاء الملك أبطره وأورثه الكبر والعتو
فحاج لذلك أو على أنه وضع المحاجة في ربه موضع ما
وجب عليه من الشكر على أن آتاه الله الملك فكأن
المحاجة كانت لذلك كما تقول عاداني فلان لأني
أحسنت إليه تريد أنه عكس ما كان يجب عليه من
الموالاة لأجل الإحسان ونحوه قوله تعالى وتجعلون رزقكم
أنكم تكذبون والثاني حاج وقت أن آتاه الله الملك
فإن قلت كيف جاز أن يؤتي الله الملك الكافر
قلت فيه قولان آتاه ما غلب به وتسلط من المال
والخدم والأتباع وأما التغليب والتسليط فلا وقيل
ملكه امتحانا لعباده. وإذ قال نصب بحاج أو بدل
من أن آتاه إذا جعل بمعنى الوقت. أنا أحيي وأميت
يريد أعفو عن القتل وأقتل وكان الاعتراض عتيدا
ولكن إبراهيم صلى الله عليه لما سمع جوابه الأحمق لم يحاجه
فيه ولكن انتقل إلى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب
ليبهته أول شيء وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل

ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين

من حجه الى الحج وقرئ فبهت الذي كفر اى فغلب ابراهيم الكافر
وقرأ ابو حيوة فبهت بوزن قرب وقيل كانت هذه المحاجة
حين كسر الاصنام وسجنه نمروذ ثم اخرجه من السجن
ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعو اليه فقال ربي الذي
يحيي ويميت او كالذي معناه او أرأيت مثل الذي فحذف
لدلالة ألم تر عليه لان كلتيهما كلمة تعجيب ويجوز ان يحمل على
المعنى دون اللفظ كأنه قيل ارأيت كالذي حاج ابراهيم
او كالذي مر على قرية والمار كان كافرا بالبعث وهو
الظاهر لانتظامه مع نمروذ في سلك ولكلمة الاستبعاد
التي هي انى يحيي وقيل هو عزير او الخضر اراد ان يعاين
احياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه ابراهيم وقوله
انى يحيي اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الاحياء واستعظام
لقدرة المحيي والقرية بيت المقدس حين خربه بخت
نصر وقيل هي التي خرج منها الالوف وهي خاوية على
عروشها تفسيره فيما بعد يوما او بعض يوم بناء على الظن
روي انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة
الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية
من الشمس فقال او بعض يوم وروي ان طعامه كان تينا
وعنبا وشرابه عصيرا او لبنا فوجد التين والعنب كما
جنيا والشراب على حاله لم يتسنه لم يتغير والهاء اصلية
او هاء سكت واشتقاقه من السنة على الوجهين لان
لامها هاء او واو وذلك ان الشيء يتغير بمرور الزمان
وقيل اصله يتسنن من الحمإ المسنون فقلبت نونه حرف علة

كتقضي البازي ويجوز ان يكون معنى لم يتسنه لم تمر عليه
السنون التي مرت عليه يعني هو بحاله كما كان كأنه
لم يلبث مائة سنة وفي قراءة عبد الله فانظر الى
طعامك وهذا شرابك لم يتسن وقرأ ابي لم يسنه
بادغام التاء في السين وانظر الى حمارك كيف تفرقت
عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه ويجوز ان يراد
وانظر اليه سالما في مكانه كما ربطته وذلك من
اعظم الآيات ان يعيشه مائة عام من غير علف ولا
ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير ولنجعلك
آية للناس فعلنا ذلك يريد احياءه بعد الموت وحفظ
ما معه وقيل اتى قومه راكب حماره وقال انا عزير فكذبوه فقال
هاتوا التوراة فاخذ يهذها هذا عن ظهر قلبه وهم
ينظرون في الكتاب فما خرم حرفا فقالوا هو ابن الله
ولم يقرأ التوراة ظاهرا احد قبل عزير فذلك كونه
آية وقيل رجع الى منزله فرأى اولاده شيوخا وهو
شاب فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة
وانظر الى العظام هي عظام الحمار او عظام الموتى الذين
تعجب من احيائهم كيف ننشرها كيف نحييها وقرأ
الحسن ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى انشرهم
فنشروا وقرئ بالزاي بمعنى نحركها ونرفع بعضها الى
بعض للتركيب وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين له
ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني
عليه كما في قولهم ضربني وضربت زيدا ويجوز فلما تبين له

ما أشكل عليه يعني أمر إحياء الموتى وقرأ ابن عباس فلما
تُبيِّن له على البناء للمفعول وقرئ قال اعلم على لفظ الأمر
وقرأ عبد الله قيل اعلم فإن قلت فإن كان المار كافراً
كيف يسوغ أن يكلمه الله قلت كان الكلام بعد
البعث ولم يكن إذ ذاك كافراً أرني بصّرني فإن قلت
كيف قال له أولم تؤمن وقد علم أنه أثبت الناس
إيماناً قلت ليجيب بما أجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة
للسامعين وبلى إيجاب لما بعد النفي معناه بلى آمنت
ولكن ليطمئن قلبي ليزيد سكوناً وطمأنينة بمضامّة علم الضرورة
علم الاستدلال وتظاهر الأدلة أسكن للقلوب وأزيد
للبصيرة واليقين ولأن علم الاستدلال يجوز معه التشكيك
بخلاف العلم الضروري فأراد بطمأنينة القلب العلم الذي
لا مجال فيه للتشكيك فإن قلت بم تعلقت اللام في ليطمئن
قلت بمحذوف تقديره ولكن سألت ذلك إرادة طمأنينة
القلب فخذ أربعة من الطير طاووساً وديكاً
وغراباً وحمامة فصرهن إليك بضم الصاد وكسرها بمعنى
فأملهن واضممهن إليك قال ولكن أطراف الرماح تصورها
وقال وفرع يصير الجيد وحف كأنه على الليت قنوان
الكروم الدوالح وقرأ ابن عباس فصرّهن بضم الصاد
وكسرها وتشديد الراء من صرّه يصرّه ويصرّه إذا جمعه
نحو ضرّه يضرّه ويضرّه وعنه فصرّهن من التصرية وهي
الجمع أيضاً ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً يريد ثم جزّئهن
وفرّق أجزاءهن على الجبال والمعنى على كل جبل من الجبال التي
بحضرتك

وفي أرضك وكانت أربعة أجبل وعن السدي سبعة
ثم ادعهن وقل لهن تعالين بإذن الله يأتينك
سعياً ساعيات مسرعات في طيرانهن أو في مشيهن
على أرجلهن فإن قلت ما معنى أمره بضمها إليه بعد
أن يأخذها قلت ليتأملها ويعرف أشكالها وهيآتها
وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الإحياء ولا يتوهم أنها
غير تلك ولذلك قال يأتينك سعياً وروي أنه أمر بأن
يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق أجزاءها ويخلط
ريشها ودماءها ولحومها وأن يمسك رؤوسها ثم أمر أن
يجعل أجزاءها على الجبال على كل جبل ربعاً من كل طائر
ثم يصيح بها تعالين بإذن الله فجعل كل جزء يطير إلى
الآخر حتى صارت جثثاً ثم أقبلن فانضممن إلى رؤوسهن
كل جثة إلى رأسها وقرئ جزُؤاً بضمتين وجزّاً بالتشديد
ووجهه أنه حذف الهمزة ثم شدّد كما يشدد
في الوقف إجراء للوصل مجرى الوقف مثل الذين ينفقون
لا بد من حذف مضاف أي مثل نفقتهم كمثل حبة أو مثلهم
كمثل باذر حبة والمنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت
سبباً أسند إليها الإنبات كما يسند إلى الأرض وإلى
الماء ومعنى إنباتها سبع سنابل أن تخرج ساقاً يتشعب
منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل
تصوير للأضعاف كأنها ماثلة بين عيني الناظر فإن قلت
كيف صح هذا التمثيل والممثل به غير موجود قلت بل هو موجود
في الدخن والذرة وغيرهما وربما فرّخت ساق البرة في
الأراضي القوية

مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم

المغلّة فيبلغ حينئذ هذا المبلغ ولو لم يوجد لكان صحيحا على
سبيل الفرض والتقدير فان قلت هلّا قيل سبع سنبلات
على حقه من التمييز بجمع القلة كما قال وسبع سنبلات
خضر قلت هذا لما قدّمت عند قوله تعالى ثلاثة قروء
من وقوع امثلة الجمع متعاورة مواقعها والله يضاعف لمن
يشاء اي يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق
لتفاوت احوال المنفقين او يضاعف سبع المائة
ويزيد عليها اضعافها لمن يستوجب ذلك المنّ ان يعتدّ
على من احسن اليه باحسانه ويريه انه اصطنعه واوجب
عليه حقا له وكانوا يقولون اذا صنعتم صنيعة فانسوها
ولبعضهم وان امرأً اسدى الي صنيعة وذكّرنيها مرة
لبخيل وفي نوابغ الكلم صنوان من منح سائله ومنّ ومن
منع نائله وضنّ وفيها طعم الآلاء احلى من المنّ وهي
امرّ من الآلاء مع المنّ والاذى ان يتطاول عليه بسبب
ما انعم عليه ومعنى ثم اظهار التفاوت بين الانفاق
وترك المنّ والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق
كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله
ثم استقاموا فان قلت اي فرق بين قوله لهم اجرهم وقوله
فيما بعد فلهم اجرهم قلت الموصول لم يضمّن ههنا معنى
الشرط وضمّنه ثمة والفرق بينهما من جهة المعنى ان الفاء
فيها دلالة على ان الانفاق به استحق الاجر وطرحها عارٍ
عن تلك الدلالة قول معروف ردّ جميل ومغفرة وعفو عن
السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسؤول او ونيل مغفرة من الله

الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غني حليم

جملا

بسبب الردّ الجميل او وعفو من جهة السائل لانه اذا ردّه ردّا
[جميلا] عذره خير من صدقة يتبعها اذى وصحّ الابتداء بالمبتدأ
النكرة لاختصاصه بالصفة والله غني لا حاجة به الى منفق
يمنّ ويؤذي حليم عن معاجلته بالعقوبة وهذا سخط منه
ووعيد له ثم بالغ في ذلك بما اتبعه كالذي ينفق ماله اي
لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والاذى كابطال المنافق الذي
ينفق ماله رئاء الناس لا يريد بانفاقه رضاء الله ولا
ثواب الآخرة فمثله كمثل صفوان مثله ونفقته التي لا
ينتفع بها البتة بصفوان بحجر املس عليه تراب وقرأ
سعيد بن المسيب صفوان بوزن كروان فاصابه وابل
مطر عظيم القطر فتركه صلدا اجرد نقيا من التراب الذي
كان عليه ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق لا يقدرون
على شيء مما كسبوا كقوله فجعلناه هباء منثورا ويجوز ان يكون
الكاف في محل النصب على الحال اي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين
الذي ينفق فان قلت كيف قال لا يقدرون بعد قوله كالذي
ينفق قلت اراد بالذي ينفق الجنس او الفريق الذي ينفق
فلذلك ... وتثبيتا
من انفسهم وليثبّتوا منها ببذل المال الذي هو شقيق الروح
وبذله اشق شيء على النفس على سائر العبادات الشاقة وعلى
الايمان لان النفس اذا ريضت بالتحامل عليها وتكليفها ما
يصعب عليها ذلّت خاضعة لصاحبها وقلّ طمعها في اتباعه
لشهواتها وبالعكس فكان انفاق المال تثبيتا لها على الايمان
واليقين ويجوز ان يراد وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من
اصل انفسهم

يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين

ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فآتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير

لانه اذا انفق المسلم ماله في سبيل الله علم ان تصديقه وايمانه
بالثواب من اصل نفسه ومن اخلاص قلبه ومن على التفسير
الاول للتبعيض مثلها في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه
وعلى الثاني لابتداء الغاية كقوله تعالى حسدا من عند انفسهم ويحتمل
ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة الايمان
مخلصة فيه وتعضده قراءة مجاهد وتبيينا من انفسهم فان قلت
فما معنى التبعيض قلت معناه ان من بذل ماله لوجه الله
فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه معا فهو الذي ثبتها
كلها وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم والمعنى ومثل
نفقة هؤلاء في زكائها عند الله كمثل جنة وهي البستان
بربوة بمكان مرتفع وخصها لان الشجر فيها ازكى واحسن
ثمرا اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها
ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل فان لم يصبها وابل
فطل مطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها او مثل حالهم عند
الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل
وكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم
كثيرة كانت او قليلة بعد ان يطلب بها وجه الله ويبذل فيها الوسع
زاكية عند الله زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده وقرئ
كمثل حبة وبربوة بالحركات الثلاث واكلها بضمتين الهمزة في
ايود للانكار وقرئ جنات وذرية ضعاف والاعصار الريح
التي تستدير في الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود وهذا مثل
لمن يعمل الاعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله فاذا كان يوم القيامة
وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة

ايود احدكم ان تكون له جنة
من نخيل واعناب تجري
من تحتها الانهار له فيها
من كل الثمرات واصابه
الكبر وله ذرية ضعفاء
فاصابها اعصار فيه نار
فاحترقت كذلك يبين الله
لكم الآيات لعلكم تتفكرون

من ابهى الجنان واجمعها للثمار فبلغ الكبر وله اولاد ضعاف والجنة
معاشهم ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة وعن عمر رضي الله عنه انه
سال عنها الصحابة فقالوا الله اعلم فغضب وقال قولوا نعلم او لا
نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا امير المؤمنين قال
قل يا ابن اخي ولا تحقر نفسك قال ضرب مثلا لعمل قال لاي
عمل قال لرجل غني يعمل الحسنات ثم بعث الله له الشيطان فعمل
بالمعاصي حتى اغرق اعماله كلها وعن الحسن هذا مثل قل والله
من يعقله من الناس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه
افقر ما كان الى جنته وان احدكم والله افقر ما يكون الى عمله
اذا انقطعت عنه الدنيا فان قلت كيف قال جنة من نخيل
واعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات قلت النخيل والاعناب
لما كانا اكرم الشجر واكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل
الجنة منهما وان كانت محتوية على سائر الاشجار تغليبا لهما
على غيرهما ثم اردفهما ذكر كل الثمرات ويجوز ان يريد بالثمرات
المنافع التي كانت تحصل له فيها كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين
من اعناب وحففناهما بنخل فان قلت علام عطف قوله واصابه
الكبر قلت الواو للحال لا للعطف ومعناه ان يكون له جنة
وقد اصابه الكبر وقيل يقال وددت ان يكون كذا ووددت
لو كان كذا فحمل العطف على المعنى كانه قيل ايود احدكم لو كانت
له جنة واصابه الكبر من طيبات ما كسبتم من جياد مكسوباتكم
ومما اخرجنا لكم من الحب والثمر والمعادن وغيرها فان قلت
فهلا قيل وما اخرجنا لكم عطفا على ما كسبتم حتى يشتمل الطيب على
المكسوب والمخرج من الارض قلت معناه ومن طيبات ما اخرجنا لكم

يا ايها الذين آمنوا انفقوا
من طيبات ما كسبتم ومما
اخرجنا لكم من الارض
ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون
ولستم باخذيه الا ان
تغمضوا فيه واعلموا ان
الله غني حميد

الملك

الا انه حذف لذكر الطيبات ولا تيمموا الخبيث ولا تقصدوا
الرديء منه تنفقون تخصونه بالانفاق وهو في محل الحال
وقرأ عبد الله ولا تأمموا وقرأ ابن عباس ولا تيمموا بضم التاء
ويمم وتيمم وتأمم سواء في معنى قصد ولستم بآخذيه وحالكم
انكم لا تأخذونه في حقوقكم الا ان تغمضوا فيه الا ان تتسامحوا في
اخذه وتترخصوا فيه من قولك اغمض فلان عن بعض حقه اذا
غض بصره ويقال للبائع اغمض اي لا تستقص كانك لا تبصر
وقال الطرماح لم يفتنا بالوتر قوم وللضيم رجال يرضون بالاغماض
وقرأ الزهري تغمضوا واغمض وغمض بمعنى وعنه تغمضوا بضم
الميم وكسرها من غمض يغمض ويغمض وقرأ قتادة تغمضوا على
البناء للمفعول بمعنى الا ان تدخلوا فيه وتجذبوا اليه وقيل الا
ان توجدوا مغمضين وعن الحسن لو وجدتموه في السوق يباع
ما اخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه وعن ابن عباس كانوا يتصدقون
بحشف التمر وشراره فنهوا عنه اي يعدكم في الانفاق الفقر
ويقول لكم ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا وقرئ الفقر بالضم والفقر
بفتحتين والوعد يستعمل في الخير والشر قال الله تعالى النار
وعدها الله الذين كفروا ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل
ومنع الصدقات اغراء الآمر للمأمور والفاحش عند العرب
البخيل والله يعدكم في الانفاق مغفرة لذنوبكم وكفارة لها
وفضلا وان يخلف عليكم افضل مما انفقتم او وثوابا عليه في
الآخرة يؤتي الحكمة يوفق للعلم والعمل به والحكيم عند الله هو العالم
العامل وقرئ ومن يؤت الحكمة بمعنى ومن يؤته الله الحكمة
وهكذا قرأ الاعمش خيرا كثيرا تنكير تعظيم كانه قال فقد
أوتي

الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب

اي خير كثير وما يذكر الا اولوا الالباب يريد الحكماء العلماء
العمال والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الآي في معنى
الانفاق وما انفقتم من نفقة في سبيل الله او في سبيل الشيطان
او نذرتم من نذر في طاعة الله او في معصيته فان الله يعلمه
لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه وما للظالمين الذين يمنعون
الصدقات او ينفقون اموالهم في المعاصي او لا يوفون بالنذور
او ينذرون في المعاصي من انصار ممن ينصرهم من الله ويمنعهم
من عقابه ما في نعما نكرة غير موصولة ولا موصوفة ومعنى فنعما
هي فنعم شيئا ابداؤها وقرئ بكسر النون وفتحها وان تخفوها
وتؤتوها الفقراء وتصيبوا بها مصارفها مع الاخفاء فهو
خير لكم فالاخفاء خير لكم والمراد الصدقات المتطوع بها فان
الافضل في الفرائض ان يجاهر بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما
صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا
وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا
وانما كانت المجاهرة بالفرائض افضل لنفي التهمة حتى اذا كان
المزكي ممن لا يعرف باليسار كان اخفاؤه افضل والمتطوع
ان اراد ان يقتدى به كان اظهاره افضل ونكفر قرئ بالنون
مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء او على انه خبر مبتدأ محذوف
اي ونحن نكفر او على انه جملة من فعل وفاعل مبتدأة ومجزوما
عطفا على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط وقرئ ويكفر
بالياء مرفوعا والفعل لله او للاخفاء وتكفر بالتاء مرفوعا
ومجزوما والفعل للصدقات وقرأ الحسن بالياء والنصب
باضمار ان ومعناه ان تخفوها يكن خيرا لكم وان يكفر ليس عليك
هداهم

وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من انصار ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير

ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون

لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن
والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك ما عليك الا ان
تبلغهم النواهي فحسب ولكن الله يهدي من يشاء يلطف بمن يعلم
ان اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهي عنه وما تنفقوا من خير من
مال فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على
الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم وما تنفقون وليست نفقتكم
الا لابتغاء وجه الله ولطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون
الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله وما تنفقوا من خير يوف
اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فلا عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه
وان يكون على احسن الوجوه واجملها وقيل حجت اسماء بنت ابي بكر
فاتتها امها تسالها وهي مشركة فابت ان تعطيها فنزلت وعن
سعيد بن جبير كانوا يتقون ان يرضخوا لقراباتهم من المشركين
وروي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار في اليهود ورضاع
وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان
ينفعوهم وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب
نفقتك واختلف في الواجب فجوز ابو حنيفة رحمه الله صرف صدقة
الفطر الى اهل الذمة واباه غيره الجار متعلق بمحذوف والمعنى اعمدوا
للفقراء او اجعلوا ما تنفقون للفقراء كقوله في تسع آيات
ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي صدقاتكم للفقراء والذين
احصروا في سبيل الله هم الذين احصرهم الجهاد لا يستطيعون
لاشتغالهم به ضربا في الارض للكسب وقيل هم اصحاب الصفة وهم
نحو من اربعمائة رجل من مهاجري قريش لم يكن لهم مساكن في
المدينة ولا عشائر فكانوا في صفة المسجد وهي سقيفته يتعلمون
القرآن بالليل

للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله
فمن كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى وعن ابن عباس وقف
رسول الله صلى الله عليه يوما على اصحاب الصفة فرأى فقرهم
وجهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا اصحاب الصفة فمن بقي
من امتي على النعت الذي انتم عليه راضيا بما فيه فانه من
رفقائي يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف مستغنين
من اجل تعففهم عن المسألة تعرفهم بسيماهم من صفرة الوجه ورثاثة
الحال والالحاف الالحاح وهو اللزوم وان لا يفارق الا بشيء
يعطاه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده
وعن النبي صلى الله عليه ان الله يحب الحيي الحليم المتعفف
ويبغض البذي السآل الملحف ومعناه انهم ان سألوا سألوا
بتلطف ولم يلحوا وقيل هو نفي للسؤال والالحاف جميعا كقوله
على لاحب لا يهتدى بمناره يريد نفي المنار والاهتداء به
بالليل والنهار سرا وعلانية يعمون الاوقات والاحوال
بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها
ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت في ابي بكر
الصديق رضي الله عنه حين تصدق باربعين الف دينار عشرة
بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية وعن
ابن عباس نزلت في علي رضي الله عنه لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق
بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقيل نزلت في
علف الخيل وارتباطها في سبيل الله وعن ابي هريرة كان اذا مر
بفرس سمين قرأ هذه الآية الربوا كتب بالواو على لغة من يفخم كما
كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع

الذين يأكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا واحل الله البيع وحرم الربوا

لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان
اي المصروع وتخبط الشيطان من زعمات العرب يزعمون ان
الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب على غير استواء
كخبط العشواء فورد على ما كانوا يعتقدون والمس الجنون ورجل ممسوس
وهذا ايضا من زعماتهم وان الجني يمسه فيختلط عقله وكذلك جن
الرجل معناه ضربته الجن ورايتهم لهم في الجن قصص واخبار وعجائب
وانكار ذلك عندهم كانكار المشاهدات فان قلت بم يتعلق قوله
من المس قلت بلا يقومون اي لا يقومون من المس الذي بهم الا كما
يقوم المصروع ويجوز ان يتعلق بيقوم اي كما يقوم المصروع من جنونه
والمعنى انهم يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروعين تلك
سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف وقيل الذين يخرجون من
الاجداث يوفضون الا اكلة الربا فانهم ينهضون ويسقطون
كالمصروعين لانهم اكلوا الربا فارباه الله في بطونهم حتى اثقلهم
فلا يقدرون على الايفاض ذلك العقاب بسبب قولهم انما البيع
مثل الربا فان قلت هلا قيل انما الربا مثل البيع لان الكلام في
الربا لا في البيع فوجب ان يقال انهم شبهوا الربا بالبيع فاستحلوه
وكانت شبهتهم انهم قالوا لو اشترى الرجل ما لا يساوي الا درهما
بدرهمين جاز فكذلك اذا باع درهما بدرهمين قلت جيء به على
طريق المبالغة وهو انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربا انهم جعلوه
اصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع وقوله واحل الله البيع
وحرم الربا انكار لتسويتهم بينهما ودلالة على ان القياس يهدمه
النص لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه
فمن جاءه موعظة فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربا فانتهى

فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون

فتبع النهي وامتنع فله ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه لانه اخذ قبل
نزول التحريم وامره الى الله يحكم في شانه يوم القيامة وليس
من امره اليكم شيء فلا تطالبوه به ومن عاد الى الربا فاولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون وهذا دليل بين على تخليد الفساق
وذكر فعل الموعظة لان تانيثها غير حقيقي ولانها في معنى الوعظ
وقرا ابي والحسن فمن جاءته يمحق الله الربا يذهب ببركته ويهلك
المال الذي يدخل فيه وعن ابن مسعود رضي الله عنه الربا وان
كثر الى قل ويربي الصدقات ما يتصدق به بان يضاعف
عليه الثواب ويزيد المال الذي اخرجت منه الصدقة ويبارك
فيه وفي الحديث ما نقصت زكاة من مال قط كل كفار اثيم تغليظ
في امر الربا وايذان بانه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين
أضعاف ما شرطوا على الناس من الربا وبقيت لهم بقايا فامروا
ان يتركوها ولا يطالبوا بها روي انها نزلت في ثقيف وكان
لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربا وقرا
الحسن ما بقي بقلب الياء الفا على لغة طيء وعنه ما بقي بياء ساكنة
ومنه قول جرير هو الخليفة فارضوا ما رضي لكم ماضي العزيمة
ما في حكمه جنف ان كنتم مؤمنين ان صح ايمانكم يعني ان دليل
صحة الايمان وثباته امتثال ما امرتم به من ذلك فاذنوا بحرب
فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرئ فآذنوا فاعلموا بها
غيركم وهو من الاذن وهو الاستماع لانه من طرق العلم وقرا
الحسن فايقنوا وهو دليل لقراءة العامة فان قلت هلا قيل
بحرب الله ورسوله قلت كان هذا ابلغ لان المعنى فاذنوا
بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله وروي انها لما نزلت

يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار اثيم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون

قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وأن تبتم من الارتباء فلكم
رؤوس أموالكم لا تظلمون المديونين بطلب الزيادة عليها ولا
تظلمون بالنقصان منها فإن قلت هذا حكمهم إن تابوا فما حكمهم
لو لم يتوبوا قلت قالوا يكون مالهم فيئاً للمسلمين وروى المفضل
عن عاصم لا تُظلَمون ولا تَظلِمون وإن كان ذو عسرة وإن
وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة أي ذو إعسار وقرأ عثمان
رضي الله عنه ذا عسرة على وإن كان الغريم ذا عسرة وقرئ
ومن كان ذا عسرة فنظرة فالحكم أو فالأمر نظرة وهي الإنظار
وقرئ فنظْرة بسكون الظاء وقرأ عطاء فناظره بمعنى فصاحب
الحق ناظره أي منتظره أو صاحب نظرته على طريقة النسب كقولهم
مكان عاشب وباقل بمعنى ذو عشب وذو بقل وعنه فناظِرْه
على الأمر بمعنى فسامحه بالنظرة وباشره بها إلى ميسرة إلى يسار
وقرئ بضم السين كمقبرة ومقبُرة ومشرقة ومشرُقة وقرئ
بهما مضافين بحذف التاء عند الإضافة كقوله وأخلفوك
عِدَ الأمر الذي وعدوا وقوله تعالى وإقام الصلاة وأن تصدقوا
خير لكم ندب إلى أن يتصدقوا برؤوس أموالهم على من أعسر
من غرمائهم أو ببعضها كقوله وأن تعفوا أقرب للتقوى وقيل
أريد بالتصدق الإنظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم
فيؤخره إلا كان له بكل يوم صدقة إن كنتم تعلمون أنه خير لكم
فتعملوا به جعل من لا يعمل به وإن علمه كأنه لا يعلمه وقرئ
تصَدَقوا بتخفيف الصاد على حذف التاء ترجعون قرئ على
البناء للفاعل والمفعول وقرئ يرجعون بالياء على طريقة الالتفات
وقرأ عبد الله تُردّون وقرأ أبي تصيرون وعن ابن عباس

وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون

أنها آخر آية نزل بها جبريل وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين
من البقرة وعاش رسول الله بعدها أحداً وعشرين يوماً
وقيل أحداً وثمانين وقيل سبعة أيام وقيل ثلاث ساعات
إذا تداينتم إذا داين بعضكم بعضاً يقال داينت الرجل
إذا عاملته بدين معطياً أو آخذاً كما تقول بايعته إذا بعته
أو باعك قال رؤبة داينت أروى والديون تقضى فمطلت بعضاً
وأدت بعضاً والمعنى إذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه فإن قلت
هلا قيل إذا تداينتم إلى أجل مسمى وأي حاجة إلى ذكر الدين
كما قال داينت أروى ولم يقل بدين قلت ذكر ليرجع الضمير
إليه في قوله فاكتبوه إذ لو لم يذكر لوجب أن يقال فاكتبوا
الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولأنه أبين لتنويع
الدين إلى مؤجل وحال فإن قلت ما فائدة قوله مسمى
قلت ليعلم أن من حق الأجل أن يكون معلوماً كالتوقيت
بالسنة والأشهر والأيام ولو قال إلى الحصاد أو الدياس
أو رجوع الحاج لم يجز لعدم التسمية وإنما أمر بكتبة الدين لأن
ذلك أوثق وآمن ولما حرم الله الربا أباح السلف وعنه
أشهد أن الله أباح السلم المضمون إلى أجل معلوم في كتابه
وأنزل فيه أطول آية بالعدل متعلق بكاتب صفة له أي كاتب
مأمون على ما يكتب يكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد على ما
يجب أن يكتب ولا ينقص وفيه أن يكون الكاتب فقيهاً
عالماً بالشروط حتى يجيء مكتوبه معدّلاً بالشرع وهو أمر للمتداينين
بتخير الكاتب وأن لا يستكتبوا إلا فقيهاً ديّناً ولا يأب
كاتب ولا يمتنع أحد من الكتاب وهو معنى تنكير كاتب

يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه

وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب

ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل
ولا يغير وقيل هو كقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك
اي ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها وعن الشعبي
هي فرض كفاية وكما علمه الله يجوز ان يتعلق بان يكتب وبقوله
فليكتب فان قلت اي فرق بين الوجهين قلت ان علقته
بان يكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة المقيدة ثم قيل
له فليكتب يعني فليكتب تلك الكتابة لا يعدل عنها للتوكيد
وان علقته بقوله فليكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة
على سبيل الاطلاق ثم امر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق
ولا يكن المملي الا من وجب عليه الحق لانه هو المشهود على ثباته
في ذمته واقراره به والاملال والاملاء لغتان قد نطق بهما
القرآن فهي تملى عليه ولا يبخس منه من الحق شيئا والبخس النقص
وقرئ شيا بطرح الهمزة وشيا بالتشديد سفيها محجورا عليه
لتبذيره وجهله بالتصرف او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا
او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لعي
به او خرس فليملل وليه الذي يلي امره من وصي ان كان سفيها
او صبيا او وكيل ان كان غير مستطيع او ترجمان يمل عنه
وهو يصدقه وقوله ان يمل هو فيه انه غير مستطيع بنفسه ولكن
بغيره وهو الذي يترجم عنه واستشهدوا شهيدين واطلبوا
ان يشهد لكم شهيدان على الدين من رجالكم من رجال المؤمنين
والحرية والبلوغ شرط مع الاسلام عند عامة العلماء وعن
علي رضي الله عنه لا تجوز شهادة العبد في شيء وعند شريح وابن
سيرين وعثمان البتي انها جائزة ويجوز عند ابي حنيفة شهادة الكفار
بعضهم على بعض

وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فان كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى

على اختلاف الملل فان لم يكونا فان لم يكن الشهيدان رجلين
فرجل وامرأتان فليشهد رجل وامرأتان وشهادة النساء مع
الرجال مقبولة عند ابي حنيفة فيما عدا الحدود والقصاص ممن
ترضون ممن تعرفون عدالتهم ان تضل احداهما ان لا تهتدي
احداهما للشهادة بان تنساها من ضل الطريق اذا لم يهتد له
وانتصابه على انه مفعول له اي ارادة ان تضل فان قلت
كيف يكون ضلالها مرادا لله قلت لما كان الضلال سببا
للاذكار والاذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من
السبب والمسبب منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت
ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار فكأنه
قيل ارادة ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت ونظيره قولهم
اعددت الخشبة ان يميل الحائط فادعمه واعددت السلاح
ان يجيء عدو فادفعه وقرئ فتذكر بالتخفيف والتشديد
وهما لغتان وفتذاكر وقرأ حمزة ان تضل احداهما على الشرط
فتذكر بالرفع والتشديد كقوله ومن عاد فينتقم الله منه وقرئ
ان تضل احداهما على البناء للمفعول والتأنيث ومن بدع
التفاسير فتذكر فتجعل احداهما الاخرى ذكرا يعني انهما اذا اجتمعتا
كانتا بمنزلة الذكر اذا ما دعوا ليقيموا الشهادة وقيل ليستشهدوا
وقيل لهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكائن
وعن قتادة كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فلا
يتبعه منهم احد فنزلت كنى بالسأم عن الكسل لان الكسل صفة
المنافق ومنه الحديث لا يقول المؤمن كسلت ويجوز ان يراد
من كثرت مداينته فاحتاج ان يكتب لكل دين صغير او كبير
كتابا

ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله

او كبيرا

فتملوا كثرة الكتب الضمير في تكتبوه للدين او الحق صغيرا
على اي حال كان الحق من صغر او كبر ويجوز ان يكون الضمير للكتاب
وان يكتبوه مختصرا او مشبعا ولا تخلوا بكتابته الى اجله الى
وقته الذي اتفق الغريمان على تسميته ذلكم اشارة الى ان تكتبوه
لانه في معنى المصدر اي ذلكم الكتب اقسط اعدل من القسط
واقوم للشهادة واعون على اقامة الشهادة وادنى ان لا ترتابوا
واقرب من انتفاء الريب فان قلت مم بني افعلا التفضيل
اعني اقسط واقوم قلت يجوز على مذهب سيبويه ان يكونا مبنيين
من اقسط واقام وان يكون اقسط من قاسط على طريقة النسب
بمعنى ذي قسط واقوم من قويم وقرئ ولا يسأموا ان يكتبوه بالياء
فيهما فان قلت ما معنى تجارة حاضرة وسواء كانت المبايعة
بدين او بعين فالتجارة حاضرة وما معنى ادارتها بينهم قلت
اريد بالتجارة ما يتجر فيه من الابدال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم
اياها يدا بيد والمعنى الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد
فلا باس ان لا تكتبوه لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين
وقرئ تجارة حاضرة بالرفع على كان التامة وقيل هي الناقصة
على ان الاسم تجارة حاضرة والخبر تديرونها وبالنصب على الا ان
تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله بني اسد هل تعلمون
بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اي اذا كان اليوم يوما
واشهدوا اذا تبايعتم امر بالاشهاد على التبايع مطلقا ناجزا
او كالئا لانه احوط وابعد مما عسى يقع من الاختلاف ويجوز ان
يراد واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع يعني التجارة الحاضرة
على ان الاشهاد كاف فيه دون الكتابة وعن الحسن ان شاء اشهد

ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة وادنى الا ترتابوا الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها واشهدوا اذا تبايعتم

وان شاء لم يشهد وعن الضحاك هي عزيمة من الله ولو على باقة بقل
ولا يضار يحتمل البناء للفاعل والمفعول والدليل عليه قراءة
عمر رضي الله عنه ولا يضارر بالاظهار والكسر وقراءة ابن
عباس ولا يضارر بالاظهار والفتح والمعنى نهي الكاتب
والشهيد عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف
والزيادة والنقصان او النهي عن الضرار بهما بان يعجلا عن مهم
ويلزا او لا يعطى الكاتب حقه من الجعل او يحمل الشهيد مؤنة
مجيئه من بلد وقرأ الحسن ولا يضار بالكسر وان تفعلوا وان
تضاروا فانه فان الضرار فسوق بكم وقيل وان تفعلوا شيئا مما
نهيتم عنه على سفر مسافرين وقرأ ابن عباس وابي كتابا
وقال ابن عباس ارأيت ان وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة
والدواة وقرأ ابو العالية كتبا وقرأ الحسن كتابا جمع كاتب فرهن
فالذي يستوثق به رهن وقرئ فرهن بضم الهاء وسكونها وهو
جمع رهن كسقف وسقف وفرهان فان قلت لم شرط
السفر في الارتهان ولا يختص بالسفر ورهن رسول الله درعه في غير سفر قلت ليس الغرض تجويز الارتهان
في السفر خاصة ولكن السفر لما كان مظنة لاعواز الكتب
والاشهاد امر على سبيل الارشاد الى حفظ المال من كان على
سفر بان يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد
وعن مجاهد والضحاك انهما لم يجوزاه الا حال السفر اخذا بظاهر
الآية واما القبض فلا بد من اعتباره وعند مالك يصح الارتهان
بالايجاب والقبول بدون القبض فان امن بعضكم بعضا فان
امن بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به وقرأ ابي

ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وليتق الله ربه

جواب الشرط محذوف اي فلا يفعل في هذا نفعه لقراءة دون المشهود فان المشهود تعرضت الى ت ...

جمع رهن كالبغال والبغل

اعواز بالافتقار

خمس

فان أومن اى آمنه الناس ووصفوا المديون بالامانة والوفاء
والاستغناء عن الارتهان من مثله فليؤد الذى اؤتمن
امانته حث للمديون على ان يكون عند ظن الدائن به
وامنه منه وائتمانه له وان يؤدى اليه الحق الذى ائتمنه
عليه فلم يرتهن منه وسمى الدين امانة وهو مضمون لائتمانه
عليه بترك الارتهان منه والقراءة ان تنطق بهمزة ساكنة
بعد الذال او ياء فتقول الذيتمن وعن عاصم انه قرا الذتمن
بادغام الياء فى التاء قياسا على اتسر فى الافتعال من اليسر
وليس بصحيح لان الياء منقلبة عن الهمزة فهى فى حكم الهمزة واتزر
عامى وكذلك ريا فى رؤيا آثم خبر ان وقلبه رفع بآثم
على الفاعلية كانه قيل فانه ياثم قلبه ويجوز ان يرتفع قلبه
بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان فان قلت هلا
اقتصر على قوله فانه آثم وما فائدة ذكر القلب والجملة هى الآثمة
لا القلب وحده قلت كتمان الشهادة هو ان يضمرها ولا يتكلم
بها فلما كان اثما مقترفا بالقلب اسند اليه لان اسناد الفعل
الى الجارحة التى يعمل بها ابلغ الا تراك تقول اذا اردت التوكيد
هذا مما ابصرته عينى ومما سمعته اذنى ومما عرفه قلبى ولان
القلب هو رئيس الاعضاء والمضغة التى ان صلحت صلح الجسد
كله وان فسدت فسد الجسد كله فكانه قيل فقد تمكن الاثم
فى اصل نفسه وملك اشرف مكان فيه ولئلا يظن ان كتمان
الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم ان القلب
اصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان ترجمان عنه ولان
افعال القلوب اعظم من افعال سائر الجوارح وهى لها كالاصول

الذى اؤتمن

ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم

التى تتشعب منها الا ترى ان اصل الحسنات والسيئات الايمان
والكفر وهما من افعال القلوب واذا جعل كتمان الشهادة
من آثام القلوب فقد شهد له بانه من معاظم الذنوب
وعن ابن عباس رضى الله عنهما اكبر الكبائر الاشراك بالله
لقوله فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة
وقرئ قلبه بالفتح كقوله سفه نفسه وقرا ابن ابى عبلة
اثم قلبه اى جعله آثما وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يعنى
من السوء يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء لمن استوجب
المغفرة بالتوبة مما اظهر منه او اضمر ويعذب من يشاء ممن
استوجب العقوبة بالاصرار ولا تدخل فيما يخفيه الانسان
الوساوس وحديث النفس لان ذلك مما ليس فى وسعه الخلو
منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه وعن عبد الله بن عمر انه تلاها
فقال لئن اخذنا الله بهذا لنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه
فذكر لابن عباس فقال يغفر الله لابى عبد الرحمن فقد
وجد المسلمون منها مثل ما وجد فنزل لا يكلف الله نفسا
فيغفر ويعذب مجزومين عطفا على جواب الشرط ومرفوعين
على فهو يغفر ويعذب فان قلت كيف يقرا الجازم قلت
يظهر الراء ويدغم الباء ومدغم الراء فى اللام لاحن مخطئ خطأ
فاحشا وراويه عن ابى عمرو مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب الى
اعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم والسبب فى نحو هذه الروا
قلة ضبط الرواة والسبب فى قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط
نحو هذا الا اهل النحو وقرا الاعمش يغفر بغير فاء مجزوما
على البدل من يحاسبكم كقوله متى تاتنا تلمم بنا فى ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا

لله ما فى السموات وما فى الارض وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شىء قدير

ومعنى هذا البدل المفصل للجمل الحساب لان المفصل اوضح من المفصل
فهو جار مجرى بدل البعض من الكل او بدل الاشتمال كقولك ضربت
زيدا رأسه واحببت زيدا عقله وهذا البدل واقع في الافعال
وقوعه في الاسماء لحاجة القبيلين الى البيان والمؤمنون ان عطف
على الرسول كان الضمير الذي التنوين نائب عنه في كل راجعا الى
الرسول والمؤمنين اي كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
من المذكورين ووقف عليه وان كان مبتدأ كان الضمير للمؤمنين
ووحد ضمير كل في آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكان يجوز ان
يجمع كقوله وكل أتوه داخرين وقرأ ابن عباس وكتابه يريد القرآن
او الجنس وعنه الكتاب اكثر من الكتب فان قلت كيف يكون
الواحد اكثر من الجمع قلت لانه اذا اريد بالواحد الجنس والجنسية
قائمة في وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شيء واما الجمع فلا يدخل
تحته الا ما فيه الجنسية من الجموع لا نفرق يقولون لا نفرق وعن
ابي عمرو يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرأ عبد الله لا يفرقون
واحد في معنى الجمع كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك
دخل عليه بين سمعنا اجبنا غفرانك منصوب باضمار فعله
يقال غفرانك لا كفرانك اي نستغفرك ولا نكفرك وقرئ
وكتبه ورسله بالسكون الوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه
ولا يحرج فيه اي لا يكلفها الا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه
دون مدى الطاقة والمجهود وهذا اخبار عن عدله ورحمته كقوله
يريد الله بكم اليسر لانه كان في امكان الانسان وطاقته ان
يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة وقرأ
ابن ابي عبلة وسعها بالفتح لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ينفعها

لا يكلف الله نفسا
الا وسعها لها ما كسبت
وعليها ما اكتسبت

ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر لا يؤاخذ بذنبها
غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها فان قلت لم خص الخير
بالكسب والشر بالاكتساب قلت في الاكتساب اعتمال فلما
كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة اليه وامارة به
كانت في تحصيله اعمل واجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما
لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال
اي لا تؤاخذنا بالنسيان او الخطأ ان فرطنا فان قلت
النسيان والخطأ متجاوز عنهما فما معنى الدعاء بترك المؤاخذة
بهما قلت ذكر النسيان والخطأ والمراد بهما ما هما مسببان
عنه من التفريط والاغفال الا ترى الى قوله وما انسانيه الا
الشيطان والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وانما يوسوس
فتكون وسوسته سببا للتفريط الذي منه النسيان ولانهم
كانوا متقين الله حق تقاته فما كانت تفرط منهم فرطة الا على
وجه النسيان والخطأ فكان وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا
ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به كأنه قيل ان كان النسيان
والخطأ مما يؤاخذ به فما فيهم سبب مؤاخذة الا الخطأ والنسيان
ويجوز ان يدعو الانسان بما علم انه حاصل له قبل الدعاء من
فضل الله لاستدامته والاعتداد بالنعمة فيه الاصر
العبء الذي يأصر حامله اي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله
استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة
من الجلد والثوب وغير ذلك وقرئ آصارا على الجمع وفي قراءة
ابي ولا تحمل علينا بالتشديد فان قلت اي فرق بين هذه
التشديدة والتي في ولا تحملنا قلت هذه للمبالغة في حمل عليه

ربنا لا تؤاخذنا ان
نسينا او اخطانا ربنا
ولا تحمل علينا اصرا كما
حملته على الذين من
قبلنا ربنا ولا تحملنا
ما لا طاقة لنا به واعف
عنا واغفر لنا وارحمنا
انت مولانا فانصرنا على
القوم الكافرين

فَتُكَلِّفنا جملة من مفعولٍ واحدٍ الى مفعولين ولا تُحَمِّلْنا ما لا طاقة لنا
به من العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا الاعفا عن التكليفات
الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم
في المحافظة عليها وقيل المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع
من التكاليف وهذا تكرير لقوله لا تحمل علينا اصرا مولانا سيدنا
ونحن عبيدك او ناصرنا او متولي امورنا فانصرنا فمن حق المولى
ان ينصر عبيده او فان ذلك عادتك او فان ذلك من امورنا
التي عليك توليها وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه لما
دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت وعنه عليه
أُوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن
نبي قبلي وعنه انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده
قبل أن يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة
اجزاتاه عن قيام الليل فان قلت هل يجوز ان يقال قرأت
سورة البقرة او قراءة البقرة قلت لا باس بذلك وقد
جاء في حديث النبي صلى الله عليه من آخر سورة البقرة وخواتيم
سورة البقرة وعن علي رضي الله عنه خواتيم سورة البقرة من
كنز تحت العرش وعن عبد الله بن مسعود انه رمى الجمرة ثم قال
من ههنا والذي لا اله غيره رمى الذي انزلت عليه سورة البقرة
ولا فرق بين هذا وبين قولك سورة الزخرف وسورة الممتحنة
وسورة المجادلة واذا قلت قرات البقرة لم يشكل ان المراد
سورة البقرة كقوله واسال القرية وعن بعضهم انه كره ذلك وقال
يقال قرات السورة التي تذكر فيها البقرة عن رسول الله صلى الله عليه
السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها
بركة

155

وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران

مدنية وهي مائتا آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ميم حقها أن يوقف عليها كما وقف على الف ولام وأن
يبدأ ما بعدها كما تقول واحد اثنان وهي قراءة عاصم وأما
فتحها فهي حركة الهمزة القيت عليها ومن همزة وصل لا تثبت
في درج الكلام فلا تثبت حركتها لان ثبات حركتها كثباتها
قلت هذا ليس بدرج لان ميم في حكم الوقف والسكون
والهمزة في حكم الثابت وانما حذفت تخفيفا والقيت حركتها
على الساكن قبلها لتدل عليها ونظيره قولهم واحد اثنان
بالقاء حركة الهمزة على الدال فان قلت هلا زعمت انها
حركة لالتقاء الساكنين قلت لان التقاء الساكنين لا يبالى
به في باب الوقف وذلك قولك هذا ابراهيم وداود واسحاق
ولو كان التقاء الساكنين في حال الوقف يوجب التحريك
لحرك الميمان في الف لام ميم لالتقاء الساكنين ولما انتظر
ساكن آخر فان قلت انما لم يحركوا لالتقاء الساكنين في ميم لانهم
ارادوا الوقف وامكنهم النطق بساكنين فاذا جاء ساكن
ثالث لم يمكن الا التحريك فحركوا قلت الدليل على ان الحركة
ليست لملاقاة الساكن انه كان يمكنهم ان يقولوا واحد
اثنان

الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان

بسكون الدال مع طرح الهمزة فيجتمع ساكنين كما قالوا أصيم
تقديق فلما حركوا الدال علم أن حركتهما هي حركة الهمزة الساقطة
لا العين وليست لالتقاء الساكنين فإن قلت فما وجه قراءة
عمرو بن عبيد رحمه الله بالكسر قلت هذه القراءة على توهم
التحريك لالتقاء الساكنين وما هي بمقبولة والتوراة والإنجيل
اسمان أعجميان وتكلف اشتقاقهما من الوري والنجل
ووزنهما بتفعلة وإفعيل إنما يصح بعد تعريبهما وقرأ
الحسن الأنجيل بفتح الهمزة وهو دليل على العجمة لأن أفعيل
بفتح الهمزة عديم في أوزان العرب فإن قلت لم قيل نزل
الكتاب وأنزل التوراة والإنجيل قلت لأن القرآن نزل
منجما ونزل الكتابان جملة وقرأ الأعمش نزل عليك الكتاب
بالتخفيف ورفع الكتاب هدى للناس أي لقوم موسى وعيسى
ومن قال نحن متعبدون بشرائع من قبلنا فسره على العموم
فإن قلت ما المراد بالفرقان قلت جنس الكتب السماوية
لأن كلها فرقان تفرق بين الحق والباطل أو الكتب التي ذكرها
كأنه قال بعد ذكر الكتب الثلاثة وأنزل ما يفرق به بين
الحق والباطل من كتبه أو من هذه الكتب أو أراد الكتاب الرابع
وهو الزبور كما قال وآتينا داود زبورا وهو ظاهر أو كرر ذكر
القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل
بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيما لشأنه وإظهارا لفضله بآيات
الله من كتبه المنزلة وغيرها ذو انتقام له انتقام شديد
لا يقدر على مثله منتقم لا يخفى عليه شيء في العالم فعبر عنه
بالسماء والأرض فهو مطلع على كفر من كفر وإيمان من آمن

إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء

وهو مجازيهم عليه كيف يشاء من الصور المختلفة المتفاوتة
وقرأ طاوس تصوركم أي صوركم لنفسه ولتعبده كقولك
أثلت مالا إذا جعلته أثلة أي أصلا وتأثلته إذا أثلته
لنفسك وعن سعيد بن جبير هذا حجاج على من زعم أن عيسى
كان ربا كأنه نبه بكونه مصورا في الرحم على أنه عبد كغيره
وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله محكمات أحكمت عبارتها بأن
حفظت من الاحتمال والاشتباه متشابهات مشتبهات
محتملات هن أم الكتاب أي أصل الكتاب تحمل المتشابهات
عليها وترد إليها ومثال ذلك لا تدركه الأبصار إلى ربها
ناظرة لا يأمر بالفحشاء أمرنا مترفيها فإن قلت فهلا كان
القرآن كله محكما قلت لو كان كله محكما لتعلق الناس به
لسهولة مأخذه ولأعرضوا عما يحتاجون فيه إلى الفحص والتأمل
من النظر والاستدلال ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي
لا يتوصل إلى معرفة الله وتوحيده إلا به ولما في المتشابه من
الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما في
تقادح العلماء وإتعابهم القرائح في استخراج معانيه ورده
إلى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات
عند الله ولأن المؤمن المعتقد أن لا مناقضة في كلام الله
ولا اختلاف إذا رأى فيه ما يتناقض في ظاهره وأهمه طلب
ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد ففكر وراجع نفسه وغيره
ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه المحكم ازداد طمأنينة
إلى معتقده وقوة في إيقانه الذين في قلوبهم زيغ هم أهل البدع
فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بالمتشابه الذي يحتمل ما
يذهب إليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من
قول أهل الحق

هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات

فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال صاحب الانتصاف لا يجوز اطلاق الاستهزاء على الله تعالى لما فيه من ايهام سبق جهل وضلال جل الله وتعالى عن ذلك
لان الاستهزاء مطاوع بعد ... واظنه سهلا فنسب الاستهزاء الى الراسخين في العلم وغفل عن شمول ذلك الحق جل جلاله

ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم
وابتغاء تاويله وطلب ان ياولوه التاويل الذي يشتهونه
وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم اي لا يهتدي
الى تاويله الحق الذي يجب ان يحمل عليه الا الله وعباده الذين
رسخوا في العلم اي ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع
ومنهم من يقف على قوله الا الله ويبتدي والراسخون في العلم يقولون
ويفسرون المتشابه بما استاثر الله بعلمه وبمعرفة الحكمة فيه من
آياته كعدد الزبانية ونحوه والاول هو الوجه ويقولون كلام مستانف
موضح لحال الراسخين بمعنى هولاء العالمون بالتاويل يقولون
آمنا به اي بالمتشابه كل من عند ربنا اي كل واحد منه ومن
المحكم من عنده او بالكتاب كل من متشابهه ومحكمه من عند الله الحكيم
الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه وما يذكر الا اولوا الالباب
مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التامل ويجوز ان يكون
يقولون حالا من الراسخين وقرا عبد الله ان تاويله الا عند الله
وقرا ابي ويقول الراسخون ربنا لا تزغ قلوبنا لا تبلنا ببلايا
تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا وارشدتنا لدينك او لا تمنعنا
الطافك بعد اذ لطفت بنا من لدنك رحمة من عندك نعمة بالتوفيق
والمعونة وقرئ لا تزغ قلوبنا بالتاء والياء ورفع القلوب جامع
الناس ليوم اي تجمعهم لحساب يوم او لجزاء يوم كقوله يوم يجمعكم
ليوم الجمع وقرئ جامع الناس على الاصل ان الله لا يخلف الميعاد
معناه ان الالاهية تنافي خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب
سايله والميعاد الموعد قرا علي رضي الله عنه لن يغني بسكون
الياء وهذا من الجد في استثقال الحركة على حروف اللين من
في ولي من الله مثلها وان الظن لا يغني من الحق شيا والمعنى

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيا

بل الثاني هو الوجه ويويده قراءة ابن مسعود ان تاويله الا عند الله والراسخون

التعليق صالح لان يميل الى الايمان
والى الكفر على حسب حدوث داعية تدعوه
الى احدهما وداعية الكفر هي الخذلان والازاغة كما ان داعية الايمان هو التوفيق والهداية
... قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن ... فلما آمن الراسخون
بجميع ما انزل الله من المحكم والمتشابه تضرعوا اليه تعالى ان لا يجعل قلوبهم مايلة الى الباطل بعد
ان جعلها مايلة الى الحق ثم اتبعوا ذلك بسوال الرحمة اي ان ينور قلوبهم بانوار المعرفة ويجمل جوارحهم
واعضاءهم بزينة الطاعة والعبادة لان تطهير القلب عما لا ينبغي مقدم على ...

لن تغني عنهم من رحمة الله او من طاعة الله شيا اي بدل رحمته
وطاعته وبدل الحق ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا
ينفعه جده وحظه من الدنيا بدلك اي بدل طاعتك وعبادتك
وما عندك وفي معناه قوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا
زلفى وقرئ وقود بالضم بمعنى اهل وقودها والمراد الذين كفروا
من كفر برسول الله صلى الله عليه وعن ابن عباس هم قريظة
والنضير الداب مصدر داب في العمل اذا كدح فيه فوضع
موضع ما عليه الانسان من شانه وحاله والكاف في موضع الجر
تقديره داب هولاء الكفرة كداب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم
ويجوز ان ينتصب محل الكاف بلن تغني او بالوقود اي لن تغني
عنهم مثل ما لم تغن عن اولئك او توقد بهم النار كما توقد بهم تقول
انك لتظلم الناس كداب ابيك تريد كظلم ابيك ومثل ما كان
يظلمهم وان فلانا لمحارف كداب ابيه يريد كما حورف ابوه كذبوا
باياتنا تفسير لدابهم ما فعلوا وفعل بهم على انه جواب سوال مقدر
عن حالهم قل للذين كفروا هم مشركو مكة ستغلبون يعني يوم بدر
وقيل هم اليهود لما غلب رسول الله يوم بدر قالوا هذا والله
النبي الامي الذي بشرنا به موسى وهموا باتباعه فقال بعضهم لا
تعجلوا حتى ننظر الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد شكوا وقيل
جمعهم رسول الله بعد وقعة بدر في سوق بني قينقاع فقال
يا معشر اليهود احذروا مثل ما نزل بقريش واسلموا قبل ان
ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل فقالوا لا يغرنك
انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة
لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقرئ سيغلبون

اموالكم ولا

واولئك هم وقود النار كداب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب

قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد

لانه غلب رسول الله

حاصل الفرق بين القراءتين ان المعنى على تقدير تاء الخطاب امر النبي صلى الله عليه وسلم بان يخبرهم من عند نفسه بمضمون ما اخبره
الله تعالى وهو ان الكفار ستغلبون وتحشرون حتى لو كذبوا كان التكذيب راجعا اليه فاذا كان هو مخبرا اياهم بمعنى كلامه تعالى فلا بد
من نقله بالتاء وعلى تقدير ياء الغيبة امره هو بان يؤدي ما اخبر الله تعالى به من الحكم بانهم سيغلبون بحيث لو كذبوا كان التكذيب
راجعا اليه تعالى فاذا كان الاخبار بلفظ كلام الله تعالى وجب الياء قوله وهو اي من سيغلبون الكاين اي ما هو كاين يقع في المستقبل
بيانية واللام في المتوعد به بمعنى الذي والضمير في به راجع الى اللام في المتوعد والباء صلته والذي يدل عطف على الكاين والمعنى من متعلق
عن الامر الكاين الذي هو نفس المتوعد به وهو مدلول اللفظ ولو حذفت هذه الجملة المعقودة بتمامها من البين لتم الكلام وحصل المرام له

ويحشرون بالياء لقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف على ان الامر بان يحكي لهم
قوله لك سيغلبون فان قلت اي فرق بين القراءتين من حيث
المعنى قلت معنى القراءة بالتاء الامر بان يخبرهم بما سيجري
عليهم من الغلبة والحشر الى جهنم فهو اخبار بمعنى سيغلبون ويحشرون
وهو الكاين من نفس المتوعد به والذي يدل عليه اللفظ ومعنى
القراءة بالياء الامر بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه
كانه قال اد اليهم هذا القول الذي هو قولي لك ستغلبون
وتحشرون قد كان لكم آية الخطاب لمشركي قريش فيتين التقتا
يوم بدر يرونهم مثليهم يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين
قريبا من الفين او مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين
اراهم الله اياهم مع قلتهم اضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن
قتالهم وكان ذلك مددا لهم من الله كما امدهم بالملائكة والدليل
عليه قراءة نافع ترونهم بالتاء اي ترون يا مشركي قريش
المسلمين مثلي فئتكم الكافرة او مثلي انفسهم فان قلت فهذا
مناقض لقوله في سورة الانفال ويقللكم في اعينهم قلت قللوا
اولا في اعينهم حتى اجترؤا عليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى
غلبوا فكان التقليل والتكثير في حالين مختلفين ونظيره من
المحمول على اختلاف الاحوال قوله تعالى فيومئذ لا يسئل
عن ذنبه انس ولا جان وقوله وقفوهم انهم مسئولون وتقليلهم
تارة وتكثيرهم اخرى في اعينهم ابلغ في القدرة واظهار الآية
وقيل يرى المسلمون المشركين مثلي المسلمين على ما قرر عليه امرهم
من مقاومة الواحد الاثنين في قوله فان يكن منكم مائة صابرة
يغلبوا مائتين بعد ما كلفوا ان يقاوم الواحد العشرة في قوله

ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ولذلك وصف ضعفهم
بالقلة لانه قليل بالاضافة الى عشرة الاضعاف وكانوا
ثلثمائة وثلاثة عشر امثالهم وقراءة نافع لا تساعد عليه
لان ضمير يرونهم على البناء للمفعول بالياء والتاء اي يريهم
الله ذلك بقدرته وقرئ فئة تقاتل واخرى كافرة بالجر على
البدل من فئتين وبالنصب على الاختصاص او على الحال من
الضمير في التقتا رأي العين رؤية ظاهرة مكشوفة لا
لبس فيها معاينة كسائر المعاينات والله يؤيد بنصره كما
ايد اهل بدر بتكثيرهم في عين العدو زين للناس المزين
هو الله سبحانه للابتلاء كقوله انا جعلنا ما على الارض زينة
لها لنبلوهم ويدل عليه قراءة مجاهد زين للناس على تسمية
الفاعل وعن الحسن الشيطان والله زينها لهم لانا لا نعلم
احدا اذم لها من خالقها حب الشهوات جعل الاعيان
التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على
الاستمتاع بها والوجه ان تقصد تخسيسها فيسميها شهوات
لان الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد
على نفسه بالبهيمية وقال زين للناس حب الشهوات ثم جاء
بالتفسير ليقرر اولا في النفوس ان المزين لهم حبه ما هو
الا شهوات لا غير ثم يفسره بهذه الاجناس فيكون اقوى
لتخسيسها وادل على ذم من يستعظمها ويتهالك عليها ويرجح
طلبها على طلب ما عند الله والقنطار المال الكثير قيل ملء
مسك ثور وعن سعيد بن جبير مائة الف درهم ولقد جاء الاسلام
يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا والمقنطرة مبنية من
لفظ القنطار

قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار

زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب

١٥٨

للتوكيد كقولهم ألفٌ مؤلّفة وبدرةٌ مبدّرة والمسوّمة المعلَمة من السوم
وهي العلامة أو المطهّمة أو المرعيّة من أسام الدابة وسوّمها
والانعام الأزواج الثمانية ذلك المذكور متاع الحيوة للذين
اتقوا عند ربهم جنات كلام مستأنف فيه دلالة على بيان
ما هو خير من ذلكم كما تقول هل أدلّك على رجل عالم عندي رجل
من صفته كيت وكيت ويجوز أن يتعلّق اللام بخير واختصّ
المتقين لأنهم هم المنتفعون به ويرتفع جنات على هو جنات
وتنصره قراءة من قرأ جناتٍ بالجر على البدل من خير والله بصير
بالعباد يثيب ويعاقب على الاستحقاق أو بصير بالذين
اتقوا وبأحوالهم فلذلك أعدّ لهم الجنات الذين يقولون نصبٌ
على المدح أو رفع ويجوز الجر صفةً للمتقين أو للعباد والواو
المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها
وقد مرّ الكلام في ذلك وخصّ الأسحار لأنهم كانوا يقدّمون
قيام الليل فيحسن طلب الحاجة فيه إن الله يصعد إليه الكلم الطيّب
والعمل الصالح يرفعه وعن الحسن كانوا يصلّون في أول الليل حتى
إذا كان السحر أخذوا في الدعاء والاستغفار هذا نهارهم
وهذا ليلهم شبّهت دلالته على وحدانيته بأفعاله الخاصّة
التي لا يقدر عليها غيره وبما أوحى من آياته الناطقة بالتوحيد
كسورة الإخلاص وآية الكرسي وغيرهما بشهادة الشاهد في
البيان والكشف وكذلك إقرار الملائكة وأولي العلم بذلك واحتجاجهم
عليه قائما بالقسط مقيما للعدل فيما يقسم من الأرزاق والآجال
ويثيب ويعاقب وما يأمر به عباده من إنصاف بعضهم لبعض
والعمل على السويّة فيما بينهم وانتصابه على أنه حال مؤكدة منه كقوله

المطهمة التامة الخلقة
الازواج الثمانية الذكر والانثى من الابل والبقر والضأن والمعز

قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد

الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار

شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب

وهو الحق مصدّقا فإن قلت لم جاز إفراده بنصب الحال دون المعطوفين
عليه ولو قلت جاءني زيد وعمرو راكبا لم يجز قلت إنما جاز
هذا لعدم الإلباس كما جاز في قوله ووهبنا له إسحق ويعقوب
نافلةً إن انتصب نافلة حالا عن يعقوب ولو قلت جاءني
زيد وهند راكبا جاز لتميّزه بالذكورة أو على المدح فإن قلت
أليس من حق المنتصب على المدح أن يكون معرفة كقولك الحمد لله
الحميدَ إنا معشرَ الأنبياء لا نورث إنا بني نهشل لا ندّعي لأب
قلت قد جاء نكرة كما جاء معرفة وأنشد سيبويه فيما جاء
منه نكرة قول الهذلي ويأوي إلى نسوة عُطّلٍ وشُعثًا مراضيعَ
مثل السعالي فإن قلت هل يجوز أن يكون صفة للمنفي كأنه
قيل لا إله قائما بالقسط إلا هو قلت لا يبعد فقد رأيناهم
يتّسعون في الفصل بين الصفة والموصوف فإن قلت قد
جعلته حالا من فاعل شهد فهل يصح أن ينتصب حالا عن هو
في لا إله إلا هو قلت نعم لأنها حال مؤكدة والحال المؤكدة
لا تستدعي أن يكون في الجملة التي هي زيادة في فائدتها عامل
فيها كقولك أنا عبد الله شجاعا وكذلك لو قلت لا رجل إلا
عبد الله شجاعا وهو أوجه من انتصابه عن فاعل شهد وكذلك
انتصابه على المدح فإن قلت هل دخل قيامه بالقسط في
حكم شهادة الله والملائكة وأولي العلم كما دخلت الوحدانية
قلت نعم إذا جعلته حالا من هو أو نصبا على المدح منه أو صفة
للمنفي كأنه قيل شهد الله والملائكة وأولو العلم أنه لا إله إلا
هو وأنه قائم بالقسط وقرأ عبد الله القائمُ بالقسط على أنه بدل من
هو أو خبر مبتدإ محذوف وقرأ أبو حنيفة رحمه الله قيّما بالقسط العزيز
الحكيم

صفتان مقررتان لما وصف به ذاته من الوحدانية والعدل يعني انه العزيز الذي لا يغالبه اله اخر الحكيم الذي لا يعدل عن العدل في افعاله فان قلت ما المراد باولي العلم الذين عظمهم هذا التعظيم حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله قلت هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد وقرئ انه بالفتح وان الدين بالكسر على ان الفعل واقع على انه بمعنى شهد الله على انه او بانه وقوله ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة موكدة للجملة الاولى فان قلت ما فائدة هذا التوكيد قلت فائدتها ان قوله لا اله الا هو توحيد وقوله قائما بالقسط تعديل فاذا اردفه قوله ان الدين عند الله الاسلام فقد اذن ان الاسلام هو العدل والتوحيد وهو الدين عند الله وما عداه فليس عنده في شيء من الدين وفيه ان من ذهب الى تشبيه او ما يؤدي اليه كاجازة الرؤية او ذهب الى الجبر الذي هو محض الجور لم يكن على دين الله الذي هو الاسلام وهذا بين جلي كما ترى وقرئا مفتوحين على ان الثاني بدل من الاول كانه قيل شهد الله ان الدين عند الله الاسلام والبدل هو المبدل منه في المعنى فكان بيانا صريحا لان دين الله هو التوحيد والعدل وقرئ الاول بالكسر والثاني بالفتح على ان الفعل واقع على ان وما بينهما اعتراض موكد وهذا ايضا شاهد على ان دين الاسلام هو العدل والتوحيد فترى القراءات كلها متعاضدة على ذلك وقرا عبد الله ان لا اله الا هو وقرا ابي ان الدين عند الله للاسلام

وهي مقوية لقراءة من فتح الاولى وكسر الثانية وقرئ شهداء لله بالنصب على انه حال من المذكورين قبله وبالرفع على هم شهداء لله فان قلت فعلام عطف على هذه القراءة والملائكة واولو العلم قلت على الضمير في شهداء وجاز لوقوع الفاصل بينهما فان قلت لم كرر قوله لا اله الا هو قلت ذكره اولا للدلالة على اختصاصه بالوحدانية وانه لا اله الا تلك الذات المتميزة ثم ذكره ثانيا بعد ما قرن باثبات الوحدانية اثبات العدل للدلالة على اختصاصه بالامرين كانه قال لا اله الا هذا الموصوف بالصفتين ولذلك قرن به قوله العزيز الحكيم لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل الذين اوتوا الكتاب اهل الكتاب من اليهود والنصارى واختلافهم انهم تركوا الاسلام وهو التوحيد والعدل من بعد ما جاءهم العلم انه الحق الذي لا محيد عنه فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا كنا احق بان تكون النبوة فينا من قريش لانهم اميون ونحن اهل الكتاب وهذا تجوير لله بغيا بينهم اي ما كان ذلك الاختلاف وتظاهرهم بمذهب الباطل الا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا يطأون اعقابهم لا شبهة في الاسلام وقيل هو اختلافهم في نبوة محمد عليه السلام حيث امن به بعض وكفر بعض وقيل هو اختلافهم في الايمان بالانبياء فمنهم من امن بموسى ومنهم من امن بعيسى وقيل هم اليهود واختلافهم ان موسى عليه السلام حين احتضر استودع التوراة سبعين حبرا من بني اسرائيل وجعلهم امناء عليها

واستكف توسع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف ابناء السبعين
بعد ما جاءهم علم التوراة بغيا بينهم وتحاسدا على حظوظ
الدنيا والرياسة وهم النصارى واختلافهم في امر
عيسى بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله فان حاجوك
فان جادلوك في الدين فقل اسلمت وجهي لله اي اخلصت
نفسي وجملتي لله وحده لم اجعل فيها لغيره شركا بان
اعبده وادعوه الها معه يعني ان ديني دين التوحيد وهو
الدين القويم الذي ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندي
وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني فيه ونحوه قل يا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله
ولا نشرك به شيئا فهو دفع للمحاجة بان ما هو عليه ومن معه
من المؤمنين هو حق اليقين الذي لا لبس فيه فما معنى المحاجة
فيه ومن اتبعن عطف على التاء في اسلمت وحسن للفاصل
ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه وقل
للذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والاميين
والذين لا كتاب لهم من مشركي العرب أأسلمتم يعني انه
قد اتاكم من البينات ما يوجب الاسلام ويقتضي حصوله لا محالة
فهل اسلمتم ام انتم بعد على كفركم وهذا كقولك لمن لخصت
له المسألة ولم تبق من طرق البيان والكشف طريقا الا سلكته
فهل فهمتها لا ام لك ومنه قوله عز وعلا فهل انتم منتهون
بعد ما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر وفي هذا الاستفهام استقصار
وتعيير بالمعاندة وقلة الانصاف لان المنصف اذا تجلت
له الحجة لم يتوقف اذعانه للحق وللمعاند بعد تجلي الحجة ما يضرب

فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد

اسدادا بينه وبين الاذعان وكذلك في هل فهمتها توبيخ بالبلادة
وكلة القريحة وفي فهل انتم منتهون بالتقاعد عن الانتهاء والحرص
الشديد على تعاطي المنهي عنه فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا
انفسهم حيث خرجوا من الضلال الى الهدى ومن الظلمة الى
النور وان تولوا لم يضروك فانك رسول منبه ما عليك الا
ان تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى قرأ الحسن ويقتلون
النبيين وقرأ حمزة ويقاتلون الذين يأمرون وقرأ عبد
الله وقاتلوا وقرأ أبي يقتلون النبيين والذين يأمرون
وهم اهل الكتاب قتل اولوهم الانبياء وقتلوا اتباعهم وهم
راضون بما فعلوا وكانوا حول قتل رسول الله والمؤمنين
لولا عصمة الله وعن ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه
قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيامة
قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر
ثم قرأها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة
واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة
واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف
ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار في الدنيا والآخرة
لان لهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة فان قلت
لم دخلت الفاء في خبر ان قلت لتضمن اسمها معنى الجزاء
كانه قيل الذين يكفرون فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم وان لا تغير
معنى الابتداء فكان دخولها كلا دخول ولو كان مكانها ليت
او لعل لامتنع ادخال الفاء لتغير معنى الابتداء اوتوا
نصيبا من الكتاب يريد احبار اليهود وانهم حصلوا نصيبا
وافرا

ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون

من التوراة ومن إما للتبعيض وإما للبيان أو حصلوا من جنس الكتب
المنزلة أو من اللوح التوراة وهي نصيب عظيم يدعون إلى
كتاب الله وهو التوراة ليحكم بينهم وذلك أن رسول الله
دخل مدراسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد
على أي دين أنت فقال على ملة إبراهيم فقالا إن إبراهيم كان
يهوديا فقال لهما إن بيننا وبينكم التوراة فهلموا إليها فأبيا
وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة
كتاب الله القرآن لأنهم قد علموا أنه كتاب الله لم يشكوا فيه
ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بأن الرجوع إلى
كتاب الله واجب وهم معرضون وهم قوم لا يزال الإعراض
ديدنهم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول والوجه أن يراد
ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من أسلم من أحبارهم
وبين من لم يسلم وأنهم دعوا إلى كتاب الله الذي لا اختلاف
بينهم في صحته وهو التوراة ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى
فريق منهم وهم الذين لم يسلموا وذلك أن قوله ليحكم بينهم يقتضي
أن يكون اختلافا واقعا فيما بينهم لا فيما بينهم وبين رسول الله
ذلك التولي والإعراض بسبب تسهيلهم على أنفسهم أمر العقاب
وطمعهم في الخروج من النار بعد أيام قلائل كما طمعت المجبرة
والحشوية وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من أن آباءهم
الأنبياء يشفعون لهم كما غرت أولئك شفاعة رسول الله في
كبائرهم فكيف إذا جمعناهم فكيف يصنعون وكيف يكون
حالهم وهو استعظام لما أعد لهم وتهويل لهم وأنهم يقعون فيما
لا حيلة في دفعه والتخلص منه وأن ما حدثوا به أنفسهم وسهلوه
عليها

ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا
النار إلا أياما معدودات
وغرهم في دينهم ما كانوا
يفترون فكيف إذا
جمعناهم ليوم لا ريب فيه
ووفيت كل نفس ما كسبت
وهم لا يظلمون

تعلل باطل وتطمع بما لا يكون وروي أن أول راية ترفع
لأهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله
على رؤوس الأشهاد ثم يأمر بهم إلى النار وهم لا يظلمون يرجع
إلى كل نفس على المعنى لأنه في معنى كل الناس كما تقول ثلاثة
أنفس تريد ثلاثة أناسي الميم في اللهم عوض من يا ولذلك
لا يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء
في القسم وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف وبقطع
همزته في يا الله وبغير ذلك مالك الملك أي تملك جنس الملك
فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون تؤتي الملك من تشاء
تعطي من تشاء النصيب الذي قسمت له واقتضته حكمتك من الملك
وتنزع ممن تشاء النصيب الذي أعطيته منه فالملك الأول
عام شامل والملكان الآخران خاصان بعضان من الكل روي
أن رسول الله صلى الله عليه حين افتتح مكة وعد أمته ملك
فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من
أين لمحمد ملك فارس والروم هم أعز وأمنع من ذلك وروي أن
رسول الله صلى الله عليه لما خط الخندق عام الأحزاب وقطع
لكل عشرة أربعين ذراعا وأخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق
صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان إلى
رسول الله يخبره فأخذ المعول من سلمان فضربها ضربة
صدعتها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا
في جوف بيت مظلم وكبر وكبر المسلمون وقال أضاءت لي
منها قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب ثم ضرب الثانية
فقال أضاءت لي منها القصور الحمر من أرض الروم ثم ضرب الثالثة

قل اللهم مالك الملك تؤتي
الملك من تشاء وتنزع
الملك ممن تشاء وتعز
من تشاء وتذل من تشاء
بيدك الخير إنك على كل شيء
قدير تولج الليل في النهار
وتولج النهار في الليل وتخرج
الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق
من تشاء بغير حساب

وقال اضاءت لي منها قصور صنعاء واخبرني جبرئيل ان امتي
ظاهرة على كلتيهما فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم
ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة
ومداين كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق
من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت فان قلت كيف قال
بيدك الخير فذكر الخير دون الشر قلت لان الكلام انما وقع
في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي انكرته الكفرة
فقال بيدك الخير تؤتيه اولياءك على رغم من اعدائك ولان كل
افعال الله من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله
كايتاء الملك ونزعه ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل
والنهار في المعاقبة بينهما وحال الحي والميت في اخراج احدهما من
الآخر وعطف عليه رزقه بغير حساب دلالة على ان من قدر على
تلك الافعال العظيمة المحيرة للافهام ثم قدر ان يرزق بغير حساب
من يشاء من عباده فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم
ويؤتيه العرب ويعزهم وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك
قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم
رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا
بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام
كما تكونون يولى عليكم نهوا ان يوالوا الكافرين لقرابة بينهم او
صداقة قبل الاسلام او غير ذلك من الاسباب التي يتصادق
بها ويتعاشر وقد كرر ذلك في القرآن ومن يتولهم منكم
فانه منهم لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء لا تجد قوما
يؤمنون بالله الآية والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم

لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير

واصل من اصول الايمان من دون المؤمنين يعني ان لكم في موالاة المؤمنين
مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم ومن يفعل
ذلك فليس من الله في شيء ومن يوال الكفرة فليس من ولاية
الله في شيء يقع عليه اسم الولاية يعني انه منسلخ من ولاية الله
رأسا وهذا امر معقول فان موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان
قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب
الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه
وقرئ تقية قيل للمتقى تقاة وتقية كقولهم ضرب الامير لمضروبه
رخص لهم في موالاتهم اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالقة
ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار
زوال المانع من قشر العصا كقول عيسى صلوات الله عليه كن
وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه فلا تتعرضوا لسخطه
بموالاة اعدائه وهذا وعيد شديد ويجوز ان يضمن تتقوا
معنى تحذروا وتخافوا فيعدى بعن وينتصب تقاة او تقية على
المصدر كقوله اتقوا الله حق تقاته ان تخفوا ما في صدوركم او
تبدوه من ولاية الكفار او غيرها مما لا يرضى الله يعلمه الله ولم
يخف عليه وهو الذي يعلم ما في السموات وما في الارض
لا يخفى عليه منه شيء قط فلا يخفى عليه سركم وعلنكم والله
على كل شيء قدير فهو قادر على عقوبتكم وهذا بيان لقوله ويحذركم
الله نفسه لان نفسه وهي ذاته المتميزة من سائر الذوات متصفة
بعلم ذاتي لا يختص بمعلوم دون معلوم فهي متعلقة بالمعلومات
كلها وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور دون مقدور فهي قادرة
على المقدورات كلها فكان حقها ان تحذر وتتقى فلا يجسر احد

قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الارض والله على كل شيء قدير

على قبيح والانتصار عن ولي حبيب فإن ذلك مطّلع عليه لا محالة فلا
ولو علم بعض عبيد السلطان أنه أراد الاطلاع على أحواله فوكّل
همّه بما يورد ويصدر ونصب عليه عيونا وبثّ من يتجسّس عن
بواطن أمره لأخذ حذره وتيقّظ في أمره واتّقى كل ما يتوقّع فيه
الاسترابة به فما بال من علم أن العالم الذات الذي يعلم السرّ
وأخفى مهيمن عليه وهو آمن اللهم إنا نعوذ بك من اغترارنا
بسترك يوم تجد منصوب بتودّ والضمير في بينه لليوم أي يوم
القيامة حين تجد كل نفس خيرها وشرّها حاضرين تتمنّى لو أن
بينها وبين ذلك اليوم وهوله أمدًا بعيدًا ويجوز أن ينتصب
يوم تجد بمضمر نحو اذكر ويقع على ما عملت وحده وترتفع وما عملت
على الابتداء وتودّ خبره أي والذي عملته من سوء تودّ هي لو تباعد
ما بينها وبينه ولا يصحّ أن تكون ما شرطية لارتفاع تودّ فإن قلت
فهل يصحّ أن تكون شرطية على قراءة عبد الله ودّت قلت لا
كلام في صحته ولكن الحمل على الابتداء والخبر أوقع في المعنى لأنه
حكاية الكائن في ذلك اليوم وأثبت لموافقة قراءة العامة
ويجوز أن يعطف وما عملت على ما عملت ويكون تودّ حالا أي يوم
تجد عملها محضرًا وادّة تباعد ما بينها وبين اليوم أو عمل السوء محضرًا
كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرًا يعني مكتوبًا في صحفهم يقرؤونه ونحوه
فينبّئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والأمد المسافة كقوله يا ليت
بيني وبينك بعد المشرقين وكرّر قوله ويحذّركم الله نفسه ليكون
على بال منهم لا يغفلون عنه والله رؤوف بالعباد يعني أن تحذيره
نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرأفة العظيمة بالعباد
لأنهم إذا عرفوه حقّ المعرفة وحذروه دعاهم ذلك إلى طلب
رضاه

يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد

أكثر المتكلمين أنكروا محبة الله تعالى وأوّلوها وقالوا لا معنى لها إلا امتثال أوامره وإلا فإنه ليس يشبهه شيء ولا يشبه شيئا ولا يناسب طباعنا فكيف نحبه وإنما يتصوّر منا الحبّ لمن هو من جنسنا
أربعين غزالي قدس سره

واجتناب سخطه وعن الحسن من رأفته بهم أن حذّرهم نفسه
وقوله أن يريد أنه مع كونه محذورًا لعلمه وقدرته مرجوّ لسعة رحمته
كقوله إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم محبة العباد لله مجاز
عن إرادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها
ومحبة الله عباده أن يرضى عنهم ويحمد فعلهم والمعنى إن كنتم مريدين
لعبادة الله على الحقيقة فاتّبعوني حتى يصحّ ما تدّعونه من إرادة
عبادته يرضى عنكم ويغفر لكم وعن الحسن زعم أقوام على عهد
رسول الله أنهم يحبّون الله فأراد أن يجعل لقولهم تصديقًا
من عمل فمن ادّعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذّاب وكتاب
الله يكذّبه وإذا رأيت من يذكر محبة الله ويصفّق بيديه مع
ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلا تشكّ في أنه لا يعرف
ما الله ولا يدري ما محبة الله وما تصفيقه وطربه ونعرته
وصعقته إلا لأنه تصوّر في نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشّقة
فسمّاها الله بجهله ودعارته ثم صفّق وطرب ونعر وصعق
على تصوّرها وربّما رأيت المنيّ قد ملأ إزار ذلك المحبّ عند
صعقته وحمقى العامّة حواليه قد ملؤوا أردانهم بالدموع لما
رقّقهم من حاله وقرئ تحبّوني ويحببكم ويحبّكم من حبّه يحبّه
قال أحبّ أبا ثروان من حبّ تمره واعلم أن الرفق بالجار أرفق
ووالله لولا تمره ما حببته ولا كان أدنى من عبيد ومشرق
فإن تولّوا يحتمل أن يكون ماضيًا وأن يكون مضارعًا بمعنى فإن
تتولّوا ويدخل في جملة ما يقول الرسول لهم آل إبراهيم إسماعيل
وإسحاق وأولادهما وآل عمران موسى وهارون ابنا عمران بن
يصهر وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان وبين
العمرانين

قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم

أنشد زين الأئمة الخوارزمي
أيا جيل التصوف شرّ جيل
لقد جئتم بأمر مستحيل
أفي القرآن قال لكم إلهي
كلوا أكل البهائم وارقصوا لي

الف وثمانمائة سنة وذرية بدل من آل ابراهيم وآل عمران بعضها من بعض
يعني ان الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض
موسى وهارون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث
وقاهث من لاوي ولاوي من يعقوب ويعقوب من اسحاق وكذلك
عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود بن
ايشى بن يهوذا بن يعقوب بن اسحاق وقد دخل في آل ابراهيم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقيل بعضها من بعض في الدين كقوله تعالى
المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض والله سميع عليم يعلم من
يصلح للاصطفاء او يعلم ان بعضهم من بعض في الدين او سميع عليم
لقول امرأة عمران ونيتها واذ منصوب به وقيل باضمار اذكر وامرأة
عمران هي امرأة عمران بن ماثان ام مريم البتول جدة عيسى
صلوات الله عليه وهي حنة بنت فاقوذ وقوله اذ قالت امرأة
عمران على اثر قوله وآل عمران مما يرجح ان عمران هو عمران بن
ماثان جد عيسى والقول الآخر يرجحه ان موسى يقرن بابراهيم
كثيرا في الذكر فان قلت كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها
مريم اكبر من موسى وهارون ولعمران بن ماثان مريم البتول
فما ادراك ان عمران هذا هو ابو مريم البتول دون عمران ابي
مريم التي هي اخت موسى وهارون قلت كفى بكفالة زكريا
دليلا على انه عمران ابو البتول لان زكريا بن آذن وعمران
بن ماثان كانا في عصر واحد وقد تزوج زكريا بنته ايشاع
اخت مريم فكان يحيى وعيسى ابني خالة روي انها كانت
عاقرا لم تلد الى ان عجزت فبينما هي في ظل شجرة بصرت بطائر
يطعم فرخا له فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم ان لك
علي نذرا

وكانت حنة وايشاع اختين من الام ثم بعد ما نكح عمران حنة فولدت له مريم صارت ايشاع اختا
لمريم من الاب وخالة لها لكونها اختا لامها اعني حنة لكونهما اختين من الام كما ذكر فعلى هذا
التقرير يصح جميع العبارات ...

اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع العليم فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا

شكرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه
فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل محررا معتقا لخدمة
بيت المقدس لا يد لي عليه ولا استخدمه ولا اشغله
بشيء وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم وروي انهم
كانوا ينذرون هذا النذر فاذا بلغ الغلام خير بين ان
يفعل وان لا يفعل وعن الشعبي محررا مخلصا للعبادة وما كان
التحرير الا للغلمان وانما بنت الامر على التقدير او طلبت
ان ترزق ذكرا فلما وضعتها الضمير لما في بطني وانما انث على
المعنى لان ما في بطنها كان انثى في علم الله او على تأويل الحبلة
او النفس او النسمة فان قلت كيف جاز انتصاب انثى حالا
من الضمير في وضعتها وهو كقولك وضعت الانثى انثى قلت
الاصل وضعته انثى وانما انث لتأنيث الحال لان الحال وذا
الحال لشيء واحد كما انث الاسم في ما كانت امك لتأنيث الخبر
ونظيره قوله تعالى فان كانتا اثنتين واما على تأويل الحبلة او النسمة
فهو ظاهر كأنه قيل اني وضعت الحبلة او النسمة انثى فان قلت
فلم قالت اني وضعتها انثى وما ارادت الى هذا القول قلت
قالته تحسرا على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها
فتحزنت الى ربها لانها كانت ترجو وتقدر ان تلد ذكرا ولذلك
نذرته محررا للسدانة ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزن
قال الله تعالى والله اعلم بالشيء الذي وضعت وما علق به من عظائم
الامور وان يجعله وولده آية للعالمين وهي جاهلة بذلك لا تعلم
منه شيئا فلذلك تحسرت وفي قراءة ابن عباس والله اعلم بما
وضعت على خطاب الله لها اي انك لا تعلمين قدر هذا
الموهوب

وما علم الله من عظم شانه وعلو قدره وقرئ وضعتُ بمعنى ولعل لله
فيه سرًّا وحكمةً ولعل هذه الانثى خير من الذكر تسلية لنفسها
فان قلت فما معنى قوله وليس الذكر كالانثى قلت هو بيان لما في
قوله والله اعلم بما وضعت من التعظيم للموضوع والرفع منه
ومعناه وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وُهبت لها
واللام فيهما للعهد فان قلت علام عطف قوله واني سميتها
مريم قلت هو عطف على انّي وضعتها انثى وما بينهما جملتان
معترضتان كقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم فان قلت فلم ذكرت
تسميتها مريم لربها قلت لان مريم في لغتهم بمعنى العابدة فارادت
بذلك التقرب والطلب اليه ان يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا
لاسمها وان يصدق فيها ظنها بها الا ترى كيف اتبعته طلب
الاعاذة لها ولولدها من الشيطان واغوائه وما يروى من الحديث
ما من مولود الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا
من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها فانهما كانا معصومين
وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله تعالى لاغوينهم اجمعين الا
عبادك منهم المخلصين واستهلاله صارخا من مسه تخييل وتصوير
لطمعه فيه كانه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن اغويه
ونحوه من التخييل قول ابن الرومي لما تؤذن الدنيا به من صروفها
يكون بكاء الطفل ساعة يولد واما حقيقة المس والنخس كما يتوهم
اهل الحشو فكلا ولو سلط ابليس على الناس نخسهم لامتلأت
الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه فتقبلها ربها
فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن فيه وجهان احدهما
ان يكون القبول اسم ما يقبل به الشيء كالسعوط واللدود

لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر في النذر
ولم تُقبل قبلها انثى في ذلك او بان تسلمها من امها عقيب الولادة
قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة روي ان حنة حين ولدت مريم
لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء
هارون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم
دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم
وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤوس بني اسرائيل واحبارهم
وملوكهم فقال لهم زكرياء انا احق بها عندي خالتها فقالوا لا حتى
نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا
فيه اقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت اقلامهم فتكفلها
والثاني ان يكون مصدرا على تقدير حذف المضاف بمعنى فتقبلها بذي
قبول حسن اي بامر ذي قبول حسن وهو الاختصاص ويجوز ان
يكون معنى فتقبلها فاستقبلها كقولك تعجّله بمعنى استعجله وتقصّاه
بمعنى استقصاه وهو كثير في كلامهم من استقبل الامر اذا اخذه
باوله وعنفوانه قال القطامي وخير الامر ما استقبلت منه وليس
بان تتبعه اتباعا ومنه المثل خذ الامر بقوابله اي فاخذها في
اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن
التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع احوالها وقرئ
وكفَلها زكرياء بوزن وعمِلها وكفّلها زكرياء بتشديد الفاء ونصب
زكرياء والفاعل لله تعالى بمعنى وضمها اليه وجعله كافلا لها وضامنا
لمصالحها ويؤيدها قراءة أبيّ واكفلها من قوله فقال اكفلنيها وقرأ
مجاهد فتقبّلها ربَّها وانبتها وكفّلها على لفظ الامر في الافعال
الثلاثة ونصب ربها تدعو بذلك اي فاقبلها يا ربها وربّها

قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب

واجعلن زكريا كافلا لها قيل بنى لها زكريا عليه السلام محرابا في
المسجد اي غرفة يصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف
المجالس ومقدمها كانها وضعت في اشرف موضع من بيت
المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وروي انه
كان لا يدخل عليها الا هو وحده وكان اذا خرج غلق عليها
سبعة ابواب وجد عندها رزقا كان رزقها ينزل عليها
من الجنة ولم ترضع ثديا قط وكان يجد عندها فاكهة الشتاء
في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء انى لك هذا من اين
لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت
في غير حينه والابواب مغلقة عليك لا سبيل للداخل به
اليك قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت وهي
صغيرة كما تكلم عيسى وهو في المهد وعن النبي صلى الله عليه
انه جاع في زمن قحط فاهدت له فاطمة رضي الله عنها رغيفين
وبضعة لحم آثرته بها فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية
فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فبهتت وعلمت
انها نزلت من عند الله فقال لها صلى الله عليه انى لك هذا
فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب
فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء
بني اسرائيل ثم جمع رسول الله علي بن ابي طالب والحسن
والحسين وجميع اهل بيته عليه حتى شبعوا وبقي الطعام كما
هو فاوسعت فاطمة على جيرانها ان الله يرزق من
جملة كلام مريم رضي الله عنها او من كلام رب العزة عز
من قائل بغير حساب بغير تقدير لكثرته او تفضلا بغير

هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين

ومعاناة على عمل بحسب الاستحقاق هنالك في ذلك المكان
حيث هو قاعد عند مريم في المحراب او في ذلك الوقت
فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما رأى حال
مريم في كرامتها على الله ومنزلتها رغب في ان يكون له
من ايشاع ولد مثل ولد اختها حنة في النجابة والكرامة
على الله ~~ومنزلتها رغب~~ وان كانت عاقرا عجوزا فقد
كانت امها كذلك وقيل لما رأى الفاكهة في غير وقتها انتبه
على جواز ولادة العاقر ذرية ولدا والذرية تقع على الواحد
والجمع سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة وقيل
ما جاء جبريل وانما قيل الملائكة على قولهم فلان يركب الخيل
ان الله يبشرك بالفتح على انه الله وبالكسر على ارادة
القول او لان النداء نوع من القول وقرئ يبشرك ويبشرك
من بشر وابشر ويبشرك بفتح الياء من بشر ويحيى ان
كان اعجميا وهو الظاهر فمنع صرفه للتعريف والعجمة
كموسى وعيسى وان كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل
كيعمر مصدقا بكلمة من الله مصدقا بعيسى مؤمنا به
قيل هو اول من آمن به وسمي عيسى كلمة لانه لم يوجد الا بكلمة
الله وحدها وهي قوله كن من غير سبب آخر وقيل مصدقا
بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه وسمي الكتاب كلمة كما قيل
كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا الذي يسود قومه اي يفوقهم
في الشرف وكان يحيى فائقا لقومه وفائقا للناس كلهم في
انه لم يهم بسيئة قط ويا لها من سيادة وحصورا الذي لا
يقرب النساء حصرا للنفس اي منعا لها من الشهوات

قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار

وقيل هو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر قال الأخطل وشارب
مربح بالكأس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسوّار فاستعير
لمن لا يدخل في اللعب واللهو وقد روي أنه مرّ وهو طفل بصبيان
فدعوه إلى اللعب فقال ما للعب خلقت من الصالحين ناشئا
من الصالحين لأنه كان من أصلاب الأنبياء أو كائنا من جملة
الصالحين كقوله وإنه في الآخرة لمن الصالحين أنّى يكون لي
غلام استبعاد من حيث العادة كما قالت مريم وقد بلغني الكبر
كقولهم أدركته السن العالية والمعنى أثّر فيّ الكبر وأضعفني
وكانت له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون كذلك
الله يفعل ما يشاء من الأفعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو
خلق الولد من الشيخ الفاني والعجوز العاقر أو كذلك الله مبتدأ وخبر
أي على نحو هذه الصفة الله ويفعل ما يشاء بيان له أي يفعل
ما يريد من الأفاعيل الخارقة للعادات آية علامة أعرف بها
الحبل لأتلقى النعمة إذا جاءت بالشكر قال آيتك أن لا تقدر
على تكليم الناس ثلاثة أيام وإنما خص تكليم الناس ليعلمه أنه
يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع إبقاء قدرته على
التكلم بذكر الله ولذلك قال واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي
والإبكار يعني في أيام عجزك عن تكليم الناس وهي من الآيات
الباهرة فإن قلت لم حبس لسانه عن كلام الناس قلت
ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره توفرا منه على
قضاء حق تلك النعمة الجسيمة وشكرها الذي طلب الآية من
أجله كأنه لما طلب الآية من أجل الشكر قيل له آيتك أن تحبس
لسانك إلا عن الشكر وأحسن الجواب وأوقعه ما كان مشتقا من
السؤال

وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين

ومنتزعا منه إلا رمزا إلا إشارة بيد أو رأس أو غيرهما وأصله
التحرك يقال ارتمز إذا تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وقرأ
يحيى بن وثاب إلا رُمُزا بضمتين جمع رَموز كرسول ورسل
وقرئ رَمَزا بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو حال منه
ومن الناس دفعة كقوله متى ما تلقني فردين ترجف روانف
أليتيك وتستطارا بمعنى إلا مترامزين كما يكلم الناس
الأخرس بالإشارة ويكلمهم والعشي من حين نزول الشمس إلى
أن تغيب والإبكار من طلوع الفجر إلى وقت الضحى وقرئ والأبكار
بفتح الهمزة جمع بكر كسحر وأسحار يقال أتيته بكرا بفتحتين
فإن قلت الرمز ليس من جنس الكلام فكيف استثني منه
قلت لما أدى مؤدى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمي كلاما
ويجوز أن يكون استثناء منقطعا يا مريم روي أنهم كلموها
شفاها معجزة لزكريا عليه السلام أو إرهاصا لنبوة عيسى عليه السلام
اصطفاك أولا حين تقبلك من أمك ورباك واختصك بالكرامة
السنية وطهرك مما يستقذر من الأفعال ومما قرفك به
اليهود واصطفاك آخرا على نساء العالمين بأن وهب لك
عيسى من غير أب ولم يكن ذلك لأحد من النساء أُمرت
بالصلاة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيئات الصلاة
وأركانها ثم قيل لها واركعي مع الراكعين بمعنى ولتكن
صلاتك مع المصلين أي في الجماعة أو وانظمي نفسك في جملة
المصلين وكوني معهم في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم
ويحتمل أن يكون في زمانها من كان يقوم ويسجد في صلاته
ولا يركع وفيه من يركع فأمرت بأن تركع مع الراكعين ولا تكون مع
من لا يركع

ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين

ذلك اشارة الى ما سبق من نبا زكريا ويحيى ومريم وعيسى يعني ان
ذلك من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي فان قلت لم نفيت
المشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير شبهة وترك نفي استماع الانباء
من حفاظها وهو موهوم قلت كان معلوما عندهم علما يقينا
انه ليس من اهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحي فلم
يبق الا المشاهدة وهي في غاية الاستبعاد والاستحالة
فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي مع علمهم بانه لا سماع
له ولا قراءة ونحوه وما كنت بجانب الغربي وما كنت بجانب
الطور وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم اقلامهم ازلامهم وهي
قداحهم التي طرحوها في النهر مقترعين وقيل هي الاقلام
التي كانوا يكتبون بها التوراة اختاروها للقرعة تبركا بها
ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم كانه
قيل يلقونها ينظرون ايهم يكفل او ليعلموا او يقولون المسيح
لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق واصله
مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله وجعلني مباركا اينما
كنت وكذلك عيسى معرب من ايشوع ومشتقهما من المسح والعيس
كالراقم في الماء فان قلت اذ قالت بم يتعلق قلت هو بدل
من واذ قالت الملائكة ويجوز ان يبدل من اذ يختصمون على
ان الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع كما تقول لقيته
سنة كذا فان قلت لم قيل عيسى ابن مريم والخطاب لمريم قلت
لان الابناء ينسبون الى الآباء لا الى الامهات فاعلمت
بنسبته اليها انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى امه وبذلك
فضلت

اقترعوا قرعة

واصطفيت على نساء العالمين فان قلت لم ذكر ضمير الكلمة قلت
لان المسمى بها مذكر فان قلت لم قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم
وهذه ثلاثة اشياء الاسم منها عيسى واما المسيح والابن
فلقب وصفة قلت الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز
من غيره فكانه قيل الذي يعرف به ويتميز ممن سواه مجموع
هذه الثلاثة وجيها حال من كلمة وكذلك قوله ومن المقربين
ويكلم ومن الصالحين اي يبشرك به موصوفا بهذه الصفات
وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة والوجاهة
في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الآخرة الشفاعة وعلو
الدرجة في الجنة وكونه من المقربين رفعه الى السماء وصحبته
للملائكة والمهد ما يمهد للصبي من مضجعه سمي بالمصدر وفي المهد
في محل النصب على الحال وكهلا عطف عليه بمعنى ويكلم الناس
طفلا وكهلا ومعناه يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الانبياء
من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها
العقل ويستنبأ فيها الانبياء ومن بدع التفاسير ان قولها
رب نداء لجبريل بمعنى يا سيدي ونعلمه عطف على نبشرك
او على يخلق او هو كلام مبتدأ وقرأ عاصم ونافع
ويعلمه بالياء فان قلت علام تحمل ورسولا ومصدقا من
المنصوبات المتقدمة وقوله اني قد جئتكم ولما بين يدي يأبى
حمله عليها قلت هو من المضايق وفيه وجهان احدهما ان
تضمر وارسلت على ارادة القول تقديره ونعلمه الكتاب
والحكمة ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم ومصدقا لما
بين يدي والثاني ان الرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكانه
قيل

قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ونعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم بآية من ربكم

البيضاوي

وناطقا باني قد جئتكم ومناطقا باني اصدق ما بين يدي وقرأ
ورسول عطفا على كلمة اني قد جئتكم اصله ارسلت باني قد
جئتكم فحذف الجار وانتصب بالفعل واني اخلق نصب
بدل من اني قد جئتكم او جر بدل من آية او رفع على هي
اني اخلق لكم وقرئ اني بالكسر على الاستئناف اي اقدر لكم
شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك
الشيء المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا فيصير طيرا كسائر الطيور
حيا طيارا وقرأ عبد الله فانفخها وقال كالهيئة تنحى
ينفخ فيها وقيل لم يخلق غير الخفاش الاكمه الذي ولد اعمى
وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن في هذه الامة اكمه غير
قتادة بن دعامة السدوسي صاحب التفسير وروي انه ربما
اجتمع عليه خمسون الفا من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن
لم يطق اتاه عيسى وما كانت مداواته الا بالدعاء وحده وكرر
باذن الله دفعا لوهم من توهم فيه اللاهوتية وروي انه احيا
سام بن نوح وهم ينظرون فقالوا هذا سحر فارنا آية فقال
يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا وقرئ تذخرون
بالذال والتخفيف ولاحل رد على قوله بآية من ربكم اي جئتكم
بآية من ربكم ولاحل لكم ويجوز ان يكون مصدقا مردودا عليه
ايضا اي جئتكم بآية وجئتكم مصدقا وما حرم الله عليهم في شريعة
موسى الشحوم والثروب ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر
فاحل لهم عيسى بعض ذلك وقيل احل لهم من السمك والطير ما
لا صيصية له واختلفوا في احلاله لهم السبت وقرئ حرم عليكم
على تسمية الفاعل وهو ما بين يدي من التوراة او الله عز وجل

وقرئ
او موسى لان ذكر التوراة دل عليه ولانه كان معلوما عندهم
جئتكم بوزن لكم وجئتكم بآية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي
وهي قولي ان الله ربي وربكم لان جميع الرسل كانوا على هذا
القول لم يختلفوا فيه وقرئ بالفتح على البدل من آية وقوله فاتقوا
الله واطيعون اعتراض فانه يلزم كيف جعل هذا القول
آية من ربه قلت لان الله تعالى جعله علامة يعرف بها انه رسول
كسائر الرسل حيث هداه للنظر في ادلة العقل والاستدلال
ويجوز ان يكون تكريرا لقوله جئتكم بآية من ربكم اي جئتكم بآية
بعد اخرى مما ذكرت لكم من خلق الطير والابراء والاحياء والانباء
بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير اب ومن كلامي في المهد
ومن سائر ذلك وقرأ عبد الله وجئتكم بآيات من ربكم
فاتقوا الله لما جئتكم به من الآيات واطيعون فيما ادعوكم اليه
ثم ابتدأ فقال ان الله ربي وربكم ومعنى قراءة من فتح وان
الله ربي وربكم فاعبدوه لقوله لايلاف قريش فليعبدوا ويجوز
ان يكون المعنى وجئتكم بآية على ان الله ربي وربكم وما بينهما
اعتراض فلما احس فلما علم منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم
ما يدرك بالحواس والى الله من صلة انصاري مضمنا معنى
الاضافة كانه قيل من الذين يضيفون انفسهم الى الله ينصرونني
كما ينصرني او يتعلق بمحذوف حالا من الياء اي من انصاري
ذاهبا الى الله ملتجئا اليه نحن انصار الله اي انصار دينه
ورسوله وحواري الرجل صفوته وخالصته ومنه قيل
للحضريات الحواريات لخلوص الوانهن ونظافتهن قال
فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا تبكنا الا الكلاب النوابح

وفي رواية الحواريين هم من الكبر الجيلة وانما طلبوا شهادته باسلامهم
تاكيدا لايمانهم لان الرسل يشهدون يوم القيامة لقومهم وعليهم مع
الشاهدين من الانبيآء الذين يشهدون لاممهم او مع الذين
يشهدون بالوحدانية وقيل مع امة محمد لانهم شهدآء على
الناس ومكروا اي الواو لكفار بني اسرائيل الذين احس منهم
الكفر ومكرهم انهم وكلوا به من يقتله غيلة ومكر الله ان
رفع عيسى الى السمآء والقى شبهه على من اراد اغتياله حتى
قتل والله خير الماكرين اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم
على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب اذ قال الله ظرف
لخير الماكرين او لمكر الله اني متوفيك اي مستوفي اجلك
ومعناه اني عاصمك من ان تقتلك الكفار ومؤخرك الى اجل
كتبته لك ومميتك حتف انفك لا قتلا بايديهم ورافعك
الي الى سمائي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا من
سوء جوارهم وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الارض
من توفيت مالي على فلان اذا استوفيته وقيل مميتك في وقتك
بعد النزول من السمآء ورافعك الآن وقيل متوفي نفسك
بالنوم من قوله والتي لم تمت في منامها ورافعك وانت نائم
حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وانت في السمآء آمن مقرب
فوق الذين كفروا الى يوم القيامة يعلونهم بالحجة وفي
اكثر الاحوال بها وبالسيف ومتبعوه هم المسلمون لانهم
متبعوه في اصل الاسلام وان اختلفت الشرائع دون
الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى فاحكم
بينكم تفسير الحكم قوله فاعذبهم فنوفيهم اجورهم وقرئ فيوفيهم

ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم

بالياء ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدا
خبره نتلوه ومن الآيات خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف
ويجوز ان يكون ذلك بمعنى الذي ونتلو صلته ومن الآيات
الخبر ويجوز ان ينتصب ذلك بمضمر يفسره نتلو والذكر
الحكيم القرآن وصف بصفة من هو من سببه او كانه
ينطق بالحكمة لكثرة حكمه ان مثل عيسى اي شان عيسى
وحاله الغريبة كشان آدم خلقه من تراب جملة مفسرة
لما له شبه عيسى بآدم اي خلق آدم من تراب ولم يكن ثمة اب
ولا ام فكذلك حال عيسى فان قلت كيف شبه به وقد وجد
من غير اب ووجد آدم بغير اب وام قلت هو مثيله
في احد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر
من تشبيهه به لان المماثلة مشاركة في بعض الاوصاف
ولانه شبه به في انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة
وهما في ذلك نظيران ولان الوجود من غير اب وام
اغرب واخرق للعادة من الوجود من غير اب فشبه
الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته
اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه وعن بعض العلمآء انه
اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له
قال فآدم اولى لانه لا ابوين له قالوا كان يحيي الموتى
قال فحزقيل اولى لان عيسى احيا اربعة نفر واحيا
حزقيل ثمانية آلاف فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص
قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما خلقه من
تراب قالبا جسدا من طين ثم قال له كن اي انشاه
بشرا

ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين

كقوله ثم انشأناه خلقا آخر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك
خبر مبتدإ محذوف اي هو الحق فلا تكن من الممترين
عن الامتراء وهو لرسول الله ان يكون تحريضا ومن باب التهييج
لزيادة الثبات والطمأنينة وان يكون لطفا لغيره فمن
حاجك من النصارى فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم
اي من البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا اي هلموا والمراد المجيء بالرأي
والعزم كما تقول تعال نفكر في هذه المسألة ندع ابناءنا وابناءكم
اي يدع كل منا ومنكم ابناءه ونساءه ونفسه الى المباهلة
ثم نبتهل ثم نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذب منا
ومنكم والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه وابعده
من رحمته من قولك ابهله اذا اهمله وناقة باهل لا صرار عليها
واصل الابتهال هذا ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وان
لم يكن التعانا وروي انهم لما دعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع
وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح
ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي
مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم
نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن
فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل
وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله وقد غدا محتضنا الحسين
آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول
اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى
اني لارى وجوها لو شاء الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله
بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى
يوم القيامة

نزل حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين

فقالوا يا ابا القاسم رأينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك
ونثبت على ديننا قال فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم
ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا قال فاني اناجزكم فقالوا
ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا
ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام
الفي حلة الف في صفر والف في رجب وثلاثين درعا عادية
من حديد فصالحهم على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان الهلاك
قد تدلى على اهل نجران واهله حتى الطير على رؤوس الشجر
ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وعن عائشة رضي الله عنها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه مرط مرحل من شعر
اسود فجاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة
ثم علي ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل
البيت فان قلت ما كان دعاؤه الى المباهلة الا ليتبين
الكاذب منه ومن خصمه وذلك امر يختص به وبمن يكاذبه
فما معنى ضم الابناء والنساء قلت ذلك آكد في الدلالة
على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على
تعريض اعزته وافلاذ كبده واحب الناس اليه لذلك
ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك
خصمه مع احبته واعزته هلاك الاستئصال ان تمت
المباهلة وخص الابناء والنساء لانهم اعز الاهل والصقهم
بالقلوب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل
ومن ثمة كانوا يسوقون مع انفسهم الظعائن في الحروب لتمنعهم
من الهرب ويسمون الذادة عنها بارواحهم حماة الحقائق

المناجزة في الحرب المبارزة والمقاتلة

ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران

فقدمهم في الذكر على الانفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم
وليؤذن بانهم مقدمون على الانفس مفدون بها وفيه دليل
لا شيء اقوى منه على فضل اصحاب الكساء عليهم السلام
وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبي صلى الله عليه لانه
لم يرو احد من موافق ولا مخالف انهم اجابوا الى ذلك ان هذا
الذي قص عليك من نبا عيسى لهو القصص الحق وقرئ بتحريك
الهاء على الاصل وبالسكون لان اللام تنزل من هو منزلة بعضه
فخفف كما خفف عضد وهو اما فصل بين اسم ان وخبرها
واما مبتدا والقصص الحق خبره والجملة خبر ان فان قلت
لم جاز دخول اللام على الفصل قلت اذا جاز دخولها على
الخبر كان دخولها على الفصل اجوز لانه اقرب الى المبتدا
منه واصلها ان تدخل على المبتدا ومن في قوله وما من اله الا
الله بمنزلة البناء على الفتح في لا اله الا الله في افادة معنى
الاستغراق والمراد الرد على النصارى في تثليثهم فان الله عليم
بالمفسدين وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله زدناهم عذابا
فوق العذاب بما كانوا يفسدون يا اهل الكتاب قيل هم اهل
الكتابين وقيل وفد نجران وقيل يهود المدينة سواء بيننا
وبينكم مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن والتوراة
والانجيل وتفسير الكلمة قوله ان لا نعبد الا الله ولا نشرك
به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله يعني
تعالوا اليها حتى لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله
لان كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع احبارنا فيما
احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع الله
كقوله

ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين

قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله

اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم
وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وعن عدي بن حاتم ما كنا
نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون
فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذلك وعن الفضيل لا ابالي
اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة وقرئ
كلمة بسكون اللام وقرأ الحسن سواء بالنصب بمعنى
استوت استواء فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا
بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فوجب عليكم ان تعترفوا وتسلموا
بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال او
صراع او غيرهما اعترف بانى انا الغالب وسلم لي الغلبة ويجوز
ان يكون من باب التعريض ومعناه اشهدوا واعترفوا بانكم
كافرون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره زعم كل فريق من
اليهود والنصارى ان ابراهيم كان منهم وجادلوا رسول
الله والمؤمنين فيه فقيل لهم ان اليهودية انما حدثت بعد
نزول التوراة والنصرانية بعد نزول الانجيل وبين ابراهيم وموسى
الف سنة وبينه وبين عيسى الفان فكيف يكون ابراهيم
على دين لم يحدث الا بعد عهده بازمنة متطاولة افلا تعقلون
حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال ها انتم هؤلاء ها للتنبيه
وانتم مبتدا وهؤلاء خبره وحاججتم جملة مستانفة مبينة
للجملة الاولى يعني انتم هؤلاء الاشخاص الحمقى وبيان حماقتكم
وقلة عقولكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما نطق به التوراة
والانجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ولا ذكر له في كتابيكم
من دين ابراهيم وعن الاخفش ها انتم موضع آانتم

على اصله كان أأنتم على الاستفهام

فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده افلا تعقلون ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون

على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من
حماقتهم وهؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته والله يعلم
ما حاججتم فيه وانتم جاهلون به ثم اعلمهم بانه بريء من
دينكم وما كان الا حنيفا مسلما وما كان من المشركين
كما لم يكن منكم او اراد بالمشركين اليهود والنصارى لاشراكهم
به عزيرا والمسيح ان اولى الناس بابراهيم ان احقهم به
واقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه في زمانه
وبعده وهذا النبي خصوصا والذين آمنوا من امته وقرئ
وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه اي اتبعوه واتبعوا
هذا النبي وبالجر عطفا على ابراهيم ودت طائفة من اليهود
دعت حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية وما يضلون
الا انفسهم وما يعود وبال الاضلال الا عليهم لان العذاب
يضاعف لهم بضلالهم واضلالهم وما يتخطون عنه اضلال
المسلمين وانما يضلون امثالهم من اشياعهم بآيات الله بالتورية
والانجيل وكفرهم بها انهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة
نبوة رسول الله وغيرها وتشهدون تعترفون بانها آيات
الله او تكفرون بالقرآن ودلايل نبوة الرسول وانتم تشهدون
نعته في الكتابين او تكفرون بآيات الله جميعا وانتم تعلمون
انها حق وقرئ تلبّسون بالتشديد وقرئ تلبَسون
تلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل كقوله كلابس
ثوبي زور وقوله اذا هو بالمجد ارتدى وتأزرا وجه النهار
اوله قال من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوتنا
بوجه نهار والمعنى اظهروا الايمان بما انزل على المسلمين اول
النهار

ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون

يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم

واكفروا به في آخره لعلهم يشكون في دينهم ويقولون ما رجعوا
وهم اهل كتاب وعلم الا لامر قد تبين لهم فيرجعون برجوعهم
وقيل تواطأ اثنا عشر من احبار يهود خيبر وقال بعضهم
لبعض ادخلوا في دين محمد اول النهار من غير اعتقاد
واكفروا به آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا
علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه و
بطلان دينه فاذا فعلتم ذلك شك اصحابه في دينهم وقيل هذا
في شأن القبلة لما صرفت الى الكعبة قال كعب بن الاشرف
لاصحابه آمنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا
اليها اول النهار ثم اكفروا به في آخره وصلوا الى الصخرة
لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون ولا تؤمنوا
متعلق بقوله ان يؤتى احد وما بينهما اعتراض اي ولا
تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم
دون غيرهم ارادوا اسروا تصديقكم بان المسلمين قد
اوتوا من كتب الله مثل ما اوتيتم ولا تفشوه الا الى اشياعكم
وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين
لئلا يدعوهم الى الاسلام او يحاجوكم عند ربكم عطف على
ان يؤتى والضمير في يحاجوكم لاحد لانه في معنى الجمع يعني
ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجونكم يوم القيامة
بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة فان قلت فما معنى الاعتراض
قلت معناه ان الهدى هدى الله من شاء ان يلطف به
حتى يسلم او يزيد ثباته على الاسلام كان ذلك ولم ينفع
كيدكم وحيلكم وزيكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين

او يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم

قل

وكذلك قوله ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء يريد به الهداية
والتوفيق او يتم الكلام عند قوله الا لمن تبع دينكم اى معنى
ولا تؤمنوا هنا الايمان الظاهر وهو ما آمنتم وجه النهار والمعنى
الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن اسلم منكم لان رجوعهم كان
ارجى عندهم من رجوع من سواهم ولان اسلامهم كان
اغيظ لهم وقوله ان يؤتى معناه لان يؤتى احد مثل ما
اوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لا لشيء آخر يعني ان ما بكم من
الحسد والبغي ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من فضل العلم
والكتاب دعاكم الى ان قلتم ما قلتم والدليل عليه قراءة ابن
كثير أان يؤتى احد بزيادة همزة الاستفهام للتقرير
والتوبيخ بمعنى الان يؤتى احد فان قلت فما معنى قوله
او يحاجوكم على هذا قلت معناه دبرتم ما دبرتم لان يؤتى
احد مثل ما اوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم
لكم عند ربكم ويجوز ان يكون هدى الله بدلا من الهدى وان
يؤتى احد خبر ان على معنى قل ان هدى الله ان يؤتى
احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا
باطلكم بحقهم ويدحضوا حجتكم وقرئ ان يؤتى احد على
ان النافية وهو متصل بكلام اهل الكتاب اى ولا تؤمنوا
الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم حتى
يحاجوكم عند ربكم يعني ما يؤتون مثله فلا يحاجونكم ويجوز ان
ينتصب ان يؤتى بفعل مضمر يدل عليه قوله ولا تؤمنوا الا
لمن تبع دينكم كانه قيل قل ان الهدى هدى الله فلا تنكروا
ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم لان قولهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم

اوتوا

انكارا لان يؤتى احد مثل ما اوتي عن ابن عباس من ان تأمنه
بقنطار يؤده كعبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش الفا
ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده
كفنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فجحده
وخانه وقيل المأمونون على الكثير النصارى لغلبة الامانة
عليهم والخائنون في القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم الا ما دمت
عليه قائما الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما بالحاح او
عليه بالمطالبة والتعنيف او بالرفع الى الحاكم واقامة البينة
عليه وقرئ يؤده بكسر الهاء بالوصل وبكسرها بغير وصل وبسكونها
وقرأ يحيى بن وثاب تيمنه بكسر التاء ودمت بكسر الدال من
دام يدام ذلك اشارة الى ترك الاداء الذي دل عليه لا
يؤده اى تركهم اداء الحقوق بسبب انهم قالوا ليس علينا في الاميين
سبيل اى لا يتطرق علينا عتاب وذم في شأن الاميين
يعنون الذين ليسوا من اهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس
اموالهم والاضرار بهم لانهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون
ظلم من خالفهم ويقولون لم يجعل لهم في كتابنا حرمة وقيل بايع
اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم
علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في
كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء
الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة
فانها مؤداة الى البر والفاجر وعن ابن عباس انه سأله رجل
فقال انا نصيب في الغزو من اموال اهل الذمة الدجاجة
والشاة قال فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا في ذلك
بأس

ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما

كلا

ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون

قال هذا كما قال اهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل انهم
اذا اتقوا الخونة لم يحل اكل اموالهم الا بطيبة انفسهم ويقولون
على الله الكذب بادعائهم ان ذلك في كتابهم وهم يعلمون
انهم كاذبون بلى اثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الاميين
اي بلى عليهم سبيل فيهم وقوله من اوفى بعهده جملة مستأنفة
مقررة للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده راجع الى
من اوفى على ان كل من اوفى بما عاهد عليه واتقى الله في
ترك الخيانة والغدر فان الله يحبه فان قلت هذا عام يخيل
انه لو وفى اهل الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا
محبة الله قلت اجل لانهم اذا وفوا بالعهود وفوا اول شيء بالعهد
الاعظم وهو ما اخذ عليهم في كتابهم من الايمان برسول مصدق
لما معهم ولو اتقوا الله في ترك الخيانة لاتقوه في ترك الكذب على
الله وتحريف كلمه ويجوز ان يرجع الضمير الى الله تعالى على ان كل
من وفى بعهد الله واتقاه فان الله يحبه ويدخل في ذلك الايمان
وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر واعمال
السوء فان قلت فاين الضمير الراجع من الجزاء الى من قلت
عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير وعن ابن عباس نزلت في
عبد الله بن سلام وبحيرا الراهب ونظرائهما من مسلمة اهل
الكتاب يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوه عليه من
الايمان بالرسول المصدق لما معهم وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم
والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا من
الترؤس والارتشاء ونحو ذلك وقيل نزلت في ابي رافع ولبابة بن
ابي الحقيق وحيي بن اخطب حرفوا التوراة وبدلوا صفة
رسول الله عليه السلام

بلى من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم

وامتنعوا الرشوة على ذلك وقيل جاءت جماعة من اليهود الى
كعب بن الاشرف في سنة اصابتهم ممتارين فقال لهم هل
تعلمون ان هذا الرجل رسول الله قالوا نعم قال قد هممت ان
اميركم واكسوكم فحرمكم الله خيرا كثيرا فقالوا لعله شبه علينا
فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا صفة غير صفته ثم رجعوا
اليه وقالوا قد غلطنا وليس هو بالنعت الذي نعت لنا ففرح
ومارهم وعن الاشعث بن قيس نزلت في كانت بيني وبين
رجل خصومة في بئر فاختصمنا الى رسول الله عليه السلام فقال
شاهداك او يمينه فقلت اذن يحلف ولا يبالي فقال من
حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان
وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اعطى
بها ما لم يعطه والوجه ان نزولها في اهل الكتاب وقوله بعهد
الله يقوي رجوع الضمير في بعهده الى الله ولا ينظر اليهم مجاز
عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر الى
فلان تريد نفي اعتداده به واحسانه اليه ولا يزكيهم ولا يثني
عليهم فان قلت اي فرق بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر
وفيمن لا يجوز عليه قلت اصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية لان
من اعتد بالانسان التفت اليه واعاره نظر عينيه ثم كثر
حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثمة
نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا
عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر لفريقا هم كعب بن
الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وغيرهم
يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف

وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون

وانما اعتبر وجه قراءة ابن كثير قلب الواو همزة ثم نقل حركتها ليكون على القاعدة بخلاف نقل حركة الواو ثم حذفها على ما عرف في التصريف

وقرأ اهل المدينة يلوّون بالتشديد كقوله لوّوا رؤوسهم وعن مجاهد وابن كثير يلون ووجهه انهم قلبوا الواو المضمومة همزة ثم خففوها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها فان قلت الام يرجع الضمير في لتحسبوه قلت الى ما دل عليه يلوون السنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجوز ان يراد يعطفون السنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب ويقولون هو من عند الله تأكيد لقوله وما هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم وتسجيل بالكذب ودلالة على انهم لا يعرضون ولا يورّون وانما يصرحون بانه في التورية هكذا وقد انزله الله على موسى كذلك لفرط جرأتهم على الله وقساوة قلوبهم ويأسهم من الآخرة وعن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف غيّروا التورية وكتبوا كتابا بدّلوا فيه صفة رسول الله ثم اخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم ما كان لبشر تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله او ان نأمر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله والحكم والحكمة وهي السنة ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كما يقال رقباني ولحياني وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته

عظم الرقبة

المعطف كمذابسه

قال المبرد الرباني الذي يربي العلم ويربي الناس اي يعلمهم ويصلحهم وعلى هذا القول الرباني من الرب الذي هو بمعنى التربية

وعن محمد بن الحنفية انه قال حين مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الامة وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وقيل علماء معلمين وكانوا يقولون الشارع الرباني العالم العامل المعلم بما كنتم بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين للعلم اوجب ان تكون الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكد روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها وقرئ تعلّمون من التعليم وتعلمون من العلم تدرسون تقرؤون وقرئ تدرّسون من التدريس وتُدرِسون على ان ادرس بمعنى درّس كأكرم وكرّم وانزل ونزّل وتدّرسون من التدرّس ويجوز ان يكون معنى تدرسون بالتخفيف تدرسونه على الناس كقوله لتقرأه على الناس فيكون معناها معنى تدرّسون من التدريس وفيه ان من علم ودرس العلم ولم يعمل به فليس من الله في شيء وان السبب بينه وبين ربه منقطع حيث لم يثبت النسبة اليه الا للمتمسكين بطاعته ولا يأمركم بالنصب عطفا على ثم يقول وفيه وجهان احدهما ان تجعل لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والانبياء والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام اظهر وتنصرها قراءة عبد الله ولن يأمركم والضمير في ولا يأمركم

وإياه يأمركم للبشر وقيل لله والهمزة في أيأمركم للإنكار بعد إذ أنتم مسلمون دليل على أن المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوه أن يسجدوا له. وإذ أخذ الله ميثاق النبيين فيه غير وجه أحدها أن يكون على ظاهره من أخذ الميثاق على النبيين بذلك والثاني أن تضيف الميثاق إلى النبيين إضافته إلى الموثق لا إلى الموثق عليه كما تقول ميثاق الله وعهد الله كأنه قيل وإذ أخذ الله الميثاق الذي وثقه الأنبياء على أممهم والثالث أن يراد ميثاق أولاد النبيين وهم بنو إسرائيل على حذف المضاف والرابع أن يراد أهل الكتاب وأن يرد على زعمهم تهكما بهم لأنهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد لأنا أهل الكتاب ومنا كان النبيون ويدل عليه قراءة أبي وابن مسعود وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب واللام في لما آتيتكم لام التوطئة لأن أخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي لتؤمنن لام جواب القسم وما يحتمل أن تكون المتضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا وأن تكون موصولة بمعنى للذي آتيتكموه لتؤمنن به وقرئ لما آتيناكم وقرأ حمزة لما آتيتكم بكسر اللام ومعناه لأجل إيتائي إياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به على أن ما مصدرية والفعلان معها أعني آتيتكم وجاءكم في معنى المصدرين واللام داخلة للتعليل على معنى أخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لأجل أني آتيتكم الحكمة وأن الرسول الذي آمركم بالإيمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف ويجوز أن تكون ما موصولة

وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري

فإن قلت كيف يجوز ذلك والعطف على آتيتكم وهو قوله ثم جاءكم لا يجوز أن يدخل تحت حكم الصلة لأنك لا تقول للذي جاءكم رسول مصدق لما معكم قلت بلى لأن ما معكم في معنى ما آتيتكم فكأنه قيل للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرأ سعيد بن جبير لما بالتشديد بمعنى حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له ~~وقرأ سعيد بن جبير لما بالتشديد بمعنى حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له~~ وجب عليكم الإيمان به ونصرته وقيل أصله لمن ما فاستثقلوا اجتماع ثلاث ميمات وهي الميمان والنون المنقلبة ميما بإدغامها في الميم فحذفوا إحداها فصارت لما ومعناه لمن أجل ما آتيتكم لتؤمنن به وهذا نحو من قراءة حمزة في المعنى إصري عهدي وقرئ أصري بالضم وسمي إصرا لأنه مما يؤصر أي يشد ويعقد ومنه الإصار الذي يعقد به ويجوز أن يكون المضموم لغة في إصر كعبر وعبر وأن يكون جمع إصار فاشهدوا فليشهد بعضكم ~~وسمي إصرا لأنه مما يؤصر أي يشد~~ على بعض بالإقرار وأنا على ذلكم من إقراركم وتشاهدكم من الشاهدين وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع إذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل الخطاب للملائكة فمن تولى بعد ذلك الميثاق والتوكيد فأولئك هم الفاسقون أي المتمردون من الكفار دخلت همزة الإنكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فأولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون وقدم المفعول الذي هو غير دين الله على فعله لأنه أهم من حيث أن الإنكار الذي هو معنى الهمزة متوجه إلى المعبود بالباطل

قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون

وروي ان اهل الكتاب اختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما
اختلفوا فيه من دين ابراهيم عليه السلم وكل واحد من الفريقين
ادعى انه اولى به فقال صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من
دين ابراهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فنزلت
وقرئ يبغون بالياء وترجعون بالتاء وهي قراءة ابي عمرو لان
الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس وقرئا بالياء
معا وبالتاء معا طوعا بالنظر في الادلة والانصاف من نفسه وكرها
بالسيف او بمعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل على بني
اسرائيل وادراك الغرق فرعون والاشفاء على الموت فلما
رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وانتصب طوعا وكرها
على الحال بمعنى طائعين ومكرهين أمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يخبر عن نفسه وعمن معه بالايمان فلذلك وحد الضمير في قل
وجمع في آمنا ويجوز ان يؤمر بان يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك
اجلالا من الله لقدر نبيه فان قلت لم عدي انزل في هذه
الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها بحرف الانتهاء
قلت لوجود المعنيين جميعا لان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى
الرسل فجاء تارة باحد المعنيين واخرى بالآخر ومن قال انما قيل
علينا لقوله قل والينا لقوله قولوا تفرقة بين الرسول والمؤمنين
لان الرسول يأتيه الوحي على طريق الاستعلاء ويأتيهم على وجه
الانتهاء فقد تعسف الا ترى الى قوله بما انزل اليك وانزلنا
اليك الكتاب والى قوله آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا
ونحن له مسلمون موحدون مخلصون انفسنا له لا نجعل له
شريكا في عبادتها ثم قال ومن يبتغ غير الاسلام دينا يعني

التوحيد

يعني ان الباغون خاص والراجعون عام فغير صورة اللفظ للدلالة على اختلاف المعنى

قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين

قوله وذلك حين عاينوا الخ فسر قوله بعد ايمانهم بقوله بعد ان كانوا مؤمنين ثم بين ان المراد بكونهم مؤمنين انهم عاينوا ما يوجب قوة ايمانهم فكانهم كفروا بعد ان آمنوا وقوله وقيل نزلت اشارة الى توجيه آخر وهو ان المراد بايمانهم دخولهم في الايمان حقيقة لا معاينة ما يوجبه

التوحيد واسلام الوجه لله دينا فلن يقبل منه من الخاسرين من الذين
وقعوا في الخسران مطلقا من غير تقييد للشياع وقرئ ومن
يبتغ غير الاسلام بالادغام كيف يهدي الله قوما كيف يلطف
بهم وليسوا من اهل اللطف لما علم الله من تصميمهم على كفرهم ودل
على تصميمهم بانهم كفروا بعد ايمانهم وبعد ما شهدوا بان الرسول
حق وبعد ما جاءتهم الشواهد من القرآن وسائر المعجزات
التي تثبت بمثلها النبوة وهم اليهود كفروا بالنبي صلى الله عليه
بعد ان كانوا مؤمنين به وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة
ايمانهم من البينات وقيل نزلت في رهط كانوا اسلموا ثم
رجعوا عن الاسلام ولحقوا بمكة منهم طعمة بن ابيرق
ووحوح بن الاسلت والحارث بن سويد بن الصامت
فان قلت علام عطف قوله وشهدوا قلت فيه وجهان
ان يعطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل لان معناه بعد
ان آمنوا كقوله فاصدق واكن وقول الشاعر ليسوا مصلحين
عشيرة ولا ناعب ويجوز ان تكون الواو للحال باضمار قد
بمعنى كفروا وقد شهدوا ان الرسول حق والله لا يهدي
لا يلطف بالقوم الظالمين المعاندين الذين علم ان اللطف
لا ينفعهم الا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم والارتداد
واصلحوا ما افسدوا او دخلوا في الصلاح قيل نزلت في الحارث بن
سويد حين ندم على ردته وارسل الى قومه ان سلوا هل
لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية فاقبل الى المدينة
فتاب وقبل رسول الله توبته ثم ازدادوا كفرا هم اليهود
كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى والتوراة ثم ازدادوا

يعني حذف متعلق الخاسرين لافادة العموم كما في نحو فلان يعطي

كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون

كانوا اثني عشر رجلا

الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون

كفروا بكفرهم بمحمد والقرآن او كفروا برسول الله بعد ما كانوا به
مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على ذلك وطعنهم فيه
في كل وقت وعداوتهم له ونقضهم ميثاقه وفتنتهم للمؤمنين
وصدهم عن الايمان به وسخريتهم بكل آية تنزل وقيل نزلت
في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وازديادهم الكفر ان قالوا نقيم
بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وان اردنا الرجعة نافقنا
باظهار التوبة فان قلت قد علم ان المرتد كيف ما ازداد
كفرا فانه مقبول التوبة اذا تاب فما معنى لن تقبل توبتهم قلت
جعلت عبارة عن الموت على الكفر لان الذي لا تقبل توبته
من الكفار هو الذي يموت على الكفر كانه قيل ان اليهود
والمرتدين الذين فعلوا ما فعلوا مائتون على الكفر داخلون
في جملة من لا تقبل توبتهم فان قلت فلم قيل في احدى الآيتين
لن تقبل بغير فاء وفي الاخرى فلن يقبل قلت قد اوذن
بالفاء ان الكلام بني على الشرط والجزاء وان سبب امتناع
قبول الفدية هو الموت على الكفر وبترك الفاء ان الكلام مبتدأ
وخبر ولا دليل فيه على التسبيب كما تقول الذي جاءني له درهم لم
تجعل المجيء سببا في استحقاق الدرهم بخلاف قولك فله درهم
فان قلت فحين كان معنى لن تقبل توبتهم بمعنى الموت على الكفر
فهلا جعل الموت على الكفر مسببا عن ارتدادهم وازديادهم
الكفر لما في ذلك من قساوة القلوب وركوب الرين وجره الى
الموت على الكفر قلت فاي فائدة في هذه الكناية اعني ان
كنى عن الموت على الكفر بامتناع قبول التوبة قلت الفائدة
فيها جليلة وهي التغليظ في شان اولئك الفريق من الكفار

ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين

وانواها في صفة حال الآيسين من الرحمة التي هي اغلظ الاحوال
واشدها الا ترى ان الموت على الكفر انما يخاف من اجل اليأس
من الرحمة ذهبا نصب على التمييز وقرأ الاعمش ذهب
بالرفع ردا على ملء كما يقال عندي عشرون نفسا رجال فان قلت
كيف موقع قوله ولو افتدى به قلت هو كلام محمول على المعنى
كانه قيل فلن تقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض
ذهبا ويجوز ان يراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين
ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف كثيرا في
كلامهم كقولك ضربته ضرب زيد تريد مثل ضربه وابو يوسف
ابو حنيفة تريد مثله ولا هيثم الليلة للمطي وقضية ولا ابا حسن
لها تريد لا مثل هيثم ولا مثل ابي حسن كما انه يزاد في نحو قولهم
مثلك لا يفعل كذا تريد انت وذلك ان المثلين يسد احدهما
مسد الآخر فكانا في حكم شيء واحد وان يراد فلن يقبل من
احدهم ملء الارض ذهبا كان قد تصدق به ولو افتدى به
ايضا لم يقبل منه وقرئ فلن نقبل من احدهم ملء الارض
على البناء للفاعل وهو الله عز وعلا ونصب ملء ومل الارض
بتخفيف الهمزة لن تنالوا البر لن تبلغوا حقيقة البر ولن تكونوا
ابرارا وقيل لن تنالوا بر الله وهو ثوابه حتى تنفقوا مما تحبون
حتى تكون نفقتكم من اموالكم التي تحبونها وتؤثرونها كقوله انفقوا
من طيبات ما كسبتم وكان السلف رحمهم الله اذا احبوا شيئا
جعلوه لله وروي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول
الله ان احب اموالي الي بيرحاء فضعها يا رسول الله حيث
اراك الله فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح او مال رائح

وإني أرى أن تجعلها في الأقربين فقال أبو طلحة أفعل يا رسول الله
فقسمها في أقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها
فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله أسامة بن
زيد فكأن زيداً وجد في نفسه وقال إنما أردت أن
أتصدق به فقال رسول الله أما إن الله تعالى قد قبلها
منك وكتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري أن
يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى
فلما جاءت أعجبته فقال إن الله تعالى يقول لن تنالوا البر
حتى تنفقوا مما تحبون فأعتقها ونزل بأبي ذر ضيف فقال
للراعي ائتني بخير إبلي فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني فقال
وجدت خير الإبل فحلها فذكرت يوم حاجتكم إليه فقال إن
يوم حاجتي إليه ليوم أوضع في حفرتي وقرأ عبد الله حتى
تنفقوا بعض ما تحبون وهذا دليل على أن من في مما تحبون
للتبعيض ونحوه أخذت من المال ومن في من شيء لتبيين
ما تنفقوا أي من أي شيء كان طيب تحبونه أو خبيث
تكرهونه فإن الله به عليم بكل شيء تنفقونه فمجازيكم
بحسبه كل الطعام كل المطعومات أو كل أنواع الطعام
والحل مصدر يقال حل الشيء حلاً كقولك ذلت الدابة
ذلاً وعز الرجل عزاً وفي حديث عائشة رضي الله عنها
كنت أطيبه لحله وحرمه ولذلك استوى في الوصف
به المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى لا هن
حل لهم والذي حرم إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام على
نفسه لحوم الإبل وألبانها وقيل العروق كان به عرق
النسا

كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين

أي اللحوم المختلطة بالعروق

فنذر إن شفي أن يحرم على نفسه أحب الطعام إليه وكان ذلك
أحبه إليه فحرمه وقيل أشارت عليه الأطباء باجتنابه
ففعل ذلك بإذن من الله فهو كتحريم الله ابتداء والمعنى
أن المطاعم كلها لم تزل حلالاً لبني إسرائيل من قبل إنزال
التوراة وتحريم ما حرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها
شيء قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذي حرمه أبوهم إسرائيل
على نفسه فتبعوه على تحريمه وهو رد على اليهود وتكذيب
لهم حيث أرادوا براءة ساحتهم مما نعى عليهم في قوله تعالى
فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم إلى
قوله عذاباً أليماً وفي قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل
ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلى قوله
ذلك جزيناهم ببغيهم وجحود ما غاظهم واشمأزوا منه
وامتعضوا مما نطق به القرآن من تحريم الطيبات عليهم
لبغيهم وظلمهم فقالوا لسنا بأول من حرمت عليه وما هو
إلا تحريم قديم كانت محرمة على نوح وعلى إبراهيم ومن بعده
من بني إسرائيل وهلم جراً إلى أن انتهى التحريم إلينا فحرمت
علينا كما حرمت على من قبلنا وغرضهم تكذيب شهادة الله
عليهم بالبغي والظلم والصد عن سبيل الله وأكل الربا
وأخذ أموال الناس بالباطل وما عدد من مساويهم التي
كلما ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة
لهم قل فأتوا بالتوراة فاتلوها أمر بأن يحاجهم بكتابهم ويبكتهم
بما هو ناطق به من أن تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب
ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه فروي أنهم لم يجسروا

الاشمئزاز الانقباض

فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين

على اخراج التوراة فبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك الحجة
على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه
فمن افترى على الله الكذب بزعمه أن ذلك كان محرما
على بني اسرائيل قبل انزال التوراة من بعد ما لزمتهم من
الحجة القاطعة فأولئك هم الظالمون المكابرون الذين
لا ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون الى البينات قل صدق
الله تعريض بكذبهم كقوله ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون
اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا
ملة ابراهيم حنيفا وهي ملة الاسلام التي عليها محمد ومن
آمن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد
دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم الى تحريف كتاب الله
لتسوية أغراضكم والزمتكم تحريم الطيبات التي احلها الله
لابراهيم ولمن تبعه وضع للناس صفة لبيت والواضع هو
الله تعالى تدل عليه قراءة من قرأ وضع للناس بتسمية الفاعل
وهو الله ومعنى وضع الله بيتا للناس انه جعله متعبدا
لهم فكأنه قال ان اول متعبد للناس الكعبة وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن اول مسجد وضع
للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم
بينهما قال اربعون سنة وعن علي رضي الله عنه ان رجلا
قال له هو اول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول
بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة
والبركة واول من بناه ابراهيم عليه السلام ثم بناه قوم
من العرب من جرهم ثم هدم فبنته العمالقة ثم هدم
فبناه قريش

ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين

وعن ابن عباس هو اول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو
اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض
خلقه قبل الارض بالفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء
فدحيت الارض تحته وقيل هو اول بيت بناه آدم
في الارض وقيل لما اهبط آدم قالت له الملائكة طف
حول البيت فلقد طفنا قبلك بالفي عام وكان في موضعه
قبل آدم بيت يقال له الضراح فرفع في الطوفان الى
السماء الرابعة يطوف به ملائكة السموات للذي ببكة
للبيت الذي ببكة وهي علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان
فيه كقولهم النبيط والنميط في اسم موضع بالدهناء
ونحوه من الاعتقاب امر راتب وراتم وحمى مغمطة ومغبطة
وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وقيل اشتقاقها من
بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيها وعن قتادة يبك الناس
بعضهم بعضا الرجال والنساء يصلي بعضهم بين يدي
بعض لا يصلح ذلك الا بمكة كأنها سميت ببكة وهي
النخة قال اذا الشريب اخذته أكة فخله حتى يبك بكه
وقيل تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار
الا قصمه الله مباركا كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره
وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب
وانتصابه على الحال من المستكن في الظرف لأن التقدير
للذي ببكة هو والعامل فيه المقدر في الظرف من فعل
الاستقرار وهدى للعالمين لأنه قبلتهم ومتعبدهم
مقام ابراهيم عطف بيان لقوله آيات بينات وأفرده

فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا

ان

كيف صح بيان الجماعة بالواحد قلت فيه وجهان احدهما
ان يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته
على قدرة الله ونبوة ابراهيم عليه السلام من تأثير قدمه
في حجر صلد كقوله تعالى ان ابراهيم كان امة والثاني
اشتماله على آيات لان اثر القدم في الصخرة الصماء آية
وغوصه فيها الى الكعبين آية والانة بعض الصخرة دون بعض
آية وابقاؤه دون سائر آيات الانبياء عليهم السلام آية
لابراهيم خاصة وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين
واهل الكتاب والملاحدة الوف سنين آية ويجوز ان يراد فيه
آيات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله لان الاثنين
نوع من الجمع كالثلاثة والاربعة ويجوز ان يذكر هاتان
الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات كأنه
قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله
وكثير سواهما ونحوه في طي الذكر قول جرير كانت حنيفة اثلاثا
فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها ومنه قوله عليه السلام
حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني
في الصلوة وقرأ ابن عباس وابي ومجاهد وابو جعفر المدني
في رواية قتيبة آية بينة على التوحيد وفيها دليل على ان
مقام ابراهيم واقع وحده عطف بيان فان قلت كيف
اجزت ان يكون مقام ابراهيم والامن عطف بيان للآيات
وقوله ومن دخله كان آمنا جملة مستأنفة اما ابتدائية واما
شرطية قلت اجزت ذلك من حيث المعنى لان قوله
ومن دخله كان آمنا دل على امن داخله فكأنه قيل فيه

آيات بينات مقام ابراهيم وامن داخله الا ترى انك
لو قلت فيه آية بينة من دخله كان آمنا صح لانه في معنى
قولك فيه آية بينة امن من دخله فان قلت كيف كان
سبب هذا الاثر قلت فيه قولان احدهما انه لما
ارتفع بنيان الكعبة وضعف ابراهيم عن رفع الحجارة
قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه جاء زائرا
من الشام الى مكة فقالت له امرأة اسمعيل انزل حتى
تغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه
الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته
الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي اثر قدميه
عليه ومعنى ومن دخله كان آمنا معنى قوله اولم يروا
انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة
ابراهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمنا وكان
الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يطلب وعن
عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما
مسسته حتى يخرج منه وعند ابي حنيفة رحمه الله من لزمه
القتل في الحل بقصاص او ردة او زنى فالتجأ الى الحرم
لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع
حتى يضطر الى الخروج وقيل آمنا من النار وعن النبي
صلى الله عليه من مات في احد الحرمين بعث يوم القيامة
آمنا وعنه عليه السلام الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران
في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضي
الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه على ثنية الحجون

وعلى تاريخ اليهود الفان واربعمائة واثنان ... لا تطلق الالوف كاطلاق الكثير

وثلث من صميمهم ... صميمهم لانه اراد مجاسهم فلم ... بصميمهم

ان الضمير في دخله راجع الى الحرم ... فانه قيل لما كانت الآيات المذكورة عقيب قوله ان اول بيت وضع للناس موجودة في جميع الحرم علم ان المراد بقوله ومن دخله جميع الحرم بان يكون مقام ابراهيم عبارة عنه

وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة
ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر
يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في
سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله
عليه من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه
جهنم مسيرة مائتي عام من استطاع بدل من الناس وروي
ان رسول الله صلى الله عليه فسر الاستطاعة بالزاد
والراحلة وكذا عن ابن عباس وابن عمر وعليه اكثر العلماء
وعن ابن الزبير هو على قدر القوة ومذهب مالك ان الرجل
اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد
يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر
عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك اذا قدر ان
يؤجر نفسه فهو مستطيع وقيل له في ذلك فقال ان كان
لبعضهم ميراث بمكة اكان يتركه بل كان ينطلق اليه
ولو حبوا فكذلك يجب عليه الحج والضمير في اليه للبيت
او للحج وكل ما اتى الى الشيء فهو سبيله وفي هذا الكلام
انواع من التوكيد والتشديد منها قوله ولله على الناس
حج البيت يعني انه حق واجب لله في رقاب الناس
لا ينفكون عن ادائه والخروج من عهدته ومنها انه ذكر
الناس ثم ابدل عنه من استطاع اليه سبيلا وفيه
ضربان من التاكيد احدهما ان الابدال تثنية للمراد
وتكرير له والثاني ان الايضاح بعد الابهام والتفصيل
بعد الاجمال ايراد له في صورتين مختلفتين ومنها قوله ومن
كفر

مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه
من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا ونحوه
من التغليظ من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر ومنها ذكر
الاستغناء عنه وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان
ومنها قوله عن العالمين وان لم يقل عنه وما فيه من الدلالة
على الاستغناء عنه ببرهان لانه اذا استغنى عن العالمين
تناوله الاستغناء لا محالة ولانه يدل على الاستغناء الكامل
فكان ادل على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه وعن
سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الى
مكة غير واجب وروي انه لما نزل قوله ولله على الناس
حج البيت جمع رسول الله اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال
ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة
وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به
ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي صلى
الله عليه حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين
ويرفع في الثالثة وروي حجوا قبل ان لا تحجوا حجوا قبل ان
يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل ان
تنبت في البادية شجرة لا تاكل منها دابة الا نفقت وعن
عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا
وقرئ حج البيت بالكسر والله شهيد الواو للحال والمعنى
لم تكفرون بآيات الله التي دلتكم على صدق محمد والحال ان
الله شهيد على اعمالكم فمجازيكم عليها وهذه الحال توجب
ان لا تجسروا على الكفر بآياته قرا الحسن تصدون

دلالة على الناسخ ... من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون

قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون

من آمن عن سبيل الله عز وجل حتى علم أنه سبيل الله التي
أمر بسلوكها وهو الإسلام وكانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون
لصدهم عنه ويمنعون من أراد الدخول فيه بجهدهم وقيل
أتت اليهود الأوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في
الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا لمثله تبغونها
عوجا تطلبون لها اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة
فإن قلت كيف تبغونها عوجا وهو محال قلت فيه معنيان
أحدهما أنكم تلبسون على الناس حتى توهموهم أن فيها عوجا
بقولكم إن شريعة موسى لا تنسخ وبتغييركم صفة رسول
الله عن وجهها ونحو ذلك والثاني أنكم تتعبون أنفسكم في
إخفاء الحق وابتغاء ما لا يتأتى لكم من وجود العوج فيما هو
أقوم من كل مستقيم وأنتم شهداء أنها سبيل الله التي
لا يصد عنها إلا ضال مضل أو وأنتم شهداء بين أهل
دينكم عدول يثقون بأقوالكم ويستشهدونكم في عظائم أمورهم
الأحبار وما الله بغافل وعيد ومحل تبغونها نصب على
الحال قيل مر شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر
شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من
الأنصار من الأوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغا ظه
ذلك حيث تآلفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية
من العداوة وقال ما لنا معهم إذا اجتمعوا من قرار فأمر
شابا من اليهود أن يجلس إليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم
بعض ما قيل فيه من الأشعار وكان يوما اقتتلت فيه
الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس ففعل فتنازع
القوم

عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح
فبلغ النبي صلى الله عليه فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين
والأنصار فقال أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد
إذ أكرمكم الله بالإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف
بينكم فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم
فألقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا
مع رسول الله عليه السلام فما كان يوم أقبح أولا وأحسن آخرا
من ذلك اليوم وكيف تكفرون معنى الاستفهام فيه الإنكار
والتعجب والمعنى من أين يتطرق إليكم الكفر والحال أن
آيات الله وهي القرآن المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول
غضة طرية وبين أظهركم رسول الله ينبهكم ويعظكم ويزيح
شبهكم ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه ويجوز أن يكون
حثا لهم على الالتجاء إليه في دفع شرور الكفار ومكايدهم
فقد هدي فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول إذا جئت
فلانا فقد أفلحت كأن الهدى قد حصل فهو يخبر عنه
حاصلا ومعنى التوقع في قد ظاهر لأن المعتصم بالله متوقع
للهدى كما أن قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده حق تقاته
واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالواجب واجتناب
المحارم ونحوه فاتقوا الله ما استطعتم يريد بالغوا في التقوى
حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئا وعن عبد الله هو أن
يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وروي
مرفوعا وقيل هو أن لا تأخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط
ولو على نفسه أو ابنه أو أبيه وقيل لا يتقي الله عبد حق تقاته

يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون

حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد ولا تموتن
معناه ولا تكونن على حال سوى حال الإسلام إذا أدرككم
الموت كما تقول لمن تستعين به على لقاء العدو لا تأتني إلا
وأنت على حصان فلا تنهاه عن الإتيان ولكنك تنهاه
عن خلاف الحال التي شرطت عليه في وقت الإتيان قولهم
اعتصمت بحبله يجوز أن يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه
بحمايته بامتساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن
انقطاعه وأن يكون الحبل استعارة لعهده والاعتصام لوثوقه
بالعهد أو ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه والمعنى واجتمعوا
على استعانتكم بالله ووثوقكم به ولا تفرقوا عنه أو واجتمعوا
على التمسك بعهده إلى عباده وهو الإيمان والطاعة أو بكتابه
لقول النبي عليه السلام القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه
ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن
اعتصم به هدي إلى صراط مستقيم ولا تفرقوا ولا تتفرقوا
عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى
أو كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضا
ويحاربه أو ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع
والألفة التي أنتم عليها مما يأباه جامعكم والمؤلف بينكم وهو
اتباع الحق والتمسك بالإسلام كانوا في الجاهلية بينهم الإحن
والعداوات والحروب المتواصلة فألف الله بين قلوبهم بالإسلام
وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا إخوانا
متراحمين متناصحين مجتمعين على أمر واحد قد نظم بينهم
وأزال الاختلاف وهو الأخوة في الله وقيل هم الأوس والخزرج

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا

كانا أخوين لأب وأم فوقعت بينهما العداوة وتطاولت الحروب
مائة وعشرين سنة إلى أن أطفأ الله ذلك بالإسلام وألف
بينهم برسول الله وكنتم على شفا حفرة من النار وكنتم مشفين
على أن تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر فأنقذكم منها
بالإسلام والضمير للحفرة أو للنار أو للشفا وإنما أنث
لإضافته إلى الحفرة وهو منها كما قال كما شرقت صدر القناة
من الدم وشفا الحفرة وشفتها حرفها بالتذكير والتأنيث
ولامها واو إلا أنها في المذكر مقلوبة وفي المؤنث محذوفة ونحو
الشفا والشفة الجانب والجانبة فإن قلت كيف جعلوا
على حرف حفرة من النار قلت لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا
في النار فمثلت حياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار
بالقعود على حرفها مشفين على الوقوع فيها كذلك مثل
ذلك البيان البليغ يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون
إرادة أن تزدادوا هدى ولتكن منكم أمة من للتبعيض
لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات
ولأنه لا يصلح له إلا من علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب
الأمر في إقامته وكيف يباشر فإن الجاهل ربما نهى عن
معروف وأمر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في
مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ في موضع
اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده
إنكاره إلا تماديا أو على من الإنكار عليه عبث كالإنكار
على أصحاب المآصر والجلادين وأضرابهم وقيل من
للتبيين بمعنى وكونوا أمة تأمرون كقوله كنتم خير أمة
أخرجت للناس تأمرون وأولئك هم المفلحون هم الأخصاء
بالفلاح

وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون

ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون

دون غيرهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل وهو على المنبر
من خير الناس قال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم
لله واوصلهم وعنه عليه السلام من امر بالمعروف ونهى عن المنكر
فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه
وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له
وعن حذيفة يأتي على الناس زمان تكون فيهم جيفة الحمار
احب اليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن
المنكر وعن سفيان الثوري اذا كان الرجل محببا في جيرانه
محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن والامر بالمعروف تابع
للمأمور به ان كان واجبا فواجب وان كان ندبا فندب واما
النهي عن المنكر فواجب كله لان جميع المنكر تركه واجب لا
تصافه بالقبح فان قلت ما طريق الوجوب قلت قد اختلف
فيه الشيخان فعند ابي علي السمع والعقل وعند ابي هاشم
السمع وحده فان قلت ما شرائط النهي قلت ان يعلم
الناهي ان ما ينكره قبيح لانه اذا لم يعلم لم يأمن ان ينكر الحسن
وان لا يكون ما ينهى عنه واقعا لان الواقع لا يحسن النهي عنه
وانما يحسن الذم عليه والنهي عن امثاله وان لا يغلب على ظنه
ان المنهي يزيد في منكراته وان لا يغلب على ظنه ان نهيه
لا يؤثر لانه عبث فان قلت فما شروط الوجوب قلت
ان يغلب على ظنه وقوع المعصية نحو ان يرى الشارب قد
تهيأ لشرب الخمر باعداد آلاته وان لا يغلب على ظنه انه
ان انكر لحقته مضرة عظيمة فان قلت كيف يباشر
الانكار قلت يبتدئ بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الصعب

تلوا
لان الغرض كف المنكر قال الله تعالى فاصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا
فان قلت فمن يباشر قلت كل مسلم تمكن منه واختص
بشرائطه وقد اجمعوا ان من رأى غيره تاركا للصلاة وجب
عليه الانكار لانه معلوم قبحه لكل احد واما الانكار الذي
بالقتال فللامام وخلفائه اولى لانهم اعلم بالسياسة ومعهم
عدتها فان قلت فمن يؤمر وينهى قلت كل مكلف وغير
المكلف اذا هم بضرر غيره منع كالصبيان والمجانين وينهى
الصبيان عن المحرمات حتى لا يتعودوها كما يؤخذون بالصلاة
ليمرنوا عليها فان قلت هل يجب على مرتكب المنكر ان ينهى
عما يرتكبه قلت نعم يجب عليه لان ترك ارتكابه وانكاره
واجبان عليه فبتركه احد الواجبين لا يسقط عنه الواجب
الآخر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن
انه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا اقول ما لا افعل فقال
واينا يفعل ما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يأمر
احد بمعروف ولا ينهى عن منكر فان قلت كيف قيل يدعون
الى الخير ويأمرون بالمعروف قلت الدعاء الى الخير عام في
التكاليف من الافعال والتروك والامر بالمعروف والنهي عن
المنكر خاص فجيء بالعام ثم عطف عليه الخاص ايذانا بفضله
كقوله والصلاة الوسطى كالذين تفرقوا واختلفوا وهم اليهود
والنصارى من بعد ما جاءهم البينات الموجبة للاتفاق على كلمة
واحدة وهي كلمة الحق وقيل هم مبتدعو هذه الامة وهم المشبهة
والمجبرة والحشوية واشباههم يوم تبيض وجوه نصب بالظرف
وهو لهم او باضمار اذكروا وقرئ تبيض وتسود بكسر حرف المضارعة

ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون

وتبياض وتسواد والبياض من النور والسواد من الظلمة
فمن كان من اهل نور الحق وسم ببياض اللون واسفاره
واشراقه وابيضت صحيفته واشرقت وسعى النور
بين يديه وبيمينه ومن كان من اهل ظلمة الباطل وسم
بسواد اللون وكسوفه وكمده واسودت صحيفته واظلمت
واحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بالله وبسعة
رحمته من ظلمات الباطل واهله اكفرتم فيقال لهم
اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر
انهم اهل الكتاب وكفرهم بعد الايمان تكذيبهم برسول
الله بعد اعترافهم به قبل مجيئه وعن عطاء تبيض وجوه
المهاجرين والانصار وتسود وجوه بني قريظة والنضير
وقيل هم المرتدون وقيل هم اهل البدع والاهواء وعن
ابي امامة رضي الله عنه هم الخوارج ولما رآهم على درج
دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء شر
قتلى تحت اديم السماء وخير قتلى تحت اديم السماء
الذين قتلهم هؤلاء فقال له ابو غالب اشيء تقوله برايك
ام شيء سمعته من رسول الله قال بل سمعته من رسول
الله غير مرة قال فما شانك دمعت عيناك قال رحمة
لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا ثم قرا هذه الآية ثم
اخذ بيده فقال ان بارضك منهم كثيرا فاعاذك الله منهم
وقيل هم جميع الكفار لاعراضهم عما اوجبه الاقرار
حين اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى ففي رحمة
الله ففي نعمته وهي الثواب المخلد فان قلت كيف موقع
قوله

الكهل الخزن المكتوم والكمد تغير اللون

لان الآيات السابقة فيهم

الخوارج من خالف امامه

واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون

هذا اذا لم يكن بمعنى صار واذا كانت بمعنى صار دلت على عدم سابق فاذا قلت كان زيد عالما
بمعنى صار زيد عالما دلت على انه انتقل من حالة الجهل الى حالة العلم قيل الصحيح انها كساير الافعال
الدال لفظ الماضي منها على الانقطاع ثم قد يستعمل حيث لا انقطاع وفرق بين الدلالة
والاستعمال الا ترى انك تقول هذا اللفظ يدل على العموم ثم قد يستعمل حيث لا يراد العموم بل
يراد الخصوص

هم فيها خالدون بعد قوله ففي رحمة الله قلت موقع الاستئناف
كانه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون
عنها ولا يموتون تلك آيات الله الواردة في الوعد والوعيد
نتلوها عليك ملتبسة بالحق والعدل من جزاء المحسن والمسيء
بما يستوجبانه وما الله يريد ظلما فياخذ احدا بغير جرم
او يزيد في عقاب مجرم او ينقص من ثواب محسن ونكر ظلما
وقال للعالمين على معنى ما يريد شيئا من الظلم لاحد من خلقه
فسبحان من يحلم عمن يصفه بارادة القبائح والرضا بها
كان عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الابهام
وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ
ومنه قوله تعالى كنتم خير امة كانه قيل وجدتم خير امة
وقيل كنتم في علم الله خير امة وقيل كنتم في الامم قبلكم مذكورين
بانكم خير امة موصوفين به اخرجت اظهرت وقوله تامرون
كلام مستانف بين به كونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم
الناس ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم وتؤمنون بالله جعل
الايمان بكل ما يجب الايمان به ايمانا بالله لان من آمن
ببعض ما يجب الايمان به من رسول او كتاب او بعث
او حساب او عقاب او ثواب او غير ذلك لم يعتد
بايمانه فكانه غير مؤمن بالله ويقولون نؤمن ببعض
ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك
هم الكافرون حقا والدليل عليه قوله ولو آمن اهل الكتاب
مع ايمانهم بالله لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم
عليه لانهم انما آثروا دينهم على دين الاسلام حبا للرياسة

تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور

كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون

وانما اخر الايمان بالله وحقه التقديم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا بالله واظهارا لدينه

وجه الدلالة ان كلمة الشرط تدل على انتفاء الشرط فيدل على نفي ايمانهم

واستتباع العوام ولو آمنوا لكان لهم من الرياسة والأتباع
وحظوظ الدنيا ما هو خير مما آثروا دين الباطل لأجله
مع الفوز بما وعدوه على الإيمان من إيتاء الأجر مرتين
منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام وأصحابه وأكثرهم الفاسقون
المتمردون في الكفر لن يضروكم إلا أذى إلا ضررا مقتصرا
على أذى بقول من طعن في الدين أو تهديد أو نحو ذلك وإن
تقاتلوكم يولوكم الأدبار منهزمين ولا تضروكم بقتل أو
أسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون لهم نصر من أحد ولا يمنعون
منكم وفيه تثبيت لمن أسلم منهم لأنهم كانوا يؤذونهم بالتلهي
بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم بأنهم لا يقدرون أن
يتجاوزوا الأذى بالقول إلى ضرر يبالى به مع أنه وعدهم
الغلبة عليهم والانتقام منهم وأن عاقبة أمرهم الخذلان
والذل فإن قلت هلا جزم المعطوف في قوله ثم لا ينصرون
قلت عدل به عن حكم الجزاء إلى حكم الإخبار ابتداء كأنه
قيل ثم أخبركم أنهم لا ينصرون فإن قلت فأي فرق
بين رفعه وجزمه في المعنى قلت لو جزم لكان نفي النصر
مقيدا بمقاتلتهم كتولية الأدبار وحين رفع كان نفي النصر
وعدا مطلقا كأنه قال ثم شأنهم وقصتهم التي أخبركم عنها
وأبشركم بها بعد التولية أنهم مخذولون منتف عنهم النصر
والقوة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم أمر
وكان كما أخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود
خيبر فإن قلت فما الذي عطف عليه هذا الخبر قلت جملة
الشرط والجزاء كأنه قيل أخبركم أنهم إن يقاتلوكم ينهزموا ثم
أخبركم أنهم لا ينصرون

لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون

فإن قلت فما معنى التراخي في ثم قلت التراخي في المرتبة
لأن الإخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الإخبار
بتوليتهم الأدبار فإن قلت ما موقع الجملتين أعني منهم المؤمنون
ولن يضروكم قلت هما كلامان واردان على طريق الاستطراد
عند إجراء ذكر أهل الكتاب كما يقول القائل وهو على ذكر فلان
فإن من شأنه كيت وكيت ولذلك جاءا من غير عاطف
بحبل من الله في محل النصب على الحال بتقدير إلا معتصمين
أو متمسكين أو ملتبسين بحبل من الله وهو استثناء من أعم
عام الأحوال والمعنى ضربت عليهم الذلة عامة الأحوال إلا
في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة
المسلمين أي لا عز لهم قط إلا هذه الواحدة وهي التجاؤهم
إلى الذمة لما قبلوه من الجزية وباءوا بغضب من الله استوجبوه
وضربت عليهم المسكنة كما تضرب البيت على أهله فهم ساكنون
في المسكنة غير ظاعنين عنها وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه
ذلك إشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبواء بغضب الله
أي ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء ثم
قال ذلك بما عصوا أي ذلك كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم
لحدوده ليعلم أن الكفر وحده ليس بسبب في استحقاق سخط الله
وأن سخط الله يستحق بركوب المعاصي كما يستحق بالكفر ونحوه مما
خطيئاتهم أغرقوا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال
الناس بالباطل الضمير في ليسوا لأهل الكتاب أي ليس أهل
الكتاب مستوين وقوله من أهل الكتاب أمة قائمة كلام مستأنف
لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تأمرون بالمعروف بيانا لقوله
كنتم خير أمة

ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين

أمة قائمة مستقيمة عادلة من قولك أقمت العود فقام بمعنى
استقام وهم الذين أسلموا منهم وعبّر عن تهجدهم بتلاوة
القرآن في ساعات الليل مع السجود لأنه أبين لما يفعلونه
وأدلّ على حسن صورة أمرهم وقيل عني صلاة العشاء لأن أهل
الكتاب لا يصلونها وعن ابن مسعود رضي الله عنه أخّر رسول
الله صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون
الصلاة فقال أما إنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله
هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية وقوله يتلون ويؤمنون
في محل الرفع صفتان لأمة أي أمة قائمة تالون مؤمنون وصفهم
بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين
ومن الإيمان بالله لأن إيمانهم به كلا إيمان لإشراكهم به عزيرا
وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض ومن الإيمان باليوم
الآخر لأنهم يصفونه بخلاف صفته ومن الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر لأنهم كانوا مداهنين ومن المسارعة في الخيرات لأنهم كانوا
متباطئين عنها غير راغبين فيها والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه
لأن من رغب في الأمر سارع في توليه والقيام به وآثر الفور
على التراخي وأولئك الموصوفون بما وصفوا به من جملة الصالحين الذين
صلحت أحوالهم عند الله ورضيهم واستحقوا ثناءه عليهم ويجوز أن يريد
بالصالحين المسلمين فلن يكفروه لما جاء وصف الله عز وعلا بالشكر
في قوله والله شكور حليم في معنى توفية الثواب نفى عنه نقيض ذلك
فإن قلت لم عدي إلى مفعولين وشكر وكفر لا يتعديان إلا إلى واحد
تقول شكر النعمة وكفرها قلت ضمن معنى الحرمان فكأنه قيل فلن
تحرموه بمعنى فلن تحرموا جزاءه وقرئ يفعلوا ويكفروه بالياء والتاء

وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون

والله عليم بالمتقين بشارة للمتقين بجزيل ثوابه ودلالة على أنه
لا يفوز عنده إلا أهل التقوى الصر الريح الباردة نحو الصرصر
قال لا تعدلن أتاويين تضربهم نكباء صر بأصحاب المحلات
كالقت ليلى الأخيلية ولم تغلب الخصم الألد وتملأ الجفان
سديفا يوم نكباء صرصر فإن قلت فما معنى قوله كمثل ريح فيها
صر قلت فيه أوجه أحدها أن الصر في صفة الريح بمعنى
الباردة فوصف بها القرة بمعنى فيها قرة صر كما تقول برد بارد
على المبالغة والثاني أن يكون الصر مصدرا في الأصل بمعنى البرد فجيء به
على أصله والثالث أن يكون من قوله لقد كان لكم في رسول الله
أسوة حسنة ومن قولك إن ضيعني فلان ففي الله كاف وكافل
قال وفي الرحمن للضعفاء كاف شبه ما كانوا ينفقون من أموالهم
في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس
لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذي حسه البرد فذهب
حطاما وقيل هو ما كانوا يتقربون إلى الله مع كفرهم وقيل ما
أنفقوا في عداوة رسول الله فضاع عنهم لأنهم لم يبلغوا بإنفاقه
ما أنفقوه لأجله وشبهه بحرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلك عقوبة
لهم على معاصيهم لأن الإهلاك عن سخط أشد وأبلغ فإن قلت
الغرض تشبيه ما أنفقوا في قلة جدواه وضياعه بالحرث الذي
ضربته الصر والكلام غير مطابق للغرض حيث جعل ما ينفقون
ممثلا بالريح قلت هو من التشبيه المركب الذي مر في قوله
كمثل الذي استوقد نارا ويجوز أن يراد مثل إهلاك ما ينفقون
كمثل إهلاك ريح أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث
وقرئ تنفقون بالتاء وما ظلمهم الله الضمير للمنفقين على معنى وما
ظلمهم الله

مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون

بان لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم حيث لم يأتوا بها مستحقة للقبول
او لاصحاب الحرث الذين ظلموا انفسهم اي وما ظلمهم الله باهلاك
حرثهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ
ولكنّ بالتشديد بمعنى ولكنّ انفسهم يظلمونها هم والعجز ... ولا يجوز ان يراد
ولكنه انفسهم يظلمون على اسقاط ضمير الشان لانه انما يجوز في
الشعر بطانة الرجل ووليجته خصيصه وصفيه الذي يفضي اليه
بشقوره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعاري
وعن النبي صلى الله عليه وسلم الانصار شعار والناس دثار من دونكم
من دون ابناء جنسكم وهم المسلمون ويجوز ان يتعلق بلا تتخذوا وبطانة
على الوصف اي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا يألونكم خبالا
يقال ألا في الامر يألو اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين
في قولك لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا على التضمين والمعنى لا
امنعك ولا انقصكه والخبال الفساد ودوا ما عنتم ودوا عنتكم
على ان ما مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة واصله انهياض
العظم بعد جبره اي تمنوا ان يضروكم في دينكم ودنياكم اشد الضرر
وابلغه قد بدت البغضاء من افواههم لانهم لا يتمالكون مع ضبطهم
انفسهم وتحاملهم عليها ان ينفلت من السنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين
وعن قتادة قد بدت البغضاء لاوليائهم من المنافقين والكفار
لاطلاع بعضهم بعضا على ذلك وفي قراءة عبد الله قد بدا البغضاء
قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة اولياء
الله ومعاداة اعدائه ان كنتم تعقلون ما بين لكم فعملتم به فان قلت
كيف موقع هذه الجمل قلت يجوز ان يكون لا يألونكم صفة للبطانة
وكذلك قد بدت البغضاء كأنه قيل بطانة غير آليكم خبالا بادية بغضاؤهم

نصحا

ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور

واما قد بينا فكلام مبتدا واحسن منه وابلغ ان تكون مستانفات
كلها على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة ها للتنبيه
وانتم مبتدا واولاء خبره اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة
منافقي اهل الكتاب وقوله تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطئهم
في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لاهل البغضاء وقيل اولاء
موصول تحبونهم صلته والواو في وتؤمنون للحال وانتصابها
من لا يحبونكم اي لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله وهم
مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم
وفيه توبيخ شديد بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم ونحوه فانهم
يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون وتوصف المغتاظ
والنادم بعض الانامل والبنان والابهام قال الحارث بن ظالم
المري فاقتل اقواما لئاما اذلة يعضون من غيظ رؤوس الاباهم
قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بان يزداد غيظهم حتى يهلكوا به
والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الاسلام وعز اهله
وما لهم في ذلك من الذل والخزي والتبار ان الله عليم بذات الصدور
فهو يعلم ما في صدور المنافقين من الحنق والبغضاء وما يكون منهم
في حال خلو بعضهم ببعض وهو كلام داخل في جملة المقول او خارج
منها فان قلت فكيف معناه على الوجهين قلت اذا كان داخلا
في جملة المقول فمعناه اخبرهم بما يسرونه من عضهم الانامل غيظا
اذا خلوا وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات
الصدور فلا تظنوا ان شيئا من اسراركم يخفى عليه وان كان خارجا
فمعناه قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي اياك على ما يسرون فاني اعلم ما هو
اخفى من ذلك وهو ما اضمروه في صدورهم لم يظهروه بالسنتهم ويجوز
ان لا يكون

دعاء

الحنق الغيظ

ثم قوّى ذلك بقوله قل موتوا بغيظكم امرا لرسول الله بطيب النفس
وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله ان يهلكوا غيظا باعزاز
الاسلام واذلالهم به كانه قيل حدث نفسك بذلك الحسنة الرخاء
والخصب والنصرة والغنيمة ونحوها من المنافع والسيئة ما كان ضد
ذلك وهذا بيان لفرط معاداتهم حيث يحسدونهم على ما نالهم من
الخير ويشمتون بهم فيما اصابهم من الشدة فان قلت كيف وصفت
الحسنة بالمس والسيئة بالاصابة قلت المس مستعار لمعنى
الاصابة فكان المعنى واحدا الا ترى الى قوله ان تصبك حسنة
تسؤهم وان تصبك مصيبة ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك
من سيئة فمن نفسك اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير
منوعا وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم
او وان تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله في
اجتنابكم محارمه كنتم في كنف الله فلا يضركم كيدهم وقرئ لا يضِركم
من ضاره يضيره ويضرُّكم على ان ضمة الراء لاتباع ضمة الضاد
كقولك مُدُّ يا هذا وروى المفضل عن عاصم لا يضرَّكم بفتح الراء وهذا
تعليم من الله وارشاد الى ان يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى
وقد قال الحكماء اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد فضلا
في نفسك ان الله بما تعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط ففاعل
بكم ما انتم اهله وقرئ بالياء بمعنى انه عالم بما يعملون في عداوتكم
فمعاقبهم عليه واذكر اذ غدوت من اهلك بالمدينة وهو
غدوّه الى احد من حجرة عائشة رضي الله عنها روي ان المشركين
نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه
ودعا عبد الله بن ابي بن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره

ان يمسسكم حسنة تسوءهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط

وهذا الاول معناه عن الله لا ذاكر حركه بالكسر والضم لاتباع ضمة العين وكذلك الادغام جائز ايضا

واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون

فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم
فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها
علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا
اقاموا بشر مجلس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم
النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال
بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هذه الاكلب لا يرون انا
جبنا عنهم فقال عليه السلام اني قد رايت في منامي بقرا مذبحة
حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة
ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة
فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين
قد فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى
اعدائنا فلم يزالوا به حتى دخل فلبس لامته فلما راوه قد لبس
لامته ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير على رسول الله والوحي
ياتيه وقالوا اصنع يا رسول الله ما رايت فقال لا ينبغي لنبي
ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلوة
الجمعة واصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من
شوال فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال كانما
يقوم بهم القدح ان راى صدرا خارجا قال تاخر وكان نزوله
في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن
جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا من
ورائنا تبوئ المؤمنين تنزلهم وقرا عبد الله للمؤمنين بمعنى
تسوي لهم وتهيئ مقاعد للقتال مواطن ومواقف وقد اتسع
في قام وقعد حتى اجريا مجرى صار واستعمل المقعد والمقام

في معنى المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق قبل أن تقوم من مقامك
من مجلسك وموضع حكمك والله سميع لأقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم
إذ همت بدل من إذ غدوت أو عمل فيه معنى سميع عليم والطائفتان
حيان من الأنصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من
الأوس وهما الجناحان خرج رسول الله صلى الله عليه في
ألف وقيل في تسعمائة وخمسين والمشركون في ثلاثة
آلاف ووعدهم الفتح إن صبروا فانخزل عبد الله بن أبي بثلث
الناس وقال يا قوم علام نقتل أنفسنا وأولادنا فتبعهم عمرو بن
حزم الأنصاري فقال أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم فقال
عبد الله لو نعلم قتالاً لاتبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله
فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله وعن ابن عباس رضي الله عنه
أضمروا أن يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا
والظاهر أنها ما كانت إلا همة وحديث نفس وكما لا
تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع ثم يردها صاحبها إلى
الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه كما قال عمرو بن
الإطنابة أقول لها إذا جشأت وجاشت مكانك تحمدي
أو تستريحي حتى قال معاوية عليكم بحفظ الشعر فقد كدت
أضع رجلي في الركاب يوم صفين فما ثبتني إلا قول عمرو بن
الإطنابة ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية والله تعالى
يقول والله وليهما ويجوز أن يراد والله ناصرهما ومتولي أمرهما
فما لهما تفشلان ولا تتوكلان على الله فإن قلت ما معنى
ما روي من قول بعضهم عند نزول الآية والله ما يسرنا
أنا لم نهم بالذي هممنا به وقد أخبرنا الله بأنه ولينا قلت

معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله
وإنزاله فيهم آية ناطقة بصحة الولاية وأن تلك الهمة غير
المأخوذ بها لأنها لم تكن عن عزيمة وتصميم كانت سبباً لنزولها
والفشل الجبن والخور وقرأ عبد الله والله وليهم كقوله وإن
طائفتان من المؤمنين اقتتلوا أمرهم بأن لا يتوكلوا إلا عليه
ولا يفوضوا أمورهم إلا إليه ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل
مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم في حال قلة وذلة والأذلة جمع قلة
والذلان جمع الكثرة وجاء بجمع القلة ليدل على أنهم على ذلتهم
كانوا قليلاً وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح
والمال والمركوب وذلك أنهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر
منهم على البعير الواحد وما كان معهم إلا فرس واحد وقلتهم أنهم
كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم في حال
كثرة زهاء ألف مقاتل ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة
وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدراً فسمي به
فاتقوا الله في الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون بتقواكم ما
أنعم به عليكم من نصرته أو لعلكم ينعم الله عليكم نعمة أخرى
تشكرونها فوضع الشكر موضع الإنعام لأنه سبب له إذ تقول
ظرف لنصركم على أن يقول لهم ذلك يوم بدر أو بدل ثان
من إذ غدوت على أن يقوله لهم يوم أحد فإن قلت كيف يصح أن
يقوله يوم أحد ولم تنزل فيه الملائكة قلت قاله لهم مع اشتراط
الصبر والتقوى عليهم فلم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا حيث
خالفوا أمر رسول الله فلذلك لم تنزل الملائكة ولو تموا على ما
شرط عليهم لنزلت وإنما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى
قلوبهم

ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون

إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين

ويصبروا على الثبات ويتقوا معاصي الله ومعنى الن يكفيكم
انكار ان لا يكفيهم الامداد بثلاثة آلاف من الملائكة
وانما جيء بلن الذي هو لتأكيد النفي للاشعار بانهم
كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين
من النصر وبلى ايجاب لما بعد لن يعني بلى يكفيكم الامداد بهم
فاوجب الكفاية ثم قال ان تصبروا وتتقوا يمددكم بالاكثر
من ذلك العدد مسومين للقتال ويأتوكم يعني المشركين
من فورهم هذا من قولك قفل من غزوته وخرج من فوره
الى غزوة اخرى وجاء فلان ورجع من فوره ومنه قول
ابي حنيفة رحمه الله الامر على الفور لا على التراخي وهو
مصدر من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة
ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها ولا تعريج على شيء
من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول من ساعته لم يلبث
والمعنى انهم ان يأتوكم من ساعتهم هذه يمددكم ربكم
بالملائكة في حال اتيانهم لا يتأخر نزولهم عن اتيانهم يريد ان
الله يعجل نصرتكم وييسر فتحكم ان صبرتم واتقيتم
وقرئ منزلين بالتشديد ومنزلين بكسر الزاي يعني
منزلين النصر ومسومين بفتح الواو وكسرها بمعنى معلمين
ومعلمين انفسهم او خيلهم قال الكلبي معلمين بعمائم
صفر مرخاة على اكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف
الابيض في نواصي الدواب واذنابها وعن مجاهد
مجزوزة اذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن
عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت
الملائكة كذلك

بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين

فانه

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه تسوموا فان
الملائكة قد تسومت وما جعله الله الا بشرى لكم
اي وما جعل الله امدادكم بالملائكة الا بشارة لكم بانكم
تنصرون ولتطمئن قلوبكم به كما كانت السكينة لبني
اسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم وما النصر الا من
عند الله لا من عند المقاتلة اذا تكاثروا ولا من عند الملائكة
والسكينة ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة والطمع
في الرحمة ويربط به على قلوب المجاهدين العزيز الذي
لا يغالب في حكمه الحكيم الذي يعطي النصر ويمنعه لما
يرى من المصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا ليهلك
طائفة منهم بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من
قتل سبعين واسر سبعين من رؤسائهم وصناديدهم
او يكبتهم او يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فينقلبوا خائبين غير ظافرين
بمبتغاهم ونحوه ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا
خيرا ويقال كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ
والحرقة وقيل في قول ابي الطيب لاكبت حاسدا وارى
عدوا هو من الكبد والرئة واللام متعلقة بقوله ولقد
نصركم الله او بقوله وما النصر الا من عند الله او يتوب
عطف على ما قبله ليس لك من الامر شيء اعتراض والمعنى
ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب
عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا على الكفر وليس لك
من امرهم شيء انما انت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم

وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين

ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون

وهو ان يتوب منصوب باضمار ان وان يتوب في حكم اسم معطوف
بأو على الامر او على شيء اي ليس لك من امرهم شيء او من
التوبة عليهم او من تعذيبهم او ليس لك من امرهم شيء او التوبة
عليهم او تعذيبهم وقيل او بمعنى الا ان كقولك لألزمنك او
تعطيني حقي على معنى ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب
الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتتشفى منهم وقيل شجه
عتبة بن ابي وقاص يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم
عن وجهه وسالم مولى ابي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو
يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم
الى ربهم فنزلت وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه
ان فيهم من يؤمن عن الحسن رحمه الله يغفر لمن يشاء بالتوبة
ولا يشاء ان يغفر الا للتائبين ويعذب من يشاء ولا يشاء
ان يعذب الا المستوجبين للعذاب وعن عطاء يغفر
لمن يتوب اليه ويعذب من لقيه ظالما واتباعه قوله او
يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون يفسر بين لمن يشاء
وانهم المتوب عليهم او الظالمون ولكن اهل الاهواء والبدع
يتصامون ويتعامون عن آيات الله فيخبطون خبط
عشواء ويطيبون انفسهم بما يفترون على ابن عباس من قولهم
يهب الذنب الكبير لمن يشاء ويعذب من يشاء على الذنب
الصغير لا تأكلوا الربوا اضعافا مضاعفة نهي عن الربوا مع
توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين
محله زاد في الاجل فاستغرق بالشيء الطفيف مال المدبون

لعلكم

ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم

يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون

واتقوا النار التي اعدت للكافرين كان ابو حنيفة رحمه الله
يقول هي اخوف آية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين
بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه
وقد امد ذلك بما اتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته
بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله ومن تأمل هذه الآيات
وامثالها لم يحدث نفسه بالاطماع الفارغة والتمني على
الله وفي ذكره تعالى لعل وعسى في نحو هذه المواضع وان قال
الناس ما قالوا ما لا يخفى على العارف الفطن من دقة مسلك
التقوى وصعوبة اصابة رضى الله وعزة التوصل الى
رحمته وثوابه وسارعوا في مصاحف اهل المدينة والشام سارعوا بغير
واو وقرأ الباقون بالواو ونصر قراءة ابي وعبد الله
وسابقوا ومعنى المسارعة الى المغفرة والجنة الاقبال على
ما تستحقان به عرضها السموات والارض اي عرضها عرض
السموات كقوله عرضها كعرض السماء والارض والمراد وصفها
بالسعة والبسطة فشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه
وابسطه وخص العرض لانه في العادة ادنى من الطول
للمبالغة كقوله بطائنها من استبرق وعن ابن عباس رضي الله عنه
كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض في
السراء والضراء في حال الرخاء واليسر وحال الضيق والعسر
لا يخلون بان ينفقوا في كلتا الحالتين ما قدروا عليه من
كثير او قليل كما حكي عن بعض السلف انه ربما تصدق ببصلة
وعن عائشة رضي الله عنها انها تصدقت بحبة عنب او في
جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة لا يمنعهم حال

فرح وسرور

واتقوا النار التي اعدت للكافرين واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون

وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين

ولا حال محنة وبلاء من المعروف في سواء عليهم كان للواحد منهم
في عسر او يسر فانه لا يدع الاحسان وافتتح بذكر الانفاق
لانه اشق شيء على النفس وادله على الاخلاص ولانه كان
في ذلك الوقت اعظم الاعمال للحاجة اليه في مجاهدة العدو
ومواساة فقراء المسلمين كظم القربة اذا ملاها وشد
فاها وكظم البعير اذا لم يجتر ومنه كظم الغيظ وهو ان يمسك
على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له اثرا وعن النبي صلى الله عليه
من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملا الله قلبه امنا وايمانا
وعن عايشة رضي الله عنها ان خادما لها غاظها فقالت لله
در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء والعافين عن
الناس اذا جنى عليهم احد لم يواخذوه وروي ينادي مناد
يوم القيامة اين الذين كانت اجورهم على الله فلا يقوم
الا من عفا وعن ابن عيينة انه رواه للرشيد وقد غضب
على رجل فخلاه وعن النبي صلى الله عليه ان هولاء في امتي
قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت
والله يحب المحسنين يجوز ان تكون اللام للجنس فيتناول
كل محسن ويدخل تحته هولاء المذكورون وان تكون للعهد فتكون
اشارة الى هولاء والذين عطف على المتقين اي اعدت للمتقين
وللتائبين وقوله اولئك اشارة الى الفريقين ويجوز ان يكون
والذين مبتدا خبره اولئك فاحشة فعلة متزايدة القبح او
ظلموا انفسهم او اذنبوا اي ذنب كان مما يواخذون به
وقيل الفاحشة الزنا وظلم النفس ما دونه من القبلة واللمسة
ونحوهما وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ذكروا
الله

والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون

١٩٦

تذكروا عقابه او وعيده او نهيه او حقه العظيم وجلاله
الموجب للخشية والحياء منه فاستغفروا لذنوبهم فتابوا عنها
لقبحها نادمين عازمين ومن يغفر الذنوب الا الله وصف
لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة وان التائب من الذنب
عنده كمن لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين الا فضله
وكرمه وان عدله يوجب المغفرة للتائب لان العبد اذا
جاء في الاعتذار والتنصل باقصى ما يقدر عليه وجب
العفو والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة
وبعث عليها وردع عن الياس والقنوط وان الذنوب
وان جلت فان عفوه اجل وكرمه اعظم والمعنى انه وحده
معه مصححات المغفرة وهذه جملة معترضة بين المعطوف
والمعطوف عليه ولم يصروا ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين
وعن النبي صلى الله عليه ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم
سبعين مرة وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع
الاصرار وهم يعلمون حال من فعل الاصرار وحرف النفي
منصب عليهما معا والمعنى وليسوا ممن يصرون على الذنوب
وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها والوعيد عليها لانه قد يعذر
من لا يعلم قبح القبيح وفي هذه الآيات بيان قاطع ان
الذين آمنوا على ثلاث طبقات متقون وتائبون ومصرون
وان الجنة للمتقين والتائبين منهم دون المصرين ومن خالف
في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه ونعم اجر العاملين بعد
قوله جزاؤهم لانهما في معنى واحد وانما خالف بين اللفظين
لزيادة التنبيه على ان ذلك جزاء واجب على عمل واجر مستحق
عليه

لا كما يقول المبطلون وروي ان الله عز وجل اوحى الى موسى ما اقل
حياء من يطمع في جنتي بغير عمل كيف اجود برحمتي على من
يبخل بطاعتي وعن شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب
من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء
الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة وعن الحسن يقول الله يوم القيامة
جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها
باعمالكم وعن رابعة البصرية انها كانت تنشد ترجو النجاة ولم
تسلك مسالكها • ان السفينة لا تجري على اليبس والمخصوص
بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة
والجنات قد خلت من قبلكم سنن يريد ما سنه الله في
الامم المكذبين من وقايعه كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله
في الذين خلوا من قبل ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله
التي قد خلت من قبل هذا بيان للناس ايضاح لسوء عاقبة
ما هم عليه من التكذيب يعني حثهم على النظر في سوء عواقب
المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم
وهدى وموعظة للمتقين يعني انه مع كونه بيانا وتنبيها
للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة للذين اتقوا من
المؤمنين ويجوز ان يكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث
على الايمان وما يستحق به ما ذكر من اجر العاملين ويكون قوله هذا
بيان اشارة الى ما لخص وبين من امر المتقين والتائبين والمصرين
ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية من الله لرسوله وللمؤمنين عما
اصابهم يوم احد وتقوية من قلوبهم يعني ولا تضعفوا عن
الجهاد لما اصابكم اي لا يورثنكم ذلك وهنا وجبنا ولا تبالوا به

اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين

الوهن الضعف

١٩٧

ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم
واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد
او وانتم الاعلون شانا لان قتالكم لله ولاعلاء كلمته وقتالهم
للشيطان ولاعلاء كلمة الكفر ولان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار
او هي بشارة لهم بالعلو والغلبة اي وانتم الاعلون في العاقبة
وان جندنا لهم الغالبون ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي بمعنى
ولا تهنوا ان صح ايمانكم على ان صحة الايمان توجب قوة القلب
والثقة بصنع الله وقلة المبالاة باعدائه او بالاعلون اي ان
كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة وقرئ
قرح بفتح القاف وضمها وهما لغتان كالضعف والضعف
وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها وقرا ابو السمال قرح
بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى ان
نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك
قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فانتم اولى ان لا تضعفوا
ونحوه فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون
وقيل كان ذلك يوم احد فقد نالوا منهم قبل ان تخالفوا امر
رسول الله فان قلت فكيف قيل قرح مثله وما كان
قرحهم يوم احد مثل قرح المشركين قلت بلى كان مثله
ولقد قتل يومئذ خلق من الكفار الا ترى الى قوله تعالى ولقد
صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم
في الامر وعصيتم من بعد ما اريكم ما تحبون وتلك الايام تلك
مبتدا والايام صفته ونداولها خبره ويجوز ان يكون تلك الايام
مبتدا وخبرا كما تقول هي الايام تبلي كل جديد والمراد بالايام
اوقات الظفر والغلبة

ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين

المداولة نقل الشيء من واحد الى آخر يقال تداولته الايدي اذا انتقل من واحد الى آخر ودولة الدنيا دول اي تنتقل من قوم الى آخرين ثم منهم الى آخرين غيرهم وقد كانت الدولة للمسلمين على المشركين يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين رجلا واسروا سبعين واديل المشركون من المسلمين يوم احد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمسا وسبعين

نداولها نصرفها بين الناس نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء
كقوله وهو من ابيات الكتاب فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء
ويوما نسر وفي امثالهم الحرب سجال وعن ابي سفيان انه
صعد الجبل يوم احد فمكث ساعة ثم قال اين ابن ابي كبشة
اين ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب فقال عمر هذا
رسول الله وهذا ابو بكر وها انا عمر فقال ابو سفيان يوم
بيوم والايام دول والحرب سجال فقال عمر رضي الله عنه لا سواء
قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال انكم تزعمون ذلك فقد
خبنا اذن وخسرنا والمداولة مثل المعاورة يقال داولت بينهم
الشيء فتداولوه وليعلم الله الذين آمنوا فيه وجهان احدهما
ان يكون المعلل محذوفا معناه وليتميز الثابتون على الايمان
من الذين على حرف فعلنا ذلك وهو من باب التمثيل بمعنى
فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الايمان
منكم من غير الثابت والا فالله عز وجل لم يزل عالما بالاشياء
قبل كونها وقيل معناه وليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو ان
يعلمهم موجودا منهم الثبات والثاني ان يكون العلة محذوفة
وهذا عطف عليه معناه وفعلنا ذلك ليكون كيت وكيت
وليعلم الله وانما حذف للايذان بان المصلحة فيما فعل ليست
بواحدة ليسليهم عما جرى عليهم وليبصرهم ان العبد يسوءه
ما يجري عليه من المصائب ولا يشعر ان لله في ذلك
من المصالح ما هو غافل عنه ويتخذ منكم شهداء وليكرم ناسا
منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم احد او وليتخذ منكم

يجوز ان يكون جمع سجل اي سجل لهذا وسجل وهو ان يكون مصدرا من ساجله اي كشده ما اوه

اي يرد شعوب الاخيار النازلين حول المياه وهم يتمنون ويسعون لعزامه ومصلحته

وكان سائلا يقول لو ليعلم الله ذكر فعلنا يدل على انه الطلوع والغلبة ... على الارتداد في الايمان

من يصلح للشهادة على الامم يوم القيامة بما يبتلي به صبركم
على الشدائد من قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس والله
لا يحب الظالمين اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه
والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان
المجاهدين في سبيل الله الممحصين من الذنوب والتمحيص التطهير والتصفية ويمحق الكافرين ويهلكهم يعني ان كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد
والتمحيص وغير ذلك مما هو اصلح لهم وان كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو
آثارهم ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما يعلم الله
بمعنى ولما تجاهدوا لان العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة
نفي متعلقه لانه منتف بانتفائه يقول الرجل ما علم الله في فلان
خيرا يريد ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم الا ان فيه ضربا
من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل
وتقول وعدني ان يفعل كذا ولما تريد ولم يفعل وانا
اتوقع فعله وقرئ ولما يعلم الله بفتح الميم وقيل اراد النون
الخفيفة ولما يعلمن فحذفها ويعلم الصابرين نصب باضمار
ان والواو بمعنى الجمع كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن
وقرا الحسن بالجزم على العطف وروى عبد الوارث عن
ابي عمرو ويعلم بالرفع على ان الواو للحال كانه قيل ولما تجاهدوا
وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت خوطب به الذين لم
يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون ان يحضروا مشهدا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا من كرامة الشهادة ما نال شهداء بدر وهم
الذين الحوا على رسول الله في الخروج الى المشركين وكان
رايه في الاقامة بالمدينة يعني وكنتم تمنون الموت قبل ان تشاهدوا
وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته فقد رايتموه وانتم تنظرون

ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين

ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رايتموه وانتم تنظرون

فان قوله لتكونوا شهداء على الناس علة لقوله وكذلك جعلناكم امة وسطا ولا تكونوا كذلك الا بصبرهم على الشدائد ... تبتلي به صبرهم

أي رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل بين أيديكم من قتل
من إخوانكم وأقاربكم وشارفتم أن تقتلوا وهذا توبيخ لهم على
تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله بإلحاحهم عليه
ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده فإن قلت كيف يجوز تمني
الشهادة وفي تمنيها تمني غلبة الكافر المسلم قلت قصد متمني
الشهادة إلى نيل كرامة الشهداء لا غير ولا يذهب وهمه إلى
ذلك المتضمن كما أن من يشرب دواء الطبيب النصراني قاصد
إلى حصول المأمول من الشفاء ولا يخطر بباله أن فيه جر
منفعة وإحسان إلى عدو الله وتنفيقا لصناعته ولقد قال
عبد الله بن رواحة رضي الله عنه حين نهض إلى مؤتة وقيل له رد
الله • لكنني أسأل الرحمن مغفرة • وضربة ذات فرغ تقذف
الزبدا • أو طعنة بيدي حران مجهزة • بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا •
حتى يقولوا إذا مروا على جدثي • أرشده الله من غاز وقد رشدا •
لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله بحجر فكسر رباعيته
وشج وجهه أقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو
صاحب الراية يوم بدر ويوم أحد حتى قتله ابن قمئة وهو يرى
أنه رسول الله فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ ألا إن
محمدا قد قتل وقيل كان الصارخ الشيطان ففشا في الناس
خبر قتله فانكفأوا وجعل رسول الله يدعو إلي عباد الله
حتى انحازت إليه طائفة من أصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا
رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا خبر قتلك فرعبت
قلوبنا فولينا مدبرين فنزلت وروي أنه لما صرخ الصارخ
قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن أبي يأخذ لنا أمانا من
أبي سفيان

وكان كافرا يوم أحد قائد عسكر الكافرين

وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا إلى إخوانكم
وإلى دينكم فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك يا قوم إن
كان قتل محمد فإن رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة
بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه
ثم قال اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء وأبرأ إليك
مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض
المهاجرين أنه مر بأنصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان
أشعرت أن محمدا قد قتل فقال إن كان قتل فقد بلغ فقاتلوا
على دينكم والمعنى وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل
فسيخلو كما خلوا وكما أن أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم
فعليكم أن تتمسكوا بدينه بعد خلوه لأن الغرض من بعثة
الرسل تبليغ الرسالة وإلزام الحجة لا وجوده بين أظهر قومه
أفإن مات الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة قبلها على معنى
التسبيب والهمزة لإنكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سببا
لانقلابهم على أعقابهم بعد هلاكه بموت أو قتل مع علمهم
أن خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب أن يجعل
سببا للتمسك بدين محمد صلى الله عليه لا للانقلاب عنه فإن
قلت لم ذكر القتل وقد علم أنه لا يقتل قلت لكونه مجوزا
عند المخاطبين فإن قلت أما علموه من ناحية قوله والله
يعصمك من الناس قلت هذا مما يختص بالعلماء منهم وذوي
البصيرة ألا ترى أنهم سمعوا خبر قتله فهربوا على أنه يحتمل العصمة
من فتنة الناس وإذلالهم والانقلاب على الأعقاب الإدبار
عما كان رسول الله يقوم به من أمر الجهاد وغيره وقيل الارتداد

وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل

أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين

وما ارتد احد من المسلمين ذلك اليوم الا ما كان من قول المنافقين
ويجوز ان يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف
عن رسول الله واسلامه فلن يضر الله شيئا فما ضر الا
نفسه لان الله تعالى لا يجوز عليه المضار والمنافع وسيجزي
الله الشاكرين الذين لم ينقلبوا كانس بن النضر واضرابه
وسماهم شاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا المعنى
ان موت الانفس محال ان يكون الا بمشية الله فاخرجه مخرج
فعل لا ينبغي لاحد ان يقدم عليه الا ان ياذن له الله فيه تمثيلا
ولان ملك الموت هو الموكل بذلك فليس له ان يقبض نفسا
الا باذن من الله وهو على معنيين احدهما تحريضهم على الجهاد وتشجيعهم
على لقاء العدو باعلامهم ان الحذر لا ينفع وان احدا لا يموت
قبل بلوغ اجله وان خوض المهالك واقتحم المعارك والثاني
ذكر ما صنع الله برسوله عند غلبة العدو والتفافهم عليه واسلام
قومه له نهزة للمختلس من الحفظ والكلاءة وتاخير الاجل
كتابا مصدر مؤكد لان المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا موقتا
له اجل معلوم لا يتقدم ولا يتاخر ومن يرد ثواب الدنيا
تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم احد نؤته منها اي من
ثوابها وسنجزي الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم
شيء عن الجهاد وقرئ يؤته وسيجزي بالياء فيهما وقرئ قاتل
وقتل بالتشديد والفاعل ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون
حال عنه بمعنى قتل كائنا معه ربيون والقراءة بالتشديد تنصر
الوجه الاول وعن سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي قتل في القتال
والربيون الربانيون وقرئ بالحركات الثلاث فالفتح على القياس

وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين

والضم والكسر من تغييرات النسب وقرئ فما وهنوا بكسر الهاء
والمعنى فما وهنوا عند قتل النبي وما ضعفوا عن الجهاد بعده
وما استكانوا للعدو وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن
والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله وبضعفهم عند
ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا
ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي
سفيان وما كان قولهم الا هذا القول وهو اضافة الذنوب
والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها واستقصارا
والدعاء بالاستغفار منها مقدما على طلب تثبيت الاقدام
في مواطن الحرب والنصرة على العدو ليكون طلبهم الى ربهم عن
زكاء وطهارة وخضوع اقرب الى الاستجابة فآتاهم الله ثواب
الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وخص ثواب
الآخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وانه هو المعتد به
عنده يريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ان تطيعوا
الذين كفروا قال علي رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين
عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وعن الحسن
ان تستنصحوا اليهود والنصارى وتقبلوا منهم لانهم كانوا
يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان
نبيا حقا لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وانما هو رجل
حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه وعن السدي
ان تستكينوا لابي سفيان واصحابه وتستامنوهم يردوكم
الى دينهم وقيل هو عام في جميع الكفار وان على المؤمنين
ان يجانبوهم ولا يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا على حكمهم وعلى مشورتهم
حتى لا

وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين

يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين

يستنجدوهم الى موافقتهم بل الله مولاكم ناصركم لا تحتاجون معه الى نصرة احد وولايته وقرى بالنصب على بل اطيعوا الله مولاكم سنلقي قرى بالنون والياء والرعب بالسكون وضمها قيل قذف الله في قلوب المشركين الخوف يوم احد فانهزموا الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستاصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله الرعب في قلوبهم فامسكوا بما اشركوا بسبب اشراكهم اي كان السبب في القاء الله الرعب في قلوبهم اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا آلهة لم ينزل الله باشراكها حجة فان قلت كان هناك حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الاشراك قلت لم يعن ان هناك حجة الا انها لم تنزل عليهم لان الشرك لا يستقيم ان تقوم عليه حجة وانما المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر

ولقد صدقكم الله وعده وعدهم الله النصر بشرط التقوى والصبر على الطاعة في قوله بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ويجوز ان يكون الوعد قوله تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب فلما فشلوا وتنازعوا لم يلقه في قلوبهم وقيل لما رجعوا الى المدينة قال ناس من المؤمنين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت وذلك ان رسول الله جعل احدا خلف ظهره واستقبل المدينة واقام الرماة عند الجبل وامرهم ان يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين او عليهم فلما اقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم

والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم تحسونهم اي تقتلونهم قتلا ذريعا حتى اذا فشلتم والفشل الجبن وضعف الراي وتنازعتم فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا ههنا وقال بعضهم لا نخالف امر رسول الله فممن ثبت مكانه عبد الله بن جبير امير الرماة في نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله ومنكم من يريد الآخرة ونفر اعقابهم ينهبون وهم الذين ارادوا الدنيا فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير واقبلوا على المسلمين وحالت الريح دبورا وكانت صبا حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله ثم صرفكم عنهم لما علم من ندمكم على ما فرط منكم من عصيان امر رسول الله والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو او هو متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء اديل لهم او اديل عليهم لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة رحمة فان قلت اين متعلق حتى اذا قلت محذوف تقديره حتى اذا فشلتم منعكم نصره ويجوز ان يكون المعنى صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم اذ تصعدون نصب بصرفكم او بقوله ليبتليكم او باضمار اذكر والاصعاد الذهاب في الارض والابعاد فيه يقال صعد في الجبل واصعد في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة وقرا الحسن تصعدون يعني في الجبل وتعضد الاولى قراءة ابي اذ تصعدون في الوادي وقرا ابو حيوة تصعدون بفتح التاء وتشديد العين من تصعد في السلم وقرا الحسن تلوون بواو واحدة وقد ذكرنا وجهها وقرى يصعدون ويلوون بالياء والرسول يدعوكم كان يقول الى عباد الله الى عباد الله انا رسول الله

سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين

ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين

اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في اخراكم فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم والله خبير بما تعملون

من كرّ فله الجنة في أخريكم في ساقتكم وجماعتكم الأخرى وهي المتأخرة
يقال جئت في آخر الناس وأخراهم كما تقول في أولهم وأولاهم بتأويل
مقدمتهم وجماعتهم الأولى فأثابكم عطف على صرفكم أى فجازاكم الله
غما حين صرفكم عنهم وابتلاكم بغم بسبب غم أذقتموه رسول الله بعصيانكم
له أو غما مضاعفا غما بعد غم وغما متصلا بغم من الاغتمام بما أرجف
به من قتل رسول الله والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت
الغنيمة والنصر لكيلا تحزنوا لتتمرنوا على تجرع الغموم وتضروا
باحتمال الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على
مصيب من المضار ويجوز أن يكون الضمير في فأثابكم للرسول
أى فآساكم في الاغتمام وكما غمكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجة
وغيرهما غمه ما نزل بكم فأثابكم غما اغتمه لأجلكم بسبب غم اغتممتموه
لأجله ولم يثربكم على عصيانكم ومخالفتكم لأمره وإنما فعل ذلك
ليسليكم وينفس عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ولا على
ما أصابكم من غلبة العدو أنزل الله الأمن على المؤمنين وأزال
عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم عن أبي طلحة
غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط من
يد أحدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه وما أحد إلا ويميل تحت
حجفته وعن الزبير لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه
حين اشتد علينا الخوف فأرسل الله علينا النوم والله إني
لأسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني يقول لو كان
لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا والأمنة الأمن وقرئ أمنة
بسكون الميم كأنها المرة من الأمن ونعاسا بدل من أمنة ويجوز
أن يكون هو المفعول وأمنة حالا منه مقدمة عليه كقولك رأيت
راكبا
رجلا

أو مفعولا له بمعنى نعستم أمنة ويجوز أن يكون حالا من المخاطبين
بمعنى ذوي أمنة أو على أنه جمع آمن كبار وبررة يغشى قرئ
بالياء والتاء ردا على النعاس أو على الأمنة طائفة منكم هم أهل
الصدق واليقين وطائفة هم المنافقون قد أهمتهم أنفسهم ما بهم
إلا هم أنفسهم لا هم الدين ولا هم رسول الله والمسلمين أو قد
أوقعتهم أنفسهم وما حل بهم في الهموم والأشجان فهم في التشاكي
والتباكي غير الحق في حكم المصدر ومعناه يظنون بالله غير
الظن الحق الذي يجب أن يظن به وظن الجاهلية بدل منه ويجوز
أن يكون المعنى يظنون بالله ظن الجاهلية وغير الحق تأكيد ليظنون
كقولك هذا القول غير ما تقول وهذا القول لا قولك وظن الجاهلية
كقولك حاتم الجود ورجل صدق يريد الظن المختص بالملة الجاهلية
ويجوز أن يراد ظن أهل الجاهلية أى لا يظن مثل ذلك الظن
إلا أهل الشرك الجاهلون بالله يقولون لرسول الله يسألونه
هل لنا من الأمر من شيء معناه هل لنا معاشر المسلمين من أمر
الله نصيب قط يعنون النصر والإظهار على العدو قل إن الأمر
كله لله ولأوليائه المؤمنين وهو النصر والغلبة كتب الله لأغلبن
أنا ورسلي وإن جندنا لهم الغالبون يخفون في أنفسهم ما لا يبدون
لك معناه يقولون لك فيما يظهرون هل لنا من الأمر من شيء
سؤال المؤمنين المسترشدين وهم فيما يبطنون على النفاق
يقولون في أنفسهم أو بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم إن الأمر
كله لله لو كان لنا من الأمر شيء أى لو كان الأمر كما قال محمد إن
الأمر كله لله ولأوليائه وأنهم الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل
من المسلمين من قتل في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم يعني من
علم الله منه

يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم

ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية

انه يقتل ويصرع في هذه المصارع وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده
فلو قعدتم في بيوتكم لبرز من بينكم الذين علم الله انهم يقتلون الى
مضاجعهم وهي مصارعهم ليكون ما علم انه يكون والمعنى ان الله
كتب في اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك انهم الغالبون
لعلمه ان العاقبة في الغلبة لهم وان دين الاسلام يظهر على الدين
كله وان ما ينكبون به في بعض الاوقات تمحيص لهم وترغيب في
الشهادة وحرصهم على الشهادة مما يحرضهم على الجهاد فتحصل الغلبة
وقيل معناه هل لنا من التدبير من شيء يعنون لم نملك شيئا من
التدبير حيث خرجنا من المدينة الى احد وكان علينا ان نقيم
ولا نبرح كما كان راي عبد الله بن ابي وغيره ولو ملكنا من التدبير
شيئا لما قتلنا في هذه المعركة قل ان التدبير كله لله يريد ان الله عز
وعلا قد دبر الامر كما جرى ولو اقمتم بالمدينة ولم تخرجوا من بيوتكم
لما نجا من القتل من قتل منكم وروي كتب عليهم القتال وكتب عليهم
القتل على البناء للفاعل ولبرز بالتشديد وضم الباء وليبتلي الله
وليمتحن ما في صدور المؤمنين من الاخلاص ويمحص ما في قلوبهم من
وساوس الشيطان فعل ذلك او فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء
والتمحيص فان قلت كيف مواقع الجمل التي بعد قوله وطائفة
قلت قد اهمتهم صفة لطائفة ويظنون صفة اخرى او حال
بمعنى قد اهمتهم انفسهم ظانين او استئناف على وجه البيان للجملة
قبلها ويقولون بدل من يظنون فان قلت كيف صح ان يقع ما هو
مسألة عن الامر بدلا من الاخبار بالظن قلت كانت مسألتهم
صادرة عن الظن فلذلك جاز ابداله منه ويخفون حال من يقولون
وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال ويقولون
بدل من يخفون

وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم

والاجود ان يكون استئنافا انما استزلهم طلب منهم الزلل ودعاهم اليه
ببعض ما كسبوا من ذنوبهم ومعناه ان الذين انهزموا يوم احد
كان السبب في توليهم انهم كانوا اطاعوا الشيطان فاقترفوا ذنوبا
فلذلك منعتهم التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا وقيل استزلال
الشيطان اياهم هو التولي وانما دعاهم اليه بذنوب قد تقدمت
لهم لان الذنب يجر الى الذنب كما ان الطاعة تجر الى الطاعة وتكون
لطفا فيها وقال الحسن استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة وقيل
بعض ما كسبوا هو تركهم المركز الذي امرهم رسول الله بالثبات فيه
فجرهم ذلك الى الهزيمة وقيل ذكرتهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله
معها فأخروا الجهاد حتى يصلحوا امرهم ويجاهدوا على حال مرضية
فان قلت لم قيل ببعض ما كسبوا قلت هو كقوله تعالى ويعفو
عن كثير ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب
حليم لا يعاجل بالعقوبة وقالوا لاخوانهم اي لاجل اخوانهم كقوله
وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى
الاخوة اتفاق الجنس او النسب اذا ضربوا في الارض اذا
سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها او كانوا غزى جمع غاز
كعاف وعفى وقوله عن الحياض اجون وقرئ بتخفيف الزاي
على حذف التاء من غزاة فان قلت كيف قيل اذا ضربوا مع قالوا
قلت هو على حكاية الحال الماضية كقولك حين يضربون في
الارض فان قلت ما متعلق ليجعل قلت قالوا اي قالوا ذلك
واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم على ان اللام مثلها في ليكون لهم
عدوا وحزنا او لا تكونوا بمعنى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول
والاعتقاد ليجعله الله حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم

يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير

اوله ومغبرة الآفاق خاشعة الضحى

فإن قلت ما معنى إسناد الفعل إلى الله تعالى قلت معناه أن الله عز وجل عند اعتقادهم ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم والحسرة في قلوبهم ويضيق صدورهم عقوبة فاعتقاده فعلهم وما يكون عنده من الغم والحسرة وضيق الصدور فعل الله عز وجل كقوله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى ما دل عليه النهي أي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم لأن مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون ومضادتهم مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لقولهم أي الأمر بيده قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد كما يشاء وعن خالد بن الوليد أنه قال عند موته ما في موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة وها أنا ذا أموت كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء والله بما تعملون بصير فلا تكونوا مثلهم وقرئ بالياء يعني الذين كفروا لمغفرة جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك لإلى الله تحشرون كذب الكافرين أولا في زعمهم أن من سافر من إخوانهم أو غزا لو كان بالمدينة لما مات ونهى المسلمين عن ذلك لأنه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت أو القتل في سبيل الله فإن ما تنالونه من الرحمة والمغفرة بالموت في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وعن ابن عباس خير من طلاع الأرض ذهبة حمراء وقرئ بالياء أي يجمع الكفار لإلى الله تحشرون لإلى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون ولوقوع اسم الله تعالى هذا الموقع مع تقديمه

وإدخال اللام على الحرف المتصل به ليس بالحسن وقرئ متم بضم الميم وكسرها من مات يموت ومات يمات ما مزيدة للتوكيد والدلالة على أن لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله ونحوه فبما نقضهم ميثاقهم ومعنى الرحمة ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم حتى أثابهم غما بغم وآساهم بالمباثة بعد ما خالفوه وعصوا أمره وانهزموا وتركوه ولو كنت فظا جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك أحد منهم فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله إتماما للشفقة عليهم وشاورهم في الأمر يعني في أمر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي لتستظهر برأيهم ولما فيه من تطييب نفوسهم والرفع من أقدارهم وعن الحسن قد علم الله أنه ما به إليهم حاجة ولكنه أراد أن يستن به من بعده وعن النبي صلى الله عليه ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمرهم وعن أبي هريرة ما رأيت أحدا أكثر مشاورة من أصحاب رسول الله وقيل كانت سادات العرب إذا لم يشاوروا في الأمر شق عليهم فأمر الله رسوله بمشاورة أصحابه لئلا يثقل عليهم استبداده بالرأي دونهم وقرئ وشاورهم في بعض الأمر فإذا عزمت فإذا قطعت الرأي على شيء بعد الشورى فتوكل على الله في إمضاء أمرك على الأرشد الأصلح فإن ما هو أصلح لك لا يعلمه إلا الله لا أنت ولا من تشاور وقرئ فإذا عزمت بضم التاء بمعنى فإذا عزمت لك على شيء وأرشدتك إليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك أحدا إن ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا أحد يغلبكم وإن يخذلكم كما خذلكم يوم أحد فمن ذا الذي ينصركم وهذا تنبيه على أن الأمر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه

ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون

ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون

فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين

إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون

ونحو ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له
من بعده من بعد خذلانه أو يعني من قولك ليس لك من يحسن اليك
من بعد فلان تريد اذا جاوزته وقرئ وان يخذلكم
من اخذله اذا جعله مخذولا وفيه ترغيب في الطاعة وفيما يستحقون
به النصر من الله والتأييد وتحذير من المعصية ومما يستوجبون
به العقوبة بالخذلان وعلى الله وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل
والتفويض اليه لعلمهم انه لا ناصر سواه ولان ايمانهم يوجب
ذلك ويقتضيه وما كان لنبي ان يغل شيئا من المغنم غلولا واغل اغلالا
اذا اخذه في خفية يقال اغل الجازر اذا سرق من اللحم شيئا مع الجلد
والغل الحقد الكامن في الصدر ومنه قوله عليه السلام من بعثناه
على عمل فغل شيئا جاء يوم القيامة يحمله على عنقه وقوله هدايا الولاة
غلول وعنه عليه السلام ليس على المستعير غير المغل ضمان
وعنه لا اغلال ولا اسلال ويقال اغله اذا وجده غالا كقولك
ابخلته واجبنته ومعنى وما كان لنبي ان يغل وما صح له ذلك يعني
ان النبوة تنافي الغلول وكذلك من قرأ على البناء للمفعول فهو
راجع الى معنى الاول لان معناه وما صح له ان يوجد غالا ولا
يوجد غالا الا اذا كان غالا وفيه وجهان احدهما ان يبرأ
رسول الله من ذلك وينزه وينبه على عصمته بان النبوة
والغلول متنافيان لئلا يظن به ظان شيئا منه وان لا يستريب
به احد كما روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض
المنافقين لعل رسول الله اخذها وروي انها نزلت في غنائم
احد حين ترك الرماة المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا نخشى ان
يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له وان لا يقسم الغنائم كما لم يقسم
يوم بدر

وما كان لنبي ان يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون

امري

فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى يأتيكم
فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال عليه السلام بل ظننتم انا نغل ولا
نقسم لكم والثاني ان يكون مبالغة في النهي لرسول الله على ما روي انه
بعث طلائع فغنمت غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت يعني
وما كان لنبي ان يعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بالسوية
وسمى حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الامر ولو اريد
ان يغل من اغل بمعنى غل لجاز ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة يأت بالشيء
الذي غله بعينه يحمله كما جاء في الحديث جاء يوم القيامة يحمله على
عنقه وروي الا لا اعرفن احدكم يأتي ببعير له رغاء وببقرة لها
خوار وبشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك من
الله شيئا فقد بلغتك وعن بعض جفاة العرب انه سرق نافجة
مسك فتليت عليه الآية فقال اذا احملها طيبة الريح خفيفة المحمل
ويجوز ان يراد يأت بما احتمل من وباله وتبعته واثمه فان قلت
هلا قيل ثم يوفى ما كسب ليتصل به قلت جيء بعام دخل تحته
كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو ابلغ
واثبت لانه اذا علم الغال ان كل كاسب خيرا او شرا مجزي
موفى جزاءه علم انه غير متخلص منه مع عظم ما اكتسب وهم لا
يظلمون اي يعدل بينهم في الجزاء كل جزاؤه على قدر كسبه هم درجات
اي هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات كقوله انصب للمنية تعتريهم
رجالي ام هم درج السيول وقيل ذوو درجات والمعنى تفاوت
منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين او التفاوت بين
الثواب والعقاب والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها
فمجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين على من آمن مع رسول
الله

افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم

امام الجماعة

الرغاء صوت ذات الخف والثغاء صوت الشاء والمعز

من انفسهم من جنسهم عربيا مثلهم

من البشر لا من الملائكة والجن

من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون بمبعثه من انفسهم
من جنسهم عربيًا مثلهم وقيل من ولد اسمعيل كما انهم من ولده فان قلت
فما وجه المنة عليهم في ان كان من انفسهم قلت اذا كان منهم كان
اللسان واحدًا فيسهل اخذ ما يجب عليهم اخذه عنه وكانوا واقفين
على احواله في الصدق والامانة وكان ذلك اقرب لهم الى تصديقه
والوثوق به وفي كونه من انفسهم شرف لهم كقوله وانه لذكر لك ولقومك
وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وقراءة فاطمة رضي الله عنها من
أنفَسهم اي من اشرفهم لان عدنان ذروة ولد اسمعيل ومضر ذروة
نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف
وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد صلى الله عليه وفيما خطب به
ابو طالب في تزويج خديجة رضي الله عنها وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء
مضر الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ
معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا
بيتًا محجوجًا وحرمًا آمنًا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخي
هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به فتى من قريش الا رجح به وهو والله
بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقرئ لمن منّ الله على المؤمنين
منه او بعثه اذ بعث فيهم فحذف لقيام الدلالة او يكون اذ في
محل الرفع كاذا في قولك اخطب ما يكون الامير اذا كان قائمًا بمعنى
لمن منّ الله على المؤمنين وقت بعثه يتلو عليهم آياته بعد ما كانوا
اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي ويزكيهم ويطهرهم من
دنس القلوب بالكفر ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات
والخبائث وقيل ويأخذ منهم الزكوة ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن
والسنة بعد ما كانوا اجهل الناس وابعدهم من دراسة العلوم

يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين

وان كانوا من قبل من قبل بعثة الرسول لفي ضلال ان هي
المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية
وتقديره وان الشأن والحديث كانوا من قبل في ضلال مبين
ظاهر لا شبهة فيه اصابتكم مصيبة يريد ما اصابهم يوم احد
من قتل سبعين منهم قد اصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين
واسر سبعين ولما نصب بقلتم واصابتكم في محل الجر باضافة
لما اليه وتقديره اقلتم حين اصابتكم وانى هذا نصب لانه
مقول والهمزة للتقرير والتقريع فان قلت علام عطفت
الواو هذه الجملة قلت على ما مضى من قصة احد من قوله ولقد
صدقكم الله وعده ويجوز ان تكون معطوفة على محذوف كانه قيل
افعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا انى هذا من اين هذا كقوله انى
لك هذا قل هو من عند انفسكم وقوله من عند الله والمعنى انتم
السبب فيما اصابكم لاختياركم الخروج من المدينة او لتخليتكم
المركز وعن علي رضي الله عنه لأخذكم الفداء من اسارى بدر قبل
ان يؤذن لكم ان الله على كل شيء قدير فهو قادر على النصر وعلى
منعه وعلى ان يصيب بكم ويصيب منكم يوم احد وما اصابكم
يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين فهو كائن باذن الله
بتخليته استعار الاذن لتخليته الكفار وانه لم يمنعهم منهم ليبتليهم
لان الاذن مخل بين المأذون له ومراده وليعلم وهو كائن ليتميز
المؤمنون والمنافقون وليظهر ايمان هؤلاء ونفاق هؤلاء وقيل
لهم من جملة الصلة عطف على نافقوا وانما لم يقل فقالوا لانه جواب
لسؤال اقتضاه دعاء المؤمنين لهم الى القتال كانه قيل فماذا
قالوا لهم فقيل قالوا لو نعلم ويجوز ان تقتصر الصلة على نافقوا ويكون
وقيل لهم كلامًا مبتدأ

اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم ان الله على كل شيء قدير

وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا

قسم الامر عليهم بين ان يقاتلوا للآخرة كما يقاتل المومنون وبين
ان يقاتلوا ان لم تكن بهم الآخرة دفعا عن انفسهم واهليهم
واموالهم فابوا القتال وجحدوا القدرة عليه راسا لنفاقهم ودغلهم
وذلك ما روي ان عبد الله بن ابي انخذل مع حلفائه فقيل
له فقال ذلك وقيل او ادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين
وان لم تقاتلوا لان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه
وعن سهل بن سعد الساعدي وقد كف بصره لو امكنني
لبعت داري ولحقت بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم وبين
عدوهم قيل وكيف وقد ذهب بصرك قال لقوله او ادفعوا
اراد اكثر سوادهم وجه آخر وهو ان يكون معنى قولهم لو نعلم
قتالا لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم يعنون ان ما
انتم فيه لخطا رايكم وزللكم عن الصواب ليس بشيء ولا يقال
لمثله قتال انما هو القاء بالانفس الى التهلكة لان راي عبد الله
كان في الاقامة بالمدينة وما كان يستصوب الخروج هم للكفر
يومئذ اقرب منهم للايمان يعني انهم قبل ذلك اليوم كانوا
يتظاهرون بالايمان وما ظهرت منهم امارة تؤذن بكفرهم
فلما انخذلوا عن عسكر المومنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك
عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل الكفر
اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين
بالانخذال تقوية للمشركين يقولون بافواههم لا يتجاوز ايمانهم
افواههم ومخارج الحروف منهم ولا تعي قلوبهم منه شيا وذكر
الافواه مع القلوب تصوير لنفاقهم وان ايمانهم موجود في
افواههم معدوم في قلوبهم خلاف صفة المومنين في مواطاة قلوبهم
لافواههم

قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم

الثغر الموضع الفاصل بين دار الاسلام ودار الحرب

هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتمون

نصرة نصب على التمييز

والله اعلم بما يكتمون من النفاق وبما يجري بعضهم مع بعض من ذم المومنين
وتجهيلهم وتخطئة رايهم والشماتة بهم وغير ذلك لانكم تعلمون
بعض ذلك علما مجملا بامارات وانا اعلم كله علم احاطة بتفاصيله
وكيفياته الذين قالوا في اعرابه اوجه ان يكون نصبا على الذم او
على الرد على الذين نافقوا او رفعا على هم الذين قالوا او على الابدال
من واو يكتمون ويجوز ان يكون مجرورا بدلا من الضمير في بافواههم
او قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم لاجل اخوانهم من
جنس المنافقين المقتولين يوم احد او اخوانهم في النسب وفي
سكنى الدار وقعدوا اي قالوا وقد قعدوا عن القتال لو اطاعنا
اخواننا فيما امرناهم به من القعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم
نقتل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين معناه
قل ان كنتم صادقين في انكم وجدتم الى دفع القتل سبيلا وهو
القعود عن القتال فجدوا الى دفع الموت سبيلا يعني ان ذلك
الدفع غير مغن عنكم لانكم ان دفعتم القتل الذي هو احد اسباب
الموت لم تقدروا على دفع سائر اسبابه المبثوثة ولا بد لكم من ان
يتعلق بكم بعضها وروي انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون
منافقا فان قلت فقد كانوا صادقين في انهم دفعوا القتل
عن انفسهم بالقعود فما معنى قوله ان كنتم صادقين قلت معناه
ان النجاة من القتل يجوز ان يكون سببها القعود عن القتال
وان يكون غيره لان اسباب النجاة كثيرة وقد يكون قتال الرجل سبب
نجاته ولو لم يقاتل لقتل فما يدريكم ان سبب نجاتكم القعود وانكم صادقون
في مقالتكم وما انكرتم ان يكون السبب غيره ووجه آخر ان كنتم صادقين
في قولكم لو اطاعونا وقعدوا ما قتلوا يعني انهم لو اطاعوكم وقعدوا
لقتلوا قاعدين

الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين

التنصيص في الاول ... والكيفية في الاحوال

اول على حالة لو ان في القوم حاتما ... الاسم الظاهر مقام الضمير

في زمن لم يشهد القتال ... ولن الحذر يغني عن القدر

كما قتلوا مقاتلين وقوله فادرءوا عن انفسكم الموت تبكيتهم اى
ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب الموت فادرءوا جميع اسبابه
حتى لا تموتوا ولا تحسبن الخطاب لرسول الله او لكل احد وقرئ بالياء
على ولا يحسبن رسول الله او ولا يحسبن حاسب ويجوز ان يكون الذين
قتلوا فاعلا ويكون التقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا امواتا
اى ولا يحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا فان قلت كيف جاز
حذف المفعول الاول قلت هو في الاصل مبتدا فحذف كما حذف
المبتدا في قوله احياء والمعنى هم احياء لدلالة الكلام عليهما وقرئ
ولا تحسبن بفتح السين وقتلوا بالتشديد واحياء بالنصب على
معنى بل احسبهم احياء عند ربهم مقربون عنده ذوو زلفى كقوله
فالذين عند ربك يرزقون مثل ما يرزق سائر الاحياء ياكلون
ويشربون وهو تاكيد لكونهم احياء ووصف لحالهم التي هم عليها
من التنعم برزق الله فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو التوفيق
في الشهادة وما ساق اليهم من الكرامة والتفضيل على
غيرهم من كونهم احياء مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها وعن
النبي صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم
في اجواف طير خضر تدور في انهار الجنة وتاكل من ثمارها
وتاوي الى قناديل معلقة في ظل العرش ويستبشرون باخوانهم
المجاهدين الذين لم يلحقوا بهم اى لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم
يريد الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم وقيل لم
يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم ان لا خوف عليهم بدل من
الذين والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم
من المؤمنين وهو انهم يبعثون آمنين يوم القيامة بشرهم الله

ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله ~~في سبيل الله~~ امواتا بل احياء عند ربهم

فيه نظر

يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل ان الله لا يضيع اجر المؤمنين

من ذهب

ذلك فهم مستبشرون به وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم
بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على ازدياد الطاعة والجد
في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء واصابة فضلهم واحماد
لحال من يرى نفسه في خير فيتمنى مثله لاخوانه في الله وبشرى
للمؤمنين بالفوز في المآب وكرر يستبشرون ليعلق به ما هو بيان
لقوله ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون من ذكر النعمة والفضل
وان ذلك اجر لهم على ايمانهم يجب في عدل الله وحكمته ان يحصل
لهم ولا يضيع وقرئ وان الله بالفتح عطفا على النعمة والفضل
وبالكسر على الابتداء وعلى ان الجملة اعتراض وهي قراءة الكسائي
ويعضدها قراءة عبد الله والله لا يضيع الذين استجابوا
مبتدا خبره للذين احسنوا او صفة للمؤمنين او نصب على المدح
روى ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء
ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله فاراد ان يرهبهم
ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب
ابي سفيان وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس
فخرج صلى الله عليه مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي
من المدينة على ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فتحاملوا
على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب
المشركين فذهبوا فنزلت ومن في للذين احسنوا منهم للتبيين
مثلها في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
منهم مغفرة لان الذين استجابوا لله والرسول قد احسنوا
كلهم واتقوا لا بعضهم وعن عروة بن الزبير قالت لي عائشة ان
ابويك لمن الذين استجابوا لله والرسول تعني ابا بكر والزبير الذين

اى لنسبة فعله الى الحمد وانه يستحق الحمد

عطف على بعث

ذكر احوال اخوانهم وهذا احوال انفسهم

الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم

اسم بلد

ارجع جرحنا الواقعة في الامس

التحامل في المشي ان يتكلف على مشقة واعياء

فائدة التبيين في الاجر عن الغير واختصاصه بهم

الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل

قال الناس قد جمعوا لكم روى ان ابا سفيان نادى عند انصرافه
من احد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال
صلى الله عليه ان شاء الله فلما كان القابل خرج ابو سفيان
في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقى الله الرعب في
قلبه فبدا له ان يرجع فلقى نعيم بن مسعود الاشجعي وقد
قدم معتمرا فقال يا نعيم اني واعدت محمدا ان نلتقي
بموسم بدر وان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى
فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ولكن ان خرج
محمد ولم اخرج زاده ذلك جراءة فالحق بالمدينة فثبطهم
ولك عندي عشر من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين
يتجهزون فقال لهم ما هذا بالراي اتوكم في دياركم وقرابكم
فلم يفلت منكم الا الشريد افتريدون ان تخرجوا وقد
جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم احد وقيل
مر بابي سفيان ركب من عبد القيس يريدون المدينة
للميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوهم فكره المسلمون
الخروج فقال عليه السلم والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم
يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا
الله ونعم الوكيل وهي الكلمة التي قالها ابراهيم صلوات
الله عليه حين القي في النار حتى وافوا بدرا واقاموا
بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا
خيرا ثم انصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ورجع
ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق
قالوا انما خرجتم لتشربوا السويق والناس الاولون المثبطون

والاخرون ابو سفيان واصحابه فان قلت كيف قيل الناس
ان كان نعيم هو المثبط وحده قلت قيل ذلك لانه من
جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل ويلبس البرود
وما له الا فرس واحد وبرد فرد ولانه حين قال ذلك
لم يخل من ناس من اهل المدينة يضامونه ويصلون جناح
كلامه ويثبطون مثل تثبيطه فان قلت الام يرجع المستكن
في فزادهم قلت الى المقول الذي هو ان الناس قد جمعوا
لكم فاخشوهم كانه قيل قالوا لهم هذا الكلام فزادهم ايمانا
او الى مصدر قالوا كقولك من صدق كان خيرا له او الى
الناس اذا اريد به نعيم وحده فان قلت كيف زادهم
نعيم او مقوله ايمانا قلت لما لم يسمعوا قوله واخلصوا عنده
النية والعزم على الجهاد واظهروا حمية الاسلام كان
ذلك اثبت ليقينهم واقوى لاعتقادهم كما يزداد الايقان
بتناصر الحجج ولان خروجهم على اثر تثبيطه الى وجهة العدو طاعة
عظيمة والطاعات من جملة الايمان لان الايمان اعتقاد
واقرار وعمل وعن ابن عمر قلنا يا رسول الله ان الايمان
يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص
حتى يدخل صاحبه النار وعن عمر انه كان ياخذ بيد الرجل
فيقول قم بنا نزدد ايمانا وعنه لو وزن ايمان ابي بكر بايمان
هذه الامة لرجح به حسبنا الله محسبنا الله اي كافينا يقال
احسبه الشيء اذا كفاه والدليل على انه بمعنى المحسب انك
تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لان اضافته
لكونه في معنى اسم الفاعل غير حقيقية ونعم الوكيل ونعم الموكول
اليه هو

المخصوص بالمدح

فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله وهي السلامة وحذر العدو منهم
وفضل وهو الربح في التجارة لقوله ليس عليكم جناح أن تبتغوا
فضلا من ربكم لم يمسسهم سوء لم يلقوا ما يسوؤهم من كيد عدو
واتبعوا رضوان الله بجراءتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم
قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا وفي ذلك تحسير لمن تخلف
عنهم واظهار لخطأ رأيهم حيث حرموا أنفسهم ما فاز به هؤلاء
وروي أنهم قالوا هل يكون هذا غزوا فأعطاهم الله ثواب
الغزو ورضي عنهم إنما ذلكم الشيطان خبر ذلكم بمعنى أن ذلكم المثبط هو
الشيطان ويخوف أولياءه جملة مستأنفة بيان لشيطنته أو
الشيطان صفة لاسم الاشارة ويخوف الخبر والمراد بالشيطان
نعيم أو أبو سفيان ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف يعني
إنما ذلكم قول الشيطان أي قول إبليس لعنه الله يخوف أولياءه
يخوفكم أولياءه الذين هم أبو سفيان وأصحابه وتدل عليه قراءة
ابن عباس وابن مسعود يخوفكم أولياءه وقوله فلا تخافوهم وقيل
يخوف أولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله فإن قلت
فإلام رجع الضمير في فلا تخافوهم على هذا التفسير قلت إلى
الناس في قوله إن الناس قد جمعوا لكم فلا تخافوهم فتقعدوا عن
القتال وتجبنوا وخافوني فجاهدوا مع رسولي وسارعوا إلى ما
يأمركم به إن كنتم مؤمنين يعني أن الإيمان يقتضي أن تؤثروا
خوف الله على خوف الناس ولا يخشون أحدا إلا الله يسارعون
في الكفر يقعون فيه سريعا ويرغبون فيه أشد رغبة وهم الذين
نافقوا من المتخلفين وقيل هم قوم ارتدوا عن الإسلام فإن قلت
فما معنى قوله ولا يحزنك ومن حق الرسول أن يحزن لنفاق من نافق
وارتداد من

فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم

وخافوني إن كنتم مؤمنين ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروا الله شيئا

قلت معناه لا يحزنوك لخوف أن يضروك ويعينوا عليك ألا ترى إلى قوله
إنهم لن يضروا الله شيئا يعني أنهم لا يضرون بمسارعتهم في الكفر
غير أنفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم ثم بين كيف يعود وباله
عليهم بقوله يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة أي نصيبا من
الثواب ولهم بدل الثواب عذاب عظيم وذلك أبلغ ما ضر به الإنسان
نفسه فإن قلت هلا قيل لا يجعل الله لهم حظا في الآخرة وأي
فائدة في ذكر الإرادة قلت فائدته الإشعار بأن الداعي إلى
حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خلوصا لم يبق معه صارف قط حين
سارعوا في الكفر تنبيها على تماديهم في الطغيان وبلوغهم الغاية فيه
حتى أن أرحم الراحمين يريد أن لا يرحمهم إن الذين اشتروا الكفر
بالإيمان إما أن يكون تكريرا لذكرهم للتأكيد والتسجيل عليهم
بما أضاف إليهم وإما أن يكون عاما للكفار والأول خاصا فيمن
نافق من المتخلفين أو ارتد عن الإسلام أو على العكس وشيئا
نصب على المصدر لأن المعنى شيئا من الضرر وبعض الضرر الذين
كفروا فيمن قرأ بالتاء نصب وأنما نملي لهم خير لأنفسهم بدل منه
أي ولا تحسبن أنما نملي للكافرين خير لهم وأن مع ما في حيزه
ينوب عن المفعولين كقوله أم تحسب أن أكثرهم يسمعون وما مصدرية
بمعنى ولا تحسبن أن إملاءنا خير وكان حقها في قياس علم الخط
أن تكتب مفصولة ولكنها وقعت في الإمام متصلة فلا تخالف
وتتبع سنة الإمام في خط المصاحف فإن قلت كيف صح مجيء
البدل ولم يذكر إلا أحد المفعولين ولا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان
على مفعول واحد قلت صح ذلك من حيث أن التعويل على البدل
والمبدل منه في حكم المنحى ألا تراك تقول جعلت متاعك بعضه

يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم

إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين

مع اتساع سلوكك على متاعك دون أن تثقله مضاف محذوف على ولا
يحسبن الذين كفروا أصحاب أن الإملاء خير لأنفسهم أو ولا
تحسبن حال الذين كفروا أن الإملاء خير لأنفسهم وسوى بهم قراءة
بالياء رفع والفعل متعلق بأن وما في حيزه والإملاء لهم تخليتهم
وشأنهم مستعار من أملى لفرسه إذا أرخى له الطول ليرعى كيف
شاء وقيل هو إمهالهم وإطالة عمرهم والمعنى ولا تحسبن أن الإملاء
خير لهم من قطع آجالهم إنما نملي لهم ما هذه حقها أن تكتب متصلة
لأنها كافة دون الأولى وهذه جملة مستأنفة تعليل للجملة قبلها
كأنه قيل ما بالهم لا يحسبونه الإملاء خيرا لهم فقيل إنما نملي لهم ليزدادوا
إثما فإن قلت كيف جاز أن يكون ازدياد الإثم غرضا لله تعالى
في إملائه قلت هو علة للإملاء وما كل علة بغرض ألا تراك
تقول قعدت عن الغزو للعجز والفاقة وخرجت من البلد لمخافة
الشر وليس شيء منها بغرض لك وإنما هي علل وأسباب فكذلك
ازدياد الإثم جعل علة للإمهال وسببا فيه فإن قلت كيف
يكون ازدياد الإثم علة للإملاء كما كان العجز علة للقعود عن
الحرب قلت لما كان في علم الله المحيط بكل شيء أنهم مزدادون
إثما فكان الإملاء من أجله وبسببه على طريق المجاز وقرأ يحيى بن
وثاب بكسر الأولى وفتح الثانية ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن
الذين كفروا أن إملاءنا لازدياد الإثم كما يفعلون وإنما هو ليتوبوا
ويدخلوا في الإيمان وقوله إنما نملي لهم خير لأنفسهم اعتراض بين الفعل
ومعموله ومعناه إن إملاءنا خير لأنفسهم إن عملوا فيه وعرفوا إنعام
الله عليهم بتفسيح المدة وترك المعاجلة بالعقوبة فإن قلت فما
معنى قوله ولهم عذاب مهين على هذه القراءة قلت معناه ولا
يحسبوا

وعلى الوجه الثاني والثالث لا يكون أنما نملي لهم بدلا عن الذين كفروا بل كان المعمولان مفعولين

منعهم أو

مذهب أهل الاعتزال أن المقتول مقطوع عليه أجله

المقتول ميت بأجله

هذا مذهب المعتزلة وعند أهل السنة لا يصح الإملاء علة والإملاء فعل الله تعالى ويجوز أن لا يكون العمل بالمعتزلة وعند المعتزلة الفعل حادث فيكون الفعل معللا بالعلة

وقع

أن إملاءنا لزيادة الإثم وللتعذيب والواو للحال كأنه قيل ليزدادوا
إثما معدا لهم عذاب مهين اللام لتأكيد النفي على ما أنتم عليه من
اختلاط المؤمنين الخلص والمنافقين حتى يميز الخبيث من
الطيب حتى يعزل المنافق عن المخلص وقرئ يُميِّز من ميّز وفي
رواية عن ابن كثير يُميز من أماز بمعنى ميّز فإن قلت لمن الخطاب
في أنتم قلت للمصدقين جميعا من أهل الإخلاص والنفاق
كأنه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي أنتم عليها
من اختلاط بعضكم ببعض وأنه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم
على التصديق جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي إلى نبيه وإخباره
بأحوالكم ثم قال وما كان الله ليطلعكم على الغيب أي وما كان
الله ليؤتي أحدا منكم علم الغيوب فلا تتوهموا عند إخبار الرسول
بنفاق الرجل وإخلاص الآخر أنه يطلع على ما في القلوب اطلاع
الله فيخبر عن كفرها وإيمانها ولكن الله يرسل الرسول فيوحي إليه ويخبره
بأن في الغيب كذا وأن فلانا في قلبه النفاق وفلانا في قلبه الإخلاص
فيعلم ذلك من جهة إخبار الله لا من جهة اطلاعه على المغيبات
ويجوز أن يراد لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بأن
يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها إلا الخلص الذين
امتحن الله قلوبهم كبذل الأرواح في الجهاد وإنفاق الأموال في
سبيل الله فيجعل ذلك عيارا على عقائدكم وشاهدا بضمائركم
حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق الاستدلال لا من جهة الوقوف
على ذات الصدور والاطلاع عليها فإن ذلك مما استأثر الله به
وما كان الله ليطلع أحدا منكم على الغيب ومضمرات القلوب
حتى يعرف صحيحها من فاسدها مطلعا عليها ولكن الله يجتبي من
رسله

ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم

قلم

استأثر الله اختاره لنفسه

من يشاء فيخبره ببعض المغيبات. فآمنوا بالله ورسله بأن تقدروه حق قدره
وتعلموه وحده مطلعا على الغيوب وأن تنزلوهم منازلهم بأن تعلموهم
عبادا مجتبين لا يعلمون إلا ما علمهم الله ولا يخبرون إلا بما أخبرهم
الله به من الغيوب وليسوا من علم الغيب في شيء. وعن السدي
قال الكافرون إن كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر
فنزلت. ولا يحسبن من قرأ بالتاء قدر مضافا محذوفا أي ولا تحسبن
بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذلك من قرأ بالياء وجعل فاعله
يحسبن ضمير رسول الله أو ضمير أحد ومن جعل فاعله الذين يبخلون
كان المفعول الأول عنده محذوفا تقديره ولا يحسبن الذين يبخلون
بخلهم هو خيرا لهم والذي سوغ حذفه دلالة يبخلون عليه وهو فصل
وقرأ الأعمش بغير هو. سيطوقون تفسير لقوله هو شر لهم أي
سيلزمون وبال ما بخلوا به إلزام الطوق وفي أمثالهم تقلدها
طوق الحمامة إذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقيل يجعل ما بخل به
من الزكوة حية يطوقها في عنقه يوم القيامة تنهشه من قرنه إلى قدمه
وتنقر رأسه وتقول أنا مالك. وعن النبي صلى الله عليه في مانع الزكوة
يطوق بشجاع أقرع وروي بشجاع أسود. وعن النخعي سيطوقون
بطوق من نار. ولله ميراث السموات والأرض أي وله ما فيهما مما
يتوارثه أهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه
في سبيله ونحوه قوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه. وقرئ بما
تعملون بالتاء والياء فالتاء على طريقة الالتفات وهي أبلغ في
الوعيد والياء على الظاهر. قال ذلك اليهود حين سمعوا قول الله
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فلا يخلو إما أن يقولوه عن
اعتقاد لذلك أو عن استهزاء بالقرآن وأيهما كان فالكلمة عظيمة

ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتيهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم

سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة

ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير

لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء

لا تصدر إلا عن متمردين في كفرهم ومعنى سماع الله له أنه لم يخف عليه
وأنه أعد له كفاءه من العقاب. سنكتب ما قالوا في صحائف الحفظة أو
سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب. فإن قلت كيف
قال لقد سمع الله ثم قال سنكتب وهلا قيل لقد كتبنا قلت ذكر
وجود السماع أولا مؤكدا بالقسم ثم قال سنكتب ~~وهلا قيل ولقد كتبنا~~
~~قلت ذكر وجود السماع أولا مؤكدا بالقسم ثم قال سنكتب~~ على جهة
الوعيد بمعنى لن يفوتنا أبدا إثباته وتدوينه كما لن يفوتنا قتلهم
الأنبياء. وجعل قتلهم الأنبياء قرينة له إيذانا بأنهما في العظم أخوان
وبأن هذا ليس بأول ما ركبوه من العظائم وأنهم أصلاء في الكفر ولهم
فيه سوابق وأن من قتل الأنبياء لم يستبعد منه الاجتراء على
مثل هذا القول. وروي أن رسول الله صلى الله عليه كتب مع أبي
بكر رضي الله عنه إلى يهود بني قينقاع يدعوهم إلى الإسلام وإلى
إقام الصلوة وإيتاء الزكوة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا فقال
فنحاص اليهودي إن الله فقير حين سألنا القرض فلطمه أبو بكر
في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك
فشكاه إلى رسول الله وجحد ما قاله فنزلت. ونقول لهم بتأويله
فنقول لهم ذوقوا وننتقم منهم بأن نقول لهم يوم القيامة ذوقوا
عذاب الحريق كما أذقتم المسلمين الغصص. يقال للمنتقم منه أحس
وذق وقال أبو سفيان لحمزة رضي الله عنه ذق عقق. وقرأ حمزة سيكتب
بالياء على البناء للمفعول ويقول بالياء. وقرأ الحسن والأعرج سيكتب
بالياء وتسمية الفاعل. وقرأ ابن مسعود ويقال ذوقوا. ذلك إشارة
إلى ما تقدم من عقابهم. وذكر الأيدي لأن أكثر الأعمال تزاول بهن
فجعل كل عمل كالواقع بالأيدي على سبيل التغليب. فإن قلت

سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق

ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد

فلم عطف قوله وأن الله ليس بظلام للعبيد على ما قدمت أيديكم وكيف
كونه غير ظلام للعبيد شريكا لاجتراحهم السيئات في استحقاق
التعذيب قلت معنى كونه غير ظلام للعبيد أنه عادل عليهم ومن العدل
أن يعاقب المسيء منهم ويثيب المحسن عهد إلينا أمرنا في التوراة
وأوصانا بأن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه الآية الخاصة وهو
أن يرينا قربانا تنزل نار من السماء فتأكله كما كان أنبياء بني إسرائيل
تلك آيتهم كان يتقرب بالقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار من
السماء فتأكله وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله لأن أكل النار
القربان لم يوجب الإيمان للرسول الآتي به إلا لكونه آية ومعجزة
فهو إذا وسائر الآيات سواء فلا يجوز أن يعينه الله تعالى من بين
الآيات وقد ألزمهم الله أن أنبياءهم جاءوهم بالبينات الكثيرة
التي أوجبت عليهم التصديق وجاءوهم أيضا بهذه الآية التي اقترحوها
فلم قتلوهم إن كانوا صادقين في أن الإيمان يلزمهم بإتيانها وقرئ
بقربان بضمتين ونظيره السلطان فإن قلت ما معنى قوله وبالذي
قلتم قلت معناه وبمعنى الذي قلتموه من قولكم قربان تأكله النار
ومؤداه كقوله ثم يعودون لما قالوا أي لمعنى ما قالوا في مصاحف
أهل الشام وبالزبر وهي الصحف والكتاب المنير التوراة والإنجيل
والزبور وهذه تسلية لرسول الله من تكذيب قومه وتكذيب اليهود وقرأ
اليزيدي ذائقة الموت على الأصل وقرأ الأعمش ذائقة الموت
بطرح التنوين مع النصب كقوله ولا ذاكر الله إلا قليلا فإن قلت
كيف اتصل به قوله وإنما توفون أجوركم قلت اتصاله به على أن كلكم
تموتون لا بد لكم من الموت ولا توفون أجوركم على طاعاتكم ومعاصيكم
عقيب موتكم وإنما توفونها يوم قيامكم عن القبور فإن قلت فهذا يوهم

نفي ما يروى أن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار قلت
كلمة التوفية تزيل هذا الوهم لأن المعنى أن توفية الأجور وتكميلها يكون
ذلك اليوم وما يكون قبل ذلك فبعض الأجور الزحزحة التنحية
والإبعاد تكرير الزح وهو الجذب بعجلة فقد فاز فقد حصل له الفوز
المطلق المتناول لكل ما يفاز به ولا غاية للفوز وراء النجاة من
سخط الله والعذاب السرمد ونيل رضوان الله والنعيم المخلد
اللهم وفقنا لما ندرك به عندك الفوز في المآب وعن النبي صلى الله عليه
من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو
يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى
إليه وهذا شامل للمحافظة على حقوق الله وحقوق العباد شبه
الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين
له فساده ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد بن
جبير إنما هذا لمن آثرها على الآخرة فأما من طلب الآخرة بها
فإنها متاع بلاغ خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا أنفسهم
على احتمال ما سيلقون من الأذى والشدائد والصبر عليها
حتى إذا لقوها لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من
تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه والبلاء في
الأنفس القتل والأسر والجراح وما يرد عليها من أنواع المخاوف
والمصائب وفي الأموال الإنفاق في سبيل الخير وما يقع فيها من
الآفات وما يسمعون من أهل الكتاب المطاعن في الدين الحنيف
وصد من أراد الإيمان وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن
الأشرف من هجائه لرسول الله وتحريض المشركين ومن
فنحاص ومن بني قريظة والنضير فإن ذلك فإن الصبر والتقوى

من عزم الامور من معزومات الامور اي مما يجب العزم عليه من الامور
او مما عزم الله ان يكون يعني ان ذلك عزمة من عزمات الله لا
بد لكم ان تصبروا وتتقوا واذ اخذ الله واذكر وقت اخذ الله ميثاق
اهل الكتاب لتبيننه الضمير للكتاب اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب
واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل اذا عزم عليه وقيل له آلله لتفعلن
فنبذوه وراء ظهورهم فنبذوا الميثاق وتاكيده عليهم يعني لم يراعوه
ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد
ونقيضه جعله نصب عينيه والقاه بين عينيه وكفى به دليلا على
انه ماخوذ على العلماء ان يبينوا الحق للناس وما علموه وان لا يكتموا
منه شيا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم
واستجلاب لمسارهم او لجر منفعة وحطام دنيا او لتقية مما
لا دليل عليه ولا امارة او لبخل بالعلم وغيرة ان ينسب اليه غيرهم
وعن النبي صلى الله عليه من كتم علما من اهله الجم بلجام من نار وعن
طاوس انه قال لوهب اني ارى الله سوف يعذبك بهذه الكتب
وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرايت ان الله سيعذبك
وعن محمد بن كعب لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل
لجاهل ان يسكت على جهله حتى يسال وعن علي رضي الله عنه ما اخذ
الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا وقرئ
ليبيننه ولا يكتمونه بالياء لانهم غيب وبالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله
وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن لا تحسبن خطاب
لرسول الله واحد المفعولين الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله
فلا تحسبنهم تاكيد تقديره لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين
وقرئ لا تحسبن فلا تحسبنهم بضم الباء على خطاب المومنين

وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون

غيب

لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا

ولا يحسبن فلا يحسبنهم بالياء وفتح الباء فيهما على ان الفعل للرسول
وقرا ابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان
الفعل للذين يفرحون والمفعول الاول محذوف على لا يحسبنهم الذين
يفرحون بمفازة بمعنى لا يحسبن انفسهم الذين يفرحون فائزين فلا
يحسبنهم تاكيد ومعنى بما اتوا بما فعلوا واتى وجاء يستعملان بمعنى
فعل قال الله تعالى انه كان وعده ماتيا لقد جئت شيا فريا ويدل
عليه قراءة ابي يفرحون بما فعلوا وقرئ آتوا بمعنى اعطوا وعن علي
رضي الله عنه بما اوتوا ومعنى بمفازة من العذاب بمنجاة منه روي
ان رسول الله صلى الله عليه سال اليهود عن شيء مما في التوراة
فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم قد صدقوه واستحمدوا
اليه وفرحوا بما فعلوا فاطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما انزل
من وعيدهم اي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم
عليك ويحبون ان تحمدهم بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق عما سالتهم
عنه ناجين من العذاب ومعنى يفرحون بما اتوا بما اوتوا من
علم التوراة وقيل يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت رسول الله
ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من اتباع دين ابراهيم حيث ادعوا
ان ابراهيم كان على اليهودية وانهم على دينه وقيل هم قوم تخلفوا
عن الغزو مع رسول الله فلما قفل اعتذروا اليه بانهم راوا المصلحة
في التخلف واستحمدوا اليه بترك الخروج وقيل هم المنافقون
يفرحون بما اتوا من اظهار الايمان للمسلمين ومنافقتهم وتوصلهم
بذلك الى اغراضهم ويستحمدون اليهم بالايمان الذي لم يفعلوه
على الحقيقة لابطانهم الكفر ويجوز ان يكون شاملا لكل من ياتي
بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب ويحب ان يحمده الناس ويثنوا
عليه

فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم ولله ملك السموات والأرض والله على كل شيء قدير

بالباطل الذين يعبدون الشمس فيه ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم وهو
على كل شي قدير فهو ينبه على عظيم آيات لادلة واضحة على بالغ
وعظيم قدرته وباهر حكمته لاولي الالباب الذين يفتحون بصائرهم
للنظر والاستدلال والاعتبار ولا ينظرون اليها نظر البهائم غافلين
عما فيها من عجائب الفطر وفي النصائح الصغار املا عينيك من
زينة هذه الكواكب واجلها في جملة هذه العجائب متفكرا في قدرة
مقدرها متدبرا حكمة مدبرها قبل ان يسافر بك القدر ويحال بينك
وبين النظر وعن ابن عمر رضي الله عنه قلت لعائشة رضي الله عنها اخبريني
باعجب ما رايت من رسول الله صلى الله عليه فبكت واطالت ثم قالت
كل امره عجب اتاني في ليلتي فدخل في اللحاف حتى الصق جلده بجلدي
ثم قال يا عايشة هل لك ان تاذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا
رسول الله اني لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى
قربة من ماء في البيت فتوضا ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي
فقرا من القران وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله
واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رايت دموعه قد
بلت الارض فاتاه بلال يوذنه بصلوة الغداة فرآه يبكي فقال
له يا رسول الله اتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر
فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال ويل لمن قراها ولم
يتفكر فيها وروي ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتامل فيها وعن علي رضي
الله عنه ان النبي صلى الله عليه كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر
الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض وحكي ان الرجل
من بني اسرائيل كان اذا عبد الله ثلاثين سنة اظلته سحابة
فعبدها فتى من فتيانهم فلم تظله فقالت له امه لعل فرطة فرطت

ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم

اربا تهوا من العادة

الجمعة انا دعاكم الله انا دود ه الاكبر

وما لي لا ابكي وقد انزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض ثم قال

منك في تبتك قال ما اذكر قالت لعلك نظرت مرة الى السماء
ولم تعتبر قال لعل قالت فما اتيت الا من ذاك يذكرون الله ذكرا
دائبا على اي حال كانوا من قيام وقعود واضطجاع لا يخلون بالذكر
في اغلب احوالهم وعن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة انهم
خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون الله فقال بعضهم اما
قال الله تعالى يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله على
اقدامهم وعن النبي صلى الله عليه من احب ان يرتع في رياض الجنة
فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون في هذه الاحوال على حسب
استطاعتهم قال رسول الله لعمران بن الحصين صل قائما فان
لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء وهذه
حجة للشافعي رحمه الله في اضطجاع المريض على جنبه كما في اللحد وعند
ابي حنيفة رحمه الله انه يستلقي حتى اذا وجد خفة قعد ومحل على
جنوبهم نصب على الحال عطفا على ما قبله كانه قيل قياما وقعودا
ومضطجعين ويتفكرون في خلق السموات والارض وما يدل عليه
اختراع هذه الاجرام العظام وابداع صنعتها وما دبر فيها مما
تكل الافهام عن ادراك بعض عجائبه على عظم شان الصانع
وكبرياء سلطانه وعن سفيان الثوري انه صلى خلف المقام ركعتين
ثم رفع راسه الى السماء فلما راى الكواكب غشي عليه وكان يبول
الدم من طول حزنه وفكرته وعن النبي صلى الله عليه بينا رجل مستلق
على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال اشهد
ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وقال النبي
عليه السلام لا عبادة كالتفكر وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث
للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات وما جليت القلوب
بمثل الاحزان

أوتيت

هذا ادل على ما ذكره العلماء

ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار

ولا استنارت بمثل الفكرة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له في كل يوم
مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في
امر الله الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر ان يعمل
بجوارحه في اليوم مثل عمل اهل الارض ربنا ما خلقت هذا
باطلا على ارادة القول اي يقولون ذلك وهو في محل الحال
بمعنى يتفكرون قائلين والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة
بل خلقته لداعي حكمة عظيمة وهو ان تجعلها مساكن للمكلفين
وادلة لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك
ولذلك وصل به قوله فقنا عذاب النار لانه جزاء من عصى
ولم يطع فان قلت هذا اشارة الى ماذا قلت الى الخلق
على ان المراد به المخلوق كانه قيل ويتفكرون في مخلوق السموات
والارض اي فيما خلق منهما ويجوز ان يكون اشارة الى السموات
والارض لانها في معنى المخلوق كانه قيل ما خلقت هذا المخلوق
العجيب باطلا وفي هذا ضرب من التعظيم كقوله ان هذا القرآن
يهدي للتي هي اقوم ويجوز ان يكون باطلا حالا من هذا وسبحانك
اعتراض للتنزيه من العبث وان تخلق شيئا بغير حكمة فقد اخزيته
فقد ابلغت في اخزائه وهو نظير قوله فقد فاز ونحوه في كلامهم
من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك ومن سبق فلانا فقد سبق
وما للظالمين اللام اشارة الى من يدخل النار واعلام
بان من يدخل النار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها
تقول سمعت رجلا يقول كذا وسمعت زيدا يتكلم فتوقع الفعل
على الرجل وتحذف المسموع لانك وصفته بما يسمع او جعلته
حالا عنه

ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين من انصار ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا

فاغناك عن ذكره ولولا الوصف او الحال لم يكن منه بد وان يقال
سمعت كلام فلان او قوله فان قلت فاي فائدة في الجمع بين
المنادي وينادي قلت ذكر النداء مطلقا ثم مقيدا بالايمان
تفخيما لشان المنادي لانه لا منادي اعظم من مناد ينادي للايمان
ونحوه قولك مررت بهاد يهدي للاسلام وذلك ان المنادي
اذا اطلق ذهب الوهم الى مناد للحرب او لاطفاء النائرة
او لاغاثة المكروب او لكفاية بعض النوازل او لبعض
المنافع وكذلك الهادي قد يطلق على من يهدي للطريق ويهدي
لسداد الراي وغير ذلك فاذا قلت ينادي للايمان ويهدي
للاسلام فقد رفعت من شان المنادي والهادي وفخمته
ويقال دعاه لكذا والى كذا وندبه له واليه وناداه له واليه وهداه
للطريق واليه وذلك ان معنى انتهاء الغاية ومعنى
الاختصاص واقعان جميعا والمنادي هو الرسول ادعو
الى الله ادع الى سبيل ربك وعن محمد بن كعب القرآن ان آمنوا
اي آمنوا او بان آمنوا ذنوبنا كبائرنا سيئاتنا صغائرنا مع
الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في جملتهم والابرار
جمع بر او بار كرب وارباب وصاحب واصحاب على رسلك
على هذه صلة للوعد في قولك وعد الله الجنة على الطاعة والمعنى
ما وعدتنا على تصديق رسلك الا تراه كيف اتبع ذلك ذكر المنادي
للايمان وهو الرسول وقوله آمنا وهو التصديق ويجوز ان يكون
متعلقا بمحذوف اي ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا على رسلك
لان الرسل محملون ذلك فانما عليه ما حمل وقيل على السنة
رسلك والموعود هو الثواب وقيل النصرة على الاعداء فان قلت
كيف دعوا الله بانجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد قلت

ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد

معناه طلب الموفق فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد او هو باب من اللجا الى الله والخضوع له كما كان الانبياء عليهم السلام يستغفرون مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم والتضرع اليه واللجا الذي هو سيما العبودية بما يستجاب له واستجابه فلم يستجبه عند ذاك مجيب. اني لا اضيع قرئ بالفتح على حذف الباء وبالكسر على ارادة القول وقرئ لا اضيع بالتشديد من ذكر او انثى بيان لعامل بعضكم من بعض اي يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد فكل واحد منكم من الآخر اي من اصله او كانه منه لفرط اتصالكم واتحادكم وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين وروي ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم كانه قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفائقة وهي المهاجرة عن اوطانهم فارين الى الله بدينهم من دار الفتنة واضطروا الى الخروج من ديارهم التي ولدوا فيها ونشاوا بما سامهم المشركون من الخسف واوذوا في سبيلي من اجله وبسببه يريد سبيل الدين وقاتلوا وقتلوا وغزوا المشركين واستشهدوا وقرئ وقتلوا بالتشديد وقتلوا وقاتلوا على التقديم والتاخير والتشديد وقتلوا وقتلوا على بناء الاول للفاعل والثاني للمفعول وقتلوا وقاتلوا على بنائهما للفاعل ثوابا في موضع المصدر المؤكد بمعنى اثابة او تثويبا من عند الله لان قوله لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم في معنى لاثيبنهم وعنده مثل لختصه

فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب

بفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه كما يقول الرجل عندي ما تريد يريد اختصاصه به وبملكه وان لم يكن بحضرته وهذا تعليم من الله كيف يدعى وكيف يبتهل اليه ويتضرع وتكرير ربنا من باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة وحسن الاثابة من احتمال المشاق في دين الله والصبر على صعوبة تكاليفه وقطع لاطماع الكسالى المتمنين عليه وتسجيل على من لا يرجي الثواب موصولا اليه بالعمل بالجهل والغباوة وروي عن جعفر الصادق رضي الله عنه من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرا هذه الآية وعن الحسن حكى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبر انه استجاب لهم الا انه اتبع ذلك رافع الدعاء وما يستجاب به فلا بد من تقديمه بين يدي الدعاء. لا يغرنك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه او لكل احد اي لا تنظر الى ما هم عليه من سعة الرزق والمضطرب ودرك العاجل واصابة حظوظ الدنيا ولا تغترر بظاهر ما ترى من تبسطهم في الارض وتصرفهم في البلاد يتكسبون ويتجرون ويتدهقنون عن ابن عباس هم اهل مكة وقيل هم اليهود وروي ان ناسا من المؤمنين كانوا يرون ما كانوا فيه من الخصب والرخاء ولين العيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فان قلت كيف جاز ان يغتر رسول الله بذلك حتى ينهى عن الاغترار به قلت فيه وجهان احدهما ان مدره القوم ومتقدمهم يخاطب بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا فكانه قيل لا يغرنكم والثاني ان رسول الله كان غير مغرور بحالهم

لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم ماواهم جهنم وبئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار

للكافرين

فأكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله فلا تكونن ظهيرا
ولا تكونن من المشركين فلا تطع المكذبين وهذا في النهي نظير
قوله في الامر اهدنا الصراط المستقيم يا ايها الذين آمنوا آمنوا
وقد جعل النهي في الظاهر للتقلب وهو في المعنى للمخاطب وهذا
من تنزيل السبب منزلة المسبب لان التقلب لو غره لاغتر به
فمنع السبب ليمتنع المسبب وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة
متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اي ذلك متاع قليل وهو التقلب
في البلاد اراد قلته في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة او في
جنب ما اعد الله للمؤمنين من الثواب او اراد انه قليل في
نفسه لانقضائه وكل زائل قليل قال رسول الله صلى الله عليه
ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر
بم يرجع وبئس المهاد وبئس ما مهدوا لانفسهم النزل والنزل
ما يقام للنازل قال ابو الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا
جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه اما على الحال من جنات
لتخصصها بالوصف والعامل اللام ويجوز ان يكون بمعنى مصدر
مؤكد كانه قيل رزقا او عطاء من عند الله وما عند الله من
الكثير الدائم خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل
الزائل وقرأ مسلمة بن محارب والاعمش نزلا بالسكون
وقرأ يزيد بن القعقاع لكن الذين اتقوا بالتشديد وان من
اهل الكتاب نزلت في عبد الله بن سلام وغيره
من مسلمة اهل الكتاب وقيل في اربعين من اهل نجران واثنين
وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام
فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي ملك الحبشة ومعنى اصحمة عطية
بالعربية

وذلك انه لما مات نعاه جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه
فقال عليه السلام اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم
فخرج الى البقيع ونظر الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي
وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا
يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت ودخلت
لام الابتداء على الاسم لفصل الظرف بينهما كقوله وان منكم لمن ليبطئن
وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين
لله حال من فاعل يؤمن لان من في معنى الجمع لا يشترون
بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعل من لم يسلم من احبارهم اولئك
لهم اجرهم عند ربهم اي ما يختص بهم من الاجر وهو ما وعده في
قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين يؤتيكم كفلين من رحمته ان الله
سريع الحساب لنفوذ علمه في كل شيء فهو عالم بما يستوجبه كل
عامل من الاجر ويجوز ان يراد ان ما توعدون لآت قريب بعد
ذكر الموعد اصبروا على الدين وتكاليفه وصابروا اعداء
الله في الجهاد اي غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا
اقل صبرا منهم وثباتا والمصابرة باب من الصبر ذكر بعد
الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصا لشدته وصعوبته ورابطوا
واقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين
للغزو قال الله تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله
وعدوكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة في سبيل الله
كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته الا
لحاجة وعن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة آل عمران اعطي بكل آية
منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه السلام من قرأ السورة التي يذكر فيها آل
عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس

اي تغرب

خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب

يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون

وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها

يا أيها الناس يا بني آدم خلقكم من نفس واحدة فرعكم من
أصل واحد وهو نفس آدم أبيكم فإن قلت علام عطف قوله وخلق
منها زوجها قلت فيه وجهان أحدهما أن يعطف على محذوف
كأنه قيل من نفس واحدة أنشأها وابتدأها وخلق منها زوجها
وإنما حذف لدلالة المعنى عليه والمعنى شعبكم من نفس واحدة
هذه صفتها وهي أنه أنشأها من تراب وخلق زوجها حواء
من ضلع من أضلاعها وبث منهما نوعي جنس الإنس وهما
الذكور والإناث فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل لكيفية خلقهم
منها والثاني أن يعطف على خلقكم ويكون الخطاب في يا أيها الناس
للذين بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه والمعنى خلقكم من نفس
آدم لأنهم من جملة الجنس المفرع منه وخلق منها أمكم حواء وبث
منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الأمم الفائتة للحصر فإن قلت
الذي يقتضيه سداد نظم الكلام وجزالته أن يجاء عقيب
الأمر بالتقوى بما يوجبها أو يدعو إليها ويبعث عليها فكيف كان
خلقه إياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره موجبا
للتقوى وداعيا إليها قلت لأن ذلك مما يدل على القدرة العظيمة
ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل شيء ومن المقدورات عقاب
العصاة فالنظر فيه يؤدي إلى أن يتقي القادر عليه ويخشى عقابه
ولأنه يدل على النعمة السابغة عليهم فحقهم أن يتقوه في كفرانها

الناس

ساء به أن عطف الشيء على غيره ادعا كله لا يجوز إلا إذا كان للتفسير كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة أو للتزيين كعطف النخل والرمان على الفاكهة في مسألتنا لما فصل خلقكم ... كان نتيجة داخلا على المزعات فلا يجوز عطفه عليه

وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا

غ ع

والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها أو أراد بالتقوى تقوى خاصة
وهي أن يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم فلا يقطعوا ما يجب
عليهم وصله فقيل اتقوا ربكم الذي وصل بينكم حيث جعلكم
صنوانا مفرعة من أرومة واحدة فيما يجب على بعضكم لبعض
فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة
وقرئ وخالق منها زوجها وباث منهما بلفظ اسم الفاعل وهو
خبر مبتدأ محذوف تقديره وهو خالق تساءلون به تتساءلون به
فأدغمت التاء في السين وقرئ تساءلون بطرح التاء الثانية
أي يسأل بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم افعل
كذا على سبيل الاستعطاف وأناشدك الله والرحم أو تسألون
غيركم بالله والرحم فقيل تفاعلون موضع تفعلون للجمع كقولك
رأيت الهلال وتراءيناه وتنصره قراءة من قرأ تسألون به
مهموزا وغير مهموز وقرئ والأرحام بالحركات الثلاث فالنصب
على وجهين إما على واتقوا الله والأرحام أو أن يعطف على محل
الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وتنصره قراءة
ابن مسعود تسألون به وبالأرحام والجر على عطف الظاهر
على المضمر وليس بسديد لأن الضمير المتصل متصل كاسمه
والجار والمجرور كشيء واحد فكانا في قولك مررت به وزيد وهذا
غلامه وزيد شديدي الاتصال فلما اشتد الاتصال لتكرره
أشبه العطف على بعض الكلمة فلم يجز ووجب تكرير العامل
كقولك مررت به وبزيد وهذا غلامه وغلام زيد ألا ترى
إلى صحة قولك رأيتك وزيدا ومررت بزيد وعمرو لما لم يقو الاتصال
لأنه لم يتكرر وقد تمحل لصحة هذه القراءة بأنها على تقدير تكرير
الجار

أي الاتصال من اتصال الضمير المتصل والثاني كون الجار والمجرور كشيء واحد

أي العطف على المتصل

ونظيره قول الشاعر فما بك والايام من عجب والرفع على انه مبتدا
خبره محذوف كانه قيل والارحام كذلك على معنى والارحام
مما يتقى او والارحام مما يتساءل به والمعنى انهم كانوا يقرون
بان لهم خالقا وكانوا يتساءلون بذكر الله والرحم فقيل لهم
اتقوا الله الذي خلقكم واتقوا الذي تتناشدون به واتقوا
الارحام فلا تقطعوها او واتقوا الله الذي تتعاطفون
باذكاره وباذكار الرحم وقد آذن عز وجل اذ قرن
الارحام باسمه ان صلتها منه بمكان كما قال ان لا تعبدوا الا
اياه وبالوالدين احسانا وعن الحسن اذا سألك بالله فاعطه
واذا سألك بالرحم فاعطه للرحم حجنة عند العرش ومعناه
ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما الرحم معلقة بالعرش
فاذا اتاها الواصل بشت به وكلمته واذا اتاها القاطع احتجبت
عنه وسئل ابن عيينة عن قوله عليه السلام تخيروا لنطفكم قال يقول
لاولادكم وذلك ان يضع ولده في الحلال الم تسمع قوله واتقوا
الله الذي تساءلون به والارحام واول صلته ان يختار له
الموضع الحلال فلا يقطع رحمه ولا نسبه فانما للعاهر الحجر
ثم يختار الصحة ويجتنب الدعوة ولا يضعه موضع سوء يتبع
شهوته وهواه بغير هدى من الله اليتامى الذين مات آباؤهم
فانفردوا عنهم واليتم الانفراد ومنه الرملة اليتيمة والدرة
اليتيمة وقيل اليتم في الاناسي من قبل الآباء وفي البهائم من
قبل الامهات فان قلت كيف جمع اليتيم وهو فعيل كمريض
على يتامى قلت فيه وجهان ان يجمع على يتمى كاسرى لان
اليتم من وادي الآفات والاوجاع ثم يجمع فعلى على فعالى كاسارى

فعلى

وآتوا اليتامى اموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب

ويجوز ان يجمع على فعائل لجري اليتيم مجرى الاسماء نحو صاحب وفارس
فيقال يتايم ثم يتامى على القلب وحق هذا الاسم ان يقع على
الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء الا انه
قد غلب ان يسموا به قبل ان يبلغوا مبلغ الرجال فاذا
استغنوا بانفسهم عن كافل وقائم عليهم وانتصبوا كفاة
يكفلون غيرهم ويقومون عليهم زال عنهم هذا الاسم وكانت
قريش تقول لرسول الله يتيم ابي طالب اما على القياس واما
حكاية للحال التي كان عليها صغيرا ناشئا في حجر عمه توضيعا
له واما قوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم فما هو الا تعليم شريعة
لا لغة يعني انه اذا احتلم لم تجر عليه احكام الصغار فان قلت
فما معنى قوله وآتوا اليتامى اموالهم قلت اما ان يراد
باليتامى الصغار وبايتائهم الاموال ان لا يطمع فيها الاولياء
والاوصياء وولاة السوء وقضاته ويكفوا عنها ايديهم
الخاطفة حتى تأتي اليتامى اذا بلغوا سالمة غير محذوفة
واما ان يراد الكبار تسمية لهم يتامى على القياس او لقرب
عهدهم اذا بلغوا بالصغر كما تسمى الناقة عشراء بعد وضعها
على ان فيه اشارة الى ان لا يؤخر دفع اموالهم اليهم عن حد
البلوغ ولا يمطلوا ان اونس منهم الرشد وان يؤتوها قبل
ان يزول عنهم اسم اليتامى والصغار وقيل نزلت في رجل من
غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب
المال فمنعه عمه فترافعا الى النبي صلى الله عليه فنزلت فلما
سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من
الحوب الكبير فدفع ماله اليه فقال النبي عليه السلام ومن يوق شح نفسه

انفقه

وتطهر به هكذا فانه نحل دابة يعني جنته فلما قبض القوم ماله
في سبيل الله قال النبي عليه السلام ثبت الاجر وبقي
الوزر فقالوا يا رسول الله قد عرفنا انه ثبت الاجر فكيف
بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله فقال ثبت اجر الغلام وبقي
الوزر على الاب ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا
الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما ابيح لكم من المكاسب
ورزق الله المبثوث في الارض فتأكلوه مكانه او لا تتبدلوا
الامر الخبيث وهو اختزال اموال اليتامى بالامر الطيب وهو
حفظها والتورع منها والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز
منه التعجل بمعنى الاستعجال والتأخر بمعنى الاستئخار
قال ذو الرمة فيا كرم السكن الذين تحملوا عن الدار والمستخلف
المتبدل اراد ويا لؤم ما استخلفته الدار واستبدلته وقيل
هو ان يعطي رديا وياخذ جيدا وعن السدي ان يجعل شاة
مهزولة مكان سمينة وهذا ليس بتبدل انما هو تبديل الا ان يكارم
صديقا له فيأخذ منه عجفا مكان سمين من مال الصبي ولا
تأكلوا اموالهم الى اموالكم ولا تنفقوها معها وحقيقته ولا تضموها
اليها في الانفاق حتى لا تفرقوا بين اموالكم واموالهم قلة مبالاة
بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال فان قلت قد حرم عليهم
اكل مال اليتامى وحده ومع اموالهم فلم ورد النهي عن اكله معها
قلت لانهم اذا كانوا مستغنين عن اموال اليتامى بما رزقهم
الله من مال حلال وهم على ذلك يطمعون فيها كان القبح ابلغ
والذم احق ولانهم كانوا يفعلون كذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون
ازجر لهم والحوب الذنب العظيم ومنه قوله عليه السلام ان طلاق ام
ايوب لحوب

ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان حوبا كبيرا وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع

نكاية قيل انه كان ذنبا عظيما كبيرا وقرأ الحسن حوبا بفتح الحاء
وهو مصدر حاب حوبا وقرئ حابا ونظير الحوب والحاب
القول والقال والطرد والطرد ولما نزلت الآية في اليتامى
وما في اكل اموالهم من الحوب الكبير خاف الاولياء ان يلحقهم الحوب
بترك الاقساط في حقوق اليتامى فأخذوا يتحرجون من ولاية اليتامى
وكان الرجل منهم ربما كان تحته العشر من الازواج والثمان
والست فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم ان خفتم
ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ترك العدل
بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب
او تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب لانه
انما وجب ان يتحرج من الذنب ويتاب عنه لقبحه والقبح قائم
في كل ذنب وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون من
ولاية اليتامى فقيل ان خفتم الحوب في حق اليتامى فخافوا الزنا
فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات وقيل كان
الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او يكون وليها فيتزوجها ضنا
بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن
وفقد من يغضب لهن ان يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب
لهن فقيل لهم ان خفتم ان لا تقسطوا في يتامى النساء فانكحوا من
غيرهن ما طاب لكم ويقال للاناث اليتامى كما يقال للذكور وهو
جمع يتيمة على القلب كما قيل ايامى والاصل ايايم ويتايم وقرأ النخعي
تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة مثلها في لئلا يعلم يريد وان
خفتم ان تجوروا ما طاب ما حل لكم من النساء لان منهن ما حرم
كاللاتي في آية التحريم وقيل ما ذهابا الى الصفة ولان ما سؤال

تزوجها

طار

عن الصفة كما ان من سؤال عن الذات ولان الاناث من العقلاء
يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى او ما ملكت
ايمانكم مثنى وثلاث ورباع معدولة عن اعداد مكررة وانما
منعت الصرف لما فيها من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها
عن تكررها وهي نكرات يعرفن بلام التعريف تقول فلان
ينكح المثنى والثلاث والرباع ومحلهن النصب على الحال مما
طاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد
ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا فان قلت الذى
اطلق للناكح فى الجمع ان يجمع بين ثنتين او ثلاث او اربع فما
معنى التكرير فى مثنى وثلاث ورباع قلت الخطاب للجميع
فوجب التكرير لتصيب كل ناكح يريد الجمع ما اراد من
العدد الذى اطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال
وهو الف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة
ولو افردت لم يكن له معنى فان قلت فلم جاء العطف بالواو
دون او قلت كما جاء بالواو فى المثال الذى حذوته ولو
تقول اقتسموا هذا المال درهمين درهمين او ثلاثة ثلاثة
او اربعة اربعة اعلمت انه لا يسوغ لهم ان يقتسموه الا على احد
انواع هذه القسمة وليس لهم ان يجمعوا بينها فيجعلوا بعض
القسم على تثنية وبعضه على تثليث وبعضه على تربيع وذهب
معنى تجويز الجمع بين انواع القسمة الذى دلت عليه الواو
وتحريره ان الواو دلت على اطلاق ان ياخذ الناكحون
من ارادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع ان شاؤا
مختلفين فى تلك الاعداد وان شاؤا متفقين فيها محظورا
عليهم

ما وراء ذلك وقرا ابراهيم وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع
فان خفتم ان لا تعدلوا بين هذه الاعداد كما خفتم ترك
العدل فيما فوقها فواحدة فالزموا او فاختاروا واحدة
وذروا الجمع راسا فان الامر كله يدور مع العدل فاينما
وجدتم العدل فعليكم به وقرى فواحدة بالرفع على فالمقنع
واحدة او فكفت واحدة او فحسبكم واحدة او ما ملكت
ايمانكم سوى فى السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين
الاماء من غير حصر ولا توقيت عدد ولعمرى انهن اقل
تبعة واقصر شغبا واخف مؤنة من المهائر لا عليك
اكثرت منهن ام اقللت عدلت بينهن فى القسم ام لم تعدل
عزلت عنهن ام لم تعزل وقرا ابن ابى عبلة من ملكت
ذلك اشارة الى اختيار الواحدة والتسرى ادنى
ان لا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا من قولهم عال الميزان
عولا اذا مال وميزان فلان عائل وعال الحاكم فى حكمه
اذا جار وروى ان اعرابيا حكم عليه حاكم فقال له اتعول
على وقد روت عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لا تعولوا ان لا تجوروا والذى يحكى عن الشافعى رضى الله عنه
انه فسر ان لا تعولوا ان لا تكثر عيالكم فوجهه ان يجعل من قولك
عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم اذا انفق عليهم
لان من كثر عياله لزمه ان يعولهم وفى ذلك ما يصعب عليه
المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب
وكلام مثله من اعلام العلم وائمة الشرع ورؤس المجتهدين
حقيق بالحمل على الصحة والسداد وان لا يظن به تحريف

تعيلوا الى تعولوا

فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم

ذلك ادنى ان لا تعولوا

فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تظنن بكلمة خرجت
من في أخيك سوءا وأنت تجد لها في الخير محملا وكفى بكتابنا
المترجم بكتاب شافي العي من كلام الشافعي شاهدا بأنه
كان أعلى كعبا وأطول باعا في علم كلام العرب من أن يخفى
عليه مثل هذا ولكن للعلماء طرقا وأساليب فسلك في
تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات فإن قلت كيف يقل عيال
من تسرى وفي السراري نحو ما في المهائر قلت ليس كذلك
لأن الغرض بالتزوج التوالد والتناسل بخلاف التسري
ولذلك جاز العزل عن السراري بغير إذنهن فكان التسري
مظنة لقلة الولد بالإضافة إلى التزوج كتزوج الواحدة بالإضافة
إلى تزوج الأربع وقرأ طاوس أن لا تعيلوا من أعال الرجل
إذا كثر عياله وهذه القراءة تعضد تفسير الشافعي رحمه الله
من حيث المعنى الذي قصده صدقاتهن مهورهن وفي
حديث شريح قضى ابن عباس لها بالصدقة وقرئ صدقاتهن
بفتح الصاد وسكون الدال على تخفيف صدقاتهن وصدقاتهن
بضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة بوزن غرفة وقرئ
صدقتهن بضم الصاد والدال على التوحيد وهو تثقيل صدقة
كقولك في ظلمة ظلمة نحلة من نحله كذا إذا أعطاه إياه
ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا ومنه حديث أبي بكر
رضي الله عنه إني كنت نحلتك جداد عشرين وسقا بالعالية
وانتصابها على المصدر لأن النحلة والإيتاء بمعنى الإعطاء
فكأنه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة أي أعطوهن مهورهن
عن طيبة أنفسهم أو على الحال من المخاطبين أي آتوهن صدقاتهن

ناحلين

وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا

طيبي النفوس بالإعطاء أو من الصدقات أي منحولة معطاة
عن طيبة الأنفس وقيل نحلة من الله عطية من عنده
وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملة ونحلة الإسلام خير
النحل وفلان ينتحل كذا أي يدين به والمعنى آتوهن مهورهن
ديانة على أنها مفروضة لها ويجوز أن يكون حالا من الصدقات
أي دينا من الله شرعه وفرضه والخطاب للأزواج وقيل
للأولياء لأنهم كانوا يأخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون
هنيئا لك النافجة لمن تولد له بنت يعنون تأخذ مهرها فتنفج به
مالك أي تعظمه الضمير في منه جار مجرى اسم الإشارة
كأنه قيل عن شيء من ذلك كما قال تعالى قل أؤنبئكم بخير من ذلكم
بعد ذكر الشهوات ومن الحجج المسموعة من أفواه العرب ما
روي عن رؤبة أنه قيل له في قوله كأنه في الجلد توليع البهق
فقال أردت كأن ذاك أو يرجع إلى ما هو في معنى الصدقات
وهو الصداق لأنك لو قلت وآتوا النساء صداقهن لم
تخل بالمعنى فهو نحو قوله فأصدق وأكن من الصالحين كأنه
قيل أصدق ونفسا تمييز وتوحيدها لأن الغرض بيان
الجنس والواحد يدل عليه والمعنى فإن وهبن لكم شيئا من
الصداق وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات
بما يضطرهن إلى الهبة من شكاسة أخلاقكم وسوء معاشرتكم
فكلوه فأنفقوه قالوا فإن وهبت له ثم طلبت منه بعد
الهبة علم أنها لم تطب عنه نفسا وعن الشعبي أن
رجلا أتى مع امرأته شريحا في عطية أعطتها إياه وهي
تطلب أن ترجع فقال شريح ردها عليها فقال الرجل

العبسي وقد قال الله تعالى فان طبن لكم قال ابو طالب بنفسها
عنه لما رجعت فيه وعنه اقيلها فيما وهبت ولا اقيله
لانهن يخدعن وحكي ان رجلا من آل ابي معيط اعطته
امراته الف دينار صداقا كان لها عليه فلبث شهرا ثم طلقها
فخاصمته الى عبد الملك بن مروان فقال الرجل اعطتني طيبة بها
نفسها فقال عبد الملك فاين الآية التي بعدها فلا تاخذوا
منه شيئا اردد عليها وعن عمر رضي الله عنه انه كتب الى قضاته
ان النساء يعطين رغبة ورهبة فايما امراة اعطت ثم
ارادت ان ترجع فذلك لها وعن ابن عباس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال اذا جادت
لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان
ولا يؤاخذكم الله به في الآخرة وروي ان ناسا كانوا يتاثمون
ان يرجع احدهم في شيء مما ساق الى امراته فقال الله تعالى
ان طابت نفس واحدة من غير اكراه ولا خديعة فكلوه سائغا
هنيئا وفي الآية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط
حيث بني الشرط على طيب النفس فقيل فان طبن ولم يقل
فان وهبن او سمحن اعلاما بان المراعى هو تجافي نفسها عن
الموهوب طيبة وقيل فان طبن لكم عن شيء منه ولم يقل
فان طبن لكم عنه بعثا لهن على تقليل الموهوب وعن الليث بن
سعد لا يجوز تبرعها الا باليسير وعن الاوزاعي لا يجوز تبرعها
ما لم تلد او تقم في بيت زوجها سنة ويجوز ان يكون تذكير الضمير
لينصرف الى الصداق الواحد فيكون متناولا بعضه ولو انث
لتناول ظاهره هبة الصداق كله لان بعض الصدقات
واحدة منها فصاعدا

أي أرجع في المرأة فيما وهبت ولا أرجع فيما وهب لأن النساء يخدعن بخلاف الرجال

الهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان
سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما يلذه الآكل
والمريء ما تحمد عاقبته وقيل هو ما ينساغ في مجراه وقيل
لمدخل الطعام من الحلقوم الى فم المعدة المريء لمروء
الطعام فيه وهو انسياغه وهما وصف للمصدر اي اكلا
هنيئا مريئا او حال من الضمير اي كلوه وهو هنيء مريء
وقد يوقف على فكلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء وعلى
انهما صفتان اقيمتا مقام المصدرين كانه قيل هنئا مريئا
وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الاباحة وازالة التبعة
السفهاء المبذرون اموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ولا
يد لهم باصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للاولياء
واضاف الاموال اليهم لانها من جنس ما يقيم به الناس
معايشهم كما قال ولا تقتلوا انفسكم فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم
المؤمنات والدليل على انه خطاب للاولياء في اموال السفهاء
قوله وارزقوهم فيها واكسوهم جعل لكم قياما اي تقومون
بها وتنتعشون ولو ضيعتموها لضعتم فكانها في انفسها قيام
وانتعاش لكم وروي قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى
عياذا وقرا عبد الله بن عمر قواما بالواو وقوام الشيء ما
يقام به كقولك هو ملاك الامر لما يملك به وكان السلف
يقولون المال سلاح المؤمن ولان اترك مالا يحاسبني
الله عليه خير من ان احتاج الى الناس وعن سفيان
وكانت له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل بنو العباس
وعن غيره وقيل له انها تدنيك من الدنيا لئن ادنتني من
الدنيا

ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا

لتمندل
أي لاتخذني منديلا أي لجعلني منديلا يمسحون

لقد صانته عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم في زمان
اذا احتاج احدكم كان اول ما ياكل دينه وربما راوا رجلا
في جنازة فقالوا له اذهب الى دكانك وارزقوهم فيها واجعلوها
مكانا لرزقهم بان تتجروا فيها وتتربحوا حتى تكون نفقتهم من
الارباح لا من صلب المال فلا ياكلها الانفاق وقيل هو امر لكل
احد ان لا يخرج ماله الى احد من السفهاء قريب او اجنبي رجل
او امراة يعلم انه يضعه فيما لا ينبغي ويفسده قولا معروفا قال
ابن جريج عدة جميلة ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وعن
عطاء اذا ربحت اعطيتك وان غنمت في غزاتي جعلت لك
حظا وقيل ان لم يكن ممن وجبت عليك نفقته فقل عافانا الله
واياك بارك الله فيك وكل ما سكنت اليه النفس واحبته لحسنه
عقلا او شرعا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته ونفرت منه
لقبحه فهو منكر وابتلوا اليتامى واختبروا عقولهم وذوقوا احوالهم
ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ حتى اذا تبينتم منهم رشدا
اي هداية دفعتم اليهم اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ وبلوغ
النكاح ان يحتلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به
وهو التوالد والايناس الاستيضاح فاستعير للتبيين واختلف
في الابتلاء والرشد فالابتلاء عند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله ان
يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى يستبين حاله فيما يجيء منه والرشد
التهدي الى وجوه التصرف وعن ابن عباس الصلاح في العقل
والحفظ للمال وعند مالك والشافعي رحمهما الله الابتلاء ان تتبع احواله
وتصرفه في الاخذ والاعطاء ويتبصر مخايله وميله الى الدين والرشد
الصلاح في الدين لان الفسق مفسدة للمال فان قلت فان لم يونس

وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا

منه رشدا الى حد البلوغ قلت عند ابي حنيفة رضي الله عنه ينتظر الى خمس وعشرين سنة
لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة فاذا
زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال
الانسان لقوله عليه السلام مروهم بالصلوة لسبع دفع اليه ماله
اونس منه رشدا ولم يونس وعند اصحابه لا يدفع اليه ابدا الا
بايناس الرشد فان قلت ما معنى تنكير الرشد قلت معناه
نوعا من الرشد وهو الرشد في التصرف والتجارة او طرفا من الرشد
ومخيلة من مخايله حتى لا ينتظر به تمام الرشد فان قلت كيف نظم
هذا الكلام قلت ما بعد حتى الى فادفعوا اليهم اموالهم جعل غاية
للابتلاء وهي حتى التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله فما زالت
القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة اشكل والجملة الواقعة
بعدها جملة شرطية لان اذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط
بلغوا النكاح وقوله فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم
جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الاول الذي هو اذا
بلغوا النكاح فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم فاستحقاقهم
دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وقرا ابن مسعود
فان احستم بمعنى احسستم قال احسن به فهن اليه شوس
وقرئ رشدا بفتحتين ورشدا بضمتين اسرافا وبدارا
مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم
تفرطون في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى
فينتزعوها من ايدينا ثم قسم الامر بين ان يكون الوصي غنيا
وبين ان يكون فقيرا فالغني يستعفف من اكلها ولا يطمع ويقتنع
بما رزقه الله من الغنى اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله والفقير

ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف

ياكل قوتا مقدرا

مختاطا في تقديره على وجه الاجرة او استقراضا على ما في ذلك من الاختلاف
ولفظ الاكل بالمعروف والاستعفاف مما يدل على ان للوصي
حقا لقيامه عليها وعن النبي عليه السلم ان رجلا قال له ان في
حجري يتيما أفآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق
مالك بماله قال أفأضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وعن
ابن عباس ان ولي اليتيم قال له أفأشرب من لبن ابله قال ان
كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها يوم
وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وعنه يضرب
بيده مع ايديهم فليأكل بالمعروف ولا يلبس عمامة فما فوقها وعن
ابراهيم النخعي لا يلبس الكتان والحلل ولكن ما سد الجوعة ووارى
العورة وعن محمد بن كعب يتقرم تقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة الاجير
فيما لا بد منه وعن الشعبي يأكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه
كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي وعن مجاهد يستسلف فاذا
ايسر ادى وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن وركب
الظهر ولبس ما يستره من الثياب واخذ القوت ولا يجاوزه فان
ايسر قضاه وان اعسر فهو في حل وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
اني انزلت نفسي من مال الله منزلة والي اليتيم ان استغنيت
استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت
واستعف ابلغ من عف كانه طالب زيادة العفة فاشهدوا
عليهم بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم وذلك ابعد
من التخاصم والتجاحد وادخل في الامانة وبراءة الساحة الا ترى
انه اذا لم يشهد فادعي عليه صدق مع اليمين عند ابي حنيفة واصحابه
رحمهم الله وعند مالك والشافعي رحمهما الله لا يصدق الا ببينه

فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا

فكانت فائدة الاشهاد الاستحباب انه من توقي الحلف المفضي الى التهمة
او من وجوب الضمان اذا لم تقم البينة وكفى بالله حسيبا اي كافيا
في الشهادة عليكم بالدفع والقبض او محاسبا فعليكم بالتصادق
واياكم والتكاذب الاقربون هم المتوارثون من ذوي القرابات
دون غيرهم مما قل منه او كثر بدل مما ترك بتكرير العامل نصيبا مفروضا
نصب على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا
لا بد لهم من ان يحوزوه ولا يستأثر به ويجوز ان ينتصب انتصاب
المصدر المؤكد كقوله فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة روي
ان اوس بن ثابت الانصاري ترك امرأته ام كجة وثلاث بنات
فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن
وكان اهل الجاهلية لا يورثون النساء والاطفال ويقولون لا يرث
الا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة فجاءت ام
كجة الى رسول الله في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر
ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا
فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله
فاعطى ام كجة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم واذا
حضر القسمة اي قسمة التركة اولوا القربى ممن لا يرث فارزقوهم
منه الضمير لما ترك الوالدان والاقربون وهو امر على الندب
قال الحسن كان المؤمنون يفعلون ذلك اذا اجتمعت الورثة
حضرهم هؤلاء فرضخوا لهم بالشيء من رثة المتاع فحضهم الله تعالى
على ذلك تأديبا من غير ان يكون فريضة قالوا ولو كان فريضة
لضرب له حد ومقدار كما لغيره من الحقوق وروي ان عبد الله بن
عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنه قسم ميراث ابيه وعائشة
رضي الله عنها حية

للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا

واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا

فلم يدع في الدار أحداً إلا أعطاه • وتلا هذه الآية • وقيل هو على الندب وقيل هو منسوخ بآية الميراث كالوصية وعن سعيد بن جبير أن ناساً يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس والقول المعروف أن يلطفوا لهم القول ويقولوا خذوا بارك الله عليكم ويعتذروا إليهم ويستقلوا ما أعطوهم ولا يستكثروه ولا يمنوا عليهم وعن الحسن والنخعي أدركنا الناس وهم يقسمون على القرابات والمساكين واليتامى من العين يعنيان الورق والذهب فإذا قسم الورق والذهب وصارت القسمة إلى الأرضين والرقيق وما أشبه ذلك قالوا لهم قولاً معروفاً كانوا يقولون لهم بورك فيكم لو مع ما في حيزه صلة للذين والمراد بهم الأوصياء أمروا بأن يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافاً وشفقتهم عليهم وأن يقدروا ذلك في أنفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ويجوز أن يكون المعنى وليخشوا على اليتامى من الضياع وقيل هم الذين يجلسون إلى المريض فيقولون إن ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئاً فقدم مالك فيستغرقه بالوصايا فأمروا بأن يخشوا ربهم أو يخشوا على أولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على أولاد أنفسهم لو كانوا ويجوز أن يتصل بما قبله وأن يكون أمراً للورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة من ضعفاء أقاربهم واليتامى والمساكين وأن يتصوروا أنهم لو كانوا أولادهم بقوا خلفهم ضائعين محتاجين هل كانوا يخافون عليهم الحرمان والخيبة فإن قلت ما معنى وقوع لو تركوا وجوابه صلة للذين قلت معناه وليخش الذين صفتهم وحالهم أنهم لو شارفوا أن يتركوا خلفهم ذرية ضعافاً وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع

بعدهم

أي تركوا أن الوصية يعمل بها

وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً

لذهاب كافلهم وكاسبهم كما قال القائل

لقد زاد الحياة إليّ حباً • بناتي إنهن من الضعاف •

أحاذر أن يرين البؤس بعدي • وأن يشربن رنقاً بعد صاف •

وقرئ ضعفاً وضعفاء نحو سكارى وسكارى • والقول السديد من الأوصياء أن لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون أولادهم بالأدب الحسن والترحيب ويدعوهم بيا بني ويا ولدي ومن الجالسين إلى المريض أن يقولوا له إذا أراد الوصية لا تسرف في وصيتك فتجحف بأولادك مثل قول رسول الله لسعد إنك أن تترك أولادك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس وكان الصحابة رضي الله عنهم يستحبون أن لا تبلغ الوصية الثلث وأن الخمس أفضل من الربع والربع من الثلث ومن المتقاسمين ميراثهم أن يلطفوا القول ويجملوه للحاضرين ظلماً ظالمين أو على وجه الظلم من أولياء السوء وقضاته في بطونهم ملء بطونهم يقال أكل فلان في بطنه وفي بعض بطنه قال كلوا في بعض بطنكم تعفّوا • ومعنى يأكلون ناراً يأكلون ما يجرّ إلى النار فكأنه نار في الحقيقة وقيل إنه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وأنفه وأذنيه وعينيه فيعرف الناس أنه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا وقرئ سيصلون بضم الياء وتخفيف اللام وتشديدها سعيراً ناراً من النيران مبهمة الوصف يوصيكم الله يعهد إليكم ويأمركم في أولادكم في شأن ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا إجمال تفصيله للذكر مثل حظ الأنثيين فإن قلت هلا قيل للأنثيين مثل حظ الذكر أو للأنثى نصف حظ الذكر قلت ليبدأ ببيان حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولأن قوله للذكر مثل حظ الأنثيين

قصد

وضعافى م

إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً

يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين

الى بيان فضل الذكر وقولك للانثيين مثل حظ الذكر قصدا الى بيان نقص
الانثى وما كان قصدا الى بيان فضله كان ادل على فضله من القصد الى
بيان نقص غيره ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث
وهو السبب لورود الآية فقيل كفى الذكور ان ضوعف لهم نصيب
الاناث فلا يتمادى في حظهن حتى يحرمن مع ادلائهن من القرابة
بمثل ما يدلون به فان قلت فان حظ الانثيين الثلثان فكانه قيل
للذكر الثلثان قلت اريد حال الاجتماع لا الانفراد اي اذا اجتمع
الذكر والانثيان كان له سهمان كما ان لهما سهمين واما في حال الانفراد
فالابن ياخذ المال كله والبنتان ياخذان الثلثين والدليل على ان
الغرض حكم الاجتماع انه اتبعه حكم الانفراد وهو قوله فان كن نساء
فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك والمعنى للذكر منهم اي من اولادكم فحذف
الراجع اليه لانه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم فان كن نساء فان
كانت البنات او المولودات نساء خلصا ليس معهن رجل يعني بنات
ليس معهن ابن فوق اثنتين يجوز ان يكون خبرا ثانيا لكان وان يكون
صفة لنساء اي نساء زائدات على اثنتين وان كانت واحدة وان كانت
البنت او المولودة منفردة فذة ليس معها اخرى فلها النصف وقرئ
واحدة بالرفع على كان التامة والقراءة بالنصب اوفق لقوله فان كن نساء
وقرا زيد بن ثابت النصف بالضم والضمير في ترك للميت لان الآية
لما كانت في الميراث علم ان التارك هو الميت فان قلت قوله للذكر
مثل حظ الانثيين كلام مسوق لبيان حظ الذكر من الاولاد لا لبيان
حظ الانثيين فكيف صح ان يردف قوله فان كن نساء وهو لبيان
حظ الاناث قلت وان كان مسوقا لبيان حظ الذكر الا انه لما فقه
منه وتبين حظ الانثى مع اخيها كان كانه مسوق للامرين جميعا فلذلك
صح ان يقال فان كن نساء

ويروى بالفاء المعجمة على معنى لئن [illegible] نقصان حظهن

فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف

فان قلت هل يصح ان يكون الضميران في كن وكانت مبهمين ويكون نساء
وواحدة تفسيرا لهما على ان كان تامة قلت لا ابعد ذلك فان قلت
لم قيل فان كن نساء ولم يقل وان كانت امراة قلت لان الغرض ثمة
خلوصهن اناثا لا ذكر فيهن ليميز بين ما ذكر من اجتماعهن مع الذكر في
قوله للذكر مثل حظ الانثيين وبين انفرادهن واريد هاهنا ان يميز
بين كون البنت مع غيرها وبين كونها وحدها لا قرينة لها فان قلت قد
ذكر حكم البنتين في حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت في حال
الانفراد ولم يذكر حكم البنتين في حال الانفراد فما حكمهما وما باله لم يذكر قلت
اما حكمهما فمختلف فيه فابن عباس ابى تنزيلهما منزلة الجماعة لقوله تعالى
فان كن نساء فوق اثنتين فاعطاهما حكم الواحدة وهو ظاهر مكشوف
واما سائر الصحابة فقد اعطوهما حكم الجماعة والذي يعلل به قولهم ان قوله
للذكر مثل حظ الانثيين قد دل على ان حكم الانثيين حكم الذكر وذلك ان
الذكر كما يحوز الثلثين مع الواحدة فالانثيان كذلك يحوزان الثلثين
فلما ذكر ما دل على حكم الانثيين قيل فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا
ما ترك على معنى فان كن جماعة بالغات ما بلغن من العدد فلهن ما للانثيين
وهو الثلثان لا يتجاوزنه لكثرتهن ليعلم ان حكم الجماعة حكم الثنتين
بغير تفاوت وقيل ان البنتين امس رحما بالميت من الاختين
فاوجبوا لهما ما اوجب الله للاختين ولم يروا ان يقصروا بهما عن
حظ من هو ابعد رحما منهما وقيل ان البنت لما وجب لها مع اخيها
الثلث كانت احرى ان يجب لها الثلث اذا كانت مع اخت
مثلها ويكون لاختها معها مثل ما كان يجب لها ايضا مع اخيها لو انفردت
معه فوجب لهما الثلثان ولابويه الضمير للميت ولكل واحد منهما
بدل من لابويه بتكرير العامل وفائدة هذا البدل انه لو قيل ولابويه
السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل ولابويه

ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث

السدسان لانهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى اطلاقها
فان قلت فهلا قيل ولكل واحد من ابويه السدس واي فائدة في ذكر
الابوين اولا ثم في الابدال منهما قلت لان في الابدال والتفصيل
بعد الاجمال تاكيدا وتشديدا كالذي تراه في الجمع بين المفسر والتفسير
والسدس مبتدا وخبره لابويه والبدل متوسط بينهما للبيان
وقرا الحسن ونعيم بن ميسرة السدس بالتخفيف وكذلك الثلث والربع
والثمن والولد يقع على الذكر والانثى ويختلف حكم الاب في ذلك
فان كان ذكرا اقتصر بالاب على السدس وان كان انثى عصب مع
اعطاء السدس فان قلت قد بين حكم الابوين في الارث مع الولد ثم
حكمهما مع عدمه فهلا قيل فان لم يكن له ولد فلامه الثلث واي فائدة
في قوله وورثه ابواه قلت معناه فان لم يكن له ولد وورثه ابواه
فحسب فلامه الثلث مما ترك كما قال لكل واحد منهما السدس مما ترك
لانه اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين كان للام ثلث ما بقي بعد اخراج
نصيب الزوج لا ثلث ما ترك الا عند ابن عباس والمعنى ان الابوين اذا
خلصا تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الانثيين فان قلت ما العلة في ان
كان لها ثلث ما بقي دون ثلث المال قلت فيه وجهان احدهما ان الزوج
انما استحق ما يسهم له بحق العقد لا بالقرابة فاشبه الوصية في قسمة ما
وراءه والثاني ان الاب اقوى في الارث من الام بدليل انه يضعف عليها اذا خلصا ويكون صاحب فرض وعصبة وجامعا بين الامرين
فلو ضرب لها الثلث كملا لادى الى حط نصيبه عن نصيبها الا ترى
ان امراة لو تركت زوجا وابوين فصار للزوج النصف وللام الثلث
والباقي للاب حازت الام سهمين والاب سهما واحدا فينقلب الحكم
الى ان يكون للانثى مثل حظ الذكرين فان كان له اخوة فلامه
السدس

ولقائل ان يقول فعلى هذا الوجه ينبغي ان يكون للام ثلث ما بقي فيما اذا تركت زوجا واما واخا

فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصي بها او دين

الاخوة تحجبه الام عن الثلث وان كانوا لا يرثون مع الاب فيكون لها السدس
وللاب خمسة الاسداس ويستوي في الحجب الاثنان فصاعدا الا عند
ابن عباس وعنه انهم ياخذون السدس الذي حجبوا عنه الام فان قلت
فكيف صح ان يتناول الاخوة الاخوين والجمع خلاف التثنية قلت
الاخوة تفيد معنى الجمعية المطلقة بغير كمية والتثنية كالتثليث
والتربيع في افادة الكمية وهذا موضع الدلالة على الجمع المطلق فدل
بالاخوة عليه وقرئ فلإمه بكسر الهمزة اتباعا للجرة الا تراها لا تكسر
في قوله وجعلنا ابن مريم وامه آية من بعد وصية متعلق بما تقدمه
من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده كانه قيل قسمة هذه
الانصباء من بعد وصية يوصي بها وقرئ يوصى بالتخفيف والتشديد
ويوصى بها على البناء للمفعول مخففا فان قلت ما معنى او قلت
معناها الاباحة وانه ان كان احدهما او كلاهما قدم على قسمة
الميراث كقولك جالس الحسن او ابن سيرين فان قلت لم قدمت
الوصية على الدين والدين مقدم عليها في الشريعة قلت لما كانت
الوصية مشبهة للميراث في كونها ماخوذة من غير عوض كان
اخراجها مما يشق على الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب انفسهم بها فكان
اداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فان نفوسهم مطمئنة الى ادائه
فلذلك قدمت على الدين بعثا على وجوبها والمسارعة الى اخراجها
مع الدين ولذلك جيء بكلمة او للتسوية بينهما في الوجوب ثم اكد ذلك
ورغب فيه بقوله آباؤكم وابناؤكم لا تدرون من انفع لكم من
آبائكم وابنائكم الذين يموتون امن اوصى منهم ام من لم يوص يعني
ان من اوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الآخرة بامضاء وصيته
فهو اقرب لكم نفعا واحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض
الدنيا

اي من غير تقييد بكمية معينة بان يكون اثنين او ثلاثة او اربعة او عدد آخر بخلاف التثنية فانها تفيد كمية الاثنينية بالخصوص كما ان التثليث يفيد الثلاثة والتربيع يفيد الاربعة بالخصوص

لانه ليس المراد ههنا نوعا خاصا من انواع الجمع بل التثنية معنى الجمع فيطلق عليه هذا الاسم

[illegible]

آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما

وجعل ثواب الآخرة أقرب وأحضر من عرض الدنيا ذهابًا
إلى حقيقة الأمر لأن عرض الدنيا وإن كان عاجلًا قريبًا في
الصورة إلا أنه فانٍ فهو في الحقيقة الأبعد الأقصى وثواب
الآخرة وإن كان آجلًا إلا أنه باقٍ فهو في الحقيقة الأقرب
الأدنى وقيل إن الابن إن كان أرفع درجة من أبيه في
الجنة سأل أن يرفع أبوه إليه فيرفع وكذلك الأب إن
كان أرفع درجة من ابنه سأل أن يرفع ابنه إليه فأنتم
لا تدرون في الدنيا أيهم أقرب لكم نفعًا وقيل قد فرض
الله الفرائض على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك إليكم لم
تعلموا أيهم لكم أنفع فوضعتم أنتم الأموال على غير حكمة
وقيل الأب تجب عليه النفقة على الابن إذا احتاج وكذلك
الابن إذا كان محتاجًا فهما في النفع بالنفقة لا يدرى أيهما
أقرب نفعًا وليس شيء من هذه الأقاويل بملائم للمعنى ولا
مجاوب له لأن هذه الجملة اعتراضية ومن حق الاعتراض أن
يؤكد ما اعترض بينه ويناسبه والقول ما تقدم فريضة
نصبت نصب المصدر المؤكد أي فرض ذلك فرضًا
إن الله كان عليمًا بمصالح خلقه حكيمًا في كل ما فرض وقسم
من المواريث وغيرها فإن كان لهن ولد منكم أو من غيركم
جعلت المرأة على النصف من الرجل بحق الزواج كما جعلت
كذلك بحق النسب والواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن
وإن كان رجل يعني الميت يورث من ورث أي يورث
منه وهو صفة لرجل وكلالة خبر كان أي وإن كان
رجل موروث منه كلالة أو يجعل يورث خبر كان

وكلالة حال من الضمير في يورث وقرئ يورث ويورّث
بالتخفيف والتشديد على البناء للفاعل وكلالة حال أو
مفعول به فإن قلت ما الكلالة قلت تنطلق على ثلاثة على
من لم يخلف ولدًا ولا والدًا وعلى من ليس بولد ولا والد
من المخلفين وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه
قولهم ما ورث المجد عن كلالة كما تقول ما صمت عن عي وما كف
عن جبن والكلالة في الأصل مصدر بمعنى الكلال وهو
ذهاب القوة من الإعياء قال فآليت لا أرثي لها من
كلالة فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد
لأنها بالإضافة إلى قرابتهما كالة ضعيفة وإذا جعل صفة
للموروث أو الوارث فبمعنى ذي كلالة كما تقول فلان من
قرابتي تريد من ذوي قرابتي ويجوز أن تكون صفة كالهجاجة
والفقاقة للأحمق فإن قلت فإن جعلتها اسمًا للقرابة
في الآية فعلام تنصبها قلت على أنها مفعول له أي يورث
لأجل الكلالة أو يورث غيره لأجلها فإن قلت فإن
جعلت يورث على البناء للمفعول من أورث فما وجهه قلت
الرجل حينئذ هو الوارث لا الموروث فإن قلت فالضمير
في قوله فلكل واحد منهما إلى من يرجع حينئذ قلت إلى
الرجل وإلى أخيه أو أخته وعلى الأول إليهما فإن قلت إذا
رجع الضمير إليهما أفاد استواءهما في حيازة السدس
من غير مفاضلة الذكر الأنثى فهل تبقى هذه الفائدة قائمة
في هذا الوجه قلت نعم لأنك إذا قلت السدس له أو لواحد
من الأخ أو الأخت على التخيير فقد سويت بين الذكر والأنثى

اقول فيها

وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه سئل عن الكلالة فقال
برأيي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني ومن
الشيطان والله منه بريء الكلالة ما خلا الولد والوالد
وعن عطاء والضحاك ان الكلالة هو الموروث وعن سعيد بن
جبير هو الوارث وقد اجمعوا على ان المراد اولاد الام
ويدل عليه قراءة ابيّ وله اخ او اخت من الام وقراءة
سعد بن ابي وقاص وله اخ او اخت من ام وقيل انما
استدل على ان الكلالة ههنا الاخوة للام خاصة بما ذكر في
آخر السورة من ان للاختين الثلثين وان للاخوة كل
المال فعلم ههنا لما جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث
ولم يزادوا على الثلث شيئا انه يعني الاخوة للام والا
فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد من سائر الاخوة الاخيا
ف والاعيان واولاد العلات وغيرهم غير مضار حال اي
يوصي بها وهو غير مضار لورثته وذلك ان يوصي بزيادة
على الثلث او يوصي بالثلث فما دونه ونيته مضارة ورثته
ومغاضبتهم لا وجه الله وعن قتادة كره الله الضرار في
الحياة وعند الممات ونهى عنه وعن الحسن المضارة في
الدين ان يوصي بدين ليس عليه ومعناه الاقرار وصية
من الله مصدر مؤكد اي يوصيكم بذلك وصية كقوله فريضة
من الله ويجوز ان تكون منصوبة بغير مضار اي لا يضار
وصية من الله وهو الثلث فما دونه بزيادته على الثلث او
وصية من الله بالاولاد ان لا يدعهم عالة باسرافه في
الوصية وينصر هذا الوجه قراءة الحسن غير مضار وصية
من الله بالاضافة

اي وان لم نعتبر الاستدلال بآخر السورة او قراءة ابي وسعد لم يتعين الكلالة لاولاد الام بل تعم من عدا الولد والوالد من جميع انواع الاخوة وغيرهم من انواع القرابات كالعمومة والخؤولة

وصية من الله والله عليم حليم

بالاسراف في الوصية والاقرار الكاذب

والله عليم بمن جار او عدل في وصيته حليم عن الجائر لا يعاجله
وهذا وعيد فان قلت في يوصي ضمير الرجل اذا جعلته
الموروث فكيف تعمل اذا جعلته الوارث قلت كما عملت
في قوله تعالى فلهن ثلثا ما ترك لانه علم ان التارك والموصي هو
الميت فان قلت فاين ذو الحال فيمن قرأ يوصى بها على ما
لم يسم فاعله قلت يضمر يوصي فينتصب عن فاعله لانه
لما قيل يوصى بها علم ان ثمة موصيا كما قال يسبح له على ما
لم يسم فاعله فعلم ان ثمة مسبحا فاضمر يسبح فكما كان رجال
فاعل ما يدل عليه يسبح كان غير مضار حالا عما يدل
عليه يوصى بها تلك اشارة الى الاحكام التي ذكرت في
باب اليتامى والوصايا والمواريث وسماها حدودا لان
الشرائع كالحدود المضروبة الموقتة للمكلفين لا يجوز لهم ان
يتجاوزوها ويتخطوها الى ما ليس لهم بحق يدخله قرئ
بالياء والنون وكذلك يدخله نارا وقيل يدخله خالدين
حملا على لفظ من ومعناه وانتصب خالدين وخالدا على
الحال فان قلت هل يجوز ان يكونا صفتين لجنات ونارا
قلت لا لانهما جريا على غير من هما له فلا بد من الضمير وهو
قولك خالدين هم فيها وخالدا هو فيها يأتين الفاحشة يقال
اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها بمعنى وفي
قراءة ابن مسعود يأتين بالفاحشة والفاحشة الزنا لزيادتها
في القبح على كثير من القبائح فامسكوهن في البيوت فمعناه
فخلدوهن محبوسات في بيوتكم وكان ذلك عقوبتهن
في اول الاسلام ثم نسخ بقوله تعالى الزانية والزاني الآية ويجوز
ان يكون

يعني يحتمل الضمير لما ذكر عليه الكلام

تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين

واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا

يجوز ان يكون خالدين صفة لجنات بدون ابراز الضمير

ويجوز في مذهب الكوفيين صفة لجنات كما هو مذهبهم في ... انه لا يجب الابراز عند امن اللبس والكوفيون ... فلا ... وكان ... قال ابو ... بالجز ... ولا ... نقضه

عن مسيس بان تترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة
ويوفي بامساكهن في البيوت بعد ان يحددن صيانة لهن عن
مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال
أو يجعل الله لهن سبيلا هو النكاح الذي يستغنين به عن
السفاح وقيل السبيل هو الحد لانه لم يكن مشروعا ذلك
الوقت فان قلت ما معنى يتوفاهن الموت والتوفي والموت
بمعنى واحد كانه قيل حتى يميتهن الموت قلت يجوز ان يراد
يتوفاهن ملائكة الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ان الذين توفاهم
الملائكة قل يتوفاكم ملك الموت أو حتى يأخذهن الموت ويستوفي
ارواحهن واللذان يأتيانها منكم يريد الزاني والزانية فآذوهما
فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما اما استحييتما اما خفتما الله فان
تابا واصلحا وغيرا الحال فاعرضوا عنهما واقطعوا التوبيخ
والمذمة فان التوبة تمنع استحقاق الذم والعقاب ويحتمل
ان يكون خطابا للشهود العاثرين على سرهما ويراد بالايذاء
ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى الامام والحد فان تابا
قبل الرفع الى الامام فاعرضوا عنهما ولا تتعرضوا لهما وقيل
نزلت الاولى في الثيبات وهذه في اللواطين [illegible] واللذان
[illegible] اللذان بالهمز وتشديد النون التوبة من تاب
الله عليه اذا قبل توبته وغفر له يعني انما القبول والغفران
واجب على الله تعالى لهؤلاء بجهالة في موضع الحال اي يعملون السوء
جاهلين سفهاء لان ارتكاب القبيح مما يدعو اليه السفه والشهوة
لا مما تدعو اليه الحكمة والعقل وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل
حتى ينزع عن جهالته من قريب من زمان قريب والزمان القريب ما قبل

حضرة الموت

واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إن الله كان توابا رحيما إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما

الا ترى الى قوله تعالى حتى اذا حضر احدهم الموت فبين ان وقت الاحتضار
هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القريب
وعن ابن عباس قبل ان ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك
كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن النخعي ما لم يؤخذ بكظمه وروى
ابو ايوب عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر
وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن ان ابليس قال
حين اهبط الى الارض وعزتك لا افارق ابن آدم ما دام روحه في
جسده فقال وعزتي لا اغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر فان قلت
ما معنى من في قوله من قريب قلت معناه التبعيض اي يتوبون بعض
زمان قريب كانه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت
زمانا قريبا ففي اي جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب
من قريب والا فهو تائب من بعيد فان قلت ما فائدة قوله فاولئك
يتوب الله عليهم بعد قوله انما التوبة على الله لهم قلت قوله انما التوبة
على الله اعلام بوجوبها عليه كما يجب على العبد بعض الطاعات
وقوله فاولئك يتوب الله عليهم عدة بانه يفي بما وجب عليه واعلام
بان الغفران كائن لا محالة كما يعد العبد الوفاء بالواجب
ولا الذين يموتون عطف على الذين يعملون السيئات سوى
بين الذين سوفوا توبتهم الى حضرة الموت وبين الذين ماتوا
على الكفر انه لا توبة لهم لان حضرة الموت اول احوال الآخرة
فكما ان المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف
الى حضرة الموت لمجاوزة كل واحد منهما اوان التكليف والاختيار
اولئك اعتدنا لهم عذابا في الوعيد نظير قوله فاولئك يتوب الله عليهم
في الوعد ليتبين ان الامرين كائنان لا محالة فان قلت من المراد

بالذين يعملون السيئات

وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما

قال الجوهري بكظمه اي بمخرج نفسه

الغرغرة تردد الروح في الحلق

اسم الفساق من اهل القبلة ام الكفار قلت فيه وجهان احدهما
ان يراد الكفار لظاهر قوله وهم كفار وان يراد الفساق لان
الكلام انما وقع في الزانيين والاعراض عنهما ان تابا واصلحا ويكون
قوله وهم كفار واردا على سبيل التغليظ كقوله ومن كفر فان
الله غني عن العالمين وقوله فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا
من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر لان من كان مصدقا ومات وهو لا
يحدث نفسه بالتوبة حاله قريبة من حال الكافر لانه لا يجترئ
على ذلك الا قلب مصمت كانوا يبلون النساء بضروب من البلايا
ويظلمونهن بانواع من الظلم فزجروا عن ذلك كان الرجل اذا مات
له قريب من اب او اخ او حميم عن امراة القى ثوبه عليها وقال
انا احق بها من كل احد فقيل لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها اي
ان تاخذوهن على سبيل الارث كما تحاز المواريث وهن
كارهات لذلك او مكرهات وقيل كان يمسكها حتى تموت
فقيل لا يحل لكم ان تمسكوهن حتى ترثوا منهن وهن غير راضيات
بامساككم وكان الرجل اذا تزوج امراة ولم تكن من حاجته حبسها
مع سوء العشرة والقهر لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل ولا
تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن والعضل الحبس والتضييق
ومنه عضلت المراة بولدها اذا اختنقت رحمها به فخرج
بعضه وبقي بعضه الا ان ياتين بفاحشة مبينة وهي النشوز وشكاسة
الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء والسلاطة اي الا ان يكون
سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم في طلب الخلع وتدل عليه قراءة ابي
الا ان يفحشن عليكم وعن الحسن الفاحشة الزنا فان فعلت
حل لزوجها ان يسالها الخلع وقيل كانوا اذا اصابت امراة
فاحشة

يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا ان ياتين بفاحشة مبينة

اخذ منها ما ساق اليها واخرجها وعن ابي قلابة ومحمد بن سيرين
لا يحل الخلع حتى يوجد رجل على بطنها وعن قتادة لا يحل له ان
يحبسها ضرارا حتى تفتدي نفسها منه يعني وان زنت وقيل
نسخ ذلك بالحدود وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم
وعاشروهن بالمعروف وهو النصفة في المبيت والنفقة
والاجمال في القول فان كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهة
الانفس وحدها فربما كرهت النفس ما هو اصلح في الدين
واحمد وادنى الى الخير واحبت ما هو بضد ذلك ولكن للنظر
في اسباب الصلاح وكان الرجل اذا طمحت عينه الى استطراف
امراة بهت التي تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها الى
الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج غيرها فقيل
وان اردتم استبدال زوج الآية والقنطار المال العظيم
من قنطرت الشيء اذا رفعته ومنه القنطرة لانها بناء
مشيد قال كقنطرة الرومي اقسم ربها لتكتنفن حتى تشاد بقرمد
وعن عمر رضي الله عنه انه قام خطيبا فقال ايها الناس
لا تغالوا بصدق النساء فلو كانت مكرمة في الدنيا او
تقوى عند الله لكان اولاكم بها رسول الله صلى
الله عليه ما اصدق امراة من نسائه اكثر من اثنتي عشرة اوقية
فقامت اليه امراة فقالت له يا امير المؤمنين لم تمنعنا
حقا جعله الله لنا والله يقول وآتيتم احداهن قنطارا فقال
عمر كل احد اعلم من عمر ثم قال لاصحابه تسمعونني اقول مثل
هذا فلا تنكرونه علي حتى ترد علي امراة ليست من اعلم النساء
والبهتان ان تستقبل الرجل بامر قبيح تقذفه به وهو بريء
منه

وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا

استطرفه عده طريفا

وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا اتاخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا

لانه بهت عنه ذلك اى تحير وانتصب بهتانا على الحال اى باهتين
وآثمين او على انه مفعول له وان لم يكن غرضا كقولك قعد عن
القتال جبنا والميثاق الغليظ حق الصحبة والمضاجعة كانه
قيل واخذن به منكم ميثاقا غليظا اى بافضاء بعضكم الى بعض
ووصفه بالغلظ لقوته وعظمه فقد قالوا صحبة عشرين يوما
قرابة فكيف بما يجرى بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج
وقيل هو قول الولي عند العقد انكحتك على ما في كتاب الله
من امساك بمعروف او تسريح باحسان وعن النبي صلى الله عليه
استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان في ايديكم اخذتموهن
بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وكانوا ينكحون روابهم
وناس منهم يمقتونه من ذوي مروآتهم ويسمونه نكاح المقت وكان
المولود عليه يقال له المقتي ومن ثم قيل ومقتا كانه قيل هو
فاحشة في دين الله بالغة في القبح قبيح ممقوت في المروءة ولا مزيد
على ما جمع القبحين وقرئ لا يحل لكم بالتاء على ان ترثوا بمعنى
الوراثة وكرها بالفتح والضم من الكراهة والاكراه وقرئ بفاحشة
مبينة من ابانت بمعنى تبينت او بينت كما قرئ مبينة بكسر الياء
وفتحها ويجعل الله بالرفع على انه في موضع الحال وآتيتم احداهن
قنطارا بوصل همزة احداهن كما قرئ فلا اثم عليه فان قلت
تعضلوهن ما وجه اعرابه قلت النصب عطفا على ان
ترثوا ولا لتاكيد النفي اى لا يحل لكم ان ترثوا النساء ولا ان
تعضلوهن فان قلت اى فرق بين تعديتي ذهب بالباء
وبينها بالهمزة قلت اذا عدى بالباء فمعناه الاخذ والاستصحاب
كقوله تعالى فلما ذهبوا به واما الاذهاب فكالازالة فان قلت

وفي الحديث صحبة يوم مودة وصحبة شهر قرابة وصحبة سنة رحم ماسة رحم الله من وصلها ولعن الله من قطعها

اقبلوا وصيتي

وعاملوا خيرا ... بامر النساء ... خيرا عوان جمع عانية وهي الاسير

الا ان يأتين ما هذا الاستثناء قلت هو استثناء من اعم عام الظرف
او المفعول له كانه قيل ولا تعضلوهن في جميع الاوقات الا وقت
ان يأتين بفاحشة او ولا تعضلوهن لعلة من العلل الا لان
يأتين بفاحشة فان قلت من اى وجه صح قوله فعسى ان تكرهوا
جزاء للشرط قلت من حيث ان المعنى فان كرهتموهن فاصبروا
عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما
تحبونه فان قلت كيف استثنى ما قد سلف مما نكح آباؤكم
قلت كما استثنى غير ان سيوفهم من قوله ولا عيب فيهم يعني
ان امكنكم ان تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فلا يحل لكم غيره وذلك
غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه وسد الطريق الى اباحته
كما يعلق بالمحال في التأبيد في نحو قولهم حتى يبيض القار وحتى يلج
الجمل في سم الخياط معنى حرمت عليكم امهاتكم تحريم نكاحهن
لقوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء ولان تحريم نكاحهن هو
الذي يفهم من تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن
تحريم لحم الخنزير تحريم اكله وقرئ وبنات الاخت بتخفيف الهمزة
وقد نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما للمرضع
والمراضعة اختا وكذلك زوج المرضعة ابوه وابواه جداه واخته
عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم
اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته وكل من
ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه ومن
ولد لها من غيره فهم اخوته واخواته لامه ومنه قوله عليه السلام يحرم
من الرضاع ما يحرم من النسب وقالوا تحريم الرضاع كتحريم
النسب الا في مسئلتين احدهما انه لا يجوز للرجل ان يتزوج اخت
ابنه

من النساء ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا

حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم

كلاء

من النسب ويجوز أن يتزوج أخت ابنه من الرضاع لأن المعنى
في النسب وطؤه أمها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع
والثانية لا يجوز أن يتزوج أم أخيه من النسب ويجوز في الرضاع
لأن المانع من النسب وطء الأب إياها وهذا المعنى غير
موجود في الرضاع من نسائكم متعلق بربائبكم ومعناه أن الربيبة
من المرأة المدخول بها محرمة على الرجل حلال له إذا لم يدخل بها
فإن قلت هل يصح أن يتعلق بقوله وأمهات نسائكم قلت
لا يخلو إما أن يتعلق بهن وبالربائب فتكون حرمتهن غير مبهمة وحرمة
الربائب مبهمة فلا يجوز الأول لأن معنى من مع أحد المتعلقين خلاف
معناه مع الآخر ألا تراك إذا قلت وأمهات نسائكم من
نسائكم اللاتي دخلتم بهن فقد جعلت من لبيان النساء وتمييز
المدخول بهن من غير المدخول بهن وإذا قلت وربائبكم من
نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإنك جاعل من لابتداء الغاية
كما تقول بنات رسول الله من خديجة وليس يصح أن يعنى بالكلمة
الواحدة في خطاب واحد معنيان مختلفان ولا يجوز الثاني
لأن ما يليه هو الذي يستوجب التعليق به ما لم يعترض أمر لا يرد
إلا أن تقول أعلقه بالنساء والربائب وأجعل من للاتصال
كقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض فإني
لست منك ولست مني ما أنا من دد ولا الدد مني وأمهات
النساء متصلات بالنساء لأنهن أمهاتهن كما أن الربائب
متصلات بأمهاتهن لأنهن بناتهن هذا وقد اتفقوا على أن
تحريم أمهات النساء مبهم دون تحريم الربائب على ما عليه
ظاهر كلام الله وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في رجل تزوج
امرأة

في النسب

وحرمة الربائب غير مبهمتين جميعا وأما أن يتعلق بهن دون الربائب فتكون حرمتهن

ثم طلقها قبل أن يدخل بها أنه قال لا بأس أن يتزوج ابنتها
ولا يحل له أن يتزوج أمها وعن عمر وعمران بن الحصين أن
الأم تحرم بنفس العقد وعن مسروق هي مرسلة فأرسلوا
ما أرسل الله وعن ابن عباس أبهموا ما أبهم الله إلا ما روي
عن علي وابن عباس وزيد وابن عمر وابن الزبير أنهم قرأوا
وأمهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن وكان ابن عباس يقول
والله ما نزل إلا هكذا وعن جابر روايتان وعن سعيد بن
المسيب عن زيد إذا ماتت عنده فأخذ ميراثها كره أن يخلف
على أمها وإذا طلقها قبل أن يدخل بها فإن شاء فعل أقام الموت
مقام الدخول في ذلك كما قام مقامه في باب المهر وسمي ولد المرأة
من غير زوجها ربيبا وربيبة لأنه يربهما كما يرب ولده
في غالب الأمر ثم اتسع فيه فسميا بذلك وإن لم يربهما فإن قلت
ما فائدة قوله في حجوركم قلت فائدته التعليل للتحريم وأنهن
لاحتضانكم لهن أو لكونهن بصدد احتضانكم وفي حكم التقلب
في حجوركم إذا دخلتم بأمهاتهن وتمكن بدخولكم حكم الزواج وثبتت
الخلطة والألفة وجعل الله بينكم المودة والرحمة وكانت
الحال خليقة بأن تجروا أولادهن مجرى أولادكم كأنكم
في العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم وعن علي رضي الله عنه
أنه شرط ذلك في التحريم وبه أخذ داود فإن قلت ما معنى دخلتم
بهن قلت هي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها
الحجاب يعني أدخلتموهن الستر والباء للتعدية واللمس ونحوه
يقوم مقام الدخول عند أبي حنيفة رحمه الله وعن عمر رضي الله عنه أنه خلا
بجارية فجردها فاستوهبها ابن له فقال إنها لا تحل لك

امآ انى

وعن مسروق انه امر ان تباع جاريته بعد موته وقال لم اصب منها الا ما يحرمها على ولدي من اللمس والنظر وعن الحسن في الرجل يملك الامة فيغمزها لشهوة او يقبلها او يكشفها انها لا تحل لولده بحال وعن عطاء وحماد بن ابي سليمان اذا نظر الى فرج امراة فلا ينكح امها ولا ابنتها وعن الاوزاعي اذا دخل بالام فعراها ولمسها بيده واغلق الباب وارخى الستر فلا يحل له نكاح ابنتها وعن ابن عباس وطاوس وعمرو بن دينار ان التحريم لا يقع الا بالجماع وحده الذين من اصلابكم دون من تبنيتم وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش الاسدية بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب حين فارقها زيد بن حارثة وقال عز وجل لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيائهم وان تجمعوا في موضع الرفع عطف على المحرمات اي حرم عليكم الجمع بين الاختين والمراد حرمة النكاح لان التحريم في الآية تحريم النكاح واما الجمع بينهما في ملك اليمين فعن عثمان وعلي رضي الله عنهما انهما قالا احلتهما آية وحرمتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح علي التحريم وعثمان التحليل الا ما قد سلف لكن ما مضى مغفور بدليل قوله ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات القراءة بفتح الصاد وعن طلحة بن مصرف انه قرا بكسر الصاد وهن ذوات الازواج لانهن احصن فروجهن بالتزوج فهن محصنات ومحصنات الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانهم من اللاتي سبين ولهن ازواج في دار الكفر

وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما

والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم كتاب الله عليكم واحل لكم ما وراء ذلكم

الفرزدق

فهن حلال لغزاة المسلمين وان كن محصنات وفي معناه قول

وذات حليل انكحتها رماحنا • حلال لمن يبني بها لم تطلق •

كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اي كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فرضا وهو تحريم ما حرم فان قلت علام عطف قوله واحل لكم قلت على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله اي كتب الله عليكم تحريم ذلك واحل لكم ما وراء ذلكم ويدل عليه قراءة اليماني كتب الله عليكم واحل لكم وروي عن اليماني كتب الله عليكم على الجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم ومن قرا واحل على البناء للمفعول فقد عطفه على حرمت ان تبتغوا مفعول له بمعنى بين لكم ما يحل مما يحرم ارادة ان يكون ابتغاؤكم باموالكم التي جعل الله لكم قياما في حال كونكم محصنين غير مسافحين لئلا تضيعوا اموالكم وتفقروا انفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم ودينكم ولا مفسدة اعظم مما يجمع بين الخسرانين والاحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام والاموال المهور وما يخرج في المناكح فان قلت اين مفعول تبتغوا قلت يجوز ان يكون مقدرا وهو النساء والاجود ان لا يقدر وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم ويجوز ان يكون ان تبتغوا بدلا من ما وراء ذلكم والمسافح الزاني من السفح وهو صب المني وكان الفاجر يقول للفاجرة سافحيني وماذيني من المذي فما استمتعتم به منهن فما استمتعتم به من المنكوحات من جماع او خلوة صحيحة او عقد عليهن فآتوهن اجورهن عليه فاسقط الراجع الى ما لانه لا يلبس كقوله ان ذلك لمن عزم الامور باسقاط منه

ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين

وكان ...

فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن فريضة

ويجوز ان يكون ما في معنى النساء ومن للتبعيض او للبيان ويرجع الضمير
على اللفظ في به وعلى المعنى في فآتوهن واجورهن مهورهن
لان المهر ثواب على البضع فريضة حال من الاجور بمعنى
مفروضة او وضعت موضع ايتاء لان الايتاء مفروض
او مصدر مؤكد اي فرض ذلك فريضة فيما تراضيتم به من
بعد الفريضة فيما تحط عنه من المهر او تهب له من كله او
يزيد لها على مقداره وقيل فيما تراضيا به من مقام او
فراق وقيل نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة ايام
حين فتح الله مكة على رسوله ثم نسخت كان الرجل ينكح المرأة
وقتا معلوما ليلة او ليلتين او اسبوعا بثوب او غير ذلك
ويقضي منها وطره ثم يسرحها سميت متعة لاستمتاعه
بها او لتمتيعه لها بما يعطيها وعن عمر لا اوتى برجل تزوج
امرأة الى اجل الا رجمتهما بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه
انه اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم
بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك
الى يوم القيامة وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين وعن ابن
عباس هي محكمة يعني لم تنسخ وكان يقرأ فما استمتعتم
به منهن الى اجل مسمى ويروى انه رجع عن ذلك عند
موته وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعة
وقولي في الصرف الطول الفضل يقال لفلان على فلان طول
اي زيادة وفضل وقد طاله طولا فهو طائل قال لقد زادني
حبا لنفسي انني بغيض الى كل امرئ غير طائل ومنه قولهم
ما خلي منه بطائل اي بشيء يعتد به مما له فضل وخطر ومنه
الطول في الجسم

لانه زيادة فيه كما ان القصر قصور فيه ونقصان والمعنى ومن لم
يستطع زيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح
امة قال ابن عباس من ملك ثلاثمائة درهم فقد وجب
عليه الحج وحرم عليه نكاح الاماء وهو الظاهر وعليه مذهب
الشافعي رضي الله عنه واما ابو حنيفة رضي الله عنه فيقول الغني
والفقير سواء في جواز نكاح الامة ويفسر الآية بان من
لم يملك فراش الحرة على ان النكاح هو الوطء فله ان ينكح
امة وفي رواية عن ابن عباس انه قال ومما وسع الله على
هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان
موسرا وكذلك قوله من فتياتكم المؤمنات الظاهر ان
لا يجوز نكاح الامة الكتابية وهو مذهب اهل الحجاز وعند
اهل العراق يجوز نكاحها ونكاح الامة المؤمنة افضل فحملوه
على الفضل لا على الوجوب واستشهدوا على ان الايمان
ليس بشرط بوصف الحرائر به مع علمنا انه ليس بشرط
فيهن على الاتفاق لكنه افضل فان قلت لم كان نكاح
الامة منحطا عن نكاح الحرة قلت لما فيه من اتباع
الولد الام في الرق ولثبوت حق المولى فيها وفي استخدامها
ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله نقصان
راجع الى الناكح ومهانة والعزة من صفات المؤمنين
وقوله من فتياتكم اي من فتيات المسلمين لا من فتيات
غيركم وهم المخالفون في الدين فان قلت فما معنى قوله
والله اعلم بايمانكم قلت معناه ان الله اعلم بتفاضل
ما بينكم وبين ارقائكم في الايمان ورجحانه ونقصانه
فيهم وفيكم

ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما

ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض

قد بما كان ايمان الامة ارجح من ايمان الحرة والمراة افضل في الايمان
من الرجل وحق المومنين ان لا يعتبروا الا الافضل في الايمان لا الافضل
بالاحساب والانساب وهذا تانيس بنكاح الاماء وترك
الاستنكاف منه بعضكم من بعض اي انتم وارقاؤكم متواصلون
متناسبون لاشتراككم في الايمان لا يفضل حر عبدا الا برجحان
فيه فانكحوهن باذن اهلهن اشتراط لاذن الموالي في نكاحهن ويحتج به
لقول ابي حنيفة رضي الله عنه ان لهن ان يباشرن العقد
بانفسهن لانه اعتبر اذن الموالي لا عقدهم وآتوهن اجورهن
بالمعروف وادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار
والحاج الى الاقتضاء واللمز فان قلت الموالي هم ملاك
مهورهن لا هن فالواجب اداؤها اليهم فلم قيل وآتوهن
قلت لانهن وما في ايديهن مال الموالي فكان اداؤها اليهن
اداء الى الموالي او على ان اصله فآتوا مواليهن فحذف
المضاف محصنات عفائف ولا متخذات اخدان اخلاء في السر
كانه قال غير مجاهرات بالسفاح ولا مسرات له فاذا
احصن بالتزويج وقرئ احصن نصف ما على المحصنات
الحرائر من العذاب من الحد كقوله وليشهد عذابهما طائفة
ويدرا عنها العذاب ولا رجم عليهن لان الرجم لا يتنصف
ذلك اشارة الى نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم لمن خاف
الاثم الذي تؤدي اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار
العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من
مواقعة المآثم وقيل اراد به الحد لانه اذا هويها خشي
ان يواقعها فيحد فيتزوجها وان تصبروا في محل الرفع على
الابتداء

فانكحوهن باذن اهلهن وآتوهن اجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان

فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم والله غفور رحيم

وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت يريد الله
ليبين لكم اصله يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة
لارادة التبيين كما زيدت في لا اباك لتاكيد اضافة
الاب والمعنى يريد الله ان يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم
وافاضل اعمالكم وان يهديكم مناهج من كان قبلكم من الانبياء
والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم ويتوب
عليكم ويرشدكم الى طاعات ان قمتم بها كانت كفارات
لسيئاتكم ويكفر لكم والله يريد ان يتوب عليكم ان تفعلوا ما
تستوجبون به ان يتوب عليكم ويريد الفجرة الذين يتبعون
الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما وهو الميل عن القصد والحق
ولا ميل اعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات
وقيل هم اليهود وقيل المجوس كانوا يحلون نكاح الاخوات
من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله
قالوا فانكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام
فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت يقول يريدون ان
تكونوا زناة مثلهم يريد الله ان يخفف عنكم باحلال نكاح الامة
وغيره من الرخص وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن
الشهوات وعلى مشاق الطاعات وعن سعيد بن المسيب ما
ايس الشيطان من بني آدم قط الا اتاهم من قبل النساء
فقد اتى علي ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى
وان اخوف ما اخاف علي فتنة النساء وقرئ ان يميلوا بالياء
والضمير للذين يتبعون الشهوات وقرا ابن عباس وخلق
الانسان

يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم

والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما

يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا

آيات

على البناء للفاعل ونصب الانسان وعنه رضي الله عنه ثمان

في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس

وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد

الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله

لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل

سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم بالباطل بما لم تبحه

يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم

الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربوا

الا ان تكون تجارة الا ان يقع تجارة وقرئ تجارة على الا ان تكون التجارة

تجارة عن تراض منكم والاستثناء منقطع معناه ولكن اقصدوا

كون تجارة عن تراض

كون التجارة تجارة عن تراض او ولكن كون تجارة عن تراض غير

منهي عنه وقوله عن تراض صفة لتجارة اي تجارة صادرة وخص

التجارة بالذكر لان اسباب الرزق اكثرها متعلق بها والتراضي

ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما

رضا المتبايعين بما تعاقدا عليه حال البيع وقت الايجاب

والقبول وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي رحمه الله

تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين ولا تقتلوا انفسكم من

كان من جنسكم من المؤمنين وعن الحسن لا تقتلوا اخوانكم او

لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة وعن عمرو بن العاص

انه تأول في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه

وقرأ علي رضي الله عنه ولا تقتّلوا بالتشديد ان الله كان بكم

رحيما ما نهاكم عما يضركم الا لرحمته عليكم وقيل معناه انه

امر بني اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم

وكان بكم يا امة محمد رحيما حيث لم يكلفكم التكاليف الصعبة

ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا

ذلك اشارة الى القتل اي ومن يقدم على قتل

الانفس

او الى ما سبق من المحرمات

عدوانا وظلما لا خطأ ولا اقتصاصا وقرئ عدوانا بالكسر

ونصليه بتخفيف اللام وتشديدها ونصليه بفتح النون

من صلاه نصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء

والضمير لله عز وجل او لذلك لكونه سببا للصلي نارا

او الى القتل والله يذكر

نارا مخصوصة شديد العذاب وكان ذلك على الله يسيرا

لان الحكمة تدعو اليه ولا صارف عنه من ظلم او نحوه ان تجتنبوا كبائر ما

ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما

تنهون عنه وقرئ كبير ما تنهون عنه اي ما كبر من المعاصي التي

ينهاكم الله عنها والرسول نكفر عنكم سيئاتكم نمط ما تستحقونه

من العقاب في كل وقت على صغائركم ونجعلها كأن

لم تكن لزيادة الثواب المستحق على اجتنابكم الكبائر

او عظم الثواب المستحق لاجتنابكم

وصبركم عنها على عقاب السيآت والكبيرة والصغيرة

انما وصفتا بالكبر والصغر باضافتهما اما الى طاعة او معصية

او ثواب فاعلها والتكفير اماطة المستحق من العقاب بثواب

ازيد او بتوبة والاحباط نقيضه وهو اماطة الثواب المستحق

بعقاب ازيد او بندم على الطاعة وعن علي رضي الله عنه

الكبائر سبع الشرك والقتل والقذف والزنا واكل مال اليتيم

والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة وزاد ابن عمر

السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس ان

رجلا قال له الكبائر سبع فقال هي الى سبعمائة اقرب

لانه لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وروي

الى سبعين وروي يكفر بالياء ومدخلا بضم الميم وفتحها بمعنى

المكان والمصدر فيهما ولا تتمنوا نهوا عن التحاسد وعن

ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض

تمني ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال

لأن ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم
بأحوال العباد وبما يصلح المقسوم له من بسط في الرزق أو قبض
ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض فعلى كل أحد أن
يرضى بما قسم له علماً بأن ما قسم له هو مصلحته ولو كان خلافه لكان
مفسدة له ولا يحسد أخاه على حظه للرجال نصيب مما اكتسبوا الآية
ما قسم لكل من الرجال والنساء على حسب ما عرف الله من حاله
الموجبة للبسط أو القبض كسباً له واسألوا الله من فضله ولا
تتمنوا أنصباء غيركم من الفضل ولكن سلوا الله من خزائنه
التي لا تنفد وقيل إن الرجال قالوا إن الله فضلنا على النساء
في الدنيا لنا سهمان ولهن سهم واحد نرجو أن يكون لنا أجران
في الآخرة على الأعمال ولهن أجر واحد فقالت أم سلمة ونسوة
معها ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتب على الرجال فيكون
لنا من الأجر مثل ما لهم فنزلت مما ترك تبيين لكل أي ولكل
شيء مما ترك الوالدان والأقربون من المال جعلنا موالي وراثاً يلونه
ويحرزونه أو ولكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان
والأقربون على أن جعلنا موالي صفة لكل والضمير الراجع إلى كل
محذوف والكلام مبتدأ وخبر كما تقول لكل من خلقه الله
إنساناً من رزق الله أي حظ من رزق الله أو ولكل أحد جعلنا
موالي مما ترك أي وراثاً مما ترك على أن من صلة موالي لأنهم في
معنى الوراث وفي ترك ضمير كل ثم فسر الموالي بقوله الوالدان
والأقربون كأنه قيل من هم فقيل الوالدان والأقربون والذين
عاقدت أيمانكم مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع خبره مع الفاء
وهو قوله فآتوهم نصيبهم ويجوز أن يكون منصوباً على قولك زيداً فاضربه

للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليماً ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون

من في الأول للتبيين وفي الثانية للتبعيض وفي الثالثة للصلة

والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم إن الله كان على كل شيء شهيداً

ويجوز أن يعطف على الوالدان ويكون المضمر في فآتوهم للموالي
والمراد بالذين عاقدت أيمانكم موالي الموالاة كان الحليف يعاقد
الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثأري ثأرك
وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وأرثك وتطلب بي وأطلب
بك وتعقل عني وأعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث
الحليف فنسخ وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خطب يوم الفتح فقال
ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فإنه لم يزده الإسلام
إلا شدة ولا تحدثوا حلفاً في الإسلام وعند أبي حنيفة رضي الله عنه
لو أسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على أن يتعاقلا ويتوارثا صح عنده
وورث بحق الموالاة خلافاً للشافعي وقيل المعاقد التبني
ومعنى عاقدت أيمانكم عاقدتهم أيديكم وماسحتموهم وقرئ عقدت
بالتشديد والتخفيف بمعنى عقدت عهودهم أيمانكم الرجال قوامون
على النساء يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على
الرعايا وسموا قواماً لذلك والضمير في بعضهم للرجال والنساء
جميعاً يعني إنما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله
بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء وفيه دليل على أن
الولاية إنما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر
وقد ذكروا في فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة
في الغالب والفروسية والرمي وأن منهم الأنبياء والعلماء وفيهم
الإمامة الكبرى والصغرى والجهاد والأذان والخطبة والاعتكاف
وتكبيرات التشريق عند أبي حنيفة رضي الله عنه والشهادة في الحدود والقصاص
وزيادة السهم والتعصيب في الميراث والحمالة والقسامة والولاية
في النكاح والطلاق والرجعة وعدد الأزواج وإليهم الانتساب

الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض

وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن

وبما انفقوا وبسبب ما اخرجوا في نكاحهن
من اموالهم في المهور والنفقات وروي ان سعد بن الربيع
وكان نقيبا من نقباء الانصار نشزت عليه امراته حبيبة
بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال افرشته كريمتي فلطمها فقال لتقتص
منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله
خير ورفع القصاص واختلف في ذلك فقيل لا قصاص بين
الرجل وامراته فيما دون النفس ولو شجها ولكن يجب العقل وقيل
لا قصاص الا في الجرح والقتل واما اللطمة ونحوها فلا قانتات
مطيعات قائمات بما عليهن للازواج حافظات للغيب الغيب
خلاف الشهادة اي حافظات لمواجب الغيب اذا كان الازواج غير
شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه في حال الغيبة من الفروج
والبيوت والاموال وعن النبي صلى الله عليه وسلم خير النساء امراة
ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها
حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل للغيب لاسرارهم بما
حفظ الله بما حفظهن الله حين اوصى بهن الازواج في كتابه
وامر رسوله فقال استوصوا بالنساء خيرا او بما حفظهن الله وعصمهن
ووفقهن لحفظ الغيب او بما حفظهن حين وعدهن الثواب
العظيم على حفظ الغيب واوعدهن بالعذاب الشديد على
الخيانة وما مصدرية وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة
اي حافظات للغيب بالامر الذي يحفظ حق الله وامانة الله وهو
التعفف والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم وقرا ابن
مسعود فالصوالح قوانت حوافظ للغيب بما حفظ الله فاصلحوا الى
اليهن

نشوزها ونشوصها ان تعصي زوجها ولا تطمئن اليه واصله الانزعاج
في المضاجع في المراقد اي لا تداخلوهن تحت اللحف وهو
كناية عن الجماع وقيل هو ان يوليها ظهره في المضجع وقرئ في المضطجع
وذلك لتعرف احوالهن وتحقق امرهن في النشوز امر بوعظهن
اولا ثم بهجرانهن في المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن
الوعظ والهجران وقيل معناه اكرهوهن على الجماع واربطوهن
من هجر البعير اذا شده بالهجار وهذا من تفسير الثقلاء وقالوا
يجب ان يكون ضربا غير مبرح لا يجرحها ولا يكسر لها عظما ويجتنب
الوجه وعن النبي صلى الله عليه وسلم علق سوطك حيث يراه اهلك
وعن اسماء بنت ابي بكر الصديق كنت رابعة اربع نسوة عند
الزبير بن العوام فاذا غضب على احدانا ضربها بعود المشجب
حتى يكسره عليها ويروى عن الزبير ابيات ولولا بنوها حولها لخبطتها
فلا تبغوا عليهن سبيلا فازيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ
والتجني وتوبوا عليهن واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن بعد رجوعهن
الى الطاعة والانقياد وترك النشوز ان الله كان عليا كبيرا
فاحذروه واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت
ايديكم ويروى ان ابا مسعود الانصاري رفع سوطه ليضرب
غلاما له فبصر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاح به ابا مسعود لله
اقدر عليك منك عليه فرمى بالسوط واعتق الغلام او ان الله
كان عليا كبيرا وانكم تعصونه على علو شانه وكبرياء سلطانه ثم
تتوبون فيتوب عليكم فانتم احق ان تعفوا عمن يجني عليكم اذا رجع
شقاق بينهما اصله شقاقا بينهما فاضيف الشقاق الى الظرف
على طريق الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار واصله بل مكر في الليل
والنهار

فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا

وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا

ادعى انه جعل البين مشاقا والليل والنهار ماكرين على قولهم نهارك
والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجري ذكر ما يدل عليهما وهو الرجال
والنساء حكما من اهله رجلا مقنعا رضى يصلح للحكومة والعدل
والاصلاح بينهما وانما كان بعث الحكمين من اهلهما لان الاقارب
اعرف بواطن الاحوال واطلب للصلاح وانما تسكن اليهم نفوس
الزوجين وتبرز اليهم ما في ضمائرهما من الحب والبغض وارادة
الصحبة والفرقة وموجبات ذلك ومقتضياته وما يزويانه عن
الاجانب ولا يحبان ان يطلعوا عليه فان قلت فهل يليان
الجمع بينهما والتفريق ان رايا ذلك قلت قد اختلف فيه فقيل
ليس اليهما ذلك الا باذن الزوجين وقيل ذلك اليهما وما جعلا
حكمين الا واليهما بناء الامر على ما يقتضيه اجتهادهما وعن
عبيدة السلماني شهدت عليا رضي الله عنه وعنده جاءته امرأة وزوجها
ومع كل واحد فئام من الناس فاخرج هؤلاء حكما وهؤلاء حكما فقال
علي للحكمين اتدريان ما عليكما ان عليكما ان رايتما ان تفرقا
فرقتما وان رايتما ان تجمعا جمعتما فقال الزوج اما الفرقة فلا فقال علي
كذبت والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله لك وعليك فقالت
المرأة رضيت بكتاب الله لي وعلي وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان
وعن الشعبي ما قضى الحكمان جاز والالف في يريدا اصلاحا ضمير
الحكمين وفي يوفق الله بينهما للزوجين اي ان قصدا اصلاح ذات
البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله بورك
في وساطتهما واوقع الله بطيب نفسيهما وحسن سعيهما بين الزوجين
الوفاق والالفة والقى في نفوسهما المودة والرحمة وقيل الضميران
للحكمين اي ان قصدا اصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين

يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة ويتساندان في طلب الوفاق
حتى يحصل الغرض ويتم المراد وقيل الضميران للزوجين
اي ان يريدا اصلاح ما بينهما وطلبا الخير وان يزول عنهما
الشقاق يطرح الله بينهما الالفة وابدلهما بالشقاق وفاقا وبالبغضاء
مودة ان الله كان عليما خبيرا يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع
بين المفترقين لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم
ولكن الله الف بينهم وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا
وبذي القربى وبكل من بينكم وبينه قربى من اخ او عم او غيرهما
والجار ذي القربى الذي قرب جواره والجار الذي جواره بعيد
وقيل الجار القريب النسيب والجار الجنب الاجنبي وانشد
لبلعاء بن قيس لا تجتوينا مما وبابنا ذو رحم ادنى وزجنب
وقرئ والجار ذا القربى نصبا على الاختصاص كما قرئ حافظوا
على الصلوات والصلوة الوسطى تنبيها على عظم حقه لادلائه بحقي
الجوار والقربى والصاحب بالجنب هو الذي صحبك بان حصل
بجنبك اما رفيقا في سفر واما جارا ملاصقا واما شريكا في تعلم
علم او حرفة واما قاعدا الى جنبك في مجلس او مسجد او غير ذلك
من ادنى صحبة التأمت بينك وبينه فعليك ان ترعى
ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة الى الاحسان وقيل
الصاحب بالجنب المرأة وابن السبيل المسافر المنقطع به وقيل
الضيف والمختال التياه الجهول الذي يتكبر عن اكرام اقاربه
واصحابه ومماليكه فلا يتحفى بهم ولا يلتفت اليهم وقرئ والجار
الجنب بفتح الجيم وسكون النون الذين يبخلون بدل من قوله من
كان مختالا فخورا او نصب على الذم ويجوز ان يكون رفعا عليه وان
يكون

واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا

مبتدأ خبره محذوف كأنه قيل الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون أحقاء
بكل ملامة وقرئ بالبخل بضم الباء وفتحها وبفتحتين وضمتين أي
يبخلون بذات أيديهم وبما في أيدي غيرهم فيأمرونهم بأن يبخلوا به
مقتاً للسخاء ممن وجد وفي أمثال العرب أبخل من الضنين بنائل
غيره قال وإن امرأ ضنت يداه على امرئ بنيل يد من غيره لبخيل
ولقد رأينا ممن بلي بداء البخل من إذا طرق سمعه أن أحداً جاد على
أحد شخص به وحل حبوته واضطرب ودارت عيناه في رأسه كأنما
نهب رحله وكسرت خزانته ضجراً من ذلك وحسرة على وجوده
وقيل هم اليهود كانوا يأتون رجالاً من الأنصار يتنصحون
لهم ويقولون لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون
ما يكون وقد عابهم بكتمان نعمة الله وما آتاهم من فضله الغنى
والتفاقر إلى الناس وعن النبي صلى الله عليه إذا أنعم الله على
عبد نعمة أحب أن يرى نعمته على عبده وبنى عامل للرشيد
قصراً حذاء قصره فنم به عنده فقال الرجل يا أمير المؤمنين
إن الكريم يسره أن يرى أثر نعمته فأحببت أن أسرك بالنظر
إلى آثار نعمتك فأعجبه كلامه وقيل نزلت في شأن اليهود
الذين كتموا صفة رسول الله رئاء الناس للفخار وليقال ما أسخاهم
وما أجودهم لا ابتغاء وجه الله وقيل نزلت في مشركي مكة
المنفقين أموالهم في عداوة رسول الله فساء قريناً حيث حملهم
على البخل والرياء وكل شر ويجوز أن يكون وعيداً لهم بأن الشيطان
يقرن بهم في النار وماذا عليهم وأي تبعة ووبال عليهم في الإيمان
والإنفاق في سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ وإلا فكل منفعة
ومفلحة في ذلك وهذا كما يقال للمنتقم ما ضرك لو عفوت وللعاق

وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما

ما كان يرزؤك لو كنت باراً وقد علم أنه لا مضرة ولا منقصة في العفو
والبر ولكنه ذم وتوبيخ وتجهيل بمكان المنفعة وكان الله بهم
عليماً وعيد المثقال مفعال من الثقل وفي قراءة عبد الله مثقال نملة وعن
ابن عباس رضي الله عنهما أنه أدخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال
كل واحد من هؤلاء ذرة وقيل كل جزء من أجزاء الهباء في
الكوة ذرة وفيه دليل على أنه لو نقص من الأجر أدنى شيء وأصغره
أو زاد في العقاب لكان ظلماً وأنه لا يفعله لاستحالته في الحكمة
لا لاستحالته في القدرة وإن تك حسنة وإن تك مثقال الذرة حسنة
وإنما أنث ضمير المثقال لكونه مضافاً إلى مؤنث وقرئ بالرفع
على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها لاستحقاقها عنده
الثواب في كل وقت من الأوقات المستقبلة غير المتناهية وعن
عثمان النهدي أنه قال لأبي هريرة بلغني عنك أنك تقول سمعت
رسول الله صلى الله عليه يقول إن الله تعالى يعطي عبده المؤمن
بالحسنة ألف ألف حسنة قال أبو هريرة لا بل سمعته يقول إن الله تعالى
يعطيه ألفي ألف حسنة ثم تلا هذه الآية والمراد الكثير لا التحديد
ويؤت من لدنه أجراً عظيماً ويعط صاحبها من عنده على سبيل
التفضل عطاء عظيماً وسماه أجراً لأنه تابع للأجر لا يثبت إلا بثباته
وقرئ نضعفها بالتشديد والتخفيف من أضعف وضعف
وقرأ ابن هرمز نضاعفها بالنون فكيف يصنع هؤلاء الكفرة
من اليهود وغيرهم إذا جئنا من كل أمة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا
وهو نبيهم كقوله وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم وجئنا بك على هؤلاء
المكذبين شهيداً وعن ابن مسعود أنه قرأ سورة النساء على
رسول الله صلى الله عليه حتى بلغ قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيداً

إن الله لا يظلم مثقال ذرة

وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما

فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا

فبكى رسول الله وقال حسبنا لو تسوى بهم الارض لو يدفنون فتسوى
بهم الارض كما تسوى بالموتى وقيل يودون انهم لم يبعثوا وانهم
كانوا والارض سواء وقيل تصير البهائم ترابا فيودون حالها
ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم
وقيل الواو للحال اي يودون ان يدفنوا تحت الارض
وانهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبون في قولهم والله ربنا ما كنا
مشركين لانهم اذا قالوا ذلك وجحدوا شركهم ختم الله على
افواههم عند ذلك وتكلمت ايديهم وارجلهم بتكذيبهم والشهادة
عليهم بالشرك فلشدة الامر عليهم يتمنون ان تسوى بهم الارض
وقرئ تسوى بحذف التاء من تتسوى يقال سويته فتسوى نحو لويته
فتلوى وتسوى بادغام التاء في السين كقوله يسمعون وماضيه
اسوى كازكى روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما
وشرابا فدعا نفرا من اصحاب رسول الله حين كانت الخمر مباحة
فاكلوا وشربوا فلما ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب قدموا احدهم
ليصلي بهم فقرا اعبد ما تعبدون وانتم عابدون ما اعبد فنزلت
فكانوا لا يشربون في اوقات الصلوة فاذا صلوا العشاء شربوها
فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ثم نزل
تحريمها ومعنى لا تقربوا الصلوة لا تغشوها ولا تقوموا اليها
واجتنبوها كقوله ولا تقربوا الزنا ولا تقربوا الفواحش وقيل معناه
ولا تقربوا مواضعها وهي المساجد لقوله عليه السلم جنبوا مساجدكم
صبيانكم ومجانينكم وقيل هو سكر النعاس وغلبة النوم كقوله
وبانوا السكر سناتهم كل الزيون وقرئ سكارى بفتح السين
وسكرى على ان يكون جمعا نحو هلكى وجوعى لان السكر علة تلحق العقل

يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم ان الله كان عفوا غفورا

او مفردا بمعنى وانتم جماعة سكرى كقولك امراة سكرى وسكرى
بضم السين كحبلى على ان تكون صفة للجماعة وحكى جناح بن حبيش
كسلى وكسلى بالفتح والضم ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى
لان محل الجملة مع الواو النصب على الحال كانه قيل لا تقربوا الصلوة
سكارى ولا جنبا والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب الا
عابري سبيل استثناء من عامة احوال المخاطبين وانتصابه على
الحال والحال التي قبلها كانه قيل لا تقربوا الصلوة في
حال الجنابة الا ومعكم حال اخرى تعذرون فيها وهي حال السفر
وعبور السبيل عبارة عنه ويجوز ان لا يكون حالا ولكن صفة لقوله
جنبا اي ولا تقربوا الصلوة جنبا غير عابري سبيل اي جنبا
مقيمين غير معذورين فان قلت كيف تصح صلوتهم على
الجنابة لعذر السفر قلت اريد بالجنب الذين لم يغتسلوا كانه
قيل لا تقربوا الصلوة غير مغتسلين حتى تغتسلوا الا ان تكونوا مسافرين
ومنهم من فسر الصلوة بالمسجد ومعناه لا تقربوا المسجد جنبا الا
مجتازين فيه اذا كان الطريق فيه الى الماء او كان الماء فيه او
احتلمتم فيه وقيل ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم في
المسجد فتصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا الا في المسجد فرخص لهم
وروي ان رسول الله لم ياذن لاحد ان يجلس في المسجد او يمر فيه
وهو جنب الا لعلي رضي الله عنه لان بيته كان في المسجد فان قلت
ادخل في حكم الشرط اربعة وهم المرضى والمسافرون والمحدثون واهل
الجنابة فبمن تعلق الجزاء الذي هو الامر بالتيمم عند عدم الماء منهم قلت
الظاهر انه متعلق بهم جميعا وان المرضى اذا عدموا الماء لضعف
حركتهم

ويعجزهم عن الوصول اليه فلهم ان يتيمموا وكذلك السفر اذا عدموه
لبعده والمجدورون واهل الجبائر كذلك اذا لم يجدوه لبعض
الاسباب وقال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا كان او غيره
وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان
ذلك طهوره وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله فان قلت فما تصنع
بقوله في سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي بعضه
وهذا لا يتاتى في الصخر الذي لا تراب عليه قلت قالوا ان
من لابتداء الغاية فان قلت قولهم انها لابتداء الغاية قول
متعسف ولا يفهم احد من العرب من قول القائل مسحت براسه
من الدهن ومن الماء ومن التراب الا معنى التبعيض
قلت هو كما تقول والاذعان للحق احق من المراء ان الله كان
عفوا غفورا كناية عن الترخيص والتيسير لان من كانت
عادته ان يعفو عن الخطائين ويغفر لهم آثر ان يكون ميسرا
غير معسر فان قلت كيف نظم في سلك واحد بين المرضى
والمسافرين وبين المحدثين والمجنبين والمرض والسفر سببان
من اسباب الرخصة والحدث سبب لوجوب الوضوء والجنابة
سبب لوجوب الغسل قلت اراد سبحانه ان يرخص للذين
وجب عليهم التطهر وهم عادمون للماء في التيمم بالتراب فخص
اولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لانهم المتقدمون في استحقاق
بيان الرخصة لهم لكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الاسباب
الموجبة للرخصة ثم عم كل من وجب عليه التطهر واعوزه الماء
لخوف عدو او سبع او عدم آلة استقاء او ارهاق في مكان
لا ماء فيه او غير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض والسفر وقيل

وهو خوف العدو او السبع او البرد المهلك

اي الجدال والاذعان للحق احق من ان اعاندك بالحجج من قول ابي حنيفة والزجاج وان كنت ثابتا عليه

العوز المطلوب [illegible]

يعني
من غيط وقيل هو تخفيف غيط كهين في هين والغيط
الغائط الم تر من رؤية القلب وعدي بالى على معنى الم ينته
علمك اليهم او بمعنى الم تنظر اليهم اوتوا نصيبا من الكتاب
حظا من علم التوراة وهم احبار اليهود يشترون الضلالة
يستبدلونها بالهدى وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح
الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله وانه هو النبي العربي المبشر به
في التوراة والانجيل ويريدون ان تضلوا انتم ايها المؤمنون
سبيل الحق كما ضلوه وتنخرطوا في سلكهم لا يكفيهم ضلالهم بل
يحبون ان يضل معهم غيرهم وقرئ ان يضلوا بالياء بفتح الضاد
وكسرها والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء
واطلعكم على احوالهم وما يريدون بكم فاحذروهم ولا تستنصحوهم
في اموركم ولا تستشيروهم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا
فثقوا بولايته ونصرته دونهم او لا تبالوا بهم فان الله ينصركم
عليهم ويكفيكم مكرهم من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا
من الكتاب لانهم يهود ونصارى وقوله والله اعلم وكفى بالله
وكفى بالله جمل توسطت بين البيان والمبين على سبيل الاعتراض
او بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض او صلة لنصيرا اي ينصركم
من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا ويجوز
ان يكون كلاما مبتدا محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون
كقوله وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح
اي فمنهما تارة اموت فيها يحرفون الكلم عن مواضعه يميلونه
عنها ويزيلونه لانهم اذا بدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره فقد اما لوه
عن مواضعه التي وضعه الله فيها وازالوه عنها وذلك

الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا السبيل والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا

من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا في الدين

على ان يحرفون صفة مبتدا
صح

حكاية عن المتكلم مع حالاته ... الكدح كما يكون

كتحريفهم اسمر ربعة عن موضعه في التوراة بوضعهم آدم
طوال مكانه وكتحريفهم الرجم بوضعهم الحد بدله فان قلت
كيف قيل ههنا عن مواضعه وفي المائدة من بعد مواضعه
قلت اما عن مواضعه فعلى ما فسرناه من ازالته عن مواضعه
التي اوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم
من ابدال غيره مكانه واما من بعد مواضعه فالمعنى انه كانت
له مواضع هو قمن بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب
الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقاره والمعنيان متقاربان
وقرئ يحرفون الكلام والكلم بكسر الكاف وسكون اللام
جمع كلمة تخفيف كلمة قوله غير مسمع حال من المخاطب اي اسمع
وانت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم اي اسمع
منا مدعوا عليك بلا سمعت لانه لو اجيبت دعوتهم عليه
لم يسمع فكان اصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على ان قولهم
لا سمعت دعوة مستجاب بها او اسمع غير مجاب الى ما
تدعو اليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكانك لم تسمع
شيا او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب
ويجوز على هذا ان يكون غير مسمع مفعول اسمع اي اسمع كلاما
غير مسمع اياك لان اذنك لا تعيه نبوا عنه ويحتمل المدح اي
اسمع غير مسمع مكروها من قولك اسمع فلان فلانا اذا
سبه وكذلك قولهم راعنا يحتمل راعنا نكلمك اي ارقبنا
وانتظرنا ويحتمل شبه كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون
بها وهي راعينا فكانوا سخرية بالدين وهزؤا برسول
الله يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة

ويظهرون به التوقير والاكرام ليا بالسنتهم فتلا بها وتحريفا
اي يفتلون بالسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا
موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او يفتلون
بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير
نفاقا فان قلت كيف جاءوا بالقول المحتمل ذي الوجهين
بعد ما صرحوا وقالوا سمعنا وعصينا قلت جميع الكفرة
كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء
السوء ويجوز ان يقولوه فيما بينهم ويجوز ان لا ينطقوا بذلك
ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كانهم نطقوا به وقرأ ابي
وانظرنا من الانظار وهو الامهال فان قلت الام يرجع
الضمير في قوله لكان خيرا لهم قلت الى انهم قالوا لان المعنى
ولو ثبت قولهم سمعنا واطعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم واقوم
واعدل واسد ولكن لعنهم الله بكفرهم اي خذلهم بسبب
كفرهم وابعدهم عن الطافه فلا يؤمنون الا ايمانا قليلا
اي ضعيفا ركيكا لا يعبأ به وهو ايمانهم بمن خلقهم مع كفرهم
بغيره او اراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي للمهم يصيبه
اي عديم التشكي او الا قليلا منهم قد آمنوا ان نطمس وجوها
ان نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وانف وفم
فنردها على ادبارها فنجعلها على هيئة ادبارها وهي
الاقفاء مطموسة مثلها والفاء للتسبيب وان جعلتها
للتعقيب على انهم توعدوا بعقابين احدهما عقيب الآخر
ردها على ادبارها بعد طمسها فالمعنى ان نطمس وجوها
فننكسها الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام ووجه آخر

ولو انهم قالوا سمعنا
واطعنا واسمع وانظرنا
لكان خيرا لهم واقوم
ولكن لعنهم الله بكفرهم
فلا يؤمنون الا قليلا

يا ايها الذين اوتوا الكتاب
آمنوا بما نزلنا مصدقا لما
معكم من قبل ان نطمس
وجوها فنردها على ادبارها
او نلعنهم كما لعنا اصحاب
السبت وكان امر الله
مفعولا

وسواء يراد بالطمس القلب والتغيير كما طمس اموال القبط
فقلبها حجارة وبالوجوه رؤسهم ووجهاؤهم اي من قبل ان
نغير احوال وجهائهم فنسلبهم اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم
وادبارهم او نردهم الى حيث جاؤا منه وهي اذرعات
الشام يريد اجلاء بني النضير فان قلت لمن الراجع في قوله
او نلعنهم قلت للوجوه ان اريد الوجهاء او لاصحاب الوجوه
لان المعنى من قبل ان نطمس وجوه قوم او يرجع الى الذين اوتوا
الكتاب على طريقة الالتفات او نلعنهم او نخزيهم بالمسخ كما مسخنا
اصحاب السبت فان قلت فاين وقوع الوعيد قلت هو مشروط
بالايمان وقد آمن منهم ناس وقيل هو منتظر ولا بد من طمس
ومسخ لليهود قبل يوم القيامة ولان الله اوعدهم باحد الامرين
بطمس وجوه منهم او بلعنهم فان كان الطمس تبديل احوال رؤسائهم
او اجلاءهم الى الشام فقد كان احد الامرين وان كان غيره فقد
حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان والظاهر اللعن المتعارف
دون المسخ الا ترى الى قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند
الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير
وكان امر الله مفعولا فلا بد ان يقع احد الامرين ان لم يؤمنوا
فان قلت قد ثبت ان الله عز وعلا يغفر الشرك لمن تاب منه
وانه لا يغفر ما دون الشرك من الكبائر الا بالتوبة فما وجه قوله ان
الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قلت
الوجه ان يكون الفعل المنفي والمثبت جميعا موجهين الى قوله لمن يشاء
كانه قيل ان الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ويغفر لمن يشاء ما دون
الشرك على ان المراد بالاول من لم يتب وبالثاني من تاب ونظيره

قولك

ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن
يشاء ومن يشرك بالله فقد
افترى اثما عظيما

الدينار

ان الامير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء يريد لا يبذل
لمن لا يشاء ويبذل القنطار لمن يشاء فقد افترى
اثما اي ارتكبه وهو مفتر مفتعل ما لا يصح كونه الذين يزكون
انفسهم اليهود والنصارى قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا
لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقيل جاء رجال
من اليهود الى رسول الله باطفالهم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال
لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل
وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار فنزلت ويدخل فيها كل من زكى
نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى والزلفى عند الله
فان قلت اما قال رسول الله صلى الله عليه وآله اني لامين في السماء
امين في الارض قلت انما قال ذلك حين قال له المنافقون اعدل
في القسمة اكذابا لهم اذ وصفوه بخلاف ما وصفه به ربه وشتان
من شهد الله له بالتزكية ومن شهد له من لا يعلم بل الله يزكي من
يشاء اعلام بان تزكية الله هي التي يعتد بها لا تزكية غيره
لانه هو العالم بمن هو اهل للتزكية ومعنى يزكي من يشاء يزكي
المرتضين من عباده الذين عرف منهم الزكاء فوصفهم به ولا يظلمون
اي الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تزكيتهم انفسهم حق جزائهم
او من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم ونحوه فلا تزكوا
انفسكم هو اعلم بمن اتقى كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم انهم
عند الله ازكياء وكفى بزعمهم هذا اثما مبينا من بين سائر
آثامهم الجبت الاصنام وكل ما عبد من دون الله والطاغوت
الشيطان وذلك ان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين
خرجا الى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة رسول
الله

الم تر الى الذين يزكون انفسهم
بل الله يزكي من يشاء ولا
يظلمون فتيلا انظر كيف
يفترون على الله الكذب وكفى
به اثما مبينا

لنفسه او شهد له صح

فتيلا

الم تر الى الذين اوتوا نصيبا
من الكتاب يؤمنون
بالجبت والطاغوت ويقولون
للذين كفروا هؤلاء اهدى
من الذين آمنوا سبيلا
اولئك الذين لعنهم الله ومن
يلعن الله فلن تجد له نصيرا

وقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال ابو سفيان انحن اهدى سبيلا ام محمد فقال كعب ماذا يقول محمد قالوا يامر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا افعالهم فقال انتم اهدى سبيلا وصف اليهود بالبخل والحسد وهما شر خصلتين يمنعون ما اوتوا من النعمة ويتمنون ان يكون لهم نعمة غيرهم فقال ام لهم نصيب من الملك على ان ام منقطعة ومعنى الهمزة لانكار ان يكون لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس اي لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون احدا مقدار نقير لفرط بخلهم والنقير النقرة في ظهر النواة وهو مثل في القلة كالفتيل والقطمير والمراد بالملك اما ملك اهل الدنيا واما ملك الله كقوله تعالى لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وهذا اوصف لهم بالشح واحسن لطباقه نظم القرآن ويجوز ان يكون معنى الهمزة لانكار انهم قد اوتوا نصيبا من الملك وكانوا اصحاب اموال وبساتين وقصور مشيدة كما يكون احوال الملوك وانهم لا يؤتون احدا مما يملكون شيئا وقرا ابن مسعود رضي الله عنه فاذا لا يؤتوا على اعمال اذا عملها الذي هو النصب وهي ملغاة في قراءة العامة كانه قيل فلا يؤتون الناس نقيرا اذا ام يحسدون الناس بل يحسدون رسول الله والمؤمنين على الكتاب الجديد واستباحته وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من النصرة والغلبة

أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما

وازديادها العزة والتقدم كل يوم فقد آتينا الزامهم بما عرفوه من ايتاء الله الكتاب والحكمة آل ابراهيم الذين هم اسلاف محمد صلى الله عليه وانه ليس ببدع ان يؤتيه الله ~~الكتاب والحكمة آل~~ مثل ما اوتي اسلافه وعن ابن عباس الملك في آل ابراهيم ملك يوسف وداود وسليمان وقيل استكثروا نساءه فقيل لهم كيف استكثرتم له التسع وقد كان لداود مائة ولسليمان ثلثمائة مهيرة وسبعمائة سرية فمنهم من اليهود من آمن به اي بما ذكر من حديث آل ابراهيم ومنهم من صد عنه وانكره مع علمه بصحته او من اليهود من آمن برسول الله ومنهم من انكر نبوته او من آل ابراهيم من آمن بابراهيم ومنهم من كفر لقوله فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون بدلناهم جلودا غيرها ابدلناهم اياها فان قلت كيف تعذب مكان الجلود العاصية جلود لم تعص قلت العذاب للجملة الحساسة وهي التي عصت لا للجلد وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج وعن رسول الله صلى الله عليه تبدل جلودهم كل يوم سبع مرات وعن الحسن سبعين مرة يبدلون جلودا بيضا كالقراطيس ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله اي ادامك على عزك وزادك فيه عزيزا لا يمتنع عليه شيء مما يريده بالمجرمين حكيما لا يعذب الا بعدل من يستحقه ظليلا صفة مشتقة من لفظ الظل لتاكيد معناه كما يقال ليل اليل ويوم ايوم وما اشبه ذلك وهو ما كان فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد وليس ذلك الا ظل الجنة رزقنا الله بفضله لما يزلف اليه التفيؤ تحت ذلك الظل في ذراه

عبد الله سيدخلهم الجنة

فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا

نزلت
ان تؤدوا الامانات الخطاب عام لكل احد في كل امانة وقيل
في عثمان بن طلحة بن عبد الدار وكان سادن الكعبة وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه حين دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمان
باب الكعبة وصعد السطح وابى ان يدفع المفتاح اليه وقال
لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب رضي الله عنه
يده واخذه منه وفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وصلى ركعتين
فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية
والسدانة فنزلت فامر عليا ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه فقال
عثمان لعلي اكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله في
شانك قرآنا وقرا عليه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله فهبط جبريل واخبر رسول الله صلى الله عليه
ان السدانة في اولاد عثمان ابدا وقيل هو خطاب للولاة
باداء الامانات والحكم بالعدل وقيل الامانة هنا التوحيد نعما
يعظكم به ما اما ان تكون منصوبة موصوفة بيعظكم به او نعم الشيء
الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف اي نعما يعظكم به ذاك
يعني لما يجري من اداء الامانات والعدل في الحكم وقرئ نعما بفتح
النون لما امر الولاة باداء الامانات الى اهلها وان يحكموا بالعدل
امر الناس بان يطيعوهم وينزلوا على قضاياهم والمراد باولي
الامر منكم امراء الحق لان امراء الجور الله ورسوله بريئان
منهم فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم وانما
يجمع بين الله ورسوله والامراء الموافقين لهما في ايثار
العدل واختيار الحق والامر بهما والنهي عن اضدادهما
كالخلفاء الراشدين ومن تبعهم باحسان وكان الخلفاء

ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا

المفتاح ؛

المفاتيح وكان اولا المفتاح فصحح هكذا وضرب كلمة صح

ارجح له السدانة مع السقاية

هم بنو شيبة من عثمان

واما ان تكون موضوعة موصولة به كان قيل نعم شيئا يعظكم به

يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم

لان الله ورسوله بريئان من امراء الجور اقرب الى الادب منهم

[illegible]

[illegible]

يقولون اطيعوني ما عدلت فيكم فان خالفت فلا طاعة لي عليكم
وعن ابي حازم ان مسلمة بن عبد الملك قال له الستم امرتم
بطاعتنا في قوله واولي الامر منكم قال اليس قد نزعت عنكم
اذا خالفتم الحق بقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله
والرسول وقيل هم امراء السرايا وعن النبي صلى الله عليه
من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله
ومن يطع اميري فقد اطاعني ومن يعص اميري فقد عصاني
وقيل هم العلماء الدينيون الذين يعلمون الناس الدين
ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فان تنازعتم في شيء
فردوه الى الله والرسول وقيل هم امراء السرايا وعن النبي
صلى الله عليه من اطاعني فقد اطاع الله الخ فان اختلفتم انتم
واولوا الامر منكم في شيء من امور الدين فردوه الى الله ورسوله
اي ارجعوا فيه الى الكتاب والسنة وكيف يلزم طاعة امراء
الجور وقد جنح الله الامر بطاعة اولي الامر بما لا يبقى معه شك
وهو ان امرهم اولا باداء الامانات وبالعدل في الحكم وامرهم
آخرا بالرجوع الى الكتاب والسنة فيما اشكل وامراء الجور لا يؤدون
امانة ولا يحكمون بعدل لا يردون شيئا الى كتاب ولا الى
سنة وانما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم فهم منسلخون
عن صفات الذين هم اولوا الامر عند الله ورسوله واحق
اسمائهم اللصوص المتغلبة ذلك اشارة الى الرد اي الرد الى
الكتاب والسنة خير لكم واصلح واحسن تاويلا واحسن عاقبة
وقيل احسن تاويلا من تاويلكم انتم ونزل في شأن المنافق خاصم
يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه ودعاه المنافق

لاهل المدينة

فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تاويلا

ورسوله

انه

خير الكتاب وجعلا احيني بطيبهما ه

اشارة الى ما ذكر الى التاويل ان المآل العاقبة كما الى الحسن ان الخصم ه

الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا

الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله فقضى لليهودي
فلم يرض المنافق وقال تعال نتحاكم الى عمر بن الخطاب فقال
اليهودي لعمر قضى لنا رسول الله فلم يرض بقضائه فقال للمنافق
أكذلك قال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل عمر فاشتمل
على سيفه ثم خرج فضرب عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا
أقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل
ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله انت الفاروق
والطاغوت كعب بن الاشرف سماه الله طاغوتا لافراطه
في الطغيان وعداوة رسول الله او على التشبيه بالشيطان
والتسمية باسمه او جعل اختيارهم التحاكم الى غير رسول الله
على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان بدليل قوله وقد امروا
ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم وقرئ بما انزل وما
انزل على البناء للفاعل وقرأ عباس بن الفضل ان يكفروا
بهن ذهابا بالطاغوت الى الجمع كقوله اولياؤهم الطاغوت
يخرجونهم وقرأ الحسن تعالوا بضم اللام على انه حذف اللام من
تعاليت تخفيفا كما قالوا ما باليت به بالة واصلها بالية كعافية
وكما قال الكسائي في آية ان اصلها آيية فاعلة فحذفت اللام فلما
حذفت اللام وقعت واو الجمع بعد اللام من تعال فضمت فصار
تعالوا نحو تقدموا ومنه قول اهل مكة تعالي بكسر اللام للمرأة
وفي شعر الحمداني تعالي اقاسمك الهموم تعالي والوجه فتح اللام
فكيف يكون حالهم وكيف يصنعون يعني انهم يعجزون عند
ذلك فلا يصدرون امرا ولا يوردونه اذا اصابتهم مصيبة
بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك واتهامهم لك في الحكم ثم جاؤك

واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا

حين يصابون فيعتذرون اليك ويحلفون ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك
الا احسانا لا اساءة وتوفيقا بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك
ولا تسخطا لحكمك ففرج عنا بدعائك وهذا وعيد لهم على فعلهم
وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار
عند حلول بأس الله وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون
بدمه وقد اهدره الله فقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان
يحسن الى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما
خطر ببالنا انه يحكم له بما حكم به فاعرض عنهم لا تعاقبهم لمصلحة في
استبقائهم ولا تزد على كفهم بالموعظة والنصيحة عما هم عليه من النفاق
وقل لهم في انفسهم قولا بليغا بالغ في وعظهم بالتخويف والانذار
فان قلت بم تعلق قوله في انفسهم قلت بقوله بليغا اي قل
لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما
ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل
والاستئصال ان نجم منهم النفاق واطلع قرنه واخبرهم
ان ما في نفوسهم من الدغل والنفاق معلوم عند الله وانه
لا فرق بينكم وبين المشركين وما هذه المكافة الا لاظهاركم
الايمان واسراركم الكفر واضماره فان فعلتم ما تكشفون به
غطاءكم لم يبق الا السيف او يتعلق بقوله قل لهم اي قل لهم في
معنى انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا
وان الله يعلم ما في قلوبكم لا يخفى عليه فلا يغني عنكم ابطانه فاصلحوا
انفسكم وطهروا قلوبكم وداووها من مرض النفاق والا انزل
الله بكم ما انزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه وشرا من
ذلك واغلظ او قل لهم في انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا
لهم بالنصيحة

لا تهلك البر أنجع وفي الإمحاض أدخل قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر
فيهم وما أرسلنا من رسول وما أرسلنا رسولا قط إلا ليطاع
بإذن الله بسبب إذن الله في طاعته وبأنه أمر المبعوث إليهم بأن
يطيعوه ويتبعوه لأنه مؤدٍّ عن الله فطاعته طاعة الله ومعصيته
معصية الله من يطع الرسول فقد أطاع الله ويجوز أن يراد بتيسير
الله وتوفيقه في طاعته ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم بالتحاكم إلى
الطاغوت جاءوك تائبين من النفاق متنصلين معتذرين
عما ارتكبوا فاستغفروا الله من ذلك بالإخلاص وبالغوا
في الاعتذار إليك من إيذائك بردّ قضائك حتى انتصبت
شفيعا لهم إلى الله ومستغفرا لوجدوا الله توابا لعلموه توابا
أي لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه إلى
طريقة الالتفات تفخيما لشأن رسول الله وتعظيما لاستغفاره
وتنبيها على أن شفاعته من اسمه الرسول من الله بمكان فلا
وربك معناه فوربك كقوله فورب السماء والأرض ولا مزيدة لتأكيد
معنى القسم كما زيدت في لئلا يعلم لتأكيد وجوب العلم ولا يؤمنون
جواب القسم فإن قلت هلا زعمت أنها زيدت لتظاهر لا في
لا يؤمنون قلت يأبى ذلك استواء النفي والإثبات فيه وذلك
قوله فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم
فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه
حرجا ضيقا أي لا تضيق صدورهم من حكمك وقيل شكا فإن
الشاك في ضيق من أمره حتى يلوح له اليقين ويسلموا وينقادوا
ويذعنوا لما تأتي به من قضائك لا يعارضونه بشيء من قولك
سلم لأمر الله وأسلم له وحقيقته سلم نفسه له وأسلمها إذا جعلها
سالمة له خالصة

وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما

وكانت أرض زبير ينتهي إليه الماء أولا ثم إلى أرض حاطب بن أبي بلتعة والحكم فيه أن من كان
أرضه أقرب إلى فم الوادي فهو أولى بأول الماء وحقه تمام السقي فالرسول صلى الله عليه وسلم
أذن للزبير في السقي على وجه المسامحة فلما أساء خصمه الأدب ولم يعرف حق ما أمر به الرسول
من المسامحة لأجله أمره النبي عم باستيفاء حقه على سبيل التمام وحمل خصمه على مر الحق كذا

وتسليما تأكيد للفعل بمنزلة تكريره كأنه قيل وينقادوا لحكمه انقيادا
لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شأن المنافق
واليهودي وقيل في شأن الزبير وحاطب بن أبي بلتعة وذلك
أنهما اختصما إلى رسول الله في شراج من الحرة كانا يسقيان
بها النخل فقال اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك فغضب حاطب
وقال لأن كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله ثم قال اسق يا زبير
ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر واستوف حقك ثم أرسله إلى
جارك كان قد أشار على الزبير برأي فيه السعة له ولخصمه فلما
أحفظ رسول الله استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا
فمرا على المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون أنه رسول الله
ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد أذنبنا ذنبا مرة في
حياة موسى فدعانا إلى التوبة منه وقال اقتلوا أنفسكم ففعلنا فبلغ
قتلانا سبعين ألفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن
قيس بن شماس أما والله إن الله ليعلم مني الصدق لو أمرني محمد
أن أقتل نفسي لقتلتها وروي أنه قال ذلك ثابت وابن مسعود
وعمار بن ياسر فقال رسول الله والذي نفسي بيده إن من أمتي
رجالا الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي وروي عن عمر بن
الخطاب أنه قال والله لو أمرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم
يفعل بنا ذلك فنزلت الآية في شأن حاطب ونزلت في شأن
هؤلاء ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا أوجبنا عليهم
مثل ما أوجبنا على بني إسرائيل من قتل أنفسهم أو خروجهم
من ديارهم حين استتيبوا من عبادة العجل ما فعلوه إلا
قليل منهم وهذا توبيخ عظيم والرفع على البدل من الواو في
فعلوا

ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما

لا ينهلغ اليه انجع وفي الاعياض اذخل فو البلغا سلغ منهم ويوثر
فيهم وما ارسلنا من رسول وما ارسلنا رسولا قط الا ليطاع
باذن الله بسبب اذن الله في طاعته وبانه امر المبعوث اليهم بان
يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله ومعصيته
معصية الله من يطع الرسول فقد اطاع الله ويجوز ان يراد بتيسير
الله وتوفيقه في طاعته ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى
الطاغوت جاؤك تائبين من النفاق متنصلين
عما ارتكبوا فاستغفروا الله من ذلك بالاخلاص وبالغوا
في الاعتذار اليك من ايذائك بسخط قضائك حتى انتصبت
شفيعا لهم الى الله واستغفروا لوجدوا الله توابا لعلموه توابا
اي لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه الى
طريقة الالتفات تفخيما لشان رسول الله وتعظيما لاستغفاره
وتنبيها على ان شفاعته من اسمه الرسول من الله بمكان فلا
وربك معناه فوربك كقوله فوربك لنسألنهم ولا مزيدة لتاكيد
معنى القسم كما زيدت في لئلا يعلم لتاكيد وجوب العلم ولا يومنون
جواب القسم فان قلت هلا زعمت انها زيدت لتظاهر لا في
لا يومنون قلت يابى ذلك استواء النفي والاثبات فيه وذلك
قوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم
فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه
حرجا ضيقا اي لا تضيق صدورهم من حكمك وقيل شكا لان
الشاك في ضيق من امره حتى يلوح له اليقين ويسلموا تسليما
وينقادوا لما تاتي به من قضائك لا يعارضونه بشيء من قولك
سلم لامر الله واسلم له وحقيقته سلم نفسه له واسلمها اذا جعلها
سالمة له خالصة

وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما

وكانت ارض زبير ينتهي اليه الماء اولا ثم الى ارض حاطب بن ابي بلتعة والحكم فيه ان من كان
ارضه اقرب الى فم الوادي فهو اولى باول الماء وحقه تمام السقي فالرسول صلى الله عليه وسلم
اذن للزبير في السقي على وجه المسامحة فلما اساء خصمه الادب ولم يعرف حق ما امره به الرسول
من المسامحة لاجله امره النبي عليه السلام باستيفاء حقه على سبيل التمام وحمل خصمه على مر الحق كتبه

وتسليما تاكيد للفعل بمنزلة تكريره كانه قيل وينقادوا لحكمه انقيادا
لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شان المنافق
واليهودي وقيل في شان الزبير وحاطب بن ابي بلتعة وذلك
انهما اختصما الى رسول الله في شراج من الحرة كانا يسقيان
بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب حاطب
وقال لان كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله ثم قال اسق يا زبير
ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى
جارك كان قد اشار على الزبير برأي فيه السعة له ولخصمه فلما
احفظ رسول الله استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا
فمرا على المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله
ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في
حياة موسى فدعانا الى التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ
قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن
قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق لو امرني محمد
ان اقتل نفسي لقتلتها وروي انه قال ذلك ثابت وابن مسعود
وعمار بن ياسر فقال رسول الله والذي نفسي بيده ان من امتي
رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي وروي عن عمر بن
الخطاب انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم
يفعل بنا ذلك فنزلت الآية في شان حاطب ونزلت في شان
هؤلاء ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم ارادوا وجبنا عليهم
مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل من قتل انفسهم او خروجهم
من ديارهم حين استتيبوا من عبادة العجل ما فعلوه الا
قليل منهم وهذا توبيخ عظيم والرفع على البدل من الواو في
فعلوا

ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم واشد تثبيتا واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما

اذا ابطا. وقرئ ليبطئن بالتخفيف يقال بطا علي فلان وابطا علي
وبطؤ نحو ثقل ويقال ما بطا بك فيعدى بالبا. ويجوز ان يكون منقولا
من بطؤ نحو ثقل من ثقل فيراد ليبطئن غيره وليثبطنه عن
الغزو وكان هذا ديدن المنافق عبد الله بن ابي وهو الذي ثبط الناس
يوم احد فان اصابتكم مصيبة من قتل او هزيمة فضل من الله
من فتح او غنيمة ليقولن وقرا الحسن ليقولن بضم اللام اعادة
للضمير الى معنى من لان قوله لمن ليبطئن في معنى الجماعة وقوله كان
لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل الذي هو ليقولن وبين
مفعوله وهو يا ليتني والمعنى كان لم يتقدم له معكم موادة لان المنافقين
كانوا يوادون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر وان كانوا يبغون
لهم الغوائل في الباطن والظاهر انه تهكم لانهم كانوا اعدى عدو للمؤمنين
واشدهم حسدا لهم فكيف يوصفون بالمودة الا على وجه العكس
تهكما بحالهم وقرئ فافوز بالرفع عطفا على كنت معهم لينتظم الكون
معهم والفوز في معنى التمني فيكونا متمنيين جميعا ويجوز ان يكون خبر مبتدا
محذوف بمعنى فانا افوز في ذلك الوقت يشرون بمعنى يشترون ويبيعون
قال ابن مفرغ وشريت بردا ليتني من بعد برد كنت هامه فالذين
يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة هم المبطئون وعظوا بان يغيروا
ما بهم من النفاق ويخلصوا الايمان بالله ورسوله ويجاهدوا في
سبيل الله حق الجهاد والذين يبيعون هم المؤمنون الذين يستحبون
الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها والمعنى ان صد الذين مرضت
قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون
ووعد المقاتل في سبيل الله ظافرا او مظفورا به ايتاء الاجر العظيم
على احتماله في اعزاز دين الله والمستضعفين فيه وجهان ان
يكون مجرورا

عطفا على سبيل الله اي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين ومنصوبا
على الاختصاص يعني واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين
لان سبيل الله عام في كل خير وخلاص المستضعفين من المسلمين
من ايدي الكفار من اعظم الخير واخصه والمستضعفون هم الذين
اسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم مستذلين
مستضعفين يلقون منهم الاذى الشديد وكانوا يدعون الله بالخلاص
ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقي بعضهم الى
الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولي وناصر وهو محمد صلى الله عليه
فتولاهم احسن التولي ونصرهم اقوى النصر ولما خرج استعمل على
اهل مكة عتاب بن اسيد فراوا منه الولاية والنصرة كما ارادوا
قال ابن عباس كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا اعز بها من الظلمة
فان قلت لم ذكر الولدان قلت تسجيلا بافراط ظلمهم حيث بلغ
اذاهم الولدان غير المكلفين ارغاما لآبائهم وامهاتهم ومبغضة
لهم لمكانهم ولان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في
دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا
كما فعل قوم يونس وكما وردت السنة باخراجهم في الاستسقاء وعن
ابن عباس كنت انا وامي من المستضعفين من النساء والولدان
ويجوز ان يراد بالرجال والنساء الاحرار والحرائر وبالولدان
العبيد والاماء لان العبد والامة يقال لهما الوليد والوليدة وقيل
للولدان والولائد الولدان لتغليب الذكور على الاناث كما يقال الآباء
والاخوة فان قلت لم ذكر الظالم وموصوفه مؤنث قلت هو
وصف للقرية الا انه مسند الى اهلها فاعطي اعراب القرية لانه
صفتها وذكر لاسناده الى الاهل كما تقول من هذه القرية التي ظلم
اهلها

ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن كان لم يكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما

للدلالة على انهم يحزنون على ما يصيبكم من الخير كما يفرحون بما يصيبكم من الشر

فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا

ولو أنث فقيل الظالمة أهلها لجاز لا لتأنيث الموصوف ولكن لأن الأهل يذكر ويؤنث فإن قلت هل يجوز من هذه القرية الظالمين أهلها قلت نعم كما تقول التي ظلموا أهلها على لغة من يقول أكلوني البراغيث ومنه وأسروا النجوى الذين ظلموا رغب الله المؤمنين ترغيبا وشجعهم تشجيعا بإخبارهم أنهم إنما يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم وأعداؤهم يقاتلون في سبيل الشيطان فلا ولي لهم إلا الشيطان وكيد الشيطان للمؤمنين إلى جنب كيد الله للكافرين أضعف شيء وأوهنه كفوا أيديكم أي كفوها عن القتال وذلك أن المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفار ما داموا بمكة وكانوا يتمنون أن يؤذن لهم فيه فلما كتب عليهم القتال بالمدينة كع فريق منهم لا شكا في الدين ولا رغبة عنه ولكن نفورا عن الإخطار بالأرواح وخوفا من الموت كخشية الله من إضافة المصدر إلى المفعول فإن قلت ما محل كخشية الله من الإعراب قلت محلها النصب على الحال من الضمير في يخشون أي يخشون الناس مثل أهل خشية الله أي مشبهين لأهل خشية الله أو أشد خشية يعني أو أشد خشية من أهل خشية الله وأشد معطوف على الحال فإن قلت لم عدلت عن الظاهر وهو كونه صفة للمصدر ولم تقدره يخشون خشية مثل خشية الله يعني مثل ما يخشى الله قلت أبى ذلك قوله أو أشد خشية لأنه وما عطف عليه في حكم واحد ولو قلت يخشون الناس أشد خشية لم يكن إلا حالا عن ضمير الفريق ولم ينتصب انتصاب المصدر لأنك لا تقول خشي فلان أشد خشية فتجرها وإذا نصبتها لم يكن أشد خشية إلا عبارة عن الفاعل حالا منه اللهم إلا أن تجعل

الخشية خاشية وذات خشية على قولهم جد جده فتزعم أن معناه يخشون الناس خشية مثل خشية الله أو خشية أشد خشية من خشية الله ويجوز على هذا أن يكون محل أشد مجرورا عطفا على خشية الله تريد كخشية الله أو كخشية أشد خشية منها لولا أخرتنا إلى أجل قريب استزادة في مدة الكف واستمهال إلى وقت آخر كقوله لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون أدنى شيء من أجوركم على مشاق القتال فلا ترغبوا عنه وقرئ لا يظلمون بالياء وقرئ يدرككم بالرفع وقيل هو على حذف الفاء كأنه قيل فيدرككم الموت وشبه بقول القائل من يفعل الحسنات الله يشكرها ويجوز أن يقال حمل على ما يقع موقع أينما تكونوا وهو أينما كنتم كما حمل ولا ناعب على ما يقع موقع ليسوا مصلحين وهو ليسوا بمصلحين فرفع كما رفع زهير يقول لا غائب مالي ولا حرم وهو قول نحوي سيبويهي ويجوز أن يتصل بقوله ولا تظلمون فتيلا أي ولا تنقصون شيئا مما كتب من آجالكم أينما تكونوا في ملاحم حروب أو غيرها ثم ابتدأ قوله يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة والوقف على هذا الوجه على أينما تكونوا والبروج الحصون مشيدة مرفوعة وقرئ مشيدة من شاد القصر إذا رفعه أو طلاه بالشيد وهو الجص وقرأ نعيم بن ميسرة مشيدة بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما قالوا قصيدة شاعرة وإنما الشاعر قارضها السيئة تقع على البلية والمعصية والحسنة على النعمة والطاعة قال الله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون وقال إن الحسنات يذهبن السيئات والمعنى وإن تصبهم نعمة من خصب ورخاء

الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا

فتنصب خشية وأنت تريد المصدر إنما تقول أشد خشية

إنما قال ذلك لأن المعنى يخشون الناس خشية أشد خشية من جهة الخشية فالخشية تكون أشد من خشية الله من هذه الجهة فلزم أن تكون الخشية خاشية

أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك

نسبوها الى الله وان تصبهم بلية من قحط وشدة اضافوها الى
وقالوا هي من عندك ما كانت الا بشؤمك كما حكى الله عن قوم
موسى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن قوم صالح قالوا
اطيرنا بك وبمن معك وروي ان اليهود لعنت انها تشاءمت
برسول الله فقالوا منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت
اسعارها فرد الله عليهم بقوله قل كل من عند الله يبسط الا
ويقبضها على حسب المصالح لا يكادون يفقهون حديثا فيعلموا
ان الله هو الباسط القابض وكل ذلك صادر عن حكمة وصواب
ثم قال ما اصابك يا انسان خطابا عاما من حسنة اي من
نعمة واحسان فمن الله تفضلا منه واحسانا وامتنانا
وامتنانا وما اصابك من سيئة اي من بلية ومصيبة فمن نفسك
لانك السبب فيها بما اكتسبت يداك وما اصابكم من مصيبة فبما
كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وعن عائشة رضي الله عنها ما من
مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى
انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر وارسلناك
للناس رسولا اي رسولا للناس جميعا لست برسول العرب
وحدهم انت رسول العرب والعجم كقوله وما ارسلناك الا كافة
للناس قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وكفى بالله
شهيدا على ذلك فما ينبغي لاحد ان يخرج عن طاعتك واتباعك
من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه لا يامر الا بما امر الله به
ولا ينهى الا عما نهى الله عنه فكانت طاعته في امتثال ما امر به
والانتهاء عما نهى عنه طاعة لله وروي انه قال من احبني فقد
احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون

قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا

ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا

الشوكة هنا المصدر وهي المرة من شاكه شوكا ولو ارادت الآلة لقالت يشاك بها كقوله له ثلاثة ضربة يضرب بها ه

انما جعل حالا للناس متعلقا برسولا دون الفعل لان ذكر المصدر على ارادة التقييد ليس عن مفيد ه ب

من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا

الا تسمعون الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى ان
يعبد غير الله ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت
النصارى عيسى فنزلت ومن تولى عن الطاعة فاعرض عنه فما
ارسلناك الا نذيرا لا حفيظا ومهيمنا عليهم تحفظ عليهم اعمالهم
وتحاسبهم عليها وتعاقبهم كقوله وما انت عليهم بوكيل ويقولون
اذا امرتهم شيئا طاعة بالرفع اي امرنا وشاننا طاعة ويجوز النصب
بمعنى اطعناك طاعة وهذا من قول المرتسم سمعا وطاعة وسمع
وطاعة وكذلك قول سيبويه وسمعنا بعض العرب الموثوق به يقال
له كيف اصبحت فيقول حمد الله وثناء عليه كانه قال امري
وشاني حمد الله ولو نصب حمد الله وثناء عليه كان على
الفعل والرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها بيت طائفة
زورت طائفة وسوت غير الذي تقول خلاف ما قلت وما
امرت به او خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة لانهم
ابطنوا الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة وانما ينافقون
بما يقولون ويظهرون والتبييت اما من البيتوتة لانه قضاء الامر
وتدبيره بالليل واما من ابيات الشعر لان الشاعر يدبرها
ويسويها والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائف اعمالهم ويجازيهم
عليه على سبيل الوعيد او يكتبه في جملة ما يوحى اليك فيطلعك على
اسرارهم فلا تحسبوا ان ابطانهم يغني عنهم فاعرض عنهم ولا
تحدث نفسك بالانتقام منهم وتوكل على الله في شانهم فان
الله يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم اذا قوي امر الاسلام وعز
انصاره وقرئ بيت طائفة بالادغام وتذكير الفعل لان
تانيث الطائفة غير حقيقي ولانها في معنى الفريق والفوج تدبر
الامر تامله

المهيمن الرقيب والحافظ والشاهد

اي الموكول اليه الامر

اي المنافقون

على المصدر ه

زورت في نفسي كلاما ثم قلته اي زورته بالتقدير ه

[illegible]

قال هذا امر بيت بليل صح

افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا

والبطونة أدباره وما يؤول اليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل
في كل تأمل فمعنى تدبر القرآن تأمل معانيه وتبصر ما فيه لوجدوا
فيه اختلافا كثيرا لكان الكثير منه مختلفا متناقضا قد
تفاوت نظمه وبلاغته ومعانيه فكان بعضه بالغا حد الاعجاز
وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته وبعضه اخبارا بغيب
قد وافق المخبر عنه وبعضه اخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه
دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه دالا على معنى فاسد
غير ملتئم فلما تجاوب كله بلاغة معجزة فائتة لقوى البلغاء وتناصر
صحة معان وصدق اخبار علم انه ليس الا من عند قادر على ما
لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه احد سواه فان قلت اليس نحو قوله
فاذا هي ثعبان مبين كانها جان فوربك لنسالنهم اجمعين فيومئذ
لا يسال عن ذنبه انس ولا جان من الاختلاف قلت
ليس باختلاف عند المتدبرين هم ناس من ضعفة المسلمين
الذين لم يكن فيهم خبرة بالاحوال ولا استبطان للامور كانوا
اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله من امن وسلامة او خوف
وخلل اذاعوا به وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك
الخبر الى رسول الله والى اولي الامر منهم كبار الصحابة البصراء
بالامور او الذين كانوا يؤمرون منهم لعلمه لعلم تدبير ما اخبروا
به الذين يستنبطونه الذين يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم
ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها وقيل كانوا يقفون
من رسول الله واولي الامر على امن ووثوق بالظهور على
بعض الاعداء او على خوف واستشعار فيذيعونه فينتشر
فيبلغ الاعداء فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول

والى اولي الامر وفوضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا لعلم الذين
يستنبطونه تدبيره كيف يدبرونه وما ياتون ويذرون فيه وقيل
كانوا يسمعون من افواه المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا
مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على
المؤمنين ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر وقالوا نسكت
حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع او لا يذاع لعلمه الذين
يستنبطونه منهم لعلم صحته وهل هو مما يذاع او لا يذاع هؤلاء
المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي
يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم يقال اذاع السر واذاع
به ويجوز ان يكون المعنى فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ من اذاعوه وقرئ
لعلْمه باسكان اللام كقوله كما ضجر بازل من الادم دبرت صفحتاه
وغاربه والنبط الماء يخرج من البئر اول ما تحفر وانباطه واستنباطه
اخراجه واستخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من
المعاني والتدابير فيما يعضل ويهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته
وهو ارسال الرسول وانزال الكتاب والتوفيق لاتبعتم الشيطان
لبقيتم على الكفر الا قليلا منكم او الا اتباعا قليلا لما ذكر في الآي
قبلها تثبطهم عن القتال واظهارهم الطاعة واضمارهم خلافها قال
فقاتل في سبيل الله ان افردوك وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك
غير نفسك وحدها ان تقدمها الى الجهاد فان الله هو ناصرك لا
الجنود فان شاء نصرك وحدك كما ينصرك وحولك الالوف وقيل
دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج وكان ابو سفيان واعد
رسول الله اللقاء فيها فكره بعض الناس ان يخرجوا فنزلت فخرج وما
معه الا سبعون

وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا

فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا

لم يلو على أحد ولو لم يتبعه أحد لخرج وحده وقرئ لا تُكلَّفْ بالجزم على النهي ولا نكلف بالنون وكسر اللام أي لا نكلف نحن إلا نفسك وحدها وحرض المؤمنين وما عليك في شأنهم إلا التحريض فحسب لا التعنيف بهم عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا وهم قريش وقد كف بأسهم فقد بدا لأبي سفيان وقال هذا عام مجدب وما كان معهم زاد إلا السويق ولا يلقون إلا في عام مخصب فرجع بهم والله أشد بأسا من قريش وأشد تنكيلا تعذيبا الشفاعة الحسنة هي التي روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شرا أو جلب إليه خير وابتغي بها وجه الله ولم تؤخذ عليها رشوة وكانت في أمر جائز لا في حد من حدود الله ولا في حق من الحقوق والسيئة ما كان بخلاف ذلك وعن مسروق أنه شفع شفاعة فأهدى إليه المشفوع له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك ولا أتكلم فيما بقي منها وقيل الشفاعة الحسنة هي الدعوة للمسلم لأنها في معنى الشفاعة إلى الله وعن النبي صلى الله عليه من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك مقيتا شهيدا حفيظا وقيل مقتدرا وأقات على الشيء قال الزبير بن عبد المطلب وذي ضغن كففت النفس عنه وكنت على إساءته مقيتا وقال السموأل ألي الفضل أم علي إذا حوسبت إني على الحساب مقيت واشتقاقه من القوت لأنه يمسك النفس ويحفظها الأحسن منها أن تقول وعليكم السلام ورحمة الله إذا قال السلام عليكم وأن تزيد وبركاته إذا قال ورحمة الله وروي أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه السلام عليك

من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا

وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شيء حسيبا

فقال عليه السلام وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمه الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فأين ما قال الله وتلا الآية فقال إنك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله أو ردوها أو أجيبوها بمثلها ورد السلام ورجعه جوابه بمثله لأن المجيب يرد قول المسلم ويكرره وجواب التسليمة واجب والتخيير إنما وقع بين الزيادة وتركها وعن أبي يوسف رحمه الله من قال لآخر أقرئ فلانا السلام وجب عليه أن يفعل وعن النخعي السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس الرد واجب وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه إلا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد السلام في الخطبة وقراءة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند مذاكرة العلم والأذان والإقامة وعن أبي يوسف رحمه الله لا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري من غير عذر في حمام أو غيره وذكر الطحاوي أن المستحب رد السلام على الطهارة وعن النبي عليه السلام أنه تيمم لرد السلام قالوا ويسلم الرجل إذا دخل على امرأته ولا يسلم على أجنبية ويسلم الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والأقل على الأكثر وإذا التقيا ابتدرا وعن أبي حنيفة رضي الله عنه لا يجهر بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم أي وعليكم ما قلتم لأنهم كانوا يقولون السام عليكم ولا يبتدأ اليهودي بالسلام وإن بدأك فقل وعليك وعن الحسن يجوز أن تقول

الشعبي

للكافر وعليك السلام ولا تقل ورحمة الله فانها استغفار وعن
انه قال لنصراني سلم عليه وعليك السلام ورحمة الله فقيل له
فقال اليس في رحمة الله يعيش وقد رخص بعض العلماء في ان
يبتدأ اهل الذمة بالسلام اذا دعت الى ذلك حاجة تحوج
اليهم وروي ذلك عن النخعي وعن ابي حنيفة رحمه الله لا تبدأه بسلام
في كتاب ولا غيره وعن ابي يوسف لا تسلم عليهم ولا تصافحهم واذا
دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى ولا باس بالدعاء له بما
يصلحه في دنياه على كل شيء حسيبا اي يحاسبكم على كل شيء من
التحية وغيرها لا اله الا هو اما خبر للمبتدا واما اعتراض والخبر
ليجمعنكم ومعناه الله والله ليجمعنكم الى يوم القيامة ليحشرنكم
اليه والقيامة والقيام كالطلابة والطلاب وهي قيامهم من القبور
او قيامهم للحساب قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين
ومن اصدق من الله حديثا لانه عز وعلا صادق لا يجوز عليه الكذب
وذلك ان الكذب مستقل بصارف عن الاقدام عليه وهو قبحه
ووقوع النبي هو كونه كذبا واخبارا عن الشيء بخلاف ما هو عليه
فمن كذب لم يكذب الا لانه محتاج الى ان يكذب ليجر منفعة او يدفع
مضرة او هو غني عنه الا انه يجهل غناه او هو جاهل بقبحه و
هو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في اخباره ولا يبالي
بايهما نطق وربما كان الكذب احلى على حنكه من الصدق وعن
بعض السفهاء انه عوتب على الكذب فقال لو غرغرت لهواتك
به ما فارقتها قط وقيل لكذاب هل صدقت قط فقال
لولا اني صادق في قولي لا لقلتها فكان الحكيم الغني الذي لا يجوز عليه
الحاجات العالم بكل معلوم منزها عنه كما هو منزه عن سائر
القبائح فما لكم في المنافقين فئتين نصب على الحال كقولك ما لك قائما روي ان قوما
من المنافقين

الله لا اله الا هو ليجمعنكم
الى يوم القيامة لا ريب
فيه ومن اصدق من
الله حديثا فما لكم في المنافقين
فئتين والله اركسهم بما
كسبوا اتريدون ان تهدوا
من اضل الله ومن يضلل
الله فلن تجد له سبيلا

احتوى البلد كرهه ولم يستمره واجتوت البلاد لم توافقني غذاء ٣ ه

استاذنوا رسول الله في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة
فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين
فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون
وقيل كانوا قوما هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول
الله انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق
الى بلدنا وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله يوم احد ثم رجعوا
وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا يسارا
وقيل هم قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة ومعناه ما لكم
اختلفتم في شان قوم نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيه فرقتين
وما لكم لم تبتوا القول بكفرهم والله اركسهم لن ردهم في حكم المشركين
كما كانوا بما كسبوا من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين واحتيالهم
على رسول الله او اركسهم في الكفر بان خذلهم حتى اركسوا فيه
لما علم من مرض قلوبهم اتريدون ان تهدوا ان تجعلوا من
جملة المهتدين من اضل الله من جعله من جملة الضلال وحكم عليه
بذلك او خذله حتى ضل ومن ركسهم وركسوا فيها فتكونون عطف
على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز والمعنى ودوا كفركم
وكونكم معهم شرعا واحدا فيما هم عليه من الضلال واتباع دين
الاباء فلا تتولوهم وان امنوا حتى يظاهروا ايمانهم بهجرة صحيحة
هي لله ورسوله لا لغرض من اغراض الدنيا مستقيمة ليس بعدها
بداء ولا تعرب فان تولوا عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة
فحكمهم حكم سائر المشركين تقتلون حيث وجدتموهم في الحل والحرم
وجانبوهم مجانبة كلية وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا
منهم الا الذين يصلون استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم ومعنى
يصلون الى قوم

ودوا لو تكفرون كما كفروا
فتكونون سواء فلا تتخذوا
منهم اولياء حتى يهاجروا
في سبيل الله فان تولوا
فخذوهم واقتلوهم حيث
وجدتموهم ولا تتخذوا منهم
وليا ولا نصيرا الا الذين
يصلون الى قوم بينكم وبينهم
ميثاق

ينتهون اليهم ويتصلون بهم وعن ابي عبيدة هو من الانتساب
وصلت الى فلان واتصلت به اذا انتميت اليه وقيل ان
الانتساب لا اثر له في منع القتال فقد قاتل رسول الله من معه
من من انسابهم والقوم هم الاسلميون كان بينهم وبين
رسول الله عهد وذلك انه وادع وقت خروجه الى مكة هلال
بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من
وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال
وقيل القوم بنو بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح او
جاؤكم لا يخلو من ان يكون معطوفا على صفة قوم كانه قيل الا
الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم ممسكين عن
القتال لا لكم ولا عليكم او على صلة الذين كانه قيل الا الذين
يتصلون بالمعاهدين او الذين لا يقاتلونكم والوجه العطف
على الصلة لقوله فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم
فما جعل الله لكم عليهم سبيلا بعد قوله فخذوهم واقتلوهم حيث
وجدتموهم فقرر ان كفهم عن القتال احد سببي استحقاقهم لنفي
التعرض عنهم وترك الايقاع بهم فان قلت كل واحد من
الاتصالين له تاثير في صحة الاستثناء واستحقاق ازالة
التعرض الاتصال بالمعاهدين والاتصال بالكافين
لان الاتصال بهؤلاء او هؤلاء دخول في حكمهم فهلا جوزت ان
يكون العطف على صفة قوم ويكون قوله فان اعتزلوكم تقريرا
لحكم اتصالهم بالكافين واختلاطهم بهم وجريهم على سننهم قلت
هو جائز ولكن الاول اظهر واجرى على اسلوب الكلام وفي قراءة
ابي بينكم وبينهم ميثاق جاؤكم حصرت صدورهم بغير او

او جاؤكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا

احدهما المتصلون بالمعاهدين والثاني الكافون ولو كان عطفا على الصفة لما ناسب قوله فان اعتزلوكم قوله او جاؤكم لان المناسب له اذ ذاك وان اتصلوا بهم

ووجهه ان يكون جاؤكم بيانا ليصلون او بدلا او استئنافا
او صفة بعد صفة لقوما حصرت صدورهم في موضع الحال
باضمار قد والدليل عليه قراءة من قرأ حصرة صدورهم وحصرات
صدورهم وحاصرات صدورهم وجعله المبرد صفة لموصوف
محذوف على او جاؤكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو
بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله غير مقاتلين والحصر
الضيق والانقباض ان يقاتلوكم عن ان يقاتلوكم او كراهة
ان يقاتلوكم فان قلت كيف يجوز ان يسلط الله الكفرة على المؤمنين
قلت ما كانت مكافتهم الا لان الله قذف الرعب في قلوبهم ولو شاء
لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه فكانوا متسلطين مقاتلين
غير مكافين فذلك معنى التسليط وقرئ فلقاتلوكم بالتخفيف
والتشديد فان اعتزلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم اي
الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام مع فتح السين
فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون
آخرين هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا
وعاهدوا ليامنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا
ونكثوا عهودهم كلما ردوا الى الفتنة كلما دعاهم قومهم الى قتال
المسلمين اركسوا فيها قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا
شرا فيها من كل عدو حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم سلطانا
مبينا حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر
واضرارهم باهل الاسلام او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم في
قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله
كقوله وما كان لنبي ان يغل وما يكون لنا ان نعود فيها ان
يقتل مؤمنا

ولسلطهم عليكم
فحاصل الجواب ان التسليط منا محال لان الله تعالى كفهم عن المؤمنين بالقاء الرعب في قلوبهم ولو شاء ان يسلطهم لمصلحة يراها لم يلق الرعب في قلوبهم فيكون ما ذكرنا وسلطهم عليكم فكانوا

ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ

ابتداء غير قصاص الا خطأ الا على وجه الخطأ فان قلت بم
انتصب خطأ
قلت بانه مفعول له اى ما ينبغى له ان يقتله لعلة من العلل الا للخطأ
وحده ويجوز ان يكون حالا بمعنى لا يقتله فى حال من الاحوال الا فى
حال الخطأ وان يكون صفة للمصدر الا قتلا خطأ والمعنى ان
من شأن المؤمن ان ينتفى عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة
الا اذا وجد منه خطأ من غير قصد بان يرمى كافرا فيصيب مسلما
او يرمى شخصا على انه كافر فاذا هو مسلم وقرئ خطاء بالمد وخطأ
بوزن عمى بتخفيف الهمزة وروى ان عياش بن ابى ربيعة وكان اخا
ابى جهل لامه اسلم وهاجر خوفا من قومه الى المدينة وذلك قبل
هجرة رسول الله فاقسمت امه لا تاكل ولا تشرب ولا يؤويها
سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث بن زيد بن ابى
انيسة فاتياه وهو فى اطم ففتل منه ابو جهل فى الذروة والغارب
وقال اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك
وانت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا عن المدينة
كتفاه وجلده كل واحد منهما مائة جلدة فقال للحارث هذا اخى فمن
انت يا حارث لله على ان وجدتك خاليا ان اقتلك وقدما به
على امه فحلفت لا يحل كتافه او يرتد ففعل ثم هاجر بعد ذلك واسلم
الحارث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر باسلامه
فانحى عليه فقتله ثم اخبر باسلامه فاتى رسول الله فقال قتلته ولم
اشعر باسلامه فنزلت فتحرير رقبة فعليه تحرير رقبة والتحرير
الاعتاق والحر والعتيق الكريم لان الكرم فى الاحرار كما ان اللؤم
فى العبيد ومنه عتاق الخيل وعتاق الطير لكرامها وحر الوجه اكرم
موضع منه وقولهم للئيم عبد وفلان عبد الفعل اى لئيم الفعل

ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما

والرقبة عبارة عن النسمة كما عبر عنها بالرأس فى قولهم فلان يملك
كذا رأسا من الرقيق والمراد رقبة مؤمنة كل رقبة كانت على حكم
الاسلام عند عامة العلماء وعن الحسن لا تجزئ الا رقبة قد
صلت وصامت ولا تجزئ الصغيرة وقاس عليها الشافعى رحمه الله
كفارة الظهار فاشترط الايمان وقيل لما اخرج نفسا مؤمنة
عن جملة الاحياء لزمه ان يدخل نفسا مثلها فى جملة الاحرار لان
اطلاقها من قيد الرق كاحيائها من قبل ان الرقيق ممنوع من
تصرف الاحرار مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها
كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة فى كل شئ فيقضى منها
الدين وتنفذ الوصية واذا لم يبق وارث فهى لبيت المال لان
المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال انا وارث من لا وارث له وعن عمر رضى الله عنه انه قضى بدية
المقتول فجاءت امرأته تطلب ميراثها من عقله فقال لا اعلم لك
شيئا انما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فقام الضحاك بن
سفيان الكلابى فقال كتب الى رسول الله امرنى ان اورث
امرأة اشيم الضبابى من عقل زوجها اشيم فورثها عمر وعن
ابن مسعود يرث كل وارث من الدية غير القاتل وعن شريك
لا يقضى من الدية دين ولا تنفذ وصية وعن ربيعة الغرة لام الجنين
وحدها وذلك خلاف قول الجماعة فان قلت على من تجب الرقبة
والدية قلت على القاتل الا ان الرقبة فى ماله والدية تتحملها عنه
العاقلة فان لم يكن له عاقلة فهى فى بيت المال فان لم يكن ففى ماله
الا ان يصدقوا الا ان يتصدقوا عليه بالدية ومعناه العفو كقوله
الا ان يعفون ونحوه وان تصدقوا خير لكم وعن النبى صلى الله عليه وسلم
كل معروف صدقة وقرأ ابى الا ان يتصدقوا فان قلت
بم تعلق ان يصدقوا وما محله

يقومون مقام الورثة كما قال رسول الله انا وارث

كلاب فى قريش كلاب بن مرة وفى هوازن كلاب بن ربيعة

ولا تعلق بعليه او بمسلمة كانه قيل وتجب عليه الدية الا ان يتصدقوا تسلمها
الاحتى يتصدقوا عليه ومحلها النصب على الظرف بتقدير
حذف الزمان كقولهم اجلس ما دام زيد جالسا ويجوز ان يكون حالا
من اهله بمعنى الا متصدقين من قوم عدو لكم من قوم كفار
اهل حرب وذلك نحو رجل اسلم في قوم الكفار وهو بين
اظهرهم لم يفارقهم فعلى قاتله الكفارة اذا قتله خطأ وليس على
عاقلته لاهله شيء لانهم كفار محاربون وقيل كان الرجل
يسلم ثم ياتي قومه وهم مشركون فيغزوهم جيش المسلمين
فيقتل فيهم خطأ لانهم يظنونه كافرا مثلهم وان كان من قوم
كفرة لهم ذمة كالمشركين الذين عاهدوا المسلمين واهل الذمة
من الكتابيين فحكمه حكم مسلم من مسلمين فمن لم يجد رقبة
يعني لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فعليه صيام شهرين متتابعين
توبة من الله قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا
قبل توبته يعني شرع ذلك توبة منه او فتقبلكم من الرقبة الى
الصوم توبة منه هذه الآية فيها من التهديد والايعاد والابراق
والارعاد امر عظيم وخطب غليظ ومن ثم روي عن ابن عباس
ما روي من ان توبة قاتل المؤمن عمدا غير مقبولة وعن سفيان كان
اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له وذلك محمول منهم على الاقتداء
بسنة الله في التغليظ والتشديد والا فكل ذنب ممحو بالتوبة
وناهيك بمحو الشرك دليلا وفي الحديث لزوال الدنيا اهون
على الله من قتل امرء مسلم وفيه لو ان رجلا قتل بالمشرق وآخر
رضي بالمغرب لاشرك في دمه وفيه ان هذا الانسان بنيان
الله ملعون من هدم بنيانه وفيه من اعان على قتل مؤمن

ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما

بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله
والعجب من قوم يقرؤن هذه الآية ويرون ما فيها ويسمعون
هذه الاحاديث العظيمة وقول ابن عباس بمنع التوبة ثم لا
تدعهم اشعبيتهم وطماعيتهم الفارغة واتباعهم هواهم وما
يخيل اليهم مناهم ان يطمعوا في العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة
افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها ثم ذكر الله سبحانه
التوبة في قتل الخطأ لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط
والتحفظ فيه حسم للاطماع واي حسم ولكن لا حياة لمن تنادي
فان قلت هل فيها دليل على خلود من لم يتب من اهل الكبائر
قلت ما ابين الدليل فيها وهو تناول قوله ومن يقتل اي قاتل
كان من مسلم او كافر تائب او غير تائب الا ان التائب اخرجه
الدليل فمن ادعى اخراج المسلم غير التائب فليات بدليل مثله
فتبينوا وقرئ فتثبتوا وهما من التفعل بمعنى الاستفعال اي
اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتهوكوا فيه من غير روية وقرئ
السلم والسلام وهما الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التسليم
الذي هو تحية اهل الاسلام لست مؤمنا وقرئ مؤمنا بفتح الميم
من آمنه اي لا نؤمنك واصله ان مرداس بن نهيك رجلا من
اهل فدك اسلم لم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله
كان عليها غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته
باسلامه فلما راى الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد
فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام
عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله
فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرا الآية على
اسامة

يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحيوة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا

ادب
لقد اسمعت لو ناديت حيا

فقال يا رسول الله استغفر لي فقال فكيف بلا اله الا الله قال اسامة
فما زال يعيدها حتى وددت ان لم اكن اسلمت الا يومئذ
ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون
الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد فهو الذي يدعوكم الى ترك
التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه فعند الله مغانم كثيرة
تغنمونها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به من
التعرض له لتأخذوا ماله كذلك كنتم من قبل اول ما دخلتم في
الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم و
اموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطاة قلوبكم لالسنتكم
فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقدم
وان صرتم اعلاما فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام
كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر الاسلام في المكافة ولا تقولوا
ان تهليل هذا لاتقاء القتل لا لصدق النية فتجعلوه سلما
الى استباحة دمه وماله وقد حرمهما الله وقوله فتبينوا تكرير
للامر بالتبيين ليؤكد عليهم ان الله كان بما تعملون خبيرا فلا
تتهافتوا في القتل وكونوا محترزين محتاطين في ذلك غير اولي
الضرر قرئ بالحركات الثلاث فالرفع صفة للقاعدون والنصب
استثناء منهم او حال عنهم والجر صفة للمؤمنين والضرر المرض
او العاهة من عمى او عرج او زمانة او نحوها وعن زيد بن ثابت
كنت الى جنب رسول الله فغشيته السكينة فوقعت فخذه
على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب
فكتبت في كتف لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون
فقال ابن ام مكتوم وكان اعمى يا رسول الله وكيف بمن

لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما

لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم قال
اقرأ يا زيد فقرأت لا يستوي القاعدون من المؤمنين فقال
غير اولي الضرر قال زيد انزلها الله وحدها فالحقتها والذي نفسي
بيده لكأني انظر الى ملحقها عند صدع في الكتف وعن
ابن عباس لا يستوي القاعدون عن بدر والخارجون اليها
وعن مقاتل الى تبوك فان قلت معلوم ان القاعد بغير عذر والمجاهد
لا يستويان فما فائدة نفي الاستواء قلت معناه الاذكار
بما بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد ليأنف القاعد
ويترفع بنفسه عن انحطاط منزلته فيهتز للجهاد ويرغب فيه
وفي ارتفاع طبقته ونحوه هل يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون اريد به التحريك من حمية الجاهل وانفته ليهاب به
الى التعلم ولينهض بنفسه عن صفة الجهل الى شرف العلم
فضل الله المجاهدين جملة موضحة لما نفي من استواء القاعدين
والمجاهدين كأنه قيل ما لهم لا يستوون فاجيب بذلك
والمعنى على القاعدين غير اولي الضرر لكون الجملة بيانا للجملة الاولى
المتضمنة لهذا الوصف وكلا وكل فريق من القاعدين والمجاهدين
وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة وان كان
المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة وعن النبي صلى الله عليه
لقد خلفتم بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا
الا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم
وكانت افئدتهم تهوي الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير
من ضرر او غيره فان قلت قد ذكر الله سبحانه مفضلين درجة
ومفضلين درجات فمن هم قلت اما المفضلون درجة واحدة

هم الذين فضلوا على القاعدين الاضراء واما المفضلون درجات
فالذين فضلوا على القاعدين الذين اذن لهم في التخلف
اكتفاء بغيرهم لان الغزو فرض كفاية فان قلت لم نصب درجة
واجرا ودرجات قلت نصب قوله درجة لوقوعها موقع المرة
من التفضيل كانه قيل فضلهم تفضيلة ونظيره قولك ضربه
سوطا بمعنى ضربه ضربة واما اجرا فقد انتصب بفضل لانه
في معنى اجرهم اجرا ودرجات ومغفرة ورحمة بدل من اجرا
ويجوز ان ينتصب درجات نصب درجة كما تقول ضربه
اسواطا بمعنى ضربات كانه قيل وفضلهم تفضيلات ونصب
اجرا عظيما على انه حال عن النكرة التي هي درجات مقدمة عليها
وانتصب مغفرة ورحمة باضمار فعلهما بمعنى وغفر لهم ورحمهم
مغفرة ورحمة توفيهم يجوز ان يكون ماضيا كقراءة من قرأ
توفتهم ومضارعا بمعنى تتوفيهم كقراءة من قرأ توفيهم على مضارع
وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم
من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم
قالوا قال الملائكة للمتوفين فيم كنتم في اي شيء كنتم من امر
دينكم وهم ناس من اهل مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت
الهجرة فريضة فان قلت كيف صح وقوع قوله كنا مستضعفين
في الارض جوابا عن قولهم فيم كنتم وكان حق الجواب ان يقولوا كنا في
كذا او لم نكن في شيء قلت معنى فيم كنتم التوبيخ بانهم لم يكونوا في
شيء من الدين حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا فقالوا
كنا مستضعفين اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا بالاستضعاف
وانهم لم يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا في شيء فبكتتهم الملائكة بقولهم
الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ارادوا انكم كنتم
قادرين

على الخروج من مكة الى بعض البلاد التي لا يمنعون فيها من اظهار
دينهم ومن الهجرة الى رسول الله كما فعل المهاجرون الى ارض
الحبشة وهذا دليل على ان الرجل اذا كان في بلد لا يتمكن
فيه من اقامة امر دينه كما يجب لبعض الاسباب والعوائق
عن اقامة الدين لا تنحصر او علم انه في غير بلده اقوم بحق الله
وادوم على العبادة حقت عليه المهاجرة وعن النبي صلى الله عليه
من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض
استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد اللهم
ان كنت تعلم ان هجرتي اليك لم تكن الا للفرار بديني فاجعلها
سببا في خاتمة الخير ودرك المرجو من فضلك والمبتغى من رحمتك
وصل جواري لك بعكوفي عند بيتك بجوارك في دار كرامتك
يا واسع المغفرة ثم استثنى من اهل الوعيد المستضعفين
الذين لا يستطيعون حيلة في الخروج لفقرهم وعجزهم ولا
معرفة لهم بالمسالك وروي ان رسول الله صلى الله عليه بعث
بهذه الآية الى مسلمي مكة فقال جندب بن ضمرة او ضمرة بن
جندب لبنيه احملوني فاني لست من المستضعفين واني
لا اهتدي الطريق والله لا ابيت الليلة بمكة فحملوه على سرير
متوجها الى المدينة وكان شيخا كبيرا فمات بالتنعيم فان قلت
كيف ادخل الولدان في جملة المستثنين من اهل الوعيد
كانهم كانوا يستحقون الوعيد مع الرجال والنساء لو استطاعوا
حيلة واهتدوا سبيلا قلت الرجال والنساء قد يكونون
مستطيعين مهتدين وقد لا يكونون كذلك واما الولدان
فلا يكونون الا عاجزين عن ذلك فلا يتوجه عليهم وعيد

هذا اشارة الى هجرة المصنف جار الله الى مكة حرسها الله

الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا

لان سبب خروج الرجال والنساء من جملة اهل الوعيد انما هو كونهم
عاجزين فاذا كان العجز متمكنا في الولدان لا ينفكون عنه كانوا
خارجين من جملتهم ضرورة هذا اذا أريد بالولدان الاطفال
ويجوز ان يراد المراهقون منهم الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء
فيلحقوا بهم في التكليف وان اريد العبيد والاماء البالغون
فلا سؤال فان قلت الجملة التي هي لا يستطيعون ما موقعها
قلت هي صفة للمستضعفين او للرجال والنساء والولدان
وانما جاز ذلك والجمل نكرات لان الموصوف وان كان فيه حرف
التعريف فليس لشيء بعينه كقوله ولقد أمر على اللئيم يسبني فان قلت
لم قيل عسى الله ان يعفو عنهم بكلمة الاطماع قلت للدلالة على ان
ترك الهجرة امر مضيق لا توسعة فيه حتى ان المضطر البين الاضطرار
من حقه ان يقول عسى الله ان يعفو عني فكيف بغيره مراغما مهاجرا
وطريقا يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم والرغم
الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب
يقال راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك
لمذلة تلحقه بذلك قال النابغة الجعدي كطود يلاذ باركانه
عزيز المراغم والمذهب وقرئ ثم يدركه الموت بالرفع
على انه خبر مبتدأ محذوف اي ثم هو يدركه وقيل رفع الكاف منقول من الهاء
كانه اراد ان يقف عليها ثم نقل حركة الهاء الى الكاف كقوله
من عنزي يسبني لم أضربه وقرئ بالنصب على اضمار ان
كقوله والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله فقد وجب
ثوابه عليه وحقيقة الوجوب الوقوع والسقوط فاذا وجبت
جنوبها ووجبت الشمس سقط قرصها والمعنى فقد علم الله كيف
يثيبه

وهذا النوع على ما منهم وهو ان العمل موجب عندهم بنفسه فكان الامر العافي عندهم مكلفا

ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما

اي صعب الطريق عاصم لمن التجأ اليه

اوله عجبت والدهر كثير عجبه

اوله سأترك منزلي لبني تميم

ادركه
بذلك واجب عليه وروي في قصة جندب بن ضمرة انه لما
ادركه الموت اخذ يصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك
وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات
حميدا فبلغ خبره اصحاب رسول الله فقالوا لو توفي بالمدينة
لكان اتم اجرا وقال المشركون وهم يضحكون ما ادرك هذا
ما طلب فنزلت وقالوا كل هجرة لغرض ديني من طلب علم
او حج او جهاد او فرار الى بلد يزداد فيه طاعة او قناعة وزهدا
في الدنيا او ابتغاء رزق طيب فهي هجرة الى الله ورسوله وان
ادركه الموت في طريقه فاجره واقع على الله الضرب في الارض
هو السفر وادنى مدة السفر الذي يجوز فيه القصر عند ابي حنيفة رحمه الله
مسيرة ثلاثة ايام ولياليهن سير الابل ومشي الاقدام
على القصد ولا اعتبار بابطاء الضارب واسراعه فلو سار
مسيرة ثلاثة ايام ولياليهن في يوم قصر ولو سار مسيرة
يوم في ثلاثة ايام لم يقصر وعند الشافعي رحمه الله ادنى مدة
السفر اربعة برد مسيرة يومين وقوله فليس عليكم جناح ان
تقصروا من الصلاة ظاهره التخيير بين القصر والاتمام وان
الاتمام افضل والى التخيير ذهب الشافعي وروي عن النبي صلى الله عليه
انه اتم في السفر وعن عائشة رضي الله عنها اعتمرت مع رسول
الله من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت مكة قلت يا رسول
الله بابي انت وامي قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال
احسنت يا عائشة وما عاب علي وكان عثمان رضي الله عنه يتم ويقصر
وعند ابي حنيفة القصر في السفر عزيمة غير رخصة لا يجوز غيره
وعن عمر رضي الله عنه صلاة السفر ركعتان تام غير قصر على لسان نبيكم

اي الاقتصاد

واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا

وعن عائشة رضي الله عنها اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين ركعتين
فأقرت في السفر وزيدت في الحضر فان قلت فما تصنع بقوله
فليس عليكم جناح ان تقصروا قلت كانهم الفوا الاتمام فكانوا
مظنة لان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فنفى عنهم الجناح
لتطيب انفسهم بالقصر ويطمئنوا اليه وقرئ تقصروا من
اقصر وجاء في الحديث اقصار الخطبة بمعنى تقصيرها وقرأ الزهري
تقصّروا بالتشديد والقصر ثابت بنص الكتاب في حال الخوف
خاصة وهو قوله ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا واما في حال
الامن فبالسنة وفي قراءة عبد الله من الصلوة ان يفتنكم
ليس فيها ان خفتم على انه مفعول له بمعنى كراهة ان يفتنكم
والمراد بالفتنة القتال والتعرض بما يكره واذا كنت فيهم فاقمت
لهم الصلوة تعلق بظاهره من لا يرى صلوة الخوف بعد رسول الله
حيث شرط كونه فيهم وذهب عنه ان الائمة نواب عن
رسول الله في كل عصر قوام بما كان يقوم به فكان الخطاب له متناولا
لكل امام يكون حاضر الجماعة في حال الخوف عليه ان يؤمهم كما
ام رسول الله الجماعات التي كان يحضرها والضمير في فيهم للخائفين
فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم احديهما معك فصل
بهم وليأخذوا اسلحتهم الضمير اما للمصلين واما لغيرهم فان
كان للمصلين فقالوا يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن
الصلوة كالسيف والخنجر ونحوهما وان كان لغيرهم فلا كلام فيه
فاذا سجدوا فليكونوا يعني غير المصلين من ورائكم يحرسونكم
وصفة صلوة الخوف عند ابي حنيفة رحمه الله ان يصلي الامام باحدى
الطائفتين ركعة ان كانت الصلوة ركعتين والاخرى بازاء العدو

واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا اسلحتهم

فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة

من الطائفة التي معك ركعة ثم فليرجعوا ليقفوا بازاء العدو

ثم تقف هذه بازاء العدو وتأتي الاخرى فيصلي بها ركعة ويتم صلوته
ثم تقف بازاء العدو وتأتي الاولى فتؤدي الركعة بغير قراءة وتتم
صلوتها ثم تحرس وتأتي الاخرى فتؤدي الركعة بقراءة وتتم صلوتها
والسجود على ظاهره عند ابي حنيفة وعند مالك بمعنى الصلوة لان
الامام يصلي بطائفة ركعة وتقف قائما حتى تتم صلوتها
وتسلم وتذهب ثم يصلي بالثانية ركعة ويقف قاعدا حتى تتم
صلوتها ويسلم بهم وبعضهم ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا
فليصلوا معك ودو وامتعتكم فان قلت كيف جمع بين
الاسلحة وبين الحذر في الاخذ قلت جعل الحذر وهو التحرز
والتيقظ آلة يستعملها الغازي فلذلك جمع بينه وبين الاسلحة
في الاخذ وجعلا مأخوذين ونحوه والذين تبوؤا
الدار والايمان جعل الايمان مستقرا لهم ومتبوأ لتمكنهم فيه
فلذلك جمع بينه وبين الدار في التبوء فيميلون عليكم فيشدون
عليكم شدة واحدة ورخص لهم في وضع الاسلحة ان ثقل عليهم
حملها بسبب ما يبلهم من مطر او يضعفهم من مرض وامرهم
مع ذلك باخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو فان قلت
كيف طابق الامر بالحذر قوله ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا
قلت الامر بالحذر من العدو يوهم توقع غلبته واعتزازه
فنفى عنهم ذلك الايهام باخبارهم ان الله يهين عدوهم ويخذله
وينصرهم عليه لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحذر ليس
لذلك وانما هو تعبد من الله كما قال ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
فاذا قضيتم الصلوة فاذا صليتم في حال الخوف والقتال فاذكروا
الله فصلوها قياما مسايفين ومقارعين وقعودا جاثين

جاثين

تبوؤا الدار اتخذوها مسكنا

ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا

فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم

على الركب مرامين وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح فاذا اطمأننتم
حين تضع الحرب اوزارها وامنتم فاقيموا الصلوة فاقضوا
ما صليتم في تلك الاحوال التي هي احوال القلق والانزعاج ان
الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا محدودا بأوقات
لا يجوز اخراجها عن اوقاتها على اي حال كنتم خوف او امن وهذا
ظاهر على مذهب الشافعي رحمه الله في ايجابه الصلوة على المحارب في حال
المسايفة والمشي والاضطراب في المعركة اذا حضر وقتها فاذا
اطمأن فعليه القضاء واما عند ابي حنيفة رحمه الله فهو معذور
في تركها الى ان يطمئن وقيل معناه فاذا قضيتم صلوة الخوف
فاديموا ذكر الله مهللين مكبرين مسبحين داعين بالنصرة
والتأييد في كافة احوالكم قياما وقعودا واضطجاعا فان
ما انتم فيه من خوف او حرب جدير بذكر الله ودعائه واللجأ اليه
فاذا اطمأننتم فاذا امنتم فاقيموا الصلوة فاتموها ولا تهنوا
ولا تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال
والتعرض به لهم ثم الزمهم الحجة بقوله ان تكونوا تألمون اي ليس
ما تكابدون من الالم بالجرح والقتل مختصا بكم انما هو امر مشترك
بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم انهم يصبرون عليه ويتشجعون
فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم اولى منهم بالصبر لانكم
ترجون من الله ما لا يرجون من اظهار دينكم على سائر الاديان
ومن الثواب العظيم في الآخرة وقرأ الاعرج ان تكونوا تألمون
بفتح الهمزة بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تألمون وقوله فانهم يألمون
كما تألمون تعليل وقرئ فانهم ييلمون كما تيلمون وروي ان هذا
في بدر الصغرى كان بهم جراح فتواكلوا وكان الله عليما حكيما لا يكلفكم
شيا ولا يامركم ولا ينهاكم

اي يتكل بعضهم على بعض

فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلوة ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا

ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما

الا لما هو عالم به مما يصلحكم روي ان طعمة بن ابيرق احد بني ظفر
سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان في جراب دقيق
فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين
رجل من اليهود فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف
ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى
الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد
له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول
الله فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك
وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله ان يفعل وان يعاقب
اليهودي وقيل هم ان يقطع يده فنزلت وروي ان طعمة هرب
الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط
عليه فقتله بما اراك الله بما عرفك واوحى به اليك وعن عمر
رضي الله عنه لا يقولن احدكم قضيت بما اراني الله فان الله
لم يجعل ذلك الا لنبيه ولكن ليجتهد برأيه لان الرأي من
رسول الله كان مصيبا لان الله كان يريه اياه وهو منا
الظن والتكلف ولا تكن للخائنين خصيما ولا تكن لاجل الخائنين
مخاصما للبرآء يعني لا تخاصم اليهود لاجل بني ظفر واستغفر الله
مما هممت به من عقاب اليهودي يختانون انفسهم يخونونها
بالمعصية كقوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم جعلت معصية
العصاة خيانة منهم لانفسهم كما جعلت ظلما لها لان الضرر
راجع اليهم فان قلت لم قيل للخائنين ويختانون انفسهم
وكان السارق طعمة وحده قلت لوجهين احدهما ان بني ظفر
شهدوا له بالبراءة ونصروه فكانوا شركاء له في الاثم والثاني

انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما

ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما

انه جمع لتناول طعمة وكل من خان خيانته فلا تخاصم لخائن
ولا تجادل عنه فان قلت لم قال خوانا اثيما على المبالغة قلت
كان الله عالما من طعمة بالافراط في الخيانة وركوب المآثم ومن
كانت تلك خاتمة امره لم تشك في حاله وقيل اذا عثرت من
رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وعن عمر رضي الله عنه
انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول هذه
اول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا
يؤاخذ عبده في اول مرة يستخفون يستترون من الناس
حياء منهم وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله ولا
يستحيون منه وهو معهم وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه
خاف من سرهم وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ما هم فيه
من قلة الحياء والخشية من ربهم مع علمهم ان كانوا مؤمنين
انهم في حضرته لا سترة ولا غفلة ولا غيبة وليس الا الكشف
الصريح والافتضاح يبيتون يدبرون ويزورون واصله
ان يكون بالليل ما لا يرضى من القول وهو تدبير طعمة ان
يرمي بالدرع في دار زيد ليسرّق دونه ويحلف ببراءته
فان قلت كيف سمي التدبير قولا وانما هو معنى في النفس قلت
لما حدث بذلك نفسه سمي قولا على المجاز ويجوز ان يراد بالقول
الحلف الكاذب الذي حلف به بعد ان بيّته وتوريكه الذنب
على اليهودي ها انتم هؤلاء ها للتنبيه في انتم واولاء وهما
مبتدأ وخبر وجادلتم جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا كما تقول
لبعض الاسخياء انت حاتم تجود بمالك وتؤثر على نفسك
ويجوز ان يكون اولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته

يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا

ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلا

والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وقومه في الدنيا فمن يخاصم
عنهم في الآخرة اذا اخذهم الله بعذابه وقرأ عبد الله
عنه اي عن طعمة وكيلا حافظا ومحاميا من بأس الله
وانتقامه ومن يعمل سوءا قبيحا متعديا يسوء به غيره كما
فعل طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به
كالحلف الكاذب وقيل ومن يعمل سوءا من ذنب دون
الشرك او يظلم نفسه بالشرك وهذا بعث لطعمة على
الاستغفار والتوبة لتلزمه الحجة مع العلم بما يكون منه او
لقومه لما فرط منهم من نصرته والذب عنه فانما يكسبه على
نفسه اي لا يتعدى ضرره الى غيره فليتق على نفسه من
كسب السوء خطيئة صغيرة او اثما او كبيرة ثم يرم به
بريئا كما رمى طعمة زيدا فقد احتمل بهتانا واثما لانه بكسب
الاثم آثم وبرمي البريء باهت فهو جامع بين الامرين
وقرأ معاذ بن جبل رضي الله عنه ومن يكسب بكسر الكاف والسين
المشددة واصله يكتسب ولولا فضل الله عليك ورحمته اي
عصمته والطافه وما اوحى اليك من الاطلاع على سرهم
لهمت طائفة منهم من بني ظفر ان يضلوك عن القضاء بالحق
وتوخي طريق العدل مع علمهم بان الجاني هو صاحبهم فقد روي ان
ناسا منهم كانوا يعلمون كنه القصة وما يضلون الا انفسهم
لان وباله عليهم وما يضرونك من شيء لانك انما عملت بظاهر
الحال وما كان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك
وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور وضمائر القلوب او من
امور الدين والشرائع ويجوز ان يراد بالطائفة بنو ظفر ويرجع
الضمير

ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما

ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا

ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما

لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما

في منهم الى الناس وقيل الآية في المنافقين لا خير في كثير من نجواهم
من تناجي الناس الا من امر بصدقة الا نجوى من امر على انه
مجرور بدل من كثير كما تقول لا خير في قيامهم الا قيام زيد ويجوز
ان يكون منصوبا على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي
نجواه الخير وقيل المعروف القرض وقيل اغاثة الملهوف
وقيل هو عام في كل جميل ويجوز ان يراد بالصدقة الواجب وبالمعروف
ما يتصدق به على سبيل التطوع وعن النبي صلى الله عليه كلام ابن
آدم كله عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف او نهي عن منكر
او ذكر الله وسمع سفيان رجلا يقول ما اشد هذا الحديث
فقال الم تسمع الله يقول لا خير في كثير من نجواهم فهو هذا بعينه
او ما سمعته يقول والعصر ان الانسان لفي خسر فهو هذا بعينه وشرط
في استيجاب الاجر العظيم ان ينوي فاعل الخير عبادة الله والتقرب
اليه وان يبتغي به وجهه خالصا لان الاعمال بالنيات فان قلت
كيف قال الا من امر ثم قال ومن يفعل ذلك قلت قد ذكر الآمر
بالخير ليدل به على فاعله لانه اذا دخل الآمر به في زمرة الخيرين كان
الفاعل فيهم ادخل ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن به
الوعد بالاجر العظيم ويجوز ان يراد ومن يامر بذلك فعبر عن الامر
بالفعل كما يعبر به عن سائر الافعال وقرئ يؤتيه بالياء ويتبع
غير سبيل المؤمنين وهو السبيل الذي هم عليه من الدين الحنيفي
القيم وهو دليل على ان الاجماع حجة لا تجوز مخالفتها كما لا تجوز مخالفة
الكتاب والسنة لان الله عز وعلا جمع بين اتباع سبيل
غير المؤمنين وبين مشاقة الرسول في الشرط وجعل جزاءه
الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول قوله

ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا

ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال بان نخذله ونخلي بينه وبين ما اختاره
ونصله جهنم وقرئ ونصله بفتح النون من صلاه وقيل هي في
طعمة وارتداده وخروجه الى مكة ان الله لا يغفر ان يشرك به تكرير
للتاكيد وقيل كرر لقصة طعمة ويروى انه مات مشركا وقيل
جاء شيخ من العرب الى رسول الله عليه السلام فقال اني شيخ منهمك
في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم
اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جراة على الله ولا مكابرة
له وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب
مستغفر فما ترى حالي عند الله فنزلت وهذا الحديث ينصر قول
من فسر من يشاء بالتائب من ذنبه الا اناثا هي اللات
والعزى ومناة عن الحسن لم يكن حي من احياء العرب الا
ولهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بني فلان وقيل كانوا
يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل المراد الملائكة
لقولهم الملائكة بنات الله وقرئ انثا جمع انيث واناث
ونثنا واثنا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كقولك اسد واسد
واسد وقلب الواو الفا نحو اجوه في وجوه وقرات عائشة
رضي الله عنها اوثانا وان يدعون وان يعبدون بعبادة الاصنام
الا شيطانا لانه هو الذي اغراهم على عبادتها فاطاعوه فجعلت
طاعتهم له عبادة لعنه الله وقال لاتخذن صفتان بمعنى شيطانا
مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع نصيبا مفروضا
مقطوعا واجبا لي فرضته لنفسي من قولهم فرض له في العطاء
وفرض للجند رزقه عن الحسن من كل الف تسعمائة وتسعون
الى النار ولامنينهم الاماني الباطلة من طول الاعمار وبلوغ
الآمال

ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا

وقيل كانوا يعبدونها بعقود النساء و يحلونها ويزينونها بانواع الزينة

ولاضلنهم ولامنينهم ولآمرنهم

وإجماع الله للمؤمنين بعفو توبة والخروج من النار بعد دخولها بالشفاعة
ويؤدي ذلك وتبتيكهم الآذان فعلهم بالبحائر كانوا يشقون
أذن الناقة إذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا
على أنفسهم الانتفاع بها وتغييرهم خلق الله فقء عين الحامي
وإعفاؤه عن الركوب وقيل الخصاء وهو في قول عامة العلماء
مباح في البهائم وأما في بني آدم فمحظور وعند أبي حنيفة يكره شرى
الخصيان واستخدامهم وإمساكهم لأن الرغبة فيهم تدعو إلى
خصائهم وقيل فطرة الله التي هي دين الإسلام وقيل للحسن
إن عكرمة يقول هو الخصاء فقال كذب عكرمة هو دين الله وعن
ابن مسعود هو الوشم وعنه لعن الله الواشرات والمتنمصات والمستوشمات
المغيرات خلق الله وقيل التخنث وعد الله حقا مصدران
الأول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره ومن أصدق من الله قيلا
توكيد ثالث بليغ فإن قلت ما فائدة هذه التوكيدات قلت
معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة وأمانيه الباطلة لقرنائه
بوعد الله الصادق لأوليائه ترغيبا للعباد في إيثار ما يستحق
به تنجز وعد الله على ما يتجرعون في عاقبته غصص إخلاف
مواعيد الشيطان ليس بأمانيكم ليس ما وعد الله من الثواب ينال
بأمانيكم ولا بأماني أهل الكتاب والخطاب للمسلمين
لأنه لا يتمنى وعد الله إلا من آمن به ولذلك ذكر أهل الكتاب
معهم لمشاركتهم لهم في الإيمان بوعد الله وعن مسروق والسدي
في المسلمين وعن الحسن ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب
وصدقه العمل إن قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا
ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن
لأحسنوا العـ

فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا

ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا

هذا كلام المصنف ذكره تبعا وهو تفسير الحسن

وقيل ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا
قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا
خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله فنزلت
ويحتمل ان يكون الخطاب للمشركين لقولهم ان كان الامر كما يزعم
هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا لاوتين مالا وولدا ان لي
عنده للحسنى وكان اهل الكتاب يقولون نحن ابناء الله واحباؤه
لن تمسنا النار الا اياما معدودة ويعضده تقدم ذكر اهل الشرك
قبله وعن مجاهد ان الخطاب للمشركين قوله من يعمل سوءا
يجز به وقوله ومن يعمل من الصالحات بعد ذكر تمني اهل الكتاب
نحو من قوله بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته وقوله والذين
آمنوا وعملوا الصالحات عقيب قوله وقالوا لن تمسنا النار الا اياما
معدودة واذا ابطل الله الاماني واثبت ان الامر كله معقود
بالعمل وان من اصلح عمله فهو الفائز ومن اساء عمله فهو الهالك
تبين الامر ووضح ووجب قطع الاماني وحسم المطامع والاقبال
على العمل الصالح ولكنه نصح لا تعيه الآذان ولا تلقى اليه الاذهان
فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية قلت الاولى
للتبعيض اراد ومن يعمل بعض الصالحات لان كلا لا يتمكن من كل
الصالحات لاختلاف الاحوال وانما يعمل منها ما هو تكليفه وفي
وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكاة وتسقط عنه
الصلوة في بعض الاحوال والثانية لتبيين الابهام في ومن يعمل
فان قلت كيف خص الصالحين بانهم لا يظلمون وغيرهم مثلهم في
ذلك قلت فيه وجهان احدهما ان يكون الراجع في ولا يظلمون
لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا والثاني ان يكون ذكره عند

احد الجزائين

[illegible]
هذا من جملة الاماني وكذا قوله ان
لي عنده للحسنى
اي كون الخطاب للمشركين

ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا

دال الآخر ما ذكره عند الآخر لان كلا الفريقين مجزيون باعمالهم لا تفاوت
بينهم ولان ظلم المسيء ان يزاد في عقابه وارحم الراحمين معلوم انه
لا يزيد في عقاب المجرم فكان ذكره مستغنى عنه واما المحسن فله
ثواب وتوابع للثواب من فضل الله هي في حكم الثواب فجاز ان
ينقص من الفضل لانه ليس بواجب فكان نفي الظلم دلالة على انه
لا يقع نقصان في الفضل اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله وجعلها
سالمة له لا يعرف لها ربا ومعبودا سواه وهو محسن وهو عامل
للحسنات تارك للسيئات حنيفا حال من المتبع او من ابراهيم كقوله بل
ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين وهو الذي تحنف اي
مال عن الاديان كلها الى دين الاسلام واتخذ الله ابراهيم
خليلا مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة
الخليل عند خليله والخليل المخال وهو الذي يخالك اي يوافقك
في خلالك او يسايرك في طريقك من الخل وهو الطريق في الرمل
او يسد خللك كما تسد خلله او يداخلك خلال منازلك وحجبك
فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت هي جملة اعتراضية لا محل لها
من الاعراب كنحو ما يجيء في الشعر من قولهم والحوادث جمة فائدتها تاكيد
وجوب اتباع ملته لان من بلغ من الزلفى عند الله ان اتخذه خليلا
كان جديرا بان تتبع ملته وطريقته ولو جعلتها معطوفة على الجملة قبلها
لم تكن لها معنى وقيل ان ابراهيم عليه السلام بعث الى خليل له
بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان
ابراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للاضياف
فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملأوا منها الغرائر حياء من الناس
فلما اخبروا ابراهيم ساءه الخبر فحملته عيناه وعمدت امراته

ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن والمستضعفين من الولدان

الى غرارة منها فاخرجت احسن حوارى واختبزت واستنبه ابراهيم
فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم فقالت امراته من خليلك
المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلا
ولله ما في السموات وما في الارض متصل بذكر العمال الصالحين
والطالحين ومعناه ان له ملك اهل السموات والارض
فطاعته واجبة عليهم وكان الله بكل شيء محيطا فكان عالما
باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها فعليهم ان يختاروا لانفسهم
ما هو اصلح لها ما يتلى في محل الرفع اي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب
في معنى اليتامى يعني قوله وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى
وهو من قولك اعجبني زيد وكرمه ويجوز ان يكون وما يتلى عليكم مبتدأ
في الكتاب خبره على انها جملة معترضة والمراد بالكتاب اللوح
المحفوظ تعظيما للمتلو عليهم وان العدل والنصفة في حقوق
اليتامى من عظائم الامور المرفوعة الدرجات عند الله التي تجب
مراعاتها والمخل بها ظالم متهاون بما عظمه الله ونحوه
في تعظيم القرآن وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم ويجوز ان يكون
مجرورا على القسم كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن واقسم بما يتلى عليكم
في الكتاب والقسم ايضا لمعنى التعظيم وليس بسديد ان يعطف على
المجرور في فيهن لاختلاله من حيث اللفظ والمعنى فان قلت بم
تعلق قوله في يتامى النساء قلت في الوجه الاول هو صلة يتلى اي يتلى
عليكم في معناهن ويجوز ان يكون في يتامى النساء بدلا من فيهن واما في
الوجهين الآخرين فبدل لا غير فان قلت الاضافة في يتامى النساء ما هي
قلت اضافة بمعنى من كقولك عندي سحق عمامة وقرىء في ييامى النساء
بيائين على قلب همزة ايامى ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن ورثا كتب
الله لهن

اي ما فرض لهن من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة الى نفسه
وما لها فان كانت جميلة تزوجها واكل المال وان كانت دميمة
عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها وترغبون ان تنكحوهن
يحتمل في ان تنكحوهن لجمالهن وعن ان تنكحوهن لدمامتهن
ويروى ان عمر بن الخطاب كان اذا جاءه ولي اليتيمة نظر
فان كانت جميلة غنية قال زوجها غيرك والتمس لها من هو خير
منك وان كانت دميمة ولا مال لها قال تزوجها فانت احق بها
والمستضعفين مجرور معطوف على يتامى النساء وكانوا في الجاهلية
انما يورثون الرجال القوام بالامور دون الاطفال والنساء ويجوز
ان يكون خطابا للاوصياء كقوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب
وان تقوموا مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم في يتامى النساء وفي
المستضعفين وفي ان تقوموا ويجوز ان يكون منصوبا بمعنى ويامركم
ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم
ولا يخلوا احدا يهتضمهم وان امراة خافت من بعلها توقعت منه ذلك لما
لاح لها من مخايله وامارته نشوزا ان يتجافى عنها بان يمنعها
نفسه ونفقته والمودة والرحمة التي بين الرجل والمراة وان
يؤذيها بسب او ضرب او اعراضا ان يعرض عنها بان يقلل محادثتها
ومؤانستها وذلك لبعض الاسباب من طعن في سن او دمامة
او شيء في خلق او خلق او ملال او طموح عين الى اخرى او غير ذلك
فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما وقرئ يصالحا ويصلحا بمعنى يصطلحا
ويصطلحا ويتصالحا اصطبر اصطلح صلحا في معنى مصدر كل
واحد من الافعال الثلاثة ومعنى الصلح ان يتصالحا على ان تطيب
له نفسا عن القسمة او عن بعضها كما فعلت سودة بنت زمعة

وان تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير واحضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا

حين كرهت ان يفارقها رسول الله وعرفت مكان عائشة من قلبه
فوهبت لها يومها وكما يروى ان امراة اراد ان يطلقها زوجها
لرغبته عنها وكان لها منه ولد فقالت لا تطلقني ودعني
اقوم على ولدي وتقسم لي في كل شهرين فقال ان كان هذا
يصلح فهو احب الي فاقرها او تهب له بعض المهر او كله او
النفقة فان لم تفعل فليس له الا ان يمسكها باحسان او يسرحها
والصلح خير من الفرقة او من النشوز والاعراض وسوء العشرة
او هو خير من الخصومة في كل شيء او والصلح خير من الخيرات
كما ان الخصومة شر من الشرور وهذه الجملة اعتراض وكذلك
قوله واحضرت الانفس الشح ومعنى احضار الانفس الشح ان
الشح جعل حاضرا لها لا يغيب عنها ابدا ولا ينفك عنها يعني
انها مطبوعة عليه والغرض ان المراة لا تكاد تسمح بقسمتها
وبغير قسمتها والرجل لا يكاد نفسه تسمح بان يقسم لها وان
يمسكها اذا رغب عنها واحب غيرها وان تحسنوا بالاقامة
على نسائكم وان كرهتموهن واحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك
مراعاة لحق الصحبة وتتقوا النشوز والاعراض وما يؤدي الى
الاذى والخصومة فان الله كان بما تعملون من الاحسان
والتقوى خبيرا وهو يثيبكم عليه وكان عمران بن حطان
الخارجي من ادم بني ادم وامراته من اجملهم فاجالت في وجهه
نظرها يوما ثم تابعت الحمد لله فقال مالك قالت حمدت
الله على اني واياك من اهل الجنة قال كيف قالت لانك
رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت وقد
وعد الله الجنة عباده الشاكرين والصابرين ولن تستطيعوا

ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة

ومحال ان تستطيعوا العدل بين النسآء والتسوية حتى لا يقع ميل
البتة ولا زيادة ولا نقصان فيما يجب لهن فرفع لذلك عنكم
تمام العدل وغايته وما كلفتم منه الا ما تستطيعون بشرط
ان تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم لان تكليف ما لا يستطاع
داخل في حد الظلم وما ربك بظلام للعبيد وقيل معناه ان
تعدلوا في المحبة وعن النبي صلى الله عليه انه كان يقسم بين نسايه
فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تواخذني فيما تملك
ولا املك يعني المحبة لان عايشة رضي الله عنها كانت احب اليه
وقيل ان العدل بينهن امر صعب بالغ من الصعوبة حدا
يوهم انه غير مستطاع لانه يجب ان يسوى بينهن في القسمة
والنفقة والتعهد والنظر والاقبال والممالحة والمفاكهة والموانسة
وغيرها مما لا يكاد الحصر يأتي من ورايه فهو كالخارج من
حد الاستطاعة هذا اذا كن محبوبات كلهن فكيف اذا مال
القلب مع بعضهن فلا تميلوا كل الميل فلا تجوروا على المرغوب
عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها من غير رضى منها يعني ان اجتناب
كل الميل مما هو في حد اليسر والسعة فلا تفرطوا فيه ان وقع
منكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ فتذروها
كالمعلقة وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة قالت هل هي
الا حظة او تطليق او صلف او بين ذاك تعليق وفي قراة ابي
فتذروها كالمسجونة وفي الحديث من كانت له امراتان يميل
مع احديهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مايل وروي ان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه بعث الى ازواج رسول الله بمال فقالت عايشة
الى كل ازواج رسول الله بعث عمر مثل هذا قالوا لا بعث الى القرشيات
عمر هذا

٢٧٢

في القسمة بيننا

والى غيرهن بغيره فقالت ارفع راسك فان رسول الله كان يعدل
بماله ونفسه فرجع الرسول فاخبره فاتم لهن جميعا وكان لمعاذ
امراتان فاذا كان عند احديهما لم يتوضا في بيت الاخرى فماتتا
في الطاعون فدفنهما في قبر واحد وان تصلحوا ما مضى من ميلكم وتداركوه
بالتوبة وتتقوا فيما يستقبل غفر الله لكم وقرئ وان يتفارقا
بمعنى ان يفارق كل واحد منهما صاحبه يغن الله كلا يرزقه
زوجا خيرا من زوجه وعيشا اهنا من عيشه والسعة الغنى
والمقدرة والواسع الغني المقتدر من قبلكم متعلق بوصينا
او باوتوا واياكم عطف على الذين اوتوا الكتاب اسم للجنس
يتناول الكتب السماوية ان اتقوا بان اتقوا او تكون ان
المفسرة لان التوصية في معنى القول وقوله وان تكفروا فان لله عطف
على اتقوا لان المعنى امرناهم وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان
تكفروا فان لله والمعنى ان لله الخلق كله وهو خالقهم ومالكهم
والمنعم عليهم باصناف النعم كلها فحقه ان يكون مطاعا في خلقه
غير معصي يتقون عقابه ويرجون ثوابه ولقد وصينا الذين
اوتوا الكتاب من الامم السالفة ووصيناكم ان اتقوا الله يعني
انها وصية قديمة ما زال يوصي الله بها عباده لستم بها مخصوصين
لانهم بالتقوى يسعدون عنده وبها ينالون النجاة في العاقبة
وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله في سماواته وارضه من الملايكة
والثقلين من يوحده ويعبده ويتقيه وكان الله مع ذلك غنيا
عن خلقه وعن عبادتهم جميعا مستحقا لان يحمد لكثرة نعمه
وان لم يحمده احد منهم وتكرير قوله لله ما في السموات وما في الارض
تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه فيطيعوه ولا يعصوه لان الخشية
والتقوى اصل الخير كله

وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما ولله ما في السموات وما في الارض ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا حميدا ولله ما في السموات وما في الارض

إن يشأ يذهبكم يفنكم ويعدمكم كما أوجدكم وأنشأكم ويأت بآخرين
ويوجد قوما آخرين مكانكم أو خلقا آخرين غير الإنس وكان الله
على ذلك من الإعدام والإيجاد قديرا بليغ القدرة لا يمتنع
عليه شيء أراده وهذا غضب عليهم وتخويف وبيان لاقتداره
وقيل هو خطاب لمن كان يعادي رسول الله صلى الله عليه من
العرب أي إن يشأ يفنكم ويأت بناس آخرين يوالونه
ويروى أنها لما نزلت ضرب رسول الله يده على ظهر سلمان وقال إنهم
قوم هذا يريد أبناء فارس من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد
يريد بجهاده الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فماله يطلب
أخسهما دون الآخر والذي يطلبه أخسهما لأن من جاهد لله خالصا
لم تخطئه الغنيمة وله من ثواب الآخرة ما الغنيمة إلى جنبه كلا شيء
والمعنى فعند الله ثواب الدنيا والآخرة له إن أراده حتى يتعلق
الجزاء بالشرط كونوا قوامين بالقسط مجتهدين في إقامة العدل حتى لا
تجوروا شهداء لله تقيمون شهاداتكم لوجه الله كما أمرتم بإقامتها
ولو على أنفسكم ولو كانت الشهادة على أنفسكم أو آبائكم أو أقاربكم
فإن قلت الشهادة على الوالدين والأقربين أن تقول أشهد أن
لفلان على والدي كذا أو على أقاربي فما معنى الشهادة على نفسه قلت
هي الإقرار على نفسه لأنه في معنى الشهادة عليها بإلزام الحق لها ويجوز
أن يكون المعنى وإن كانت الشهادة وبالا على أنفسكم أو على آبائكم وأقاربكم
وذلك أن يشهد على من يتوقع ضرره من سلطان ظالم أو غيره
إن يكن إن يكن المشهود عليه غنيا فلا يمنع الشهادة عليه لغناه
طلبا لرضاه أو فقيرا فلا يمنعها ترحما عليه فالله أولى بهما بالغني
والفقير أي بالنظر لهما وإرادة مصلحتهما ولولا أن الشهادة عليهما مصلحة لهما
لما شرعها

إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا

هذا الكريمة تستقيم على أصل مذهب أهل السنة والجماعة لأن الإعدام والإيجاد لما كانا صفتان وصفه الله لا يطلق تحت الصفة فلا يقال الله تعالى مالك الرحمة ثم

من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا

يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين

وإنما قال أنفسكم على وزن جمع القلة بخلاف الأقربين لأن الشهادة على نفسه أقل وجودا بالنسبة إلى الغير تأمل

إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا

لأنه أنظر لعباده من كل ناظر فإن قلت لم ثني الضمير في أولى بهما وكان حقه
أن يوحد لأن قوله إن يكن غنيا أو فقيرا
في معنى إن يكن أحد هذين قلت قد رجع الضمير إلى ما دل عليه قوله
إن يكن غنيا أو فقيرا لا إلى المذكور فلذلك ثني ولم يفرد وهو جنس
الغني وجنس الفقير كأنه قيل فالله أولى بجنسي الغني والفقير أي
بالأغنياء والفقراء وفي قراءة أبي فالله أولى بهم وهي شاهدة على
ذلك وقرأ عبد الله إن يكن غني أو فقير على كان التامة أن تعدلوا
يحتمل العدل والعدول كأنه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة أن
تعدلوا عن الحق وإن تلووا أو تعرضوا وإن تلووا ألسنتكم
عن شهادة الحق أو حكومة العدل أو تعرضوا عن الشهادة بما عندكم
وتمنعوها وقرئ وإن تلوا أو تعرضوا بمعنى وإن وليتم إقامة
الشهادة أو أعرضتم عن إقامتها فإن الله كان بما تعملون خبيرا
وبمجازاتكم عليه يا أيها الذين آمنوا خطاب للمسلمين ومعنى
آمنوا اثبتوا على الإيمان وداوموا عليه وازدادوه والكتاب
الذي أنزل من قبل المراد به جنس ما أنزل على الأنبياء قبله من
الكتب والدليل عليه قوله وكتبه وقرئ وكتابه على إرادة الجنس
وقرئ نزل وأنزل على البناء للفاعل وقيل الخطاب لأهل
الكتاب لأنهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض وروي
أنه لعبد الله بن سلام وأسد وأسيد ابني كعب وثعلبة بن
قيس وسلام ابن أخت عبد الله بن سلام وسلمة ابن أخيه
ويامين بن يامين أتوا رسول الله فقالوا يا رسول الله إنا
نؤمن بك وبكتابك وموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه
من الكتب والرسل فقال عليه السلام بل آمنوا بالله ورسوله محمد
وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت
فآمنوا كلهم

أن تعدلوا بين الناس أو إرادة أن تعدلوا

يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا

ثم آمنوا ثم كفروا

وقيل هو للمنافقين كأنه قيل يا أيها الذين آمنوا نفاقا آمنوا إخلاصا
فإن قلت كيف قيل لأهل الكتاب والكتاب الذي أنزل من
قبل وكانوا مؤمنين بالتوراة والإنجيل قلت كانوا مؤمنين
بهما فحسب وما كانوا مؤمنين بكل ما أنزل من الكتب فأمروا أن
يؤمنوا بالجنس كله ولأن إيمانهم ببعض الكتب لا يصح إيمانا به
لأن طريق الإيمان به هو المعجزة ولا اختصاص لها ببعض الكتب
دون بعض فلو كان إيمانهم بما آمنوا به لأجل المعجزة لآمنوا
به كله فحين آمنوا ببعضه علم أنهم لم يعتبروا المعجزة فلم يكن
إيمانهم إيمانا وهذا الذي أراده عز وجل في قوله ويقولون نؤمن
ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا
أولئك هم الكافرون حقا فإن قلت لم قيل نزل على رسوله
وأنزل من قبل قلت لأن القرآن نزل مفرقا منجما في عشرين
سنة بخلاف الكتب قبله ومعنى قوله ومن يكفر بالله الآية
ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل لأن الكفر ببعضه كفر بكله
ألا ترى كيف قدم الأمر بالإيمان به جميعا لم يكن الله ليغفر
لهم ولا ليهديهم سبيلا نفي للغفران والهداية وهي اللطف
على سبيل المبالغة التي تعطيها اللام والمراد بنفيهما نفي ما
يقتضيهما وهو الإيمان الخالص الثابت والمعنى أن الذين
تكرر منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر والإصرار عليه
يستبعد منهم أن يحدثوا ما يستحقون به المغفرة ويستوجبون
اللطف من إيمان صحيح ثابت يرضاه الله لأن قلوب أولئك
الذين هذا ديدنهم قلوب قد ضريت بالكفر ومرنت على الردة
وكان الإيمان أهون شيء عندهم وأدونه حيث يبدو لهم فيه

كرة بعد أخرى

فإن التوراة لما تضمنت الأمر بالإيمان بجميع كتب الله تعالى لا يكون إيمانهم بالتوراة إيمانا بها حتى يؤمنوا بالكتب كلها وبالأنبياء كلهم

وليس المعنى أنهم لو أخلصوا الإيمان بعد تكرار الردة ونصحت توبتهم
لم يقبل منهم ولم يغفر لهم لأن ذلك مقبول حيث هو بذل
للطاقة واستفراغ للوسع ولكنه استبعاد له واستغراب
وأنه أمر لا يكاد يكون وهكذا ترى الفاسق الذي
يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع لا يكاد يرجى منه الثبات
والغالب أنه يموت على شر حال وأسمج صورة وقيل هم اليهود
آمنوا بالتوراة وبموسى ثم كفروا بالإنجيل وبعيسى ثم ازدادوا
كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه بشر المنافقين وضع بشر مكان
أخبر تهكما بهم والذين نصب على الذم أو رفع بمعنى أريد
الذين أو هم الذين وكانوا يمايلون الكفرة ويوالونهم ويقول
بعضهم لبعض لا يتم أمر محمد فتولوا اليهود فإن العزة لله جميعا
سبحانه ولأوليائه الذين كتب لهم العزة والغلبة على اليهود وغيرهم
وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين أن إذا سمعتم هي أن
المخففة من الثقيلة والمعنى أنه إذا سمعتم أي نزل عليكم أن الشأن
كذا والشأن ما أفادته الجملة بشرطها وجزائها وأن مع ما في
حيزها في موضع الرفع بنزل أو في موضع النصب بنزل فيمن قرأ به
والمنزل عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله وإذا رأيت
الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث
غيره وذلك أن المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في
مجالسهم فيستهزئون به فنهى المسلمين عن القعود معهم ما داموا
خائضين فيه وكان أحبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو
فعل المشركين فنهوا أن يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة
المشركين بمكة وكان الذين يقاعدون الخائضين من
الأحبار

بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا

في القرآن

إشارة إلى هذا المعنى

هم المنافقون فصل لهم انكم اذا مثلهم في الاجابة في الكفر ان الله جامع المنافقين
والكافرين يعني القاعدين والمقعود معهم فان قلت الضمير في قوله
فلا تقعدوا معهم الى من يرجع قلت الى ما دل عليه يكفر بها
ويستهزا بها كانه قيل فلا تقعدوا مع الكافرين بها والمستهزئين
بها فان قلت لم يكونون مثلهم بالمجالسة اليهم في وقت الخوض
قلت لانهم اذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين والراضي
بالكفر كافر فان قلت فهلا كان المسلمون بمكة حين كانوا
يجالسون الخائضين من المشركين منافقين قلت لانهم
كانوا لا ينكرون لعجزهم وهؤلاء لم ينكروا مع قدرتهم فكان
تركهم الانكار لرضاهم الذين يتربصون اما بدل من الذين
يتخذون واما صفة للمنافقين او نصب على الذم منهم يتربصون
بكم اي ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر او اخفاق الم نكن
معكم مظاهرين فاسهموا لنا في الغنيمة الم نستحوذ عليكم
الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم وابقينا عليكم ونمنعكم
من المسلمين بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به
قلوبهم وتوانوا في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم فهاتوا
نصيبا لنا مما اصبتم وقرئ ونمنعكم بالنصب باضمار ان
قال الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء
فان قلت لم سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا قلت
تعظيما لشان المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر
المسلمين امر عظيم تفتح له ابواب السماء حتى ينزل على اوليائه واما
ظفر الكافرين فما هو الا حظ دني ولمظة من الدنيا يصيبونها
يخادعون الله يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان
وابطان الكفر

الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا

ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا

وهو خادعهم وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم
معصومي الدماء والاموال في الدنيا واعد لهم الدرك الاسفل
من النار في الآخرة ولم يخلهم في العاجل من فضيحة واحلال باس
ونقمة ورعب دائم والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته
اذا غلبته وكنت اخدع منه وقيل يعطون على الصراط نورا
كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم ويبقى
نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم كسالى
وقرئ بضم الكاف وفتحها جمع كسلان كسكارى في سكران
اي يقومون متثاقلين متقاعسين كما ترى من يفعل شيئا
على كره لا عن طيبة نفس ورغبة يراءون الناس يقصدون
بصلاتهم الرياء والسمعة ولا يذكرون الله الا قليلا ولا
يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون قط غائبين عن عيون
الناس الا ما يجاهرون به وما يجاهرون به قليل ايضا لانهم
ما وجدوا مندوحة من تكلف ما ليس في قلوبهم لم يتكلفوه او ولا
يذكرون الله بالتسبيح والتهليل الا ذكرا قليلا في الندرة
وهكذا ترى كثيرا من المتظاهرين بالاسلام لو صحبته الايام
والليالي لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة ولا تحميدة ولكن
حديث الدنيا يستغرق به اوقاته لا يفتر عنه ويجوز ان يراد
بالقلة العدم فان قلت ما معنى المراءاة وهي مفاعلة من الرؤية
قلت فيها وجهان احدهما ان المرائي يريهم عمله وهم يرونه
استحسانه والثاني ان يكون من المفاعلة بمعنى التفعيل
فيقال راءى الناس بمعنى رءاهم كقولك نعمه وناعمه وفنقه
وفانقه وعيش مفانق روى ابو زيد رأت المرأة

المرآة

الرجل اذا امسكتها ليرى في جمته ويدل على قراءة ابن ابي اسحق
يرؤنهم بهمزة مشددة مثل يرعونهم اي يبصرونهم اعمالهم ويراؤنهم
كذلك مذبذبين اما حال نحو قوله ولا يذكرون عن واو يراؤن
اي يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين او منصوب على الذم ومعنى
مذبذبين ذبذبهم الشيطان والهوى بين الايمان والكفر
فهم مترددون بينهما متحيرون وحقيقة المذبذب الذي
يذب عن كلا الجانبين اي يذاد ويدفع فلا يقر في جانب
واحد كما قيل فلان يرمى به الرحوان الا ان الذبذبة فيها تكرير
ليس في الذب كان المعنى كلما مال الى جانب ذب عنه وقرا ابن
عباس مذبذبين بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم
او رايهم او بمعنى يتذبذبون كما جاء صلصل وتصلصل
بمعنى وفي مصحف عبد الله متذبذبين وعن ابي جعفر مدبدبين
بالدال غير المعجمة فكان المعنى اخذ بهم تارة في دبة وتارة في
دبة فليسوا بماضين على دبة واحدة والدبة الطريقة ومنها دبة
قريش وذلك اشارة الى الكفر والايمان لا الى هؤلاء لا
منسوبين الى هؤلاء فيكونوا مؤمنين ولا الى هؤلاء ولا منسوبين
الى هؤلاء فيسموا مشركين لا تتخذوا الكافرين اولياء لا تتشبهوا
بالمنافقين في اتخاذهم اليهود وغيرهم من اعداء الاسلام اولياء
سلطانا مبينا حجة بينة يعني ان موالاة الكافرين بينة على النفاق
وعن صعصعة بن صوحان انه قال لابن اخ له خالص المؤمن
وخالق الكافر والفاجر فان الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن
وانه يحق عليك ان تخالص المؤمن الدرك الاسفل الطبق الذي
في قعر جهنم والنار سبع دركات سميت بذلك لانها متداركة
متتابعة

يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين

صح

بعضها فوق بعض وقرئ بسكون الراء والوجه التحريك لقولهم ادراك
فان قلت لم كان المنافق اشد عذابا من الكافر قلت لانه مثله
في الكفر وضم الى كفره الاستهزاء بالاسلام واهله وعن ابن عباس تابوا
واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق واعتصموا
بالله ووثقوا به كما يثق المؤمنون الخلص واخلصوا دينهم لله
لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع المؤمنين فهم اصحاب
المؤمنين ورفقاؤهم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين
اجرا عظيما فيشاركونهم فيه ويساهمونهم فان قلت من المنافق
قلت هو في الشريعة من اظهر الايمان وابطن الكفر واما تسمية
من ارتكب ما يفسق به بالمنافق فللتغليظ كقوله من ترك الصلوة
متعمدا فقد كفر ومنه قوله عليه السلام ثلاث من كن فيه فهو
منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب
واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وقيل لحذيفة رضي الله عنه
من المنافق فقال الذي يصف الاسلام ولا يعمل به وقيل
لابن عمر ندخل على السلطان ونتكلم بكلام فاذا خرجنا تكلمنا
بخلافه فقال كنا نعده من النفاق وعن الحسن اتى على
النفاق زمان وهو مقروع فيه فاصبح قد عمم وقلد واعطي
سيفا يعني الحجاج ما يفعل الله بعذابكم ايتشفى به من الغيظ
ام يدرك به الثار ام يستجلب به نفعا او يستدفع به ضررا
كما يفعل الملوك بعذابهم وهو الغني الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك
وانما هو امر اوجبته الحكمة ان يعاقب المسيء فان قمتم بشكر
نعمته وآمنتم به فقد ابعدتم عن انفسكم استحقاق العذاب
وكان الله شاكرا مثيبا موفيا اجوركم عليما بحق شكركم وايمانكم

ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما

فان قلت لم قدم الشكر على الايمان قلت لان العاقل ينظر
الى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر
شكرا مبهما فاذا انتهى به النظر الى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا
مفصلا فكان الشكر متقدما على الايمان وكانه اصل التكليف
ومداره الا من ظلم الا جهر من ظلم استثني من الجهر الذي لا
يحبه الله جهر المظلوم وهو ان يدعو على الظالم ويذكره بما فيه
من السوء وقيل هو ان يبدا بالشتيمة فيرد على الشاتم
ولمن انتصر بعد ظلمه وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه فاصبح
شاكيا فعوتب على الشكاية فنزلت وقرئ الا من ظلم على البناء للفاعل
للانقطاع اي ولكن الظالم راكب ما لا يحبه الله فيجهر بالسوء ويجوز
ان يكون من ظلم مرفوعا كانه قيل لا يحب الجهر بالسوء الا الظالم
على لغة من يقول ما جاءني زيد الا عمرو بمعنى ما جاءني الا عمرو ومنه
لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله ثم حث على
العفو وان لا يجهر احد لاحد بسوء وان كان على وجه الانتصار بعد
بعدما اطلق الجهر به وجعله محبوبا حثا على الاحب اليه والافضل
عنده والادخل في الكرم والتخشع في العبودية وذكر ابداء الخير
واخفاءه تشبيبا للعفو ثم عطفه عليهما اعتدادا به وتنبيها على
منزلته وان له مكانا في باب الخير وسيطا والدليل على ان العفو هو
الغرض المقصود بذكر ابداء الخير واخفائه قوله فان الله كان
عفوا قديرا اي يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم
ان تقتدوا بسنة الله جعل الذين آمنوا بالله وكفروا برسله
او آمنوا بالله وببعض رسله وكفروا ببعض كافرين بالله وبرسله
جميعا لما ذكرنا من العلة ومعنى اتخاذهم بين ذلك سبيلا ان
يتخذوا دينا

لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما

ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا

ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا

وسطا بين الإيمان والكفر كقوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا أي طريقا وسطا في القراءة وهو ما بين الجهر والمخافتة وقد أخطأوا فإنه لا واسطة بين الكفر والإيمان. أولئك هم الكافرون حقا أي هم الكاملون في الكفر وحقا تأكيد لمضمون الجملة كقولك هو عبد الله حقا أي حق ذلك حقا أي ثبت ثبوتا لا شك فيه فإن قلت كيف جاز دخول بين على أحد وهو يقتضي شيئين فصاعدا قلت إن أحدا عام في الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما تقول ما رأيت أحدا فتقصد العموم ألا تراك تقول إلا بني فلان وإلا بنات فلان فالمعنى ولم يفرقوا بين اثنين منهم أو بين جماعة ومنه قوله لستن كأحد من النساء. سوف يؤتيهم أجورهم معناه أن إيتاءها كائن لا محالة وإن تأخر فالغرض به توكيد الوعد وتثبيته لا كونه متأخرا. روي أن كعب بن الأشرف وفنحاص بن عازوراء وغيرهما قالوا لرسول الله إن كنت نبيا صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى فنزلت وقيل كتابا إلى فلان وكتابا إلى فلان بأنك رسول الله وقيل كتابا نعاينه حين ينزل وإنما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت قال الحسن ولو سألوه لكي يتبينوا الحق لأعطاهم وفيما آتاهم كفاية. فقد سألوا موسى جواب لشرط مقدر معناه إن استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى أكبر من ذلك وإنما أسند السؤال إليهم وإن وجد من آبائهم في أيام موسى وهم النقباء السبعون لأنهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومضاهين لهم في التعنت. جهرة عيانا بمعنى أرنا نره جهرة. بظلمهم بسبب سؤالهم الرؤية ولو طلبوا أمرا جائزا لما سموا ظالمين ولما أخذتهم الصاعقة كما سأل إبراهيم

حقا وهو كونهم كاملين في الكفر أو هو صفة لمصدر الكافرين أي هم الذين كفروا كفرا حقا

والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا

أن يريه إحياء الموتى فلم يسمه ظالما ولا رماه بالصاعقة فتبا للمشبهة ورميا بالصواعق. وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا واستيلاء ظاهرا عليهم حين أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم حتى يتاب عليهم فأطاعوه واحتبوا بأفنيتهم والسيوف تتساقط عليهم فيا لك من سلطان مبين. بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه وقلنا لهم والطور مظل عليهم ادخلوا الباب سجدا ولا تعدوا في السبت وأخذنا منهم الميثاق على ذلك وقولهم سمعنا وأطعنا ومعاهدتهم على أن يتموا عليه ثم نقضوه بعد ذلك. ولا تعتدوا ولا تعدّوا بإدغام التاء في الدال. فبما نقضهم فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد فإن قلت بم تعلقت الباء وما معنى التوكيد قلت إما أن يتعلق بمحذوف كأنه قيل فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا وإما أن يتعلق بقوله حرمنا عليهم على أن قوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم ميثاقهم وأما التوكيد فمعناه تحقيق أن العقاب أو تحريم الطيبات لم يكن إلا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الأنبياء ونحو ذلك فإن قلت هلا زعمت أن المحذوف الذي تعلقت الباء ما دل عليه قوله بل طبع الله عليها فيكون التقدير فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم بل طبع الله عليها بكفرهم قلت لم يصح هذا التقدير لأن قوله بل طبع الله عليها بكفرهم رد وإنكار لقولهم قلوبنا غلف فكان متعلقا به وذلك أنهم أرادوا بقولهم قلوبنا غلف أن الله خلق قلوبنا غلفا أي في أكنة لا يتوصل إليها شيء من الذكر والموعظة كما حكى الله عن المشركين وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وكذبهم

المجبرة لعنهم الله

ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما

نقيل لهم بل خذلها ومنعها الألطاف بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع عليها
لا أن تكون غلفا غير قابلة للذكر ولا متمكنة من قبوله فإن قلت
علام عطف قوله وبكفرهم قلت الوجه أن يعطف على فبما نقضهم
ويجعل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم كلاما تبع قوله وقالوا قلوبنا
غلف على وجه الاستطراد ويجوز عطفه على ما يليه من قوله بكفرهم
فإن قلت ما معنى المجيء بالكفر معطوفا على ما فيه ذكره سواء
عطف على ما قبل حرف الاضراب او على ما بعده وهو قوله وكفرهم
بآيات الله وقوله بكفرهم قلت قد تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى
ثم بعيسى ثم بمحمد فعطف بعض كفرهم على بعض او عطف مجموع
المعطوف على مجموع المعطوف عليه كأنه قيل فبجمعهم بين نقض
الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الانبياء وقولهم قلوبنا غلف
وجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى عليه السلام
عاقبناهم او بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم وكذا وكذا
والبهتان العظيم هو التزنية فإن قلت كانوا كافرين بعيسى
عليه السلام اعداء له عامدين لقتله يسمونه الساحر ابن الساحرة
والفاعل ابن الفاعلة فكيف قالوا انا قتلنا المسيح عيسى بن
مريم رسول الله قلت قالوه على وجه الاستهزاء كقول
فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ويجوز ان يضع
الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم رفعا لعيسى
عليه السلام عما كانوا يذكرونه به وتعظيما لما ارادوا بمثله كقوله
ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهادا روي
ان رهطا من اليهود سبوه وسبوا أمه فدعا عليهم عليه السلام اللهم انت
ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبني وسب والدتي

ذنوها اي نسبوها الى الزنا

الاصل بما كانوا بالآية وحد الله ووضع
الله تعالى العزيز العليم الذي ...
مكان ذكرهم للترفيع
والتعظيم ه

اللهم ه

فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله
فأخبره الله بأنه يرفعه الى السماء ويطهره من صحبة اليهود
فقال لأصحابه أيكم يرضى أن يلقى عليه شبهي فيقتل
ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فألقى الله عليه
شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافق عيسى فلما
ارادوا قتله قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى ورفع
عيسى وألقي شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم
يظنون انه عيسى ثم اختلفوا فقال بعضهم انه إله لا يصح
قتله وقال بعضهم انه قد قتل وصلب وقال بعضهم
ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين
عيسى وقال بعضهم رفع الى السماء وقال بعضهم الوجه وجه عيسى
والبدن بدن صاحبنا فإن قلت شبه مسند الى ماذا ان
جعلته مسندا الى المسيح فالمسيح مشبه به وليس بمشبه وان
اسندته الى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر قلت هو مسند
الى الجار والمجرور وهو لهم كقولك خيل اليه كأنه قيل ولكن
وقع لهم التشبيه ويجوز ان يسند الى ضمير المقتول لان قوله
انا قتلنا يدل عليه كأنه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه الا اتباع
الظن استثناء منقطع لان اتباع الظن ليس من جنس العلم
يعني ولكنهم يتبعون الظن فإن قلت قد وصفوا بالشك
والشك ان لا يترجح احد الجانبين ثم وصفوا بالظن والظن
ان يترجح احدهما فكيف يكونون شاكين ظانين قلت اريد
انهم شاكون ما لهم من علم قط ولكن ان لاحت لهم امارة
فظنوا فذاك وما قتلوه يقينا وما قتلوه قتلا يقينا او ما قتلوه
متيقنين

اي الملقى عليه الشبه او المقتول ه

جزاء الشرط اي فذاك هو الظن
الذي يعنونه ه

كما ادعوا ذلك في قولهم انا قتلنا المسيح او يجعل يقينا تاكيدا لقوله
وما قتلوه كقولك وما قتلوه حقا اي حق انتفاء قتله حقا وقيل
هو من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ فيه علمك
وفيه تهكم لانه اذا نفى عنهم العلم نفيا كليا بحرف الاستغراق
ثم قيل وما علموه علم يقين واحاطة لم يكن الا تهكما بهم ليؤمنن
به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وان من
اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به ونحوه وما منا الا له مقام معلوم
وان منكم الا واردها والمعنى وما من اليهود والنصارى احد الا
ليؤمنن قبل موته بعيسى وبانه عبد الله ورسوله يعني اذا عاين
قبل ان تزهق روحه حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف
وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج اية ما قراتها الا تخالج في
نفسي شيء منها يعني هذه الاية وقال اني اوتى بالاسير من اليهود
والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان
اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا
يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن
انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا
فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي الحنفية
فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين صافية
او من معدنها قال الكلبي فقلت له ما اردت الى ان تقول حدثني
محمد بن علي بن الحنفية قال اردت ان اغيظه يعني بزيادة اسم
علي لانه مشهور بابن الحنفية وعن ابن عباس انه فسره كذلك فقال
له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى
يحرك بها شفتيه قال وان خر من فوق بيت او احترق او اكله
سبع

وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا

اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبد نبي وتقول للنصراني

قال يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به ويدل عليه وآية ابي
الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون على معنى وان منهم
احد الا سيؤمنون به قبل موتهم لان احدا يصلح للجمع فان قلت
ما فائدة الاخبار بايمانهم بعيسى قبل موتهم قلت فائدته
الوعيد وليكون علمهم بانهم لا بد لهم من الايمان به عن
قريب عند المعاينة وان ذلك لا ينفعهم ~~وان ذلك لا ينفعهم~~
بعثا لهم وتنبيها على معاجلة الايمان به في اوان الانتفاع به
وليكون الزاما للحجة لهم وكذلك قوله ويوم القيامة يكون عليهم
شهيدا يشهد على اليهود بانهم كذبوه وعلى النصارى بانهم دعوه
ابن الله وقيل الضميران لعيسى بمعنى وان منهم احد الا
ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم اهل الكتاب الذين يكونون
في زمان نزوله روي انه ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى
احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي
ملة الاسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال وتقع الامنة
حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم
ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة
ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويجوز ان يراد انه لا
يبقى احد من جميع اهل الكتاب الا ليؤمنن به على ان الله يحييهم
في قبورهم في ذلك الزمان ويعلمهم نزوله وما انزل له ويؤمنون
به حين لا ينفعهم ايمانهم وقيل الضمير في به يرجع الى الله تعالى
وقيل الى محمد صلى الله عليه فبظلم من الذين هادوا فباي
ظلم منهم والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات الا لظلم عظيم ارتكبوه
وهو ما عدد لهم من الكفر والكبائر العظيمة والطيبات التي حرمت
عليهم ما ذكره

فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم

في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وحرمت عليهم الألبان
وكلما أذنبوا ذنبا صغيرا أو كبيرا حرمت عليهم بعض الطيبات
في المطاعم وغيرها وبصدهم عن سبيل الله كثيرا أو صدا
كثيرا بالباطل بالرشوة التي كانوا يأخذونها من سفلتهم في
تحريف الكتاب لكن الراسخون يريد من آمن منهم كعبد الله بن
سلام وأضرابه والراسخون في العلم الثابتون فيه المتقنون
المستبصرون والمؤمنون يعني المؤمنون منهم أو المؤمنون من
المهاجرين والأنصار وارتفع الراسخون على الابتداء ويؤمنون
خبره والمقيمين نصب على المدح لبيان فضل الصلوة وهو باب
واسع قد كسره سيبويه على أمثلة وشواهد ولا يلتفت إلى ما
زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف وربما التفت إليه من
لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب
على الاختصاص من الافتنان وغبي عليه أن السابقين الأولين
الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كانوا أبعد همة
في الغيرة على الإسلام وذب المطاعن عنه من أن يتركوا
في كتاب الله ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من
يلحق بهم وقيل هو عطف على بما أنزل إليك أي يؤمنون
بالكتب وبالمقيمين الصلوة وهم الأنبياء وفي مصحف عبد
الله والمقيمون بالواو وهي قراءة مالك بن دينار والجحدري
وعيسى الثقفي إنا أوحينا إليك جواب لأهل الكتاب عن
سؤالهم رسول الله أن ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم
بأن شأنه في الوحي إليه كشأن سائر الأنبياء الذين
سلفوا وقرئ زبورا بضم الزاي جمع زبر وهو الكتاب

إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما

ورسلا نصب بمضمر في معنى أوحينا إليك وهو أرسلنا ونبأنا وما أشبه ذلك
أو بما فسره قصصناهم وفي قراءة أبي ورسل قد قصصناهم
عليك من قبل ورسل وعن إبراهيم ويحيى بن وثاب أنهما
قرآ وكلم الله بالنصب ومن بدع التفاسير أنه من الكلم
وأن معناه وجرح الله موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن
رسلا مبشرين ومنذرين الأوجه أن ينتصب على
المدح ويجوز انتصابه على التكرير فإن قلت كيف يكون
للناس على الله حجة قبل الرسل وهم محجوجون بما نصبه الله
من الأدلة التي النظر فيها موصل إلى المعرفة والرسل
في أنفسهم لم يتوصلوا إلى المعرفة إلا بالنظر في تلك الأدلة ولا
عرف أنهم رسل الله إلا بالنظر فيها قلت الرسل منبهون
عن الغفلة وباعثون على النظر كما ترى علماء أهل العدل
والتوحيد مع تبليغ ما حملوه من تفصيل أمور الدين وبيان
أحوال التكليف وتعليم الشرائع فكان إرسالهم إزاحة
للعلة وتتميما لإلزام الحجة لئلا يقولوا لولا أرسلت إلينا
رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب
الانتباه له قرأ السلمي لكن الله بالتشديد فإن قلت
الاستدراك لا بد له من مستدرك فما هو في قوله لكن الله يشهد
قلت لما سأل أهل الكتاب إنزال الكتاب من السماء
وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله إنا أوحينا إليك قال لكن
الله يشهد بمعنى أنهم لا يشهدون لكن الله يشهد وقيل
لما نزل إنا أوحينا إليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل
لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله بما أنزل إليه إثباته
لصحته بإظهار المعجزات

لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا

كما تثبت الدعاوى بالبينات وشهادة الملائكة شهادتهم بأنه حق
وصدق فإن قلت بم يجابون لو قالوا بم يعلم أن الملائكة
يشهدون بذلك قلت يجابون بأنه يعلم بشهادة الله لأنه
لما علم بإظهار المعجزات أنه شاهد بصحته علم أن الملائكة
يشهدون بصحة ما شهد بصحته لأن شهادتهم تبع لشهادته
فإن قلت ما معنى قوله أنزله بعلمه وما موقعه من الجملة التي قبله
قلت معناه أنزله ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره
وهو تأليفه على نظم وأسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب
بيان وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة لأنه بيان للشهادة
وأن شهادته بصحته أنه أنزله بالنظم المعجز الفائت للقدر
وقيل أنزله بما علم من مصالح العباد مشتملا عليه ويحتمل
أنه أنزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من الشياطين
برصد من الملائكة والملائكة يشهدون بذلك كما قال في
آخر سورة الجن الآية الأولى وأحاط بما لديهم والإحاطة بمعنى
العلم وكفى بالله شهيدا وإن لم يشهد غيره لأن التصديق
بالمعجزة هو الشهادة حقا قل أي شيء أكبر شهادة قل الله
شهيد كفروا وظلموا جمعوا بين الكفر والمعاصي وكان بعضهم
كافرين وبعضهم ظالمين أصحاب كبائر لأنه لا فرق
بين الفريقين في أنه لا يغفر لهما إلا بالتوبة ولا ليهديهم طريقا
لا يلطف بهم فيسلكون الطريق الموصل إلى جهنم أو لا يهديهم يوم
القيامة إلا طريقها يسيرا لأنه لا صارف له عنه فآمنوا خيرا لكم
وكذلك انتهوا خيرا لكم انتصابه بمضمر وذلك أنه لما بعثهم على
الإيمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم أنه يحملهم على أمر فقال خيرا لكم

وهو عالم بأنك أهل لإنزاله إليك وأنك مبلغ وقيل أنزله

والتوحيد والإيمان وهو

يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا

أي اقصدوا أو ائتوا أمرا خيرا لكم مما أنتم فيه من الكفر والتثليث
لا تغلوا في دينكم غلت اليهود في حط المسيح عن منزلته حيث
جعلته مولودا لغير رشدة وغلت النصارى في رفعه عن
مقداره حيث جعلوه إلها ولا تقولوا على الله إلا الحق وهو تنزيهه
عن الشريك والولد وقرأ جعفر بن محمد إنما المسيح بوزن
السكيت وقيل لعيسى كلمة الله وكلمة منه لأنه وجد بكلمته
وأمره لا غير من غير واسطة أب ولا نطفة وقيل له روح
الله وروح منه لذلك لأنه ذو روح وجد من غير جزء من
ذي روح كالنطفة المنفصلة من الأب الحي وإنما اخترع
اختراعا من عند الله وقدرته خالصة ومعنى ألقاها إلى مريم
أوصلها إليها وحصلها فيها ثلاثة خبر مبتدأ محذوف فإن
صحت الحكاية عنهم أنهم يقولون هو جوهر واحد ثلاثة أقانيم
أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس وأنهم يريدون
بأقنوم الأب الذات وبأقنوم الابن العلم وبأقنوم روح القدس
الحياة فتقديره الله ثلاثة وإلا فتقديره الآلهة ثلاثة والذي
يدل عليه القرآن التصريح منهم بأن الله والمسيح ومريم ثلاثة
آلهة وأن المسيح ولد الله من مريم ألا ترى إلى قوله أأنت قلت
للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله والمشهور المستفيض عنهم أنهم يقولون في المسيح
لاهوتية وناسوتية من جهة الأب والأم ويدل عليه قوله إنما
المسيح عيسى ابن مريم فأثبت أنه ولد لمريم اتصل بها اتصال
الأولاد بأمهاتها وأن اتصاله بالله عز وعلا من حيث
أنه رسوله وأنه موجود بأمره وابتداعه جسدا حيا من غير أب

فنفى ان يتصل به اتصال الابناء بالاباء وقوله سبحانه ان يكون له ولد وحكاية الله اوثق من حكاية غيره ومعنى سبحانه ان يكون له ولدا اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد وقرا الحسن ان يكون بكسر الهمزة ورفع النون اي سبحانه ما يكون له ولد على ان الكلام جملتان له ما في السموات وما في الارض بيان لتنزهه عما نسب اليه يعني ان كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه على ان الجزء انما يصح في الاجسام وهو متعال عن صفات الاجسام والاعراض وكفى بالله وكيلا يكل اليه الخلق كلهم امورهم فهو الغني عنهم وهم الفقراء اليه لن يستنكف لن يانف ولن يذهب بنفسه عزة من نكفت الدمع اذا نحيته عن خدك باصبعك ولا الملائكة المقربون ولا من هو اعلى منه قدرا واعظم منه خطرا وهم الملائكة الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل واسرافيل ومن في طبقتهم فان قلت من اين دل قوله ولا الملائكة المقربون على ان المعنى ولا من هو فوقه قلت من حيث ان علم المعاني لا يقتضي غير ذلك وذلك ان الكلام انما سيق لرد مذهب النصارى وغلوهم في رفع المسيح عن منزلة العبودية فوجب ان يقال لهم لن يترفع عيسى عن العبودية ولا من هو ارفع منه درجة كانه قيل لن يستنكف الملائكة المقربون من العبودية فكيف بالمسيح ويدل عليه دلالة ظاهرة بينة تخصيص المقربين لكونهم ارفع الملائكة درجة واعلاهم منزلة ومثاله قول القائل وما مثله ممن يجاود حاتم ولا البحر ذو الامواج يلتج زاخر لا شبهة في انه قصد بالبحر ذي الامواج ما هو فوق حاتم في الجود ومن كان له ذوق

لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا

المسيح ولا كل واحد من الملائكة ان يكون عبدا لله ولن يستنكف ان يكون هو ولا كل واحد من الملائكة عبدا وثانيا بان في الكلام حذفا والتقدير لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة ان يكونوا عبادا ولن يستنكف المسيح ان يكون هو عبدا والملائكة عبادا واما على الوجه الثالث فقد طاح هذا السوال اذ يسقط لان التقدير ان يعبد هو والملائكة وجعل الجماعة اذا اسند الى ظاهرها يحسن ان يكون مفردا هو وط

فليتذوق مع هذه الآية قوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى يعترف بالفرق البين وقرا علي رضي الله عنه عبيدا لله على التصغير وروي ان وفد نجران قالوا لرسول الله لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار ان يكون عبدا لله قالوا بلى فنزلت اي لا يستنكف عيسى من ذلك فلا تستنكفوا له منه فلو كان موضع استنكاف لكان هو اولى بان يستنكف لان العار الصق به فان قلت علام عطف قوله ولا الملائكة قلت لا يخلو اما ان يعطف على المسيح او على اسم يكون او على المستتر في عبدا لما فيه من معنى الوصف لدلالته على معنى العبادة وقولك مررت برجل عبد ابوه فالعطف على المسيح هو الظاهر لاداء غيره الى ما فيه بعض انحراف عن الغرض وهو ان المسيح لا يانف ان يكون هو ولا من فوقه موصوفين بالعبودية او ان يعبد الله هو ومن فوقه فان قلت قد جعلت الملائكة وهم جماعة عبدا لله في هذا العطف فما وجهه قلت فيه وجهان احدهما ان يراد ولا كل واحد من الملائكة او ولا الملائكة المقربون ان يكونوا عبادا لله فحذف ذلك لدلالة عبد الله في هذا العطف فما وجهه قلت فيه وجهان احدهما ان يراد ولا كل واحد من الملائكة او ولا الملائكة المقربون ان يكونوا عبادا لله فحذف ذلك لدلالة عبد الله عليه ايجازا واما اذا عطفتهم على الضمير في عبدا فقد طاح هذا السوال وقرئ فسيحشرهم بضم الشين وكسرها وبالنون فان قلت التفصيل غير مطابق للمفصل لانه اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد قلت هو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك

قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار ان يكون عبدا لله قالوا

موصوفين بالعبودية او ان يعبد الله هو ومن فوقه

لو جيء بهما ان يحذف ذكرهما لغرض لبلاغة التفصيل عليه
ولان ذكر احدهما يدل على ذكر الثاني كما حذف احدهما في التفصيل في
قوله عقيب هذا فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به وايضا
فان الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل
بهم فكأنه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب
بالحسرة اذا رأى اجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله البرهان
والنور المبين القرآن او اراد بالبرهان دين الحق او رسول الله
وبالنور المبين ما يبينه ويصدقه من الكتاب المعجز رحمة منه
وفضل ثواب مستحق وتفضل ويهديهم اليه الى عبادته صراطا
مستقيما وهو طريق الاسلام والمعنى توفيقهم وتثبيتهم روي انه
آخر ما نزل من الاحكام كان رسول الله في طريق مكة عام حجة
الوداع فاتاه جابر بن عبد الله فقال ان لي اختا فكم آخذ من
ميراثها ان ماتت وقيل كان مريضا فعاده رسول الله فقال
اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت ان امرؤ هلك ارتفع
امرؤ بمضمر يفسره الظاهر ومحل ليس له ولد الرفع على الصفة
لا النصب على الحال اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد والمراد
بالولد الابن وهو اسم مشترك يجوز ايقاعه على الذكر وعلى الانثى
لان الابن يسقط الاخت ولا تسقطها البنت الا في مذهب
ابن عباس وبالاخت التي هي لاب وام او لاب دون التي لام
لان الله فرض لها النصف وجعل اخاها عصبة وقال للذكر
مثل حظ الانثيين واما الاخت للام فلها السدس في آية
المواريث مسوى بينها وبين اخيها وهو يرثها واخوها يرثها
ان كان الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها ان لم يكن
لها ولد

يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم

الاخ لا تسقط

اي ابن لان الابن يسقط الاخ دون البنت فان قلت الابن لا
يسقط وحده فان الاب نظيره في الاسقاط فلم اقتصر على نفي الولد
قلت بين حكم انتفاء الولد ووكل حكم انتفاء الوالد الى بيان السنة
وهو قوله عليه السلام الحقوا الفرائض باهلها فما بقي فلاولى عصبة
ذكر والاب اولى من الاخ وليسا باول حكمين بين احدهما
بالكتاب والآخر بالسنة ويجوز ان يدل حكم انتفاء الولد على حكم
انتفاء الوالد لان الولد اقرب الى الميت من الوالد فاذا ورث
الاخ عند انتفاء الاقرب فاولى ان يرث عند انتفاء الابعد
ولان الكلالة تتناول انتفاء الوالد والولد جميعا فكان ذكر انتفاء
احدهما دالا على انتفاء الآخر فان قلت الى من يرجع ضمير التثنية
والجمع في قوله فان كانتا اثنتين وان كانوا اخوة قلت اصله
فان كان من يرث بالاخوة اثنتين وان كان من يرث بالاخوة
ذكورا واناثا وانما قيل فان كانتا وان كانوا كما قيل من
كانت امك فكما انث ضمير من لمكان تأنيث الخبر كذلك ثني
وجمع ضمير من يرث في كانتا وكانوا لمكان تثنية الخبر وجمعه
والمراد بالاخوة الاخوة والاخوات تغليبا لحكم الذكورة ان
تضلوا مفعول له ومعناه كراهة ان تضلوا عن النبي صلى الله عليه
من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة
ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من
الشرك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم

ليس الامر في الاولوية كما زعم وهذا ايضا لا يشفي لانه لا يلزم من ان يكون ميراث الاخ مشروطا بانتفاء الاقرب ان يكون مشروطا بانتفاء الابعد ولا يلزم من حجب الاقرب حجب الابعد فتدبر

لان حذف المضاف اسوغ من حذف لا

سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلاث وعشرون
آية

بسم الله الرحمن الرحيم

العهد الموثق
يقال وفى بالعهد وأوفى به ومنه والموفون بعهدهم والعقد
شبه بعقد الحبل ونحوه قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا
لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا فهي عقود الله
التي عقدها على عباده والزمها اياهم من مواجب التكليف
وقيل هي ما يعقدون بينهم من عقود الامانات ويتحالفون
عليه ويتماسحون من المبايعات ونحوها والظاهر انها عقود الله
عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وانه كلام قدم
مجملا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله احلت لكم وما بعده البهيمة
كل ذات اربع في البر والبحر واضافتها الى الانعام للبيان
وهي الاضافة التي بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة من
الانعام الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم من القرآن من نحو
قوله حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم آية تحريمه والانعام
الازواج الثمانية وقيل بهيمة الانعام الظباء وبقر الوحش
ونحوها كأنهم ارادوا ما يماثل الانعام ويدانيها من جنس البهائم
في الاجترار وعدم الانياب فاضيفت الى الانعام لملابسة الشبه
غير محلي الصيد نصب على الحال من الضمير في لكم اي احلت لكم
هذه الاشياء لا محلين الصيد وعن الاخفش ان انتصابه
عن قوله اوفوا بالعقود وقوله وانتم حرم حال عن محلي الصيد كأنه
قيل احللنا لكم بعض الانعام في حال امتناعكم من الصيد
وانتم محرمون لئلا نحرج عليكم ان الله يحكم ما يريد من الاحكام
ويعلم انه حكمة ومصلحة والحرم جمع حرام وهو المحرم الشعائر
جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا وعلما للنسك
من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والافعال التي
هي علامات الحاج

يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم

العناج الحبل الذي يشد تحت اسفل الدلو والكرب الحبل الذي يشد على عراقي الدلو جمع عرقوة

التي ذكرها في سورة الانعام بقوله ثمانية ازواج

الاجترار نشخوار زدن

غير محلي الصيد وانتم حرم ان الله يحكم ما يريد

يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا

شهر الحج
يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر والشهر الحرام
والهدي ما اهدي الى البيت وتقرب به الى الله من النسائك وهو
جمع هدية كجدي جمع جدية السرج والقلائد جمع قلادة
وهي ما قلد به الهدي من نعل او عروة مزادة او لحاء شجر او غيرها
ولا آمين البيت الحرام قاصديه وهم الحجاج والعمار واحلال هذه
الاشياء ان يتهاون بحرمة الشعائر وان يحال بينها وبين المتنسكين
بها وان يحدثوا في اشهر الحج ما يصدون به الناس عن الحج وان يتعرض
للهدي بالغصب او بالمنع من بلوغ محله واما القلائد ففيها وجهان
احدهما ان يراد بها ذوات القلائد من الهدي وهي البدن وتعطف
على الهدي للاختصاص وزيادة التوصية بها لانها اشرف الهدي كقوله
وجبريل وميكال كأنه قال والقلائد منها خصوصا والثاني
ان ينهى عن التعرض لقلائد الهدي مبالغة في النهي عن التعرض
للهدي على معنى ولا تحلوا قلائدها فضلا ان تحلوها كما قال
ولا يبدين زينتهن فنهى عن ابداء الزينة مبالغة في النهي عن
ابداء مواقعها ولا آمين ولا تحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام
يبتغون فضلا من ربهم وهو الثواب ورضوانا وان يرضى عنهم
اي لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم واستنكارا ان يتعرض
لمثلهم قيل هي محكمة وعن النبي عليه السلام المائدة من آخر القرآن نزولا
فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال الحسن ليس فيها منسوخ وعن
ابي ميسرة فيها ثماني عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقيل هي منسوخة
وعن ابن عباس كان المسلمون والمشركون يحجون جميعا فنهى الله
المسلمين ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله لا تحلوا ثم نزل بعد ذلك
انما المشركون نجس ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقال مجاهد
والشعبي

سواء اراد بقصد البيت الحرام الحج او العمرة او لم يقصدهما بان يقصد الى المسجد الحرام للتجارة او لطلب من المكاسب

لا تحلوا أي بقتلهم وقتالهم حيث وجدتموهم وقيل ابتغاء الفضل التجارة
وابتغاء الرضوان بان المشركين كانوا يظنون في انفسهم انهم على
سداد من دينهم وان الحج يقربهم الى الله فوصفهم الله بظنهم وقرأ
عبد الله ولا آمي البيت الحرام على الاضافة وقرأ حميد بن قيس
والاعرج تبتغون بالتاء على خطاب المؤمنين فاصطادوا اباحة
للاصطياد بعد حظره عليهم كانه قيل فاذا حللتم فلا جناح عليكم ان
تصطادوا وقرئ بكسر الفاء وقيل هو بدل من كسر الهمزة عند الابتداء
وقرئ واذا احللتم يقال حل المحرم واحل جرم يجري مجرى
كسب في تعديه الى مفعول واحد واثنين تقول جرم ذنبا نحو كسبه
وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه ويقال اجرمته ذنبا على نقل المتعدي
الى مفعول بالهمزة الى مفعولين كقولهم اكسبته ذنبا وعليه قراءة
عبد الله ولا يجرمنكم بضم الياء واول المفعولين على القراءتين
ضمير المخاطبين والثاني ان تعتدوا وان صدوكم بفتح الهمزة متعلق
بالشنآن بمعنى العلة والشنآن شدة البغض وقرئ بسكون النون
والمعنى ولا يكسبنكم بغض قوم لان صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم
عليه وقرئ ان صدوكم على ان الشرطية وفي قراءة عبد الله ان
يصدوكم ومعنى صدهم اياكم عن المسجد الحرام منع اهل مكة رسول
الله والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام
منهم بالحاق مكروه بهم وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء
ولا تعاونوا على الاثم والعدوان على الانتقام والتشفي ويجوز ان
يراد العموم لكل بر وتقوى وكل اثم وعدوان فيتناول بعمومه العفو
والانتصار كان اهل الجاهلية يأكلون من المحرمات البهيمة
التي تموت حتف انفها والفصيد وهو الدم في المباعر يشوونها

واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب

حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به

ويقولون لم يحرم من فزد له وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت لغير الله به
وهو قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي
خنقوها حتى ماتت او انخنقت بسبب والموقوذة التي اثخنوها
ضربا بعصا او حجر حتى ماتت والمتردية التي تردت من علو او في بئر فماتت
والنطيحة التي نطحتها اخرى فماتت بالنطح وما اكل السبع بعضه الا ما
ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح
ويتشحط اوداجه وقرأ عبد الله والمنطوحة وقرئ رواه عن ابي عمرو
السبع بسكون الباء وقرأ ابن عباس واكيل السبع وما ذبح على
النصب كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون
اللحم عليها يعظمونها بذلك ويتقربون به اليها تسمى الانصاب والنصب
واحد قال الاعشى وذا النصب المنصوب لا تعبدنه وقيل
هو جمع والواحد نصاب وقرئ النصب بسكون الصاد وان تستقسموا
بالازلام وحرم عليكم الاستقسام بالقداح كان احدهم اذا
اراد سفرا او غزوا او تجارة او نكاحا او امرا من معاظم الامور
ضرب بالقداح وهي مكتوب على بعضها نهاني ربي وعلى بعضها
امرني ربي وبعضها غفل فان خرج الآمر مضى لطيته وان
خرج الناهي امسك وان خرج الغفل اجالها عودا فمعنى الاستقسام
بالازلام طلب معرفة ما قسم لهم مما لم يقسم لهم بالازلام وقيل هو الميسر
وقسمتهم الجزور على الانصباء المعلومة ذلكم فسق اشارة الى
الاستقسام او الى تناول ما حرم عليهم لان المحرم عليكم تناول
الميتة وهذا ونحوها فان قلت لم كان استقسام المسافر وغيره
بالازلام لتعرف الحال فسقا قلت لانه دخول في علم الغيب
الذي استأثر به علام الغيوب وقال لا يعلم من في السموات والارض
الغيب الا الله

والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب

وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم

واعتقاداً أن اليه طريقا والى استنباطه وقوله امرني ربي ونهاني ربي
افتراء على الله وما يدريه انه امره او نهاه والكهنة والمنجمون
من هذا القبيل وان كان اراد بالرب الصنم فقد روي انهم كانوا
يحيلونها عند اصنامهم فامره ظاهر اليوم لم يرد به يوما بعينه
وانما اراد الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الازمنة الماضية
والآتية كقولك كنت بالامس شابا وانت اليوم اشيب فلا
تريد بالامس اليوم الذي قبل يومك ولا باليوم يومك ونحوه
الآن في قوله الآن لما ابيض مسربتي وعضضت من نابي على
جذم وقيل اريد يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان
يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم يئسوا
منه ان يبطلوه وان ترجعوا محللين لهذه الخبائث بعدما
~~حرمت عليكم وقيل يئسوا منه ان يبطلوه وان ترجعوا محللين~~
~~لهذه الخبائث بعدما حرمت عليكم~~ وقيل يئسوا من دينكم ان
يغلبوه لان الله عز وجل وفى بوعده من اظهاره على الدين كله
فلا تخشوهم بعد اظهار الدين وزوال الخوف من الكفار
وانقلابهم مغلوبين مقهورين بعد ما كانوا غالبين واخشون
واخلصوا الى الخشية اكملت لكم دينكم كفيتكم امر عدوكم وجعلت
اليد العليا لكم كما تقول الملوك اليوم كمل لنا الملك وكمل لنا
ما نريد اذا كفوا من ينازعهم الملك ووصلوا الى اغراضهم ومباغيهم
او اكملت لكم ما تحتاجون اليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام
والتوقيف على الشرائع وقوانين القياس واصول الاجتهاد
واتممت عليكم نعمتي بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم
منار الجاهلية ومناسكهم وان لم يحج معكم مشرك ولم يطف
بالبيت

اي على تقدير ان يكون المراد من الرب الله

المسربة الشعر المستدق ما جرى من الصدر الى السرة

واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا

عريان او اتممت نعمتي عليكم باكمال امر الدين والشرائع كانه قال
اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي بذلك لانه لا نعمة اتم من
نعمة الاسلام ورضيت لكم الاسلام دينا يعني اخترته لكم من
بين الاديان وآذنتكم بانه هو الدين المرضي وحده ومن
يبتغ غير الاسلام دينا ان تصير امتكم امة واحدة فان قلت
بم اتصل قوله فمن اضطر قلت بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق
اعتراض اكد به معنى التحريم وكذلك ما بعده لان تحريم هذه
الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام
المنعوت بالرضى دون غيره من الملل ومعناه فمن اضطر الى
الميتة او الى غيرها في مخمصة في مجاعة غير متجانف لاثم غير
منحرف اليه كقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه بذلك
في السؤال معنى القول فلذلك وقع بعده ماذا احل لهم كانه قيل
يقولون لك ماذا احل لهم وانما لم يقل ماذا احل لنا حكاية
لما قالوه لان يسألونك بلفظ الغيبة كما تقول اقسم زيد ليفعلن
ولو قيل لافعلن واحل لنا لكان صوابا وماذا مبتدأ واحل
لهم خبره كقولك اي شيء احل لهم ومعناه ماذا احل لهم من
المطاعم كانهم حين تلي عليهم ما حرم عليهم من خبيثات المآكل
سألوا عما احل لهم منها فقيل احل لكم الطيبات اي ما ليس بخبيث
منها وهو كل ما لم يأت تحريمه في كتاب او سنة او قياس
مجتهد وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات اي احل لكم
الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف او تجعل ما شرطية
وجوابها فكلوا والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب
والفهد والنمر والعقاب والصقر والبازي والشاهين

انما ذكر نظرا الى تضمن معنى الاختيار تعديته بكلمة اللام لانه يستعمل باللام دون الرضا

يئس الذين كفروا من دينكم الآية

فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم يسألونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب اليوم احل لكم الطيبات

والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد لصاحبها ورائضها
لذلك بما علم من الحيل وطرق التأديب والتثقيف واشتقاقه
من الكلب لان التأديب اكثر ما يكون في الكلاب فاشتق
من لفظه لكثرته في جنسه او لان السبع يسمى كلبا ومنه قوله عليه السلام
اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد او من الكلب
الذي هو بمعنى الضراوة يقال هو كلب بكذا اذا كان ضاريا به
وانتصاب مكلبين على الحال من علمتم فان قلت ما فائدة هذه
الحال وقد استغني عنها بعلمتم قلت فائدتها ان يكون من
يعلم الجوارح نحريرا في علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب تعلمونهن
حال ثانية او استيناف وفيه فائدة جليلة وهي ان على كل آخذ
علما ان لا ياخذه الا من اقتل اهله علما وانحرهم دراية واغوصهم
على لطائفه وحقائقه وان احتاج الى ان يضرب اليه اكباد
الابل فكم من آخذ عن غير متقن قد ضيع ايامه وعض عند
لقاء النحارير انامله مما علمكم الله من علم التكليب لانه الهام من
الله ومكتسب بالعقل او مما عرفكم ان تعلموه من اتباع الصيد
بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وامساك
الصيد عليه وان لا ياكل منه وقرئ مكلبين بالتخفيف وافعل
وفعل يشتركان كثيرا والامساك على صاحبه ان لا ياكل منه
لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك
على نفسه وعن علي رضي الله عنه اذا اكل البازي فلا تاكل وفرق
العلماء فاشترطوا في سباع البهائم ترك الاكل لانها تؤدب
بالضرب ولم يشترطوا في سباع الطير ومنهم من لم يعتبر ترك الاكل
اصلا ولم يحرم ما امسك الكلب والبعض عن سلمان وسعد بن
ابي وقاص

اسم الله عليه فكل

وابي هريرة رضي الله عنهم واذا اكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وذكرت
فان قلت الى ما يرجع الضمير في قوله واذكروا اسم الله عليه قلت
اما ان يرجع الى ما امسكن على معنى وسموا عليه اذا ادركتم ذكاته
او الى ما علمتم من الجوارح اي سموا عليه عند ارساله طعام الذين
اوتوا الكتاب حل لكم اي ذبائحهم وقيل جميع مطاعمهم ويستوي في
ذلك جميع النصارى وعن علي رضي الله عنه انه استثنى نصارى بني تغلب
وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر وبه
اخذ الشافعي وعن ابن عباس انه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال
لا باس وهو قول عامة التابعين وبه اخذ ابو حنيفة واصحابه وحكم
الصابئين حكم اهل الكتاب عند ابي حنيفة وقال صاحباه هم
صنفان صنف يقرؤون الزبور ويعبدون الملائكة وصنف
لا يقرؤون كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من اهل الكتاب
واما المجوس فقد سن بهم سنة اهل الكتاب في اخذ الجزية
منهم دون اكل ذبائحهم ونكاح نسائهم وقد روي عن ابن المسيب انه
قال اذا كان المسلم مريضا فامر المجوسي ان يذكر اسم الله ويذبح
فلا باس وقال ابو ثور وان امره بذلك في الصحة فلا باس
وقد اساء وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم لانه لو كان
حراما عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم اطعامهم والمحصنات الحرائر
او العفائف وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين لنطفهم والاماء
من المسلمات يصح نكاحهن بالاتفاق وكذلك نكاح غير العفائف
منهن واما الاماء الكتابيات فعند ابي حنيفة هن كالمسلمات
وخالفه الشافعي وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات ويحتج بقوله ولا تنكحوا
المشركات حتى يؤمن ويقول لا اعلم شركا اعظم من قولها ان ربها عيسى

وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم

والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان

وعن عطاء قد اكثر الله المسلمات وانما رخص لهم يومئذ محصنين اعفاء
ولا متخذي اخدان صدائق والخدن يقع على الذكر والانثى
ومن يكفر بالايمان بشرائع الاسلام وما احل الله وحرم اذا
قمتم الى الصلوة كقوله واذا قرأت القرآن فاستعذ بالله
وكقولك اذا ضربت غلامك فهون عليه في ان المراد ارادة
الفعل فان قلت لم جاز ان يعبر عن ارادة الفعل
بالفعل قلت لان الفعل يوجد بقدرة الفاعل عليه وارادته
له وهي قصده اليه وميله وخلوص داعيه فكما عبر عن
القدرة على الفعل بالفعل في قولهم الانسان لا يطير والاعمى
لا يبصر اي لا يقدران على الطيران والابصار ومنه
قوله تعالى نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين يعني انا كنا
قادرين على الاعادة كذلك عبر عن ارادة الفعل
بالفعل وذلك لان الفعل مسبب عن القدرة والارادة
فاقيم المسبب مقام السبب للملابسة بينهما ولايجاز الكلام
ونحوه من اقامة المسبب مقام السبب قولهم كما تدين تدان عبر
عن الفعل المبتدأ الذي هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذي
هو مسبب عنه وقيل معنى قمتم الى الصلوة قصدتموها
لان من توجه الى الشيء وقام اليه كان قاصدا له لا محالة فعبر
عن القصد له بالقيام اليه فان قلت ظاهر الآية يوجب
الوضوء على كل قائم الى الصلوة محدث وغير محدث فما وجهه
قلت يحتمل ان يكون الامر للوجوب فيكون الخطاب للمحدثين
خاصة وان يكون للندب وعن رسول الله صلى الله عليه والخلفاء
بعده انهم كانوا يتوضؤون لكل صلوة وعن النبي عليه السلام من
توضا على طهر

ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين
يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم وارجلكم الى الكعبين

لكل صلوة

كتب الله له عشر حسنات وعنه عليه السلم انه كان يتوضأ
لكل صلوة فلما كان يوم الفتح مسح على خفيه فصلى الصلوات الخمس
بوضوء واحد فقال له عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال
عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز فان قلت هل يجوز ان
يكون الامر شاملا للمحدثين وغيرهم لهؤلاء على وجه الايجاب
ولهؤلاء على وجه الندب قلت لا لان تناول الكلمة لمعنيين
مختلفين من باب الالغاز والتعمية وقيل كان الوضوء
لكل صلوة واجبا اول ما فرض ثم نسخ الى تفيد معنى
الغاية مطلقا فاما دخولها في الحكم وخروجها فامر يدور
مع الدليل فمما فيه دليل على الخروج قوله فنظرة الى ميسرة
لان الاعسار علة الانظار وبوجود الميسرة تزول العلة
ولو دخلت الميسرة فيه لكان منظرا في كلتا الحالتين
معسرا وموسرا وكذلك ثم اتموا الصيام الى الليل لو
دخل الليل لوجب الوصال ومما فيه دليل على الدخول
قولك حفظت القرآن من اوله الى آخره لان الكلام مسوق
لحفظ القرآن كله ومنه قوله تعالى من المسجد الحرام الى المسجد
الاقصى لوقوع العلم بانه لا يسرى به الى بيت المقدس
من غير ان يدخله وقوله الى المرافق والى الكعبين لا دليل
فيه على احد الامرين فاخذ كافة العلماء بالاحتياط فحكموا
بدخولها في الغسل واخذ زفر وداود بالمتيقن فلم يدخلاها
وعن النبي صلى الله عليه انه كان يدير الماء على مرفقيه
وامسحوا برؤسكم المراد الصاق المسح بالرأس وماسح بعضه
ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه وقد اخذ

مالك بالاحتياط

فاوجب الاستيعاب او اكثره على اختلاف الرواية بالمسح واوجب الشافعي اقل ما يقع عليه اسم المسح واخذ ابو حنيفة ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما روي انه مسح على ناصيته وقدر الناصية بربع الراس قرا جماعة وارجلكم بالنصب فدل على ان الارجل مغسولة فان قلت فما تصنع بقراءة الجر ودخولها في حكم المسح قلت الارجل من بين الاعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة للاسراف المذموم المنهي عنه فعطفت على الرابع الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها وقيل الى الكعبين فجيء بالغاية اماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لان المسح لم تضرب له غاية في الشريعة وعن علي رضي الله عنه انه اشرف على فتية من قريش فراى في وضوئهم تجوزا فقال ويل للاعقاب من النار فلما سمعوا جعلوا يغسلونها غسلا ويدلكونها دلكا وعن ابن عمر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضا قوم واعقابهم بيض تلوح فقال ويل للاعقاب من النار وفي رواية جابر ويل للعراقيب وعن عمر رضي الله عنه انه راى رجلا يتوضا فترك باطن قدميه فامره ان يعيد الوضوء وذلك للتغليظ عليه وعن عائشة لان تقطعا احب الي من ان امسح على القدمين بغير خفين وعن عطاء والله ما علمت ان احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على القدمين وقد ذهب بعض الناس الى ظاهر العطف فاوجب المسح وعن الحسن انه جمع بين الامرين وعن الشعبي

نزل القرآن بالمسح والغسل سنة وقرا الحسن وارجلكم بالرفع بمعنى وارجلكم مغسولة او ممسوحة الى الكعبين فاطهروا اي فطهروا ابدانكم وكذلك ليطهركم وفي قراءة عبد الله فامّوا صعيدا ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء وليتم نعمته عليكم وليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته فيثيبكم واذكروا نعمة الله عليكم وهي نعمة الاسلام وميثاقه الذي واثقكم به اي عاقدكم به عقدا وثيقا وهو الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والمنشط والمكره فقبلوا وقالوا سمعنا واطعنا وقيل هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان عدي يجرمنكم بحرف الاستعلاء مضمنا معنى فعل يتعدى به كانه قيل ولا يحملنكم ويجوز ان يكون قوله ان تعتدوا بمعنى على ان تعتدوا فحذف على مع ان وكذلك قوله على الا تعدلوا من اثبت على ملي فليتبع لانه بمعنى احيل وقرئ شنان بالسكون ونظيره في المصادر ليان والمعنى لا يحملنكم بغضكم للمشركين على ان تتركوا العدل فتعتدوا عليهم بان تنتصروا منهم وتتشفوا مما في قلوبكم من الضغائن بارتكاب ما لا يحل لكم من مثلة او قذف او قتل اولاد او نساء او نقض عهد او ما اشبه ذلك اعدلوا هو اقرب للتقوى نهاهم اولا ان تحملهم البغضاء على ترك العدل ثم استانف فصرح لهم بالامر بالعدل تاكيدا وتشديدا ثم استانف

وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا

اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون

تذكيرهم وجه الامر بالعدل وهو قوله هو اقرب للتقوى اي العدل
اقرب الى التقوى لكونه لطفا فيها وفيه تنبيه عظيم على ان
وجوب العدل مع الكفار الذين هم اعداء الله اذا
كان بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين
الذين هم اولياؤه واحباؤه لهم مغفرة واجر عظيم بيان
للوعد بعد تمام الكلام قبله كانه قال قدم لهم وعدا فقيل
اي شيء وعده لهم فقيل لهم مغفرة واجر عظيم او يكون
على ارادة القول بمعنى وعدهم وقال لهم مغفرة او على اجراء وعد
مجرى قال لانه ضرب من القول او يجعل وعد واقعا
على الجملة التي هي لهم مغفرة كما وقع تركنا على قوله سلام على
نوح كانه قيل وعدهم مضمونه من المغفرة والاجر العظيم
وهذا القول يتلقون به عند الموت ويوم القيامة فيسرون
به ويستبشرون ويهون عليهم السكرات والاهوال
قبل الوصول الى الثواب روي ان المشركين رأوا رسول
الله واصحابه قاموا الى صلوة الظهر يصلون معا وذلك
بعسفان في غزوة ذي انمار فلما صلوا ندموا الا كانوا
اكبوا عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلوة هي احب اليهم من
آبائهم وابنائهم يعنون صلوة العصر وهموا ان يوقعوا بهم
اذا قاموا لها فنزل جبريل بصلوة الخوف وروي ان
رسول الله صلى الله عليه اتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي
رضي الله عنهم يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن امية
الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم
اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه في صفة وهموا

وادخله في مناسبتها اذ اقرب الى التقوى

وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم

انما حذف ثاني مفعولي وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فانه استئناف مبين

والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم

هذا القول واذا وعدهم من لا يخلف الميعاد هذا القول فقد وعدهم

يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون

نعم

بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه
فامسك الله يده ونزل جبريل فاخبره فخرج وقيل نزل
منزلا وتفرق الناس في العضاه يستظلون بها فعلق رسول
الله سلاحه بشجرة فجاء اعرابي فسل سيف رسول الله ثم
اقبل عليه فقال من يمنعك مني قال الله قالها ثلاثا فشام
الاعرابي السيف فصاح رسول الله باصحابه فاخبرهم وابى
ان يعاقبه يقال بسط اليه لسانه اذا شتمه وبسط اليه يده
اذا بطش به ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ومعنى
بسط اليد مدها الى المبطوش به الا ترى الى قولهم فلان بسيط
الباع ومديد الباع بمعنى فكف ايديهم عنكم منعها ان تمد اليكم
لما استقر بنو اسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون امرهم الله
بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الكنعانيون
الجبابرة وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا
من فيها واني ناصركم وامر موسى ان ياخذ من كل سبط نقيبا
يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به توثقة عليهم فاختار
النقباء واخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم به النقباء
وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون
فراوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم
وقد نهاهم موسى عليه السلام ان يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا كالب بن
يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف
وكانا من النقباء والنقيب الذي ينقب عن احوال القوم ويفتش
عنها كما قيل له عريف لانه يتعرفها اني معكم اني ناصركم ومعينكم
عزرتموهم نصرتموهم ومنعتموهم من ايدي العدو ومنه التعزير

شام من حد باع شام السيف اذا اغمده وشام اذا سله وهو من الاضداد

ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل

وهو التنكيل والمنع من معاودة الفساد وقرئ بالتخفيف
الرجل اذا حطته وكنفته والتعزير والتأزير من واد واحد
ومنه لانصرنك نصرا مؤزرا اي قويا وقيل معناه ولقد
اخذنا ميثاقهم بالايمان والتوحيد وبعثنا منهم اثني عشر ملكا
يقيمون فيهم العدل ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر
واللام في لئن اقمتم موطئة للقسم وفي لاكفرن جواب له وهذا
الجواب ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا بعد ذلك
بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق بالوعد العظيم فان قلت من كفر
قبل ذلك ايضا فقد ضل سواء السبيل قلت اجل ولكن
الضلال بعده اظهر واعظم لان الكفر انما عظم قبحه لعظم النعمة
المكفورة فاذا زادت النعمة زاد قبح الكفر وتمادى لعناهم طردناهم
واخرجناهم من رحمتنا وقيل مسخناهم وقيل ضربنا عليهم الجزية
وجعلنا قلوبهم قاسية خذلناهم ومنعناهم الالطاف حتى
قست قلوبهم او املينا لهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست وقرأ
عبد الله قسية اي ردية مغشوشة من قولهم درهم قسي
وهو من القسوة لان الذهب والفضة الخالصين فيهما لين
والمغشوش فيه يبس وصلابة والقاسي والقاسح بالحاء اخوان
في الدلالة على اليبس والصلابة وقرئ قسية بكسر القاف للاتباع يحرفون
الكلم بيان لقسوة قلوبهم لانه لا قسوة اشد من الافتراء على الله
وتغيير وحيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا وافيا
مما ذكروا به من التوراة يعني ان تركهم واعراضهم عن التوراة اغفال
حظ عظيم او قست قلوبهم وفسدت فحرفوا التوراة وزلت اشياء
منها عن حفظهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قد ينسى المرء بعض
العلم

بالمعصية وتلا هذه الآية وقيل تركوا نصيب انفسهم مما امروا به من الايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته ولا تزال تطلع لا تزال هذه عادتهم وهجيراهم
وكان عليها اسلافهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك ينكثون
عهودك ويظاهرون المشركين على حربك ويهمون بالفتك بك وان
يسموك على خائنة منهم على خيانة منهم او على فعلة ذات خيانة او على
نفس او فرقة خائنة ويقال رجل خائنة كقولهم رجل راوية للشعر
للمبالغة قال حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن للغدر خائنة مغل
الاصبع وقرئ على خيانة منهم الا قليلا منهم وهم الذين آمنوا منهم
فاعف عنهم بعث الله على محالفتهم وقيل هو منسوخ بآية السيف وقيل فاعف
عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم اخذنا ميثاقهم اخذنا من
النصارى ميثاق من ذكر قبلهم من قوم موسى اي مثل ميثاقهم بالايمان
بالله والرسل وبافعال الخير او اخذنا من النصارى ميثاق انفسهم
بذلك فان قلت فهلا قيل من النصارى قلت لانهم انما سموا انفسهم
بذلك ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن انصار الله
ثم اختلفوا بعد نسطورية ويعقوبية وملكانية انصارا للشيطان
فاغرينا فالصقنا والزمنا من غري بالشيء اذا لزمه ولصق به
واغراه غيره ومنه الغراء الذي يلصق به بينهم بين فرق النصارى
المختلفين وقيل بينهم وبين اليهود ونحوه وكذلك نولي بعض
الظالمين بعضا او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض يا اهل
الكتاب خطاب لليهود والنصارى مما كنتم تخفون من نحو صفة
رسول الله ومن نحو الرجم ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يبينه
اذا لم تضطر اليه مصلحة دينية ولم يكن فيه فائدة الا افتضاحكم
وصفته ما لا بد من بيانه وكذلك الرجم وما فيه من احياء شريعة
واماتة بدعة

وعن الحسن ويعفو عن كثير منكم لا يؤاخذ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين
يعني القرآن لكشفه ظلمات الشرك والشك لإبانته ما كان
خافيا على الناس من الحق أو لأنه ظاهر الإعجاز يهدي به الله من اتبع رضوانه من
آمن منهم سبل السلام طرق السلامة والنجاة من عذاب الله
أو سبل الله لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم معناه بت القول على أن
حقيقة الله هو المسيح لا غير قيل كان في النصارى قوم يقولون ذلك
وقيل ما صرحوا به ولكن مذهبهم يؤدي إليه حيث اعتقدوا أنه يخلق
ويحيي ويميت ويدبر أمر العالم قل فمن يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته
ومشيئته شيئا إن أراد أن يهلك من دعوه إلها من المسيح وأمه
دلالة على أن المسيح عبد مخلوق كسائر العباد وأراد بعطف من في
الأرض على المسيح وأمه أنهما من جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم في
البشرية يخلق ما يشاء إذ يخلق من ذكر وأنثى ويخلق من أنثى من غير
ذكر كما خلق عيسى ويخلق من غير ذكر وأنثى كما خلق آدم أو يخلق
ما يشاء كخلق الطير على يد عيسى معجزة له وكإحياء الموتى وإبراء الأكمه
والأبرص وغير ذلك فيجب أن ينسب إليه ولا ينسب إلى البشر
المجري على يده نحن أبناء الله أشياع ابني الله عزير والمسيح كما قيل
لأشياع أبي خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبون وكما كان
يقول رهط مسيلمة نحن أنبياء الله وقيل أقرباء الملك وذووه
وحشمه يحب الملوك ولذلك قال مؤمن آل فرعون لكم الملك
اليوم قل فلم يعذبكم بذنوبكم فإن صح أنكم أبناء الله وأحباؤه فلم تذنبون
وتعذبون بذنوبكم فتمسخون وتمسكم النار أياما معدودات على
زعمكم ولو كنتم أبناء الله لكنتم من جنس الأب غير فاعلين للقبائح
ولا مستوجبين للعقاب ولو كنتم أحباءه لما عصيتموه ولما عاقبكم

فعلى قول الحسن الكثير الأول ... الى المحسنات والثانية الى أهل الإحسان فعلى هذا سقط الإشكال لأن الكثير إذا كان مبينا كيف ... عن الكثير ولو كان الكثير معفوا ... في الحاشية نظر

بل أنتم بشر من جملة من خلق من البشر يغفر لمن يشاء وهم أهل الطاعة
ويعذب من يشاء وهم العصاة يبين لكم إما أن يقدر المبين وهو
الدين والشرائع وحذفه لظهوره أو ما ورد إلى الرسول لتبيينه أو
يقدر ما كنتم تخفون وحذفه لتقدم ذكره أو لا يقدر ويكون
المعنى يبذل لكم البيان ومحل الجملة النصب على الحال أي مبينا لكم على
فترة متعلق بجاءكم أي جاءكم على حين فتور من إرسال الرسل
واستطاع من الوحي أن تقولوا كراهة أن تقولوا فقد جاءكم متعلق
بمحذوف أي لا تعتذروا فقد جاءكم وقيل كان بين عيسى
ومحمد صلى الله عليهما خمسمائة وستون سنة وقيل ستمائة وقيل أربعمائة
ونيف وستون وعن الكلبي كان بين موسى وعيسى ألف وسبعمائة
سنة وألف نبي وبين عيسى ومحمد أربعة أنبياء ثلاثة من بني
إسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي والمعنى
الامتنان عليهم وأن الرسول بعث إليهم حين انطمست آثار
الوحي أحوج ما يكونون إليه ليهشوا إليه ويعدوه أعظم نعمة
من الله وفتح باب إلى الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا
بأنه لم يرسل إليهم من ينبههم عن غفلتهم إذ جعل فيكم أنبياء لأنه
لم يبعث في أمة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء وجعلكم ملوكا
إذ ملككم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة ملكهم ولأن الملوك
تكاثروا فيهم تكاثر الأنبياء وقيل كانوا مملوكين في أيدي
القبط فأنقذهم الله فسمى إنقاذهم ملكا وقيل الملك من له
مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له بيت وخدم وقيل من
له مال لا يحتاج معه إلى تكلف الأعمال وتحمل المشاق وآتاكم ما لم يؤت
أحدا من العالمين من فلق البحر وإغراق العدو وتظليل الغمام

وانزل المن والسلوى وغير ذلك من الامور العظام وقيل اراد
الارض المقدسة ارض بيت المقدس وقيل الطور وما حوله وقيل
الشام وقيل فلسطين ودمشق وبعض الاردن وقيل
سماها الله لابراهيم ميراثا لولده حين رفع على الجبل فقيل له
انظر فلك ما ادرك بصرك وكان بيت المقدس قرار الانبياء ومسكن
المؤمنين كتب الله لكم قسمها لكم وسماها او خط في اللوح انها لكم
ولا ترتدوا على ادباركم ولا تنكصوا على اعقابكم مدبرين من
خوف الجبابرة جبنا وهلعا وقيل لما حدثهم النقباء بحال الجبابرة
رفعوا اصواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا متنا بمصر وقالوا تعالوا
نجعل علينا راسا ينصرف بنا الى مصر ويجوز ان يراد ولا ترتدوا
على ادباركم في دينكم بمخالفتكم امر ربكم وعصيانكم نبيكم فترجعوا
خاسرين ثواب الدنيا والآخرة الجبار فعال من جبره
على الامر بمعنى اجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس
على ما يريد قال رجلان كالب ويوشع من الذين يخافون
الله ويخشونه كانه قيل رجلان من المتقين ويجوز ان يكون
الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف تقديره من
الذين يخافهم بنو اسرائيل وهم الجبارون وهما رجلان منهم
انعم الله عليهما بالايمان فآمنا قالا لهم ان العمالقة اجسام لا
قلوب فيها فلا تخافوهم وازحفوا اليهم فانكم غالبوهم تشجعانهم
على قتالهم وقراءة من قرا يخافون بالضم شاهدة له وكذلك انعم الله
عليهما كانه قيل من المخوفين وقيل هو من الاخافة ومعناه من
الذين يخوفون من الله بالتذكرة والموعظة او يخوفهم وعيد الله
بالعقاب فان قلت ما محل انعم الله عليهما قلت ان انتظم مع قوله

من الذين يخافون في حكم الوصف لرجلان فمرفوع وان جعل كلاما معترضا
فلا محل له فان قلت من اين علما انهم غالبون قلت من
جهة اخبار موسى بذلك وقوله كتب الله لكم وقيل من جهة غلبة
الظن وما تبيناه من عادة الله في نصرة رسله وما عهدا من صنع الله
لموسى في قهر اعدائه وما عرفا من حال الجبابرة والباب باب قريتهم
لن ندخلها نفي لدخولهم في المستقبل على وجه التاكيد المويس وابدا
تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاول وما داموا فيها بيان للابد فاذهب
انت وربك يحتمل ان لا يقصدوا حقيقة الذهاب ولكن كما
تقول كلمته فذهب يجيبني تريد معنى الارادة والقصد
للجواب كانهم قالوا اريدا قتالهم والظاهر انهم قالوا ذلك استهانة
بالله ورسوله وقلة مبالاة بهما واستهزاء وقصدوا ذهابهما
حقيقة بجهلهم وجفائهم وقسوة قلوبهم التي عبدوا بها العجل وسالوا
بها رؤية الله جهرة والدليل عليه مقابلة ذهابهما بقعودهم ويحكى
ان موسى وهرون خرا لوجوههما قدامهم لشدة ما ورد عليهما فهموا
برجمهما ولامر ما قرن الله اليهود بالمشركين وقدمهم عليهم في قوله
لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا
لما عصوه وتمردوا عليه وخالفوه وقالوا ما قالوا من كلمة الكفر
ولم يبق معه مطيع موافق يثق به الا هرون [illegible] قال رب اني لا املك
لنصرة دينك الا نفسي واخي وهذا من البث والحزن والشكوى الى
الله والحسرة ورقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل
النصرة ونحوه قول يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله وعن
علي رضي الله عنه انه كان يدعو الناس على منبر الكوفة الى قتال البغاة
فما اجابه الا رجلان فتنفس الصعداء ودعا لهما وقال اين تقعان مما اريد

[Margin notes:]

اقوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين

عن الكلبي صعد ابراهيم جبل لبنان فقيل له ما ادرك بصرك فهو مقدس وميراث لولدك

قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين

يخافون ان كان من الخوف ومعروف كان فمكونان من الجبابرة وان كان من الاخافة ومعروف فمكونان من بني اسرائيل

قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون قال رب اني لا املك الا نفسي واخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين

ما داموا ابدل من ابدا بدل البعض

تفسير المراد التوحيد ... المراد لا ازمنة ... المراد ما يعلمون عند البال والاعلام

اي انما لا تكفيان مرادي ... ارجاكان الجابر ... اعانة من بين الاثنين

نصب على المصدر

وذكر في إعراب أخي وجوه أن يكون منصوبا عطفا على نفسي وعلى الضمير في إني
بمعنى أني لا أملك إلا نفسي وإن أخي لا يملك إلا نفسه أو مرفوعا عطفا
على محل إن واسمها كأنه قيل أنا لا أملك إلا نفسي وهرون كذلك
لا يملك إلا نفسه أو على الضمير في لا أملك وجاز للفصل أو مجرورا عطفا
على الضمير في نفسي وهو ضعيف لقبح العطف على ضمير المجرور إلا بتكرير
الجار فإن قلت أما كان معه الرجلان المذكوران قلت كأنه لم
يثق بهما كل الوثوق ولم يطمئن إلى ثباتهما لما ذاق في طول الزمان
واتصال الصحبة من أحوال قومه وتلونهم فلم يذكر إلا النبي المعصوم
الذي لا شبهة في أمره ويجوز أن يقول ذلك لفرط ضجره عندما سمع
منهم تقليلا لمن يوافقه ويجوز أن يريد ومن يؤاخيني على ديني فافرق
فافصل بيننا وبينهم بأن تحكم لنا بما نستحق وعليهم بما يستحقون
وهو في معنى الدعاء عليهم ولذلك وصل به قوله فإنها محرمة عليهم
على وجه التسبيب أو فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله
ونجني من القوم الظالمين فإنها فإن الأرض المقدسة محرمة عليهم
لا يدخلونها ولا يملكونها فإن قلت كيف يوفق بين هذا وبين قوله
التي كتب الله لكم قلت فيه وجهان أحدهما أن يراد كتبها لكم بشرط
أن تجاهدوا أهلها فلما أبوا الجهاد قيل فإنها محرمة عليهم والثاني
أن يراد فإنها محرمة عليهم أربعين سنة فإذا مضت الأربعون
كان ما كتب فقد روي أن موسى سار بمن بقي من بني إسرائيل وكان
يوشع على مقدمته ففتح أريحا وأقام فيها ما شاء الله ثم قبض الله
وقيل لما مات موسى بعث يوشع نبيا فأخبرهم بأنه نبي الله وأن
الله أمره بقتال الجبابرة فصدقوه وتابعوه وسار بهم إلى أريحا
وقتل الجبابرة وأخرجهم وصار الشام كله لبني إسرائيل وقيل لم يدخل

قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين

الأرض المقدسة أحد ممن قال إنا لن ندخلها وهلكوا في التيه ونشأت نواشئ
من ذرياتهم فقاتلوا الجبارين ودخلوها والعامل في الظرف
إما محرمة وإما يتيهون ومعنى يتيهون في الأرض يسيرون فيها
متحيرين لا يهتدون طريقا والتيه المفازة التي يتاه فيها روي
أنهم لبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون كل يوم جادين
حتى إذا أمسوا وأصبحوا إذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام
يظللهم من حر الشمس ويطلع لهم عمود من نور بالليل يضيء لهم وينزل
عليهم المن والسلوى ولا تطول شعورهم وإذا ولد لهم مولود كان
عليه ثوب كالظفر يطول بطوله فإن قلت فلم كانوا ينعم عليهم
بتظليل الغمام وغيره وهم معاقبون قلت كما ينزل بعض النوازل
على العصاة عركا لهم وعليهم مع ذلك النعمة متظاهرة ومثل ذلك
مثل الوالد المشفق يضرب ولده ويؤدبه ليتأدب ويتثقف
ولا يقطع عنه معروفه وإحسانه فإن قلت هل كان معهم في التيه
موسى وهارون عليهما السلام قلت اختلف في ذلك فقيل لم
يكونا معهم لأنه كان عقابا وقد طلب موسى إلى ربه أن يفرق بينهما
وبينهم وقيل كانا معهم إلا أنه كان ذلك روحا لهما وسلامة
لا عقوبة كالنار لإبراهيم وملائكة العذاب وروي أن هرون
مات في التيه ومات موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع أريحا
بعد موته بثلاثة أشهر ومات النقباء في التيه بغتة إلا كالب
ويوشع فلا تأس فلا تحزن عليهم لأنه ندم على الدعاء عليهم
فقيل إنهم أحقاء لفسقهم بالعذاب فلا تحزن ولا تندم ما
ابنا آدم لصلبه قابيل وهابيل أوحى الله إلى آدم أن يزوج
كل واحد منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل أجمل

واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين

واسمها اقليما فحسد عليها اخاه وسخط فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما
قبل تزوجها فتقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد
قابيل حسدا وسخطا وتوعده بالقتل وقيل هما رجلان من
بني اسرائيل بالحق ملابسة ملتبسة بالحق والصحة او اتله نبأ ملتبسا
بالصدق موافقا لما في كتب الاولين او بالغرض الصحيح وهو تقبيح
الحسد لان المشركين واهل الكتاب كلهم كانوا يحسدون
رسول الله ويبغون عليه او اتل عليهم وانت محق صادق
واذ قربا نصب بالنبأ اي قصتهم وحديثهم في ذلك الوقت
ويجوز ان يكون بدلا من النبأ اي اتل عليهم النبأ نبأ ذلك
الوقت على تقدير حذف المضاف والقربان اسم ما يتقرب
الى الله من نسيكة او صدقة كما ان الحلوان اسم ما يحلى
اي يعطى يقال قرب صدقة وتقرب بها لان تقرب مطاوع
قرب قال الاصمعي تقربوا قرف القمع فيعدى بالباء حتى يكون
بمعنى قرب فان قلت كيف كان قوله انما يتقبل الله من
المتقين جوابا لقوله لاقتلنك قلت لما كان الحسد لاخيه
على تقبل قربانه هو الذي حمله على توعده بالقتل قال انما اتيت
من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلي
فلم تقتلني وما لك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على تقوى الله التي
هي السبب في القبول فاجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعان
وفيه دليل على ان الله تعالى لا يتقبل طاعة الا من مؤمن متق فما انعاه
على اكثر العاملين اعمالهم وعن عامر بن عبد الله انه بكى حين حضرته
الوفاة فقيل له ما يبكيك فقد كنت وكنت قال اني اسمع الله
يقول انما يتقبل الله من المتقين ما انا بباسط يدي اليك
لاقتلك

لمتقين

٣

اي ما انعاهم بتقبل متقدر من اعمالهم ونحمد ان يكون انعاه ما العاملين

لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين

اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين

قيل كان هابيل اقوى من القاتل وابطش منه ولكنه تحرج عن قتل اخيه
واستسلم خوفا من الله لان الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت
قال مجاهد وغيره اني اريد ان تبوء باثمي واثمك ان
تحتمل اثم قتلي لك لو قتلتك واثم قتلك لي فان قلت كيف
يحمل اثم قتله له ولا تزر وازرة وزر اخرى قلت المراد
بمثل اثمي على الاتساع في الكلام كما تقول قرأت قراءة فلان
وكتبت كتابته تريد المثل وهو اتساع فاش مستفيض
لا يكاد يستعمل غيره ونحوه قوله عليه السلام المستبان ما قالا فعلى
البادي ما لم يعتد المظلوم على ان البادي عليه اثم سبه
ومثل اثم سب صاحبه لانه كان سببا فيه الا ان الاثم محطوط
عن صاحبه معفو عنه لانه مكافئ دافع عن عرضه الا ترى
الى قوله ما لم يعتد المظلوم لانه اذا خرج من حد المكافأة
واعتدى لم يسلم فان قلت فحين كف هابيل عن قتل اخيه
واستسلم وتحرج عما كان محظورا في شريعته من الدفع فاين
الاثم حتى يتحمل اخوه مثله فيجتمع عليه الاثمان قلت هو
مقدر فهو يتحمل مثل الاثم المقدر كانه قال اني اريد ان تبوء
بمثل اثمي لو بسطت اليك يدي وقيل باثمي باثم قتلي واثمك
الذي من اجله لم يتقبل قربانك فان قلت فكيف جاز
ان يريد شقاوة اخيه وتعذيبه بالنار قلت كان
ظالما وجزاء الظالم حسن جائز ان يراد الا ترى الى قوله
وذلك جزاء الظالمين واذا جاز ان يريده الله جاز ان يريده
العبد لانه لا يريد الا ما هو حسن والمراد بالاثم وبال القتل
وما يجره من استحقاق العقاب فان قلت لم جاء الشرط بلفظ
الفعل

اي ولكن محمول على ان

اسند اليه كونه عليه وهل على صاحبه اثم حتى يكون له مثل اثمه عليه الا انه محطوط عنه ما لم يجز حد المكافأة

فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين

والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو قوله لئن بسطت ما أنا بباسط
ليفيد أنه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع
ولذلك أكده بالباء المؤكدة للنفي فطوعت له نفسه قتل أخيه
فوسعته له ويسرته من طاع له المرتع إذا اتسع وقرأ الحسن
فطاوعت وفيه وجهان أن يكون مما جاء من فاعل بمعنى فعّل
وأن يراد أن قتل أخيه كأنه دعا نفسه إلى الإقدام عليه فطاوعته
ولم تمتنع وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله وقيل
قتل وهو ابن عشرين سنة وكان قتله عند عقبة حراء وقيل
بالبصرة في موضع المسجد الأعظم فبعث الله غرابا روي أنه
أول قتيل قتل على وجه الأرض من بني آدم ولما قتله تركه بالعراء
لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره
سنة حتى أروح وعكفت عليه السباع فبعث الله غرابين
فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه
في الحفرة فقال يا ويلتا أعجزت وروي أنه لما قتله اسود جسده
وكان أبيض فسأله آدم عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيلا
فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وروي أن آدم مكث
بعد قتله مائة سنة لا يضحك وأنه رثاه بشعر وهو كذب
بحت وما الشعر إلا منحول ملحون وقد صح أن الأنبياء معصومون
من الشعر ليريه ليريه الله أو ليريه الغراب أي ليعلمه لأنه
لما كان سبب تعليمه فكأنه قصد تعليمه على سبيل المجاز سوأة
أخيه عورة أخيه وما لا يجوز أن ينكشف من جسده والسوأة
الفضيحة لقبحها وأتى بالقوم للسوأة السوآء الفضيحة
العظيمة فكني بها عنها فأواري بالنصب على جواب الاستفهام

فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين

تغيرت البلاد ومن عليها
ووجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذي لون وطعم
وقل بشاشة الوجه المليح
ومالي لا أجود بسكب دمع
وهابيل تضمنه الضريح
أرى طول الحياة علي غما
فهل أنا من حياتي مستريح

وقرئ بالسكون على فأنا أواري أو على التسكين في موضع النصب للتخفيف
من النادمين على قتله لما تعب فيه من حمله وتحيره في
أمره وتبين له من عجزه وتلمذه للغراب واسوداد لونه
وسخط أبيه ولم يندم ندم التائبين من أجل ذلك بسبب ذلك
وبعلته وقيل أصله من أجل شرا إذا جناه يأجله أجلا
ومنه قوله وأهل خباء صالح ذات بينهم قد احتربوا في عاجل
أنا آجله كأنك إذا قلت من أجلك فعلت كذا أردت من
أن جنيت فعله وأوجبته ويدل عليه قولهم من جراك فعلته
أي من أن جررته بمعنى جنيته وذلك إشارة إلى القتل
المذكور أي من أجل ذلك القتل الكتب وجزء كتبنا على بني
إسرائيل ومن لابتداء الغاية أي ابتداء الكتب ونشأ من
أجل ذلك ويقال فعلته لأجلكما وعدنا لأجلكنا
بحذف الجار وإيصال الفعل قال أجل أن الله قد فضلكم
ويروى من جل ذلك بحذف الهمزة وفتح النون لإلقاء حركتها
عليها وقرأ أبو جعفر من إجل ذلك بكسر الهمزة وهي لغة فإذا
خفف كسر النون ملقيا لكسر الهمزة عليها بغير نفس بغير قتل
نفس لا على وجه الاقتصاص أو فساد عطف على نفس
بمعنى أو بغير فساد في الأرض وهو الشرك أو قطع الطريق
ومن أحياها ومن استنقذها من بعض أسباب الهلكة
قتل أو غرق أو حرق أو هدم أو غير ذلك فإن قلت كيف
شبه الواحد بالجمع وجعل حكمه كحكمهم قلت لأن كل إنسان
يدلي بما يدلي به الآخر من الكرامة على الله وثبوت الحرمة فإذا
قتل فقد أهين ما كرم على الله وهتكت حرمته وعلى العكس

من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون

فلا فرق اذن بين الواحد والجمع في ذلك فان قلت فما الفائدة
في ذكر ذلك قلت تعظيم قتل النفس واحياءها في القلوب
ليشمئز الناس عن الجسارة عليها ويتراغبوا في المحاماة
على حرمتها لان المتعرض لقتل النفس اذا تصور قتلها
بصورة قتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذلك
الذي اراد احياءها وعن مجاهد قاتل النفس جزاؤه جهنم
وغضب الله والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد
على ذلك وعن الحسن يا ابن آدم ارايت لو قتلت الناس
جميعا اكنت تطمع ان يكون لك عمل يوازي ذلك فيغني عنك
كلا انه شيء سولته لك نفسك والشيطان فكذلك اذا
قتلت واحدا بعد ذلك بعد ما كتبنا عليهم وبعد مجيء الرسل
بالآيات لمسرفون يعني في القتل لا يبالون بعظمته يحاربون
الله ورسوله يحاربون رسول الله ومحاربة المسلمين في حكم
محاربته ويسعون في الارض فسادا مفسدين او لان
سعيهم في الارض لما كان على طريق الفساد نزل منزلة ويفسدون
في الارض فانتصب فسادا على المعنى ويجوز ان يكون مفعولا له
اي للفساد نزلت في قوم هلال بن عويمر وكان بينه وبين
رسول الله عهد وقد مر بهم قوم يريدون رسول الله فقطعوا
عليهم وقيل في العرنيين فاوحى اليه ان من جمع بين القتل
واخذ المال قتل وصلب ومن افرد القتل قتل ومن افرد
اخذ المال قطعت يده لاخذ المال ورجله لاخافة السبيل
ومن افرد الاخافة نفي من الارض وقيل هذا حكم كل قاطع طريق
كافرا كان او مسلما ومعناه ان يقتلوا من غير صلب ان
افردوا القتل

او يصلبوا مع القتل ان جمعوا بين القتل والاخذ قال ابو حنيفة ومحمد رحمهما الله
يصلب حيا ويطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف
ان اخذوا المال او ينفوا من الارض ان لم يزيدوا على الاخافة وعن
جماعة منهم الحسن والنخعي ان الامام مخير بين هذه العقوبات
في كل قاطع طريق من غير تفصيل والنفي الحبس عند ابي حنيفة وعند
الشافعي النفي من بلد الى بلد لا يزال يطلب وهو هارب فزعا
وقيل ينفى من بلده وكانوا ينفونهم الى دهلك وهو بلد في اقصى
تهامة وناصع وهو بلد من بلاد الحبشة خزي ذل وفضيحة الا الذين
تابوا استثناء من المعاقبين عقاب قطع الطريق خاصة واما حكم
القتل والجراح واخذ المال فالى الاولياء ان شاؤوا عفوا وان
شاؤوا استوفوا وعن علي رضي الله عنه ان الحارث بن بدر جاءه
تائبا بعدما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة
الوسيلة كل ما يتوسل به اي يتقرب من قرابة او صنيعة او غير
ذلك فاستعيرت لما يتوسل به الى الله من فعل الطاعات
وترك المعاصي وانشد للبيد ارى الناس لا يدرون ما قدر امرهم
الا كل ذي لب الى الله واسل ليفتدوا به ليجعلوه فدية
لانفسهم وهذا تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى
النجاة منه بوجه وعن النبي صلى الله عليه يقال للكافر يوم القيامة
ارايت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول
نعم فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك ولو مع ما في حيزه خبر
ان فان قلت لم وحد الراجع في قوله ليفتدوا به وقد ذكر شيئان
قلت نحو قوله فاني وقيار بها لغريب او على اجراء الضمير مجرى
اسم الاشارة كانه قيل ليفتدوا بذلك ويجوز ان تكون الواو في ومثله
بمعنى مع

انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم

يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم

دهلك قطعة الله

لبيد

يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم

فيتوحد المرجع اليه فان قلت فبم ينصب المفعول معه قلت
لو من الفعل لان التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض قرا
ابو واقد ان يخرجوا بضم الياء من اخرج ويشهد لقراءة العامة
وما هم بخارجين ومما يروى عن عكرمة ان نافع بن الازرق قال
لابن عباس يا اعمى البصر اعمى القلب تزعم ان قوما يخرجون من
النار وقد قال الله تعالى وما هم بخارجين منها فقال ويحك اقرا ما فوقها
هذا للكفار فمما لفقته المجبرة وليس باول تكاذيبهم وفراهم وكفاك
بما فيه من مواجهة ابن الازرق ابن عم رسول الله وهو بين
اظهر اعضاده من قريش وانضاده من بني عبد المطلب وهو حبر
الامة وبحرها بالخطاب الذي لا يجسر على مثله احد من اهل
الدنيا وبرفعه الى عكرمة دليلين ناصعين ان الحديث فرية
ما فيها مرية والسارق والسارقة رفعهما على الابتداء والخبر
محذوف عند سيبويه كانه قيل وفيما فرض عليكم السارق
والسارقة اي حكمهما ووجه آخر وهو ان يرتفعا بالابتداء والخبر
فاقطعوا ايديهما ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط لان المعنى
والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا ايديهما والاسم الموصول
تضمن معنى الشرط وقرا عيسى بن عمر بالنصب وفضلها
سيبويه على قراءة العامة لاجل الامر لان زيدا فاضربه
احسن من زيد فاضربه ايديهما يديهما ونحوه فقد صغت قلوبكما
اكتفى بتثنية المضاف اليه واريد باليدين اليمينان بدليل
قراءة عبد الله والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهما
والسارق في الشريعة من سرق من الحرز والمقطع الرسغ
وعند الخوارج المنكب والمقدار الذي يجب به القطع عشرة
دراهم

والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم

عند ابي حنيفة رحمه الله وعند مالك والشافعي رحمهما الله ربع دينار
وعن الحسن درهم وفي مواعظه احذر من قطع يدك في درهم
جزاء ونكالا مفعول لهما فمن تاب من السراق من بعد ظلمه
من بعد سرقته واصلح امره بالتفصي عن التبعات فان
الله يتوب عليه ويسقط عنه عقاب الآخرة واما القطع
فلا تسقطه التوبة عند ابي حنيفة واصحابه وعند الشافعي
في احد قوليه تسقطه من يشاء من يجب في الحكمة تعذيبه
والمغفرة له من المصرين والتائبين وقيل يسقط حد
الحربي اذا سرق بالتوبة ليكون ادعى له الى الاسلام وابعد
من التنفير عنه ولا يسقطه عن المسلم لان في اقامته
الصلاح للمؤمنين والحياة ولكم في القصاص حياة فان قلت
لم قدم التعذيب على المغفرة قلت لانه قوبل بذلك
تقدم السرقة على التوبة وقرئ لا يحزنك بضم الياء ويسرعون
والمعنى لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين في الكفر اي
في اظهاره بما يلوح منهم من آثار الكيد للاسلام ومن موالاة
المشركين فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال اسرع فيه
الشيب واسرع فيه الفساد بمعنى وقع فيه سريعا فكذلك
مسارعتهم في الكفر وقوعهم وتهافتهم فيه اسرع شيء اذا
وجدوا فرصة لم يخطئوها وآمنا مفعول قالوا وبافواههم متعلق
بقالوا لا بآمنا ومن الذين هادوا منقطع مما قبله خبر
لسماعون اي ومن اليهود قوم سماعون ويجوز ان يعطف
على من الذين قالوا ويرتفع سماعون على هم سماعون والضمير
للفريقين او للذين هادوا ومعنى سماعون للكذب
قابلون لما يفتريه الاحبار

فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير

يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم ياتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه

ويفتعلونه من الكذب على الله وتحريف كتابه من قولك الملك يسمع كلام فلان
ومنه سمع الله لمن حمده سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يعني اليهود
الذين لم يصلوا الى مجلس رسول الله وتجافوا عنه لما افرط فيهم
من شدة البغضاء وتبالغ من العداوة اي قابلون من الاحبار
ومن اولئك المفرطين في العداوة الذين لا يقدرون ان
ينظروا اليك وقيل سماعون الى رسول الله لاجل ان يكذبوا عليه
بان يمسخوا ما سمعوا منه بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير
سماعون من رسول الله لاجل قوم آخرين من اليهود وجهوهم
عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منه وقيل السماعون بنو قريظة والقوم
الآخرون يهود خيبر يحرفون الكلم يميلونه ويزيلونه عن مواضعه
التي وضعه الله فيها فيهملونه بغير مواضع بعد ان كان ذا
مواضع ان اوتيتم هذا المحرف المزال عن مواضعه فخذوه واعلموا
انه الحق واعملوا به وان لم تؤتوه وافتاكم محمد بخلافه فاحذروا
واياكم واياه فهو الباطل والضلال وروي ان شريفا من خيبر
زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التوراة فكرهوا رجمهما
لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله
عن ذلك وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم
بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا
ان يأخذوا به فقال له جبريل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا فقال
هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له
ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي على وجه الارض ورضوا
به حكما فقال له رسول الله انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي
فلق البحر ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذي
انزل عليكم كتابه

اي قابلون لكذبهم

جمع عين وهو الجاسوس الرقيب

ان اوتيتم هذا المحرف وان لم تؤتوه فاحذروا

التحميم تسويد الوجه

وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثب عليه
سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب
ثم سأل رسول الله عن اشياء كان يعرفها من اعلامه فقال
اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله النبي الامي العربي الذي
بشر به المرسلون وامر رسول الله بالزانيين فرجما عند باب مسجده ومن
يرد الله فتنته تركه مفتونا وخذلانه فلن تملك له من الله شيئا فلن
تستطيع له من لطف الله وتوفيقه شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان
يمنحهم من الطافه ما يطهر به قلوبهم لانهم ليسوا من اهلها لعلمه انها لا
تنفع فيهم ولا تنجع ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله
كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم السحت كل ما لا يحل كسبه
وهو من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة كما قال تعالى يمحق
الله الربا والربا باب منه وقرئ السحت بالتخفيف والتثقيل
والسحت بفتح السين على لفظ المصدر من سحته والسحت بفتحتين والسحت
بكسر السين وكانوا يأخذون الرشى على الاحكام وتحليل الحرام وعن
الحسن كان الحاكم في بني اسرائيل اذا اتاه احدهم برشوة جعلها
في كمه فاراها اياه وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه
فيأكل الرشوة ويسمع الكذب وعن ان عاملا قدم من عمله فجاءه
قومه فقدم اليهم العراضة وجعل يحدثهم بما جرى له في عمله فقال
اعرابي من القوم نحن كما قال الله سماعون للكذب اكالون
للسحت وعن النبي صلى الله عليه كل لحم انبته السحت فالنار اولى
به قيل كان رسول الله صلى الله عليه مخيرا اذا تحاكم اليه اهل
الكتاب بين ان يحكم بينهم وبين ان لا يحكم وعن عطاء والنخعي والشعبي
انهم اذا ارتفعوا الى حكام المسلمين فان شاؤوا حكموا وان
شاؤوا اعرضوا

ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم سماعون للكذب اكالون للسحت فان جاءوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين

وقيل هو منسوخ بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله وعند ابي حنيفة
ان احتكموا الينا حملوا على حكم الاسلام فان زنى منهم رجل بمسلمة
او سرق من مسلم شيئا اقيم عليه الحد واما اهل الحجاز فانهم لا
يرون اقامة الحدود عليهم يذهبون الى انهم قد صولحوا على
شركهم وهو اعظم من الحدود ويقولون ان النبي صلى الله عليه رجم
اليهوديين قبل نزول الجزية فلن يضروك شيئا لانهم كانوا لا يتحاكمون
اليه الا لطلب الايسر والاهون عليهم كالجلد مكان الرجم فاذا
اعرض عنهم وابى الحكومة لهم شق عليهم وتكرهوا اعراضه عنهم
وكانوا خلقاء بان يعادوه ويضاروه فامنه الله منهم به
بالقسط بالعدل والاحتياط كما حكم بالرجم وكيف يحكمونك تعجيب
من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع ان الحكم منصوص
في كتابهم الذي يدعون الايمان به ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون
من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم لا يرضون به
وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم كما يدعون او وما اولئك بالكاملين
في الايمان على سبيل التهكم بهم فان قلت فيها حكم الله ما موضعه
من الاعراب قلت اما ان ينتصب حالا من التورية وهي
مبتدأ خبره عندهم واما ان يرتفع خبرا عنها كقولك وعندهم
التورية ناطقة بحكم الله واما ان لا يكون له محل وتكون جملة
مبينة لان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم كما تقول عندك زيد
ينصحك ويشير عليك بالصواب فما تصنع بغيره فان قلت
لم انثت التورية قلت لكونها نظيرة لموماة ودوداة
ونحوهما في كلام العرب فان قلت علام عطف ثم يتولون
قلت على يحكمونك فيها هدى يهدي للحق والعدل ونور
يبين

وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين

انا انزلنا التورية فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء

ما استبهم من الاحكام الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين
على سبيل المدح كالصفات الجارية على القديم سبحانه لا
للتفصلة والتوضيح واريد باجرائها التعريض باليهود وانهم
بعداء من ملة الاسلام التي هي دين الانبياء كلهم في القديم
والحديث وان اليهودية بمعزل منها وقوله الذين اسلموا
للذين هادوا يناد على ذلك والربانيون والاحبار
والزهاد والعلماء من ولد هارون الذين التزموا طريقة
النبيين وجانبوا دين اليهود بما استحفظوا من كتاب الله
بما سألهم انبياؤهم حفظه من التورية اي بسبب سؤال انبيائهم
اياهم ان يحفظوه من التغيير والتبديل ومن في من كتاب الله
للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لئلا يبدل والمعنى
يحكم باحكام التورية النبيون بين موسى وعيسى وكان بينهما
الف نبي وعيسى للذين هادوا يحملونهم على احكام التورية
لا يتركونهم ان يعدلوا عنها كما فعل رسول الله من حملهم على حكم
الرجم وارغام انوفهم وابائه عليهم ما اشتهوه من الجلد وكذلك
حكم الربانيون والاحبار المسلمون بسبب ما استحفظهم انبياؤهم
من كتاب الله والقضاء باحكامه وبسبب كونهم عليه شهداء
ويجوز ان يكون الضمير في استحفظوا للانبياء والربانيين
والاحبار جميعا ويكون الاستحفاظ من الله اي كلفهم الله
حفظه وان يكونوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس نهي للحكام
عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وادهانهم فيها وامضائها
على خلاف ما امروا به من العدل لخشية سلطان ظالم
او خيفة اذية احد من القرباء والاصدقاء ولا تشتروا

فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا

ولا تستبدلوا ولا تستعيضوا بآيات الله وأحكامه ثمناً قليلاً
وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضى الناس كما حرّف أحبار
اليهود كتاب الله وغيّروا أحكامه رغبة في الدنيا وطلباً للرياسة
فهلكوا ومن لم يحكم بما أنزل الله مستهيناً به فأولئك هم الكافرون
والظالمون والفاسقون وصف لهم بالعتوّ في كفرهم حين
ظلموا آيات الله بالاستهانة وتمرّدوا بأن حكموا بغيرها
وعن ابن عباس أن الكافرين والظالمين والفاسقين
أهل الكتاب وعنه نعم القوم أنتم ما كان من حلو فلكم وما كان
من مرّ فهو لأهل الكتاب من جحد حكم الله كفر ومن لم يحكم
به وهو مقرّ فهو ظالم فاسق وعن الشعبي هذه في أهل الإسلام
والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وعن ابن
مسعود هو عام في اليهود وغيرهم وعن حذيفة أنتم أشبه
الأمم سمتاً ببني إسرائيل لتركبنّ طريقهم حذو النعل بالنعل
والقذّة بالقذّة غير أني لا أدري أتعبدون العجل أم لا
في مصحف أبيّ وأنزل الله على بني إسرائيل فيها وفيه وأن
الجروح قصاص والمعطوفات كلها قرئت منصوبة ومرفوعة
والرفع للعطف على محل أن النفس لأن المعنى وكتبنا عليهم
النفس بالنفس إما لإجراء كتبنا مجرى قلنا وإما لأن
معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب
كما تقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة
أنزلناها ولذلك قال الزجاج لو قرئ إن النفس بالكسر لكان
صحيحاً أو للاستئناف والمعنى فرضنا عليهم فيها أن النفس
مأخوذة بالنفس مقتولة بها إذا قتلتها بغير حق وكذلك
العين

مفقوءة بالعين والأنف مجدوع بالأنف والأذن مصلومة بالأذن
والسن مقلوعة بالسن والجروح قصاص أي ذات قصاص
وهو المقاصّة ومعناه ما يمكن فيه القصاص ويعرف المساواة
وعن ابن عباس كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت فمن
تصدّق من أصحاب الحق بالقصاص وعفا عنه فهو كفارة
له فالتصدّق به كفارة للمتصدّق يكفّر الله من سيئاته ما تقتضيه
الموازنة كسائر طاعاته وعن عبد الله بن عمرو يهدم عنه
ذنوبه بقدر ما تصدّق به وقيل فهو كفارة للجاني إذا
تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وفي قراءة أبيّ
فهو كفارته له يعني فالمتصدّق كفارته له أي الكفارة التي
يستحقها له لا ينقص منها وهو تعظيم لما فعل كقوله فأجره
على الله وترغيب في العفو قفّيته مثل عقّبته إذا اتبعته
ثم يقال قفّيته بفلان وعقّبته به فتعدّيه إلى الثاني
بزيادة الباء فإن قلت فأين المفعول الأول في الآية
قلت هو محذوف والظرف الذي هو على آثارهم كالسادّ
مسدّه لأنه إذا قفّى به على أثره فقد قفّى به إياه والضمير
في آثارهم للنبيين في قوله يحكم بها النبيون الذين أسلموا
وقرأ الحسن الأنجيل بفتح الهمزة فإن صحّ عنه فلأنه أعجمي
خرج بعجمته عن زنات العربية كما خرج هابيل وآجر
ومصدّقاً عطف على محل فيه هدى ومحله النصب على الحال
وهدى وموعظة يجوز أن ينتصبا على الحال كقوله مصدّقاً
وأن ينتصبا مفعولاً لهما لقوله وليحكم كأنه قيل وللهدى والموعظة
آتيناه الإنجيل فإن قلت فإن نظمت هدى وموعظة في
سلك مصدّقاً

ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص

فمن تصدّق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون

وقفّينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدّقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين

وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه

فما تصنع بقوله وليحكم قلت اصنع به ما صنعت بهدى وموعظة حين جعلتهما
مفعولا لهما فاقدر وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله آتيناه اياه
وقرئ وليحكم على لفظ الامر بمعنى وقلنا ليحكم وروي في قراءة ابي
وان ليحكم بزيادة ان مع الامر على ان ان موصولة بالامر كقولك
امرته بان قم كانه قيل وآتيناه الانجيل وامرنا بان يحكم اهل الانجيل
وقيل ان عيسى صلوات الله عليه كان متعبدا بما في التوراة من الاحكام
لان الانجيل مواعظ وزواجر والاحكام فيه قليلة وظاهر قوله وليحكم
اهل الانجيل بما انزل الله فيه يرد ذلك وكذلك قوله لكل
جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وان ساغ لقائل ان يقول معناه وليحكموا
بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التوراة فان قلت اي فرق
بين التعريفين في قوله وانزلنا اليك الكتاب وقوله لما بين يديه
من الكتاب قلت الاول تعريف العهد لانه عنى به القرآن
والثاني تعريف الجنس لانه عنى به جنس الكتب المنزلة ويجوز ان يقال
هو للعهد لانه لم يرد به ما يقع عليه اسم الكتاب على الاطلاق وانما
اريد نوع معلوم منه وهو ما انزل من السماء سوى القرآن ومهيمنا
ورقيبا على سائر الكتب لانه يشهد لها بالصحة والثبات وقرئ
ومهيمنا عليه بفتح الميم اي هو من عليه بان حفظ من التغيير والتبديل
كما قال لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي هيمن عليه
الله عز وجل او الحفاظ في كل بلد لو حرف حرف منه او حركة او
سكون لتنبه عليه كل احد ولاشمازوا رادين ومنكرين ضمن
ولا تتبع معنى ولا تنحرف فلذلك عدي بعن كانه قيل ولا تنحرف
عما جاءك من الحق متبعا اهواءهم لكل جعلنا منكم ايها الناس
شرعة شريعة وقرا يحيى بن وثاب بفتح الشين ومنهاجا
وطريقا واضحا في الدين

وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق

العمل

لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون

يجرون عليه وقيل هذا دليل على انا غير متعبدين بشرائع من قبلنا
لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على شريعة واحدة او ذوي
امة واحدة اي دين واحد لا اختلاف فيه ولكن اراد ليبلوكم
فيما آتاكم من الشرائع المختلفة هل تعملون بها مذعنين
معتقدين انها مصالح قد اختلفت على حسب الاحوال والاوقات
معترفين بان الله لم يقصد باختلافها الا ما اقتضته الحكمة ام
تتبعون الشبه وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها
وتسابقوا نحوها الى الله مرجعكم استيناف في معنى التعليل لاستباق
الخيرات فينبئكم فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين
محقكم ومبطلكم وعاملكم ومفرطكم في العمل فان قلت وان احكم بينهم
معطوف على ماذا قلت على الكتاب في قوله وانزلنا اليك الكتاب
كانه قيل وانزلنا اليك ان احكم على ان ان وصلت بالامر لانه
فعل كسائر الافعال ويجوز ان يكون معطوفا على بالحق اي انزلناه
بالحق وبان احكم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك ان
يضلوك عنه ويستزلوك وذلك ان كعب بن اسيد وعبد الله بن
صوريا وشاس بن قيس من احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا
الى محمد نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار
اليهود وانا ان اتبعناك اتبعتنا اليهود كلهم ولم يخالفونا
وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن
نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فان تولوا
عن الحكم بما انزل الله اليك وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم
ببعض ذنوبهم يعني بذنب التولي عن حكم الله وارادة خلافه فوضع
ببعض ذنوبهم موضع ذلك واراد ان لهم ذنوبا كثيرة جمة العدد

التعبد لا يطلق في حق الله تعالى عندنا لانه عبارة عن الارادة الحادثة وعند المعتزلة الصفات حادثة فاستعمل على مذهبه

اي للطلب

فصار ذكر المصدر في معنى عطفه على الكتاب في قوله وانزلنا اليك الكتاب

وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون

جمة كثيرة العدد

التولي
لتعظيم

وان هذا الذنب مع عظمه بعضهما وواحد منهما وهذا الابهام
واستبشر افهم في ارتكابه وكوا البعض في هذا الكلام ما في
قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها اراد نفسه وانما
قصد تفخيم شانها ... لهذا الابهام كانه قال نفسا كبيرة
ونفسا اي نفس فكما ان التنكير يعطي معنى التكبير وهو في معنى
البعضية فكذلك اذا صرح بالبعض لفاسقون لمتمردون
في الكفر معتدون فيه يعني ان التولي عن حكم الله من التمرد
العظيم والاعتداء في الكفر افحكم الجاهلية يبغون فيه وجهان
احدهما ان قريظة والنضير طلبوا اليه ان يحكم بما كان يحكم
به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وروى ان رسول
الله صلى الله عليه قال لهم القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا
نرضى بذلك فنزلت والثاني ان يكون تعييرا لليهود بانهم اهل
كتاب وعلم وهم يبغون حكم الملة الجاهلية التي هي هوى وجهل
لا تصدر عن كتاب ولا ترجع الى وحي من الله وعن الحسن
هو عام في كل من يبتغي غير حكم الله والحكم حكمان حكم بعلم فهو حكم
الله وحكم بجهل فهو حكم الشيطان وسئل طاوس عن
الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرا هذه الآية وقرئ تبغون
بالتاء والياء وقرا السلمي افحكم الجاهلية يبغون برفع الحكم
على الابتداء وايقاع يبغون خبرا واسقاط الراجع عنه كاسقاطه
عن الصلة في اهذا الذي بعث الله رسولا وعن الصفة
في الناس رجلان رجل اهنت ورجل اكرمت وعن الحال
في مررت بهند يضرب زيد وقرا قتادة افحكم الجاهلية على
ان هذا الحكم الذي يبغونه انما يحكم به افعى نجران او مطربه من
حكام الجاهلية

بينهم
فارادوا بسفههم ان يكون محمد خاتم النبيين حكما كاولئك الحكام
اللام في قوله لقوم يوقنون للبيان كاللام في هيت لك
اي هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم
الذين يتيقنون ان لا اعدل من الله ولا احسن حكما
منه لا تتخذوهم اولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتواخونهم
وتصافونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهي بقوله
بعضهم اولياء بعض اي انما يوالي بعضهم بعضا لاتحاد ملتهم
واجتماعهم في الكفر فما لمن دينه خلاف دينهم ولموالاتهم ومن
يتولهم منكم فانه من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله
وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين واعتزاله كما قال
رسول الله صلى الله عليه لا تتراءى ناراهما ومنه قول عمر
رضي الله عنه لابي موسى في كاتبه النصراني لا تكرموهم اذ
اهانهم الله ولا تامنوهم اذ خونهم الله ولا تدنوهم اذ اقصاهم
الله وروي انه قال له ابو موسى لا قوام للبصرة الا به
فقال مات النصراني والسلام يعني هب انه مات فما
كنت تكون صانعا حينئذ فاصنعه الساعة واستغن
عنه بغيره ان الله لا يهدي القوم الظالمين يعني الذين
ظلموا انفسهم بموالاة الكفر يمنعهم الله الطافه ويخذلهم
مقتا لهم يسارعون فيهم ينكمشون في موالاتهم ويرغبون
فيها ويعتذرون بانهم لا يامنون ان تصيبهم دائرة من
دوائر الزمان اي صرف من صروفه ودولة من دوله فيحتاجون
اليهم والى معونتهم وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه انه قال
لرسول الله ان لي موالي من يهود كثيرا عددهم واني ابرا الى الله
والى رسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن ابي
اني رجل اخاف الدوائر لا ابرا من ولاية موالي فنزلت فعسى الله
ان ياتي بالفتح

في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون

لرسول الله على اعدائه واظهار المسلمين او امر من عنده يقطع
شأفة اليهود
ويجليهم عن بلادهم فيصبح المنافقون نادمين على ما حدثوا به
انفسهم وذلك انهم كانوا يشكون في امر رسول الله صلى الله عليه
ويقولون ما نظن ان يتم له امر وبالحري ان يكون الدولة
والغلبة لهؤلاء وقيل او امر من عنده او ان يؤمر النبي صلى الله عليه
باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيندموا على نفاقهم وقيل او
امر من عند الله لا يكون فيه للناس فعل كبني النضير الذين طرح
الله في قلوبهم الرعب فاعطوا بايديهم من غير ان يوجف عليهم
بخيل ولا ركاب ويقول الذين آمنوا قرئ بالنصب عطفا على
ان ياتي وبالرفع على انه كلام مبتدأ اي ويقول الذين آمنوا في
ذلك الوقت وقرئ يقول بغير واو وهو في مصاحف مكة والمدينة
والشام كذلك على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ
فقيل يقول الذين آمنوا اهؤلاء الذين اقسموا فان قلت لمن
يقولون هذا القول قلت اما ان يقوله بعضهم لبعض تعجبا من
حالهم واغتباطا بما منّ الله عليهم من التوفيق في الاخلاص اهؤلاء
الذين اقسموا لكم باغلاظ الايمان انهم اولياؤكم ومعاضدوكم
على الكفار واما ان يقولوه لليهود لانهم حلفوا لهم بالمعاضدة
والنصرة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم حبطت اعمالهم من
جملة قول المؤمنين اي بطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي
اعين الناس وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم
او من قول الله عز وجل شهادة لهم بحبوط الاعمال وتعجبا من سوء
حالهم قرئ من يرتد ومن يرتدد وهو في الامام بدالين وهو من
الكائنات التي اخبر عنها في القرآن قبل كونها وقيل كان
اهل الردة

اغتبطه فرح ... المغتبط

... المنافقين حلفوا لليهود بالمعاضدة

احدى عشرة فرقة ثلاث في عهد رسول الله صلى الله عليه بنو مدلج
ورئيسهم ذو الحمار وهو الاسود العنسي وكان كاهنا تنبأ
باليمن واستولى على بلاده واخرج عمال رسول الله فكتب
رسول الله الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله
على يدي فيروز الديلمي بيّته فقتله واخبر رسول الله بقتله
ليلة قتل فسر المسلمون وقبض رسول الله من الغد واتى
خبره في آخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبأ وكتب
الى رسول الله صلى الله عليه من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول
الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب من
محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله
يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضي الله
بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة وكان
يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام اراد
في جاهليتي واسلامي وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ
فبعث اليه رسول الله خالدا فانهزم بعد القتال الى الشام
ثم اسلم وحسن اسلامه وسبع في عهد ابي بكر رضي الله عنه
فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة
القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم
مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة
التي زوجت نفسها مسيلمة الكذاب وفيها يقول ابو العلاء المعري
في كتاب استغفر واستغفري امت سجاح ووالاها مسيلمة
كذابة في بني الدنيا وكذاب وكندة قوم الاشعث بن قيس
وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله امرهم على يدي
ابي بكر رضي الله عنه

ادعى النبوة

نصرته

وفرقة واحدة في عهد عمر رضي الله عنه غسان قوم جبلة بن الأيهم
اللطمة وسيرته الى بلاد الروم بعد اسلامه فسوف يأتي الله
بقوم قيل لما نزلت اشار رسول الله صلى الله عليه الى ابي موسى
الأشعري فقال قوم هذا وقيل هم ألفان من النخع وخمسة آلاف
من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من أفناء الناس جاهدوا يوم
القادسية وقيل هم الأنصار وقيل سئل رسول الله صلى الله عليه
عنهم فضرب على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو
كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس يحبهم
ويحبونه محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وان
لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه ومحبة الله لعباده ان
يثيبهم احسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثني عليهم ويرضى
عنهم واما ما يعتقده اجهل الناس واعداهم للعلم واهله
وامقتهم للشرع واسوأهم طريقة وان كانت طريقتهم عند امثالهم
من الجهلة والسفهاء شيئا وهم الفرقة المتفعلة المتفعلة من
الصوف وما يدينون به من المحبة والعشق والتغني على كراسيهم
خربها الله وفي مراقصهم عطلها الله بأبيات الغزل المقولة
في المردان الذين يسمونهم شهداء وصعقاتهم التي اين عنها جمع شاهد
صعقة موسى عند دك الطور فتعالى الله عنه علوا كبيرا ومن
كلماتهم كما انه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فان الهاء راجعة
الى الذات دون النعوت والصفات ومنها الحب شرطه
ان تلحقه سكرات المحبة فاذا لم يكن ذلك لم يكن فيه حقيقة فان قلت
اين الراجع من الجزاء الى الاسم المتضمن لمعنى الشرط قلت هو
محذوف معناه فسوف يأتي الله بقوم مكانهم او بقوم غيرهم

او ما اشبه ذلك اذلة جمع ذليل واما ذلول فجمعه ذلل
ومن زعم انه من الذل الذي هو نقيض الصعوبة فقد غبي
عنه ان ذلولا لا يجمع على اذلة فان قلت هلا قيل اذلة للمؤمنين
اعزة على الكافرين قلت فيه وجهان احدهما ان يضمن الذل
معنى الحنو والعطف كأنه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل
والتواضع والثاني انهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين
خافضون لهم اجنحتهم ونحوه قوله عز وعلا اشداء على الكفار رحماء
بينهم وقرئ اذلة واعزة بالنصب على الحال ولا يخافون لومة
لائم يحتمل ان تكون الواو للحال على انهم يجاهدون وحالهم في
المجاهدة خلاف حال المنافقين فانهم كانوا موالين لليهود
لعنهم فاذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا اولياءهم اليهود
فلا يعملون شيئا مما يعلمون انه يلحقهم فيه لوم من جهتهم واما
المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله لا يخافون لومة لائم
قط وان تكون للعطف على ان من صفتهم المجاهدة في سبيل الله
صلاب وانهم صلاب في دينهم اذا شرعوا في امر من امور الدين انكار
منكر او امر بمعروف مضوا فيه كالمسامير المحماة لا يرعبهم
قول قائل ولا اعتراض معترض ولا لومة لائم يشق عليه جدهم
في انكارهم وصلابتهم في امورهم واللومة المرة من اللوم وفيها
وفي التنكير مبالغتان كأنه قيل لا يخافون شيئا قط من لوم
احد من اللوام وذلك اشارة الى ما وصف به القوم من
المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة يؤتيه
يوفق له من يشاء ممن يعلم ان له لطفا واسع كثير الفواضل
والالطاف عليم بمن هو من اهلها عقب النهي عن موالاة من
تجب معاداتهم

ذكر من تجب موالاتهم بقوله انما وليكم الله ورسوله والذين [آمنوا]
ومعنى انما وجوب اختصاصهم بالموالاة فان قلت قد ذكرت
جماعة فهلا قيل انما اولياؤكم قلت اصل الكلام انما وليكم
الله فجعلت الولاية لله على طريق الاصالة ثم نظم في سلك اثباتها
له اثباتها لرسول الله والمؤمنين على سبيل التبع ولو قيل
انما اولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن في الكلام
اصل وتبع وفي قراءة عبد الله انما مولاكم الله فان قلت الذين
يقيمون ما محله قلت الرفع على البدل من الذين آمنوا او
على هم الذين يقيمون او النصب على المدح وفيه تمييز للخلص
من الذين آمنوا نفاقا او واطأت قلوبهم السنتهم الا انهم
مفرطون في العمل وهم راكعون الواو فيه للحال اي يعملون
ذلك في حال الركوع وهو الخشوع والاخبات والتواضع
لله اذا صلوا واذا زكوا وقيل هو حال من يؤتون الزكاة بمعنى
يؤتونها في حال ركوعهم في الصلاة وانها نزلت في علي كرم الله [وجهه]
حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه كانه
كان مرجا في خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلاته
فان قلت كيف صح ان يكون لعلي رضي الله عنه واللفظ لفظ جماعة
قلت جيء به على لفظ الجمع وان كان السبب فيه رجلا واحدا
ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه ولينبه على
ان سجية المؤمنين يجب ان تكون على هذه الغاية من
الحرص على البر والاحسان وتفقد الفقراء حتى ان لزهم
امر لا يقبل التأخير وهم في الصلاة لم يؤخروه الى الفراغ منها فان
حزب الله من اقامة الظاهر مقام المضمر ومعناه فانهم هم الغالبون

ولكنهم بذلك جعلوا اعلاما لكونهم حزب الله واصل الحزب القوم يجتمعون
لامر حزبهم ويحتمل ان يريد بحزب الله الرسول والمؤمنين
ويكون المعنى ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا
يغالب روي ان رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث قد اظهرا الاسلام
ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت يعني ان اتخاذهم
دينكم هزوا ولعبا لا يصح ان يقابل باتخاذكم اياهم اولياء بل
يقابل ذلك بالبغضاء والشنآن والمنابذة وفصل المستهزئين
باهل الكتاب والكفار وان كان اهل الكتاب من الكفار
اطلاقا للكفار على المشركين خاصة والدليل عليه قراءة عبد
الله ومن الذين اشركوا وقرئ والكفار بالنصب والجر
وتعضد قراءة الجر قراءة ابي ومن الكفار واتقوا الله في
موالاة الكفار وغيرهم ان كنتم مؤمنين حقا لان الايمان حقا
يأبى موالاة اعداء الدين اتخذوها الضمير للصلاة او
للمناداة قيل كان رجل من النصارى بالمدينة اذا سمع
المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال حرق الكاذب
فدخلت خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم فتطايرت منها
شرارة في البيت فاحترق البيت واحترق هو واهله وقيل
فيه دليل على ثبوت الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده
لا يعقلون لان لعبهم وهزؤهم من افعال السفهاء والجهلة
فكأنه لا عقل لهم قرأ الحسن هل تنقمون بفتح القاف والفصيح
كسرها والمعنى هل تعيبون منا وتنكرون الا الايمان
بالكتب المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون فان قلت علام
عطف وان اكثركم فاسقون قلت فيه وجوه منها ان
يعطف

واذا ناديتم

على آمنا بمعنى وما تنقمون منا الا الجمع بين ايماننا وبين تمردكم
كأنه قيل وما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا في دين
الإسلام وانتم خارجون منه ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف
اى واعتقاد انكم فاسقون ومنها ان يعطف على المجرور اى
وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم فاسقون
ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف الواو بمعنى مع اى وما
تنقمون منا الا الايمان مع انكم فاسقون ويجوز ان يكون تعليلا
معطوفا على تعليل محذوف كأنه قيل وما تنقمون منا الا الايمان
لقلة انصافكم وفسقكم واتباعكم الشهوات ويدل عليه تفسير
الحسن بفسقكم نقمتم ذلك علينا وروي انه اتى رسول الله صلى الله عليه
نفر من اليهود فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال
اومن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فلما[حين]
سمعوا ذكر عيسى ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والآخرة منكم
ولا دينا شرا من دينكم فنزلت وعن نعيم بن ميسرة وإن اكثركم
بالكسر ويحتمل ان ينتصب وان اكثركم بفعل محذوف يدل عليه
هل تنقمون اى ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او يرتفع على
الابتداء والخبر محذوف اى وفسقكم ثابت معلوم عندكم لانكم
علمتم انا على الحق وانكم على الباطل الا ان حب الرياسة وكسب
الاموال لا يدعكم فتنصفوا ذلك اشارة الى المنقوم ولا بد
من حذف مضاف قبله او قبل من تقديره بشر من اهل ذلك
او دين من لعنه الله ومن لعنه الله في محل الرفع على قولك هو
من لعنه الله كقوله قل افانبئكم بشر من ذلكم النار او في محل الجر
على البدل من بشر وقرئ مثوبة ومثالها مشورة ومشورة

[هامش: عن الايمان وخروجكم]

[هامش: لا تنقمون من ايمانهم ونحن له مسلمون]

[هامش بالأحمر: قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل]

فان قلت المثوبة مختصة بالاحسان فكيف جاءت في الاساءة
قلت وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله تحية بينهم ضرب
وجيع ومنه فبشرهم بعذاب فان قلت المعاقبون من الفريقين
هم اليهود فلم شورك بينهم في العقوبة قلت كان اليهود لعنوا
يزعمون ان المسلمين ضالون مستوجبون للعقاب فقيل لهم
من لعنه الله شر عقوبة في الحقيقة واليقين من اهل الاسلام
في زعمكم ودعواكم وعبد الطاغوت عطف على صلة من كأنه
قيل ومن عبد الطاغوت وفي قراءة أبي وعبدوا الطاغوت
على المعنى وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه ومن عبدوا وقرئ
وعابد الطاغوت عطفا على القردة وعابدي وعباد وعبد
وعبد ومعناه الغلو في العبودية كقولهم رجل حذر وفطن
للبليغ في الحذر والفطنة قال أبني لبينى إن أمكم أمة
وإن أباكم عبد وعبد بوزن حطم وعبيد وعبد بضمتين
جمع عبيد وعبدة بوزن كفرة وعبد واصله عبدة فحذفت التاء
للاضافة او هو كخدم في جمع خادم وعبد وعباد واعبد
وعبد الطاغوت على البناء للمفعول وحذف الراجع بمعنى
وعبد الطاغوت فيهم او بينهم وعبد الطاغوت بمعنى صار الطاغوت
معبودا من دون الله كقولك امر اذا صار اميرا وعبد الطاغوت
بالجر عطفا على من لعنه الله فان قلت كيف جاز ان يجعل
الله منهم عباد الطاغوت قلت فيه وجهان احدهما انه
خذلهم حتى عبدوها والثاني انه حكم عليهم بذلك ووصفهم به
كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وقيل
الطاغوت العجل لانه معبود من دون الله ولان عبادتهم للعجل

[هامش: وابني ولبيني من اسماء النساء ... يصغر لبنى وهو الحبل]

[هامش: رجل حطم وحطمة ايضا اذا كان قليل الرحمة للماشية يهشم بعضها ببعض]

[هامش: وحاصل القول الثاني ... حكم ووصف ... دعوى ... الاصل ... النظر]

الطاغوت

مما زيّنه لهم الشيطان فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان ومن
وعن ابن عباس رضي الله عنه الطاغوت الكهنة وكل من اطاع
احدًا في معصية الله فقد عبده وقرا الحسن الطواغيت
وقيل جعل منهم القردة اصحاب السبت والخنازير كفار
اهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين من اصحاب السبت
فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وروي
انها لما نزلت كان المسلمون يعيّرون اليهود ويقولون
يا اخوة القردة والخنازير فينكسون رؤسهم اولئك الملعونون
الممسوخون شر مكانا جعلت الشرارة للمكان وهي لاهله
وفيه مبالغة ليست في قولك اولئك شر واضل لدخوله في
باب الكناية التي هي اخت المجاز نزلت في ناس من اليهود
كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه يظهرون له الايمان
نفاقًا فاخبره الله بشانهم وانهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا
لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا به من تذكيرك بآيات الله ومواعظك
وقوله بالكفر وبه حالان اي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين
وتقديره ملتبسين بالكفر وكذلك قوله وقد دخلوا وهم قد خرجوا
ولذلك دخلت قد تقريبًا للماضي من الحال ولمعنى آخر وهو
ان امارات النفاق كانت لائحة عليهم وكان رسول الله
متوقعًا لاظهار الله ما كتموه فدخل حرف التوقع وهو متعلق
بقوله قالوا آمنا اي قالوا ذلك وهذه حالهم الاثم الكذب
بدليل قوله عن قولهم الاثم والعدوان الظلم وقيل الاثم
كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل الاثم ما يختص
بهم والعدوان ما يتعداهم الى غيرهم والمسارعة في الشي

علماء اليهود

الشروع فيه بسرعة لبئس ما كانوا يصنعون كانهم جعلوا آثم
من مرتكبي المناكير لان كل عامل لا يسمى صانعا ولا كل عمل
يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب اليه وكان
المعنى في ذلك ان مواقع المعصية معه الشهوة التي تدعوه
اليها وتحمله على ارتكابها واما الذي ينهاه فلا شهوة معه
في فعل غيره فاذا فرط في الانكار كان اشد حالا من المواقع ولعمري
ان هذه الآية مما يقذ السامع وينعى على العلماء توانيهم وعن
ابن عباس رضي الله عنه هي اشد آية في القرآن وعن الضحاك
ما في القرآن آية اخوف عندي منها غل اليد وبسطها مجاز
عن البخل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك
ولا تبسطها كل البسط ولا يقصد من يتكلم به اثبات يد
ولا غل ولا بسط ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين
ما وقع مجازًا عنه كانهما كلامان معتقبان على حقيقة واحدة
حتى انه يستعمله في ملك لا يعطي عطاء قط ولا يمنعه الا
باشارته من غير استعمال يد وبسطها وقبضها ولو اعطى الاقطع
الى المنكب عطاء جزلًا لقالوا ما ابسط يده بالنوال لان بسط اليد وقبضها
عبارتان وقعتا متعاقبتين للبخل والجود وقد استعملوهما
حيث لا تصح اليد كقوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه
ووهاده ولقد جعل لبيد للشمال يدًا في قوله اذ اصبحت
بيد الشمال زمامها ويقال بسط الياس كفيه في صدري
فجعلت للياس الذي هو من المعاني لا من الاعيان
كفان ومن لم ينظر في علم البيان عمي عن تبصر محجة
الصواب في تاويل امثال هذه الآية ولم يتخلص من يد الطاعن
اذا عبثت به

فان قلت قد صح ان قوله يد الله مغلولة عبارة عن البخل فما تصنع
بقوله غلت ايديهم ومن حقه ان يطابق ما تقدمه والا تنافر الكلام
وزل عن سننه قلت يجوز ان يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل
والنكد ومن ثم كانوا ابخل خلق الله وانكدهم ونحوه بيت الاشتر
بقيت وفري وانحرفت عن العلى ويجوز ان يكون دعاء عليهم بغل
الايدي حقيقة يغللون في الدنيا اسارى وفي الآخرة معذبين
باغلال جهنم والطباق من حيث اللفظ وملاحظة اصل المجاز
كما تقول سبني سب الله دابره اي قطعه لان السب اصله القطع
فان قلت كيف جاز ان يدعو الله عليهم بما هو قبيح وهو البخل والنكد
قلت المراد به الدعاء بالخذلان الذي تقسو به قلوبهم فيزيدون
بخلا الى بخلهم ونكدا الى نكدهم او بما هو مسبب عن البخل والنكد
من لصوق العار بهم وسوء الاحدوثة التي تخزيهم وتمزق
اعراضهم فان قلت لم ثنيت اليد في بل يداه مبسوطتان
وهي مفردة في يد الله مغلولة قلت ليكون رد قولهم وانكاره
ابلغ وادل على اثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه وذلك
ان غاية ما يبذله السخي بماله من نفسه ان يعطيه بيديه جميعا
فبنى المجاز على ذلك وقرئ ولعنوا بسكون العين وفي مصحف
عبد الله بل يداه بسطان يقال يده بسط بالمعروف ونحوه
مشية سجح وناقة سرح ينفق كيف يشاء تاكيد للوصف بالسخاء
ودلالة على انه لا ينفق الا على مقتضى الحكمة والمصلحة روي
ان الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر
الناس مالا فلما عصوا الله في محمد صلى الله عليه وكذبوه كف
الله تعالى ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص بن
عازورا

الوفر المال الكثير
نكد قل خيره نكدا
ولقيت اضيافي بوجه عبوس
لو لم اشن على ابن هند غارة
لم تخل يوما من نهاب نفوس
هذا كناية عن الامساك عندهم
الاحدوثة ما يتحدث به

[illegible]

يد الله مغلولة ورضي بقوله الآخرون فاشركوا فيه وليزيدن
اي يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تماديا في الجحود
وكفرا بآيات الله والقينا بينهم العداوة فكلمهم ابدا مختلف
وقلوبهم شتى لا يقع اتفاق بينهم ولا تعاضد كلما اوقدوا نارا
كلما ارادوا محاربة احد غلبوا وقهروا لم يقم لهم نصر من الله على
احد قط وقد اتاهم الاسلام وهم في ملك المجوس وقيل خالفوا
حكم التوراة فبعث الله عليهم بختنصر ثم افسدوا فسلط
عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وقيل
كلما حاربوا رسول الله نصر عليهم وعن قتادة لا تلقى اليهود
ببلدة الا وجدتهم من اذل الناس ويسعون ويجتهدون
في الكيد للاسلام ومحو ذكر رسول الله من كتبهم ولو ان اهل
الكتاب مع ما عددنا من سيئاتهم آمنوا برسول الله وبما جاء
به وقرنوا ايمانهم بالتقوى التي هي الشريطة في الفوز بالايمان
لكفرنا عنهم تلك السيئات ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم
مع المسلمين الجنة وفيه اعلام بعظم معاصي اليهود والنصارى
وكثرة سيئاتهم ودلالة على سعة رحمة الله وفتحه باب التوبة
على كل عاص وان عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيئات
اليهود والنصارى وان الايمان لا ينجي ولا يسعد الا مشفوعا
بالتقوى كما قال الحسن هذا العمود فاين الاطناب ولو انهم اقاموا
التوراة والانجيل اقاموا احكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت
رسول الله وما انزل اليهم من سائر كتب الله لانهم مكلفون
الايمان بجميعها فكانها انزلت اليهم وقيل هو القرآن
لوسع الله عليهم الرزق وكانوا قد قحطوا وقوله لاكلوا من فوقهم
ومن تحت ارجلهم

اروعهم محمومون في ملك المجوس
فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا
ولو ان اهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم منهم امة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون
قوا
ايد الايمان عمود

عبارة عن التوسعة وفيه ثلاثة اوجه ان يفيض عليهم بركات السماء
وبركات الارض وان يكثر الاشجار المثمرة والزروع المغلة وان
يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنون ما تهدل منها من رؤس
الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض من تحت ارجلهم منهم
امة مقتصدة طائفة حالها امم في عداوة رسول الله وقيل
هي الطائفة المؤمنة عبد الله بن سلام واصحابه وثمانية واربعون
من النصارى وساء ما يعملون فيه معنى التعجب كانه قيل
وكثير منهم ما اسوء عملهم وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه
والروم بلغ ما انزل اليك جميع ما انزل اليك واي شيء انزل
اليك غير مراقب في تبليغه احدا ولا خائف ان ينالك
مكروه وان لم تفعل وان لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت
رسالته وقرئ رسالاته فلم تبلغ اذا ما كلفت من اداء الرسالات
ولم تؤد منها شيئا قط وذلك ان بعضها ليس باولى بالاداء من
بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك اغفلت اداءها جميعا
كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لادلاء
كل منها بما يدليه غيرها وكونها لذلك في حكم شيء واحد والشيء
الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به
وعن ابن عباس رضي الله عنه ان كتمت اية لم تبلغ رسالاتي
وروي عن رسول الله صلى الله عليه بعثني الله برسالاته فضقت
بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن
لي العصمة فقويت فان قلت وقوع قوله فما بلغت رسالته جزاء
للشرط ما وجه صحته قلت فيه وجهان احدهما انه اذا لم يمتثل
امر الله في تبليغ الرسالات وكتمها كلها كانه لم يبعث برسول

كان امرا شنيعا لا خفاء لشناعته فقيل ان لم تبلغ منها ادنى شيء
وان كلمة واحدة فانت كمن ركب الامر الشنيع الذي هو
كتمان كلها كما عظم قتل النفس بقوله فكانما قتل الناس
جميعا والثاني ان يراد فان لم تفعل فلك ما يوجبه كتمان
الوحي كله من العقاب فوضع السبب موضع المسبب ويعضده
قوله عليه السلام فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك
والله يعصمك عدة من الله بالحفظ والكلاءة والمعنى والله
يضمن لك العصمة من اعدائك فما عذرك في مراقبتهم فان قلت
اين ضمان العصمة وقد شج في وجهه يوم احد وكسرت رباعيته
قلت المراد انه يعصمه من القتل وفيه ان عليه ان يحتمل
كل ما دون النفس في ذات الله فما اشد تكليف الانبياء
عليهم السلام وقيل نزلت بعد يوم احد والناس الكفار
بدليل قوله ان الله لا يهدي القوم الكافرين ومعناه انه
لا يمكنهم مما يريدون انزاله بك من الهلاك وعن انس كان
رسول الله يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم
فقال انصرفوا يا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس
لستم على شيء اي على دين يعتد به حتى يسمى شيئا لفساده
وبطلانه كما تقول هذا ليس بشيء تريد تحقيره وتصغير شانه
وفي امثالهم اقل من لا شيء فلا تاس فلا تتاسف عليهم
لزيادة طغيانهم وكفرهم فان ضرر ذلك راجع اليهم لا اليك
وفي المؤمنين غنى عنهم والصابئون رفع على الابتداء وخبره
محذوف والنية به التاخير عما في حيز ان من اسمها وخبرها
كانه قيل ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا

يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين

قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم الكافرين ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون

والصابئون كذلك وانشد سيبويه شاهدا له وإلا فاعلموا أنّا
وأنتم بغاة ما بقينا في شقاق اي فاعلموا انا بغاة وانتم كذلك
فان قلت هلا زعمت ان ارتفاعه للعطف على محل ان
واسمها قلت لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر لا تقول
ان زيدا وعمرو منطلقان فان قلت لم لا يصح والنية به
التاخير وكانك قلت ان زيدا منطلق وعمرو قلت لاني اذا
رفعته رفعته عطفا على محل ان واسمها والعامل في محلهما
هو الابتداء فيجب ان يكون هو العامل في الخبر لان الابتداء
ينتظم الجزئين في عمله كما ينتظمهما ان في عملها فلو رفعت الصابئون
المنوي به التاخير بالابتداء وقد رفعت الخبر بان لاعملت
فيهما رافعين مختلفين فان قلت فقوله والصابئون معطوف
لا بد له من معطوف عليه فما هو قلت هو مع خبره المحذوف جملة
معطوفة على جملة قوله ان الذين آمنوا الى آخره ولا محل لها
كما لا محل للتي عطفت عليها فان قلت ما التقديم والتاخير
الا لفائدة فما فائدة هذا التقديم قلت فائدته التنبيه
على ان الصابئين يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل
الصالح فما الظن بغيرهم وذلك ان الصابئين ابين هولاء
المعدودين ضلالا واشدهم غيا وما سموا صابئين الا لانهم
صبؤا عن الاديان كلها اي خرجوا كما ان الشاعر قدم
قوله وانتم تنبيها على ان المخاطبين اوغل في الوصف بالبغاة
من قومه حيث عاجل به قبل الخبر الذي هو بغاة لئلا يدخل
قومه في البغي قبلهم مع كونهم اوغل فيه منهم واثبت قدما فان قلت
فلو قيل والصابئين واياكم لكان التقديم حاصلا قلت لو فعل
هكذا

فلا خوف خبر ان الذين فلو كان والصابئون عطفا على محل ان واسمها لكان فلا خوف عليهم خبره ايضا فلا خوف مرفوع بعامل لفظي والصابئون مرفوع بعامل معنوي فيكون عامل المبتدا خلاف عامل خبره وهذا لا يجوز

لم يكن من التقديم في شيء لانه لا ازالة فيه عن موضعه وانما يقال
مقدم وموخر للمزال لا للقار في مكانه ومجرى هذه الجملة
مجرى الاعتراض في الكلام فان قلت كيف قال الذين
آمنوا ثم قال من آمن قلت فيه وجهان ان يراد بالذين
آمنوا الذين آمنوا بالسنتهم وهم المنافقون وان يراد
بمن آمن من ثبت على الايمان واستقام ولم يخالجه ريبة فيه
فان قلت فما محل من آمن قلت اما الرفع على الابتداء
وخبره فلا خوف عليهم والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط
ثم الجملة كما هي خبر ان واما النصب على البدل من اسم
ان وما عطف عليه او من المعطوف عليه فان قلت فاين
الراجع الى اسم ان قلت محذوف تقديره من آمن منهم
كما جاء في موضع آخر وقرئ والصابيون بياء صريحة
وهو من تخفيف الهمزة كقراءة من قرا يستهزيون والصابون
وهو من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات
في دينهم ولم يتبعوا ادلة العقل والسمع وفي قراءة ابي
والصابئين بالنصب وبها قرا ابن كثير وقرا عبد الله
يا ايها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون لقد
اخذنا ميثاقهم بالتوحيد وارسلنا اليهم رسلا ليقفوهم
على ما ياتون وما يذرون في دينهم كلما جاءهم رسول جملة
شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف اي
رسول منهم بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم ويضاد
شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع فان قلت
اين جواب الشرط فان قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون ناب
عن الجواب

لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون

جواب الشرط وقيل الجواب محذوف دل عليه ... فريقا كذبوا

اي اكرمت اخاك قدّم معمول جواب الشرط عليه

لان الرسول الواحد لا يكون فريقين ولانه لا يحسن ان تقول
ان اكرمت اخي اخاك اكرمت قلت هو محذوف يدل عليه قوله
فريقا كذبوا وفريقا يقتلون كانه قيل كلما جاءهم رسول منهم
ناصبوه وقوله فريقا كذبوا جواب مستانف لقايل يقول
كيف فعلوا برسلهم فان قلت لم جيء باحد الفعلين ماضيا
وبالاخر مضارعا قلت جيء يقتلون على حكاية الحال الماضية
استفظاعا للقتل واستحضارا لتلك الحال الشنيعة للتعجيب
منها قرئ ان لا تكون بالنصب على الظاهر وبالرفع على ان
ان هي المخففة من المثقلة اصله انه لا تكون فتنة فخففت ان
وحذف ضمير الشان فان قلت كيف دخل فعل الحسبان
على ان التي هي للتحقيق قلت نزل حسبانهم لقوته في صدورهم
منزلة العلم فان قلت فاين مفعولا حسب قلت سد ما يشتمل
عليه صلة ان وان من المسند والمسند اليه مسد المفعولين
والمعنى وحسب بنو اسرائيل انهم لا يصيبهم من الله فتنة اي
بلاء وعذاب في الدنيا والاخرة فعموا عن الدين وصموا حين
عبدوا العجل ثم تابوا عن عبادة العجل فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا
كرة ثانية بطلبهم المحال غير المعقول في صفات الله وهو الرؤية
وقرئ عموا وصموا بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم اي رماهم وضربهم
بالعمى والصمم كما يقال نزكته اذا ضربته بالنيزك وركبته اذا
ضربته بركبتك كثير منهم بدل من الضمير او على قولهم اكلوني البراغيث
او هو خبر مبتدا محذوف اي اولئك كثير منهم لم يفرق عيسى صلوات الله عليه
بينه وبينهم في انه عبد مربوب كمثلهم وهو احتجاج على النصارى انه
من يشرك بالله في عبادته او فيما هو مختص به من صفاته او افعاله فقد

وحسبوا الا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار

حرم الله عليه الجنة التي هي دار الموحدين اي حرمه دخولها ومنعه منه
كما يمنع المحرم من المحرم عليه وما للظالمين من انصار من كلام الله
على انهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى فلذلك
لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ولا رده وانكره وان كانوا معظمين
له بذلك ورافعين من مقداره او من قول عيسى على معنى ولا ينصركم
احد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول
او ولا ينصركم ناصر في الاخرة من عذاب الله من في قوله وما من اله
الا اله واحد للاستغراق وهي المقدرة مع لا التي لنفي الجنس في قولك
لا اله الا الله والمعنى وما اله قط في الوجود الا اله موصوف بالوحدانية
لا ثاني له وهو الله وحده لا شريك له ومن في قوله ليمسن الذين
كفروا منهم للبيان كالتي في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان فان قلت
فهلا قيل ليمسنهم عذاب اليم قلت في اقامة الظاهر مقام المضمر
فايدة وهي تكرير الشهادة عليهم بالكفر في قوله لقد كفر الذين قالوا
وفي البيان فايدة اخرى وهي الاعلام في تفسير الذين كفروا
منهم انهم بمكان من الكفر والمعنى ليمسن الذين كفروا من النصارى
خاصة عذاب اليم اي نوع شديد الالم من العذاب كما تقول
اعطني عشرين من الثياب تريد من الثياب خاصة لا من غيرها
من الاجناس التي يجوز ان يتناولها عشرون ويجوز ان يكون للتبعيض
على معنى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لان كثيرا منهم تابوا من
النصرانية افلا يتوبون الا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم
بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب من اصرارهم
والله غفور رحيم يغفر لهولاء ان تابوا ولغيرهم قد خلت من قبله
الرسل صفة لرسول اي ما هو الا رسول من جنس الرسل الذين خلوا
من قبله

كلام هو

لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون

جاء بآيات من الله كما اتوا بامثالها ان ابرا الله الابرص
واحيى الموتى على يده فقد احيى العصا وجعلها حية تسعى وفلق
البحر وطمس على يد موسى وان خلقه من غير ذكر فقد خلق آدم من
غير ذكر ولا انثى وامه صديقة اي وما امه ايضا الا كبعض النساء
المصدقات للانبياء المؤمنات بهم فما منزلتهما الا منزلة بشرين
احدهما نبي والآخر صحابي فمن اين اشتبه عليكم امرهما حتى
وصفتموهما بما لم يوصف به سائر الانبياء وصحابتهم مع انه لا تمايز
ولا تفاوت بينهما وبينهم بوجه من الوجوه ثم صرح ببعدهما عما
نسب اليهما في قوله كانا ياكلان الطعام لان من احتاج الى
الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفض لم يكن الا جسما مركبا
من عظم ولحم وعروق واعصاب واخلاط وامزجة مع شهوة وقرم
وغير ذلك مما يدل على انه مصنوع مؤلف مدبر كغيره من الاجسام
كيف نبين لهم الآيات اي الاعلام من الادلة الظاهرة على بطلان
قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتامله فان قلت
ما معنى التراخي في قوله ثم انظر قلت معناه ما بين العجبين يعني
انه بين لهم الآيات بيانا عجبا وان اعراضهم عنها اعجب منه ما لا
يملك هو عيسى اي شيئا لا يستطيع ان يضركم بمثل ما يضركم به الله من
البلايا والمصائب في الانفس والاموال ولا ان ينفعكم بمثل ما ينفعكم
به من صحة الابدان والسعة والخصب ولان كل ما يستطيعه البشر
من المضار والمنافع فباقدار الله وتمكينه فكانه لا يملك منه شيئا وهذا
دليل قاطع على ان امره مناف للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرا
ولا نفعا وصفة الرب ان يكون قادرا على كل شيء لا يخرج
مقدور عن قدرته والله هو السميع العليم متعلق باتعبدون اي اتشركون
بالله

قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم

ولا تخشونه وهو الذي يسمع ما تقولون ويعلم ما تعتقدون او اتعبدون العاجز
والله هو السميع العليم الذي يصح منه ان يسمع كل مسموع ويعلم
كل معلوم ولن يكون كذلك الا وهو حي قادر غير الحق صفة للمصدر
اي لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق اي غلوا باطلا لان الغلو في الدين
غلوان حق وهو ان يفحص عن حقائقه ويفتش عن اباعد معانيه
ويجتهد في تحصيل حججه كما يفعل المتكلمون من اهل العدل والتوحيد
وغلو باطل وهو ان يتجاوز الحق ويتخطاه بالاعراض عن الادلة واتباع
الشبه كما يفعل اهل الاهواء والبدع قد ضلوا من قبل هم ائمتهم
في النصرانية كانوا على الضلال قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم واضلوا
كثيرا ممن شايعهم على التثليث وضلوا لما بعث رسول الله عن سواء
السبيل حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه نزل الله لعنهم في الزبور
على لسان داود وفي الانجيل على لسان عيسى وقيل ان اهل ايلة لما
اعتدوا في السبت قال داود اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة
ولما كفر اصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى اللهم عذب من كفر بعدما اكل
من المائدة عذابا لم تعذبه احدا من العالمين والعنهم كما لعنت اصحاب
السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امراة
ولا صبي ذلك بما عصوا اي لم يكن ذلك اللعن الشنيع الذي كان
سببه المسخ الا لاجل المعصية والاعتداء لا لشيء آخر ثم فسر المعصية
والاعتداء بقوله كانوا لا يتناهون لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر فعلوه
ثم قال لبئس ما كانوا يفعلون للتعجيب من سوء فعلهم مؤكدا لذلك
بالقسم فيا حسرة على المسلمين في اعراضهم عن باب التناهي عن
المناكير وقلة عبئهم به كانه ليس من ملة الاسلام في شيء مع ما يتلون
من كلام الله وما فيه من المبالغات في هذا الباب فان قلت

قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون

ما عبارة بعلان عباد الى ما بالبت ٢ ٥ ص

كيف وقع ترك التناهي عن المنكر تفسيرًا للمعصية والاعتداء قلت من
قبل ان الله عز وجل امر بالتناهي فكان الاخلال به معصية وهو اعتداء
لان في التناهي حسمًا للفساد فكان تركه على عكسه فان قلت ما معنى
وصف المنكر بفعلوه ولا يكون النهي بعد الفعل قلت معناه لا يتناهون
عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله كما
ترى امارات الخوض في الفسق وآلاته تسوى وتهيأ فتنكر ويجوز ان يراد
لا ينتهون ولا يمتنعون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه ويداومون على
فعله يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه ترى كثيرا منهم
هم منافقو اهل الكتاب كانوا يوالون المشركين ويصافونهم ان
سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم ومحله الرفع كانه قيل لبئس الزاد
زادهم في الآخرة سخط الله عليهم والمعنى موجب سخط الله ولو كانوا
يؤمنون ايمانا خالصا غير نفاق ما اتخذوا المشركين اولياء يعني ان
موالاة المشركين كفى بها دليلا على نفاقهم وان ايمانهم ليس بايمان ولكن
كثيرا منهم فاسقون متمردون في كفرهم ونفاقهم وقيل معناه ولو كانوا
يؤمنون بالله وموسى كما يدعون ما اتخذوا المشركين اولياء كما لم يوالهم المسلمون
وصف الله شدة شكيمة اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق ولين
عريكة النصارى وسهولة ارعوائهم وميلهم الى الاسلام وجعل
اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين بل نبه على تقدم
قدمهم فيها بتقديمهم على الذين اشركوا وكذلك فعل في قوله ولتجدنهم احرص
الناس على حياة ومن الذين اشركوا ولعمري انهم لكذلك واشد وعن
النبي عليه السلام ما خلا يهوديان بمسلم الا هما بقتله وعلل سهولة ماخذ
النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين بان منهم قسيسين ورهبانا اي
علماء وعبادا وانهم قوم فيهم تواضع واستكانة ولا كبر فيهم واليهود

على خلاف ذلك وفيه دليل بين على ان العلم انفع شيء واهداه الى الخير
وادله على الفوز حتى علم القسيسين في هؤلاء علم الآخرة والتحدث بالعاقبة
وان كان في راهب والبراءة من الكبر وان كانت في نصراني ووصفهم
برقة القلوب وانهم يبكون عند استماع القرآن وذلك نحو ما يحكى عن
النجاشي انه قال لجعفر بن ابي طالب حين اجتمع في مجلسه المهاجرون
الى الحبشة والمشركون وهم يغرونه عليهم ويتطلبون عنتهم عنده هل في
كتابكم ذكر مريم قال جعفر فيه سورة تنسب اليها فقرأها الى قوله ذلك
عيسى ابن مريم وقرأ سورة طه الى قوله وهل اتاك حديث موسى فبكى
النجاشي وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله وهم سبعون
رجلا حين قرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس فبكوا فان قلت
بم تعلقت اللام في قوله للذين آمنوا قلت بعداوة ومودة
على ان عداوة اليهود التي اختصت المؤمنين اشد العداوات
واظهرها وان مودة النصارى التي اختصت المؤمنين اقرب المودات
وادناها وجودا واسهلها حصولا ووصف اليهود بالعداوة والنصارى
بالمودة مما يؤذن بالتفاوت ثم وصف العداوة والمودة بالاشد
والاقرب فان قلت ما معنى قوله تفيض من الدمع قلت معناه تمتلئ
من الدمع حتى تفيض لان الفيض ان يمتلئ الاناء او غيره حتى
يطلع ما فيه من جوانبه فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع
الامتلاء وهو من اقامة المسبب مقام السبب او قصدت المبالغة في
وصفهم بالبكاء فجعلت اعينهم كانها تفيض بانفسها اي تسيل
من الدمع من اجل البكاء من قولك دمعت عينه دمعا فان قلت
اي فرق بين من ومن في قوله مما عرفوا من الحق قلت الاولى
لابتداء الغاية على ان فيض الدمع ابتدأ ونشأ من معرفة الحق

ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون

واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين

وان الفايض الدمع لا العين

وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فاثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم

وكان من اهله ونسبه والثانية لتبيين الموصول الذي هو ما عرفوا
ويحتمل معنى التبعيض على انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم وبلغ منهم
فكيف اذا عرفوه كله وقرأوا القرآن واحاطوا بالسنة وقرئ
ترى اعينهم على البناء للمفعول ربنا آمنا المراد به انشاء الايمان
والدخول فيه فاكتبنا مع الشاهدين مع امة محمد الذين هم
شهداء على سائر الامم يوم القيامة لتكونوا شهداء على الناس
وقالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك وما لنا لا
نؤمن انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام موجبه وهو
الطمع في انعام الله عليهم بصحبة الصالحين وقيل لما رجعوا
الى قومهم لاموهم فاجابوهم بذلك واراد وما لنا لا نؤمن
بالله وحده لانهم كانوا مثلثين وذلك ليس بايمان بالله ومحل
لا نؤمن النصب على الحال يعني غير مؤمنين كقولك ما لك
قائما والواو في ونطمع واو الحال فان قلت ما العامل في الحال
الاولى والثانية قلت العامل في الاولى ما في اللام من معنى
الفعل كانه قيل اي شيء حصل لنا غير مؤمنين وفي الثانية
معنى هذا الفعل ولكن مقيدا بالحال الاولى لانك لو ازلتها وقلت
وما لنا ونطمع لم يكن كلاما ويجوز ان يكون ونطمع حالا من لا نؤمن على انهم
انكروا على انفسهم انهم لا يوحدون الله ويطمعون مع ذلك ان يصحبوا
الصالحين وان يكون معطوفا على لا نؤمن على معنى وما لنا نجمع
بين التثليث وبين الطمع في صحبة الصالحين او على معنى وما لنا لا نجمع بينهما
بالدخول في الاسلام لان الكافر ما ينبغي له ان يطمع في صحبة الصالحين
قرأ الحسن فآتاهم الله بما قالوا بما تكلموا به عن اعتقاد واخلاص

يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون

من قوله هذا قول فلان اي اعتقاده وما يذهب اليه طيبات ما احل الله لكم
ما طاب ولذ من الحلال ومعنى لا تحرموا لا تمنعوها انفسكم كمنع
التحريم او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم في العزم على
تركها تزهدا منكم وتقشفا وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصف القيامة لاصحابه يوما فبالغ واشبع الكلام في
الانذار فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا
على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش
ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا
الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم
فبلغ رسول الله فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم
عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام
واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النساء فمن رغب
عن سنتي فليس مني ونزلت وروي ان رسول الله كان ياكل
الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال ان
المؤمن حلو يحب الحلاوة وعن ابن مسعود ان رجلا قال له
اني حرمت الفراش فتلا هذه الآية وقال نم على فراشك
وكفر عن يمينك وعن الحسن انه دعي الى طعام ومعه فرقد
السبخي واصحابه فقعدوا على المائدة وعليها الالوان من
الدجاج المسمن والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية
فسال الحسن اهو صائم قالوا لا ولكنه يكره هذه الالوان
فاقبل الحسن عليه وقال يا فريقد اترى لعاب النحل
بلباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم وعنه انه قيل له فلان
لا ياكل الفالوذ ويقول لا اؤدي شكره قال افيشرب

الماء البارد

قال نعم قال إنه جاهل إن نعمة الله في الماء البارد أكبر من نعمته عليه في الفالوذ
وعنه إن الله تعالى أدب عباده فأحسن أدبهم قال لينفق ذو سعة
من سعته ما عاب الله قوما وسع عليهم الدنيا فتنعموا وأطاعوا
ولا عذر قوما زواها عنهم فعصوه ولا تعتدوا ولا تتعدوا حدود
ما أحل لكم إلى ما حرم عليكم أو ولا تسرفوا في تناول الطيبات أو
جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما فنهى عن الاعتداء ليدخل
تحته النهي عن تحريمها دخولا أوليا لوروده على عقبه أو أراد
ولا تعتدوا بذلك وكلوا مما رزقكم الله أي من الوجوه الطيبة
التي تسمى رزقا حلالا حال مما رزقكم الله واتقوا الله تأكيد للتوصية
بما أمر به وزاده تأكيدا بقوله الذي أنتم به مؤمنون لأن الإيمان
به يوجب التقوى في الانتهاء إلى ما أمر به وعما نهى عنه اللغو
في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم واختلف فيه فعن
عائشة رضي الله عنها أنها سئلت عنه فقالت هو قول الرجل
لا والله وبلى والله وهو مذهب الشافعي وعن مجاهد هو الرجل
يحلف على الشيء يرى أنه كذلك وليس كما ظن وهو قول أبي حنيفة
رحمه الله بما عقدتم الأيمان بتعقيدكم الأيمان وهو توثيقها بالقصد
والنية وروي أن الحسن سئل عن لغو اليمين وكان عنده
الفرزدق فقال يا أبا سعيد دعني أجب عنك فقال ولست
بمأخوذ بلغو تقوله إذا لم تعمد عاقدات العزائم وقرئ عقدتم
بالتخفيف وعاقدتم والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم إذا حنثتم
فحذف وقت المؤاخذة لأنه كان معلوما عندهم أو بنكث ما
~~عقدتم إذا حنثتم فحذف وقت المؤاخذة لأنه كان معلوما~~
~~عندهم أو بنكث ما عقدتم~~ فحذف المضاف فكفارته فكفارة

ذوى الشيء جمعه وقبضه

أي تحت النهي عن الاعتداء

من في مما يحتمل ... كلام المصنف ... تعلق هذا الإيماء ...

لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون

نكثه والكفارة الفعلة التي من شأنها أن تكفر الخطيئة أي تسترها
من أوسط ما تطعمون من أقصده لأن منهم من يسرف في إطعام
أهله ومنهم من يقتر وهو عند أبي حنيفة رحمه الله نصف صاع من
بر أو صاع من غيره لكل مسكين أو يغديهم ويعشيهم وعند
الشافعي مد لكل مسكين وقرأ جعفر بن محمد أهاليكم بسكون
الياء والأهالي اسم جمع لأهل كالليالي في جمع ليلة والأراضي
في جمع أرض وقولهم أهلون كقولهم أرضون بسكون الراء وأما
تسكين الياء في حال النصب فللتخفيف كما قالوا رأيت معديكرب
تشبيها للياء بالألف أو كسوتهم عطف على محل من
أوسط وقرئ بضم الكاف ونحوه قدوة في قدوة وأسوة في أسوة
والكسوة ثوب يغطي العورة وعن ابن عباس كانت العباءة
تجزئ يومئذ وعن ابن عمر إزار أو قميص أو رداء أو كساء
وعن مجاهد ثوب جامع وعن الحسن ثوبان أبيضان وقرأ
سعيد بن المسيب واليماني أو كأسوتهم بمعنى أو مثل ما تطعمون
أهليكم إسرافا كان أو تقتيرا لا تنقصونهم عن مقدار نفقتهم
ولكن تواسون بينهم وبينهم فإن قلت ما محل الكاف قلت
الرفع تقديره أو طعامهم كأسوتهم بمعنى كمثل طعامهم إن لم تطعموهم
الأوسط أو تحرير رقبة شرط الشافعي الإيمان قياسا على كفارة
القتل وأما أبو حنيفة وأصحابه فقد جوزوا تحرير الرقبة الكافرة
في كل كفارة سوى القتل فإن قلت ما معنى أو قلت التخيير
وإيجاب إحدى الكفارات الثلاث على الإطلاق بأيتها أخذ
المكفر فقد أصاب فمن لم يجد إحداها فصيام ثلاثة أيام متتابعات
عند أبي حنيفة تمسكا بقراءة أبي وابن مسعود رضي الله عنهما فصيام
ثلاثة أيام متتابعات

الجمع الحقيقي يترتب على الآحاد واسم الجمع لا يعتبر فيه هذا المعنى كالحمير والحمر فإن الحمير اسم موضوع للجمع كالجياد واسم للواحد بخلاف الحمر والأجير فإنهما مبنيان على الجماعة

مزيد الحلة وهو ثوبان إزار ورداء لأن الحلة لا تكون إلا ثوبين إزار ورداء

أي على تقدير قراءة كأسوتهم

وعن مجاهد كل صوم متتابع الا قضاء رمضان ويخير في كفارة اليمين
ذلك المذكور كفارة ايمانكم ولو قيل تلك كفارة ايمانكم لكان صحيحا
بمعنى تلك الاشياء او لتانيث الكفارة والمعنى اذا حلفتم وحنثتم
فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بان الكفارة انما تجب بالحنث
في الحلف لا بنفس الحلف والتكفير قبل الحنث لا يجوز عند ابي
حنيفة واصحابه ويجوز عند الشافعي بالمال اذا لم يعص الحانث واحفظوا
ايمانكم فبروا فيها ولا تحنثوا اراد الايمان التي الحنث فيها معصية
لان الايمان اسم جنس يجوز اطلاقه على بعض الجنس وعلى كله
وقيل احفظوها بان تكفروها وقيل احفظوها كيف حلفتم
بها ولا تنسوها تهاونا بها كذلك مثل ذلك البيان يبين لكم اياته
اعلام شريعته واحكامه لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل
عليكم المخرج منه اكد تحريم الخمر والميسر وجوها من التاكيد
منها تصدير الجملة بانما ومنها انه قرنهما بعبادة الاصنام ومنه
قوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن ومنها انه جعلهما رجسا
كما قال فاجتنبوا الرجس من الاوثان ومنها انه جعلهما
من عمل الشيطان والشيطان لا ياتي منه الا الشر البحت
ومنها انه امر بالاجتناب ومنها انه جعل الاجتناب من
الفلاح واذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خيبة
ومحقة ومنها انه ذكر ما ينتج منهما من الوبال وهو وقوع التعادي
والتباغض من اصحاب الخمر والقمر وما يؤديان اليه من
الصد عن ذكر الله وعن مراعاة اوقات الصلوة وقوله
فهل انتم منتهون من ابلغ ما ينهى به كانه قيل قد تلي عليكم ما فيهما
من انواع الصوارف والموانع فهل انتم مع هذه الصوارف

(حاشية: كما في قوله تعالى فمن كان منكم مريضا او على سفر ... فافطر فعدة)

(حاشية: هذا الكلام من ابلغ ما ينهى به)

(بالحمرة: يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل انتم منتهون)

منتهون ام انتم على ما كنتم عليه كان لم توعظوا ولم تزجروا
فان قلت الام يرجع الضمير في قوله فاجتنبوه قلت الى
المضاف المحذوف كانه قيل انما شان الخمر والميسر او
تعاطيهما او ما اشبه ذلك ولذلك قال رجس من عمل
الشيطان فان قلت لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب
والازلام اولا ثم افردهما اخرا قلت لان الخطاب مع
المومنين وانما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب
بالميسر وذكر الانصاب والازلام لتاكيد تحريم الخمر والميسر
واظهار ان ذلك جميعا من اعمال الجاهلية واهل الشرك
فوجب اجتنابه باسره وكانه لا مباينة بين من عبد
صنما واشرك بالله في علم الغيب وبين من شرب خمرا
او قامر ثم افردهما بالذكر ليرى ان المقصود بالذكر الخمر
والميسر وقوله وعن الصلوة اختصاص للصلوة من بين
الذكر كانه قيل وعن الصلوة خصوصا واحذروا وكونوا
حذرين خاشين لانهم اذا حذروا دعاهم الحذر الى اتقاء
كل سيئة وعمل كل حسنة ويجوز ان يراد واحذروا ما عليكم
في الخمر والميسر او في ترك طاعة الله والرسول فان توليتم
فاعلموا انكم لم تضروا بتوليكم الرسول لان الرسول ما كلف
الا البلاغ المبين بالايات وانما ضررتم انفسكم حين اعرضتم
عما كلفتم رفع الجناح عن المومنين في اي شي طعموه
من مستلذات المطاعم ومشتهياتها اذا ما اتقوا ما حرم
عليهم منها وامنوا وثبتوا على الايمان والعمل الصالح وازدادوه
ثم اتقوا وامنوا ثم ثبتوا على التقوى والايمان ثم اتقوا واحسنوا

(حاشية: وانما اخبر ان الخمر والقمار ... لانه لا يحسن ان يقال الميسر او الازلام او الانصاب ... من عمل الشيطان ... علم ... الشيطان ان يكون ...)

(حاشية: الاصنام لانها تنصب وتعبد من دون الله)

(بالحمرة: واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين)

ثم اتقوا أي اتقوا المعاصي وأحسنوا أعمالهم أو أحسنوا إلى الناس
وآسوهم بما رزقهم الله من الطيبات. وقيل لما نزل تحريم الخمر
قال الصحابة يا رسول الله فكيف بإخواننا الذين ماتوا وهم
يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر فنزلت يعني أن المؤمنين
لا جناح عليهم في أي شيء طعموه من المباحات إذا ما اتقوا المحارم
ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا على معنى أن أولئك كانوا
على هذه الصفة ثناء عليهم وحمدا لأحوالهم في الإيمان والتقوى
والإحسان ومثاله أن يقال لك هل على زيد فيما فعل جناح
فتقول وقد علمت أن ذلك أمر مباح ليس على أحد جناح
في المباح إذا اتقى المحارم وكان مؤمنا محسنا تريد أن زيدا
تقي مؤمن محسن وأنه غير مؤاخذ بما فعل. نزلت عام الحديبية
ابتلاهم الله بالصيد وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان
يغشاهم في رحالهم فيستمكنون من صيده أخذا بأيديهم وطعنا
برماحهم ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز من يخاف
عقاب الله وهو غائب منتظر في الآخرة فيتقي الصيد ممن
لا يخافه فيقدم عليه فمن اعتدى فصاد بعد ذلك الابتلاء
فالوعيد لاحق به. فإن قلت ما معنى التقليل والتصغير في قوله
بشيء من الصيد قلت قلل وصغر ليعلم أنه ليس بفتنة
من الفتن العظام التي تدحض عندها أقدام الثابتين
كالابتلاء ببذل الأرواح والأموال وإنما هو شبيه بما ابتلي به
أهل أيلة من صيد السمك وأنهم إذا لم يثبتوا عنده فكيف
ثباتهم عند ما هو أشد منه. وقرأ إبراهيم يناله بالياء. حرم
محرمون جمع حرام كردح في جمع رداح. والتعمد أن يقتله وهو
ذاكر

نسخة الكمل

يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم

يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم

لإحرامه أو عالم أن ما يقتله مما يحرم عليه قتله فإن قتله وهو ناس
لإحرامه أو رمى صيدا وهو يظن أنه ليس بصيد فإذا
هو صيد أو قصد برميه غير صيد فعدل السهم عن رميته
فأصاب صيدا فهو مخطئ. فإن قلت فمحظورات الإحرام
يستوي فيها العمد والخطأ فما بال التعمد مشروط في الآية
قلت لأن مورد الآية فيمن تعمد فقد روي أنه عن لهم
في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه أبو اليسر فطعنه
برمحه فقتله فقيل له إنك قتلت الصيد وأنت محرم
فنزلت ولأن الأصل فعل المتعمد والخطأ لاحق به
للتغليظ ويدل عليه قوله ليذوق وبال أمره ومن عاد
فينتقم الله منه. وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت
السنة بالخطأ. وعن سعيد بن جبير لا أرى في الخطأ شيئا
أخذا باشتراط العمد في الآية. وعن الحسن روايتان فجزاء
مثل ما قتل برفع جزاء ومثل جميعا بمعنى فعليه جزاء يماثل
ما قتل من الصيد وهو عند أبي حنيفة قيمة الصيد يقوم
حيث صيد فإن بلغت قيمته ثمن هدي تخير بين
أن يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين أن يشتري
بقيمته طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر أو
صاعا من غيره وإن شاء صام عن طعام كل مسكين
يوما فإن فضل ما لا يبلغ طعام مسكين صام عنه يوما
أو تصدق به وعند محمد والشافعي مثله نظيره من النعم فإن
لم يوجد له نظير من النعم عدل إلى قول أبي حنيفة رحمه الله فإن قلت
فما يصنع من يفسر المثل بالقيمة بقوله من النعم وهو تفسير
للمثل

الماخوذ صح

وبقوله هديا بالغ الكعبة فلم يدخل تخيير من اوجب القيمة
بين ان يشتري بها هديا او طعاما او يصوم كما خير الله تعالى
في الآية فكان قوله من النعم بيانا للهدي المشترى بالقيمة في
احد وجوه التخيير لان من قوم الصيد واشترى بالقيمة
هديا فاهداه فقد جزى بمثل ما قتل من النعم على ان التخيير
الذي في الآية بين ان يجزي بالهدي او يكفر بالاطعام او
الصوم انما يستقيم استقامة ظاهرة بغير تعسف اذا
قوم ونظر بعد التقويم اي الثلاثة يختار واما اذا عمد الى
النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير فاذا كان
شيئا لا نظير له قوم حينئذ ثم يختار بين الاطعام والصوم
ففيه نبو عما في الآية الا ترى الى قوله او كفارة طعام مساكين
او عدل ذلك صياما كيف خير بين الاشياء الثلاثة ولا
سبيل الى ذلك الا بالتقويم وقرأ عبد الله فجزاؤه مثل
ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل على الاضافة واصله فجزاء
مثل ما قتل بنصب مثل بمعنى فعليه ان يجزي مثل ما
قتل ثم اضيف كما تقول عجبت من ضرب زيدا ثم من
ضرب زيد وقرأ السلمي على الاصل وقرأ محمد بن مقاتل
فجزاء مثل ما قتل بنصبهما بمعنى فليجز جزاء مثل ما قتل
وقرأ الحسن من النعم بسكون العين استثقل الحركة على
حرف الحلق فسكنه يحكم به بمثل ما قتل ذوا عدل منكم
حكمان عادلان من المسلمين قالوا وفيه دليل على ان
المثل القيمة لان التقويم مما يحتاج الى النظر والاجتهاد دون
الاشياء المشاهدة وعن قبيصة انه اصاب ظبيا وهو محرم

اسم رجل

فسال عمر فشاور عبد الرحمن بن عوف ثم امره بذبح
شاة فقال قبيصة لصاحبه والله ما علم امير المؤمنين
حتى سال غيره فاقبل عليه ضربا بالدرة وقال اتغمص
الفتيا وتقتل الصيد وانت محرم قال الله تعالى يحكم
به ذوا عدل منكم فانا عمر وهذا عبد الرحمن وقرأ محمد بن
جعفر ذو عدل منكم اراد يحكم به من يعدل منكم ولم يرد
الوحدة وقيل اراد الامام هديا حال عن جزاء فيمن
وصفه بمثل لان الصفة خصصته فقربته من المعرفة
او بدل عن مثل فيمن نصبه او عن محله فيمن جره ويجوز
ان ينتصب حالا عن الضمير في به ووصف هديا ببالغ
الكعبة لان اضافته غير حقيقية ومعنى بلوغه الكعبة
ان يذبح بالحرم فاما التصدق به فحيث شئت عند
ابي حنيفة وعند الشافعي في الحرم فان قلت بم يرفع
كفارة من ينصب جزاء قلت يجعلها خبر مبتدأ محذوف
كانه قيل او الواجب عليه كفارة او يقدر فعليه ان
يجزي جزاء او كفارة فيعطفها على ان يجزي وقرئ او
كفارة طعام مساكين على الاضافة وهذه الاضافة مبينة
كانه قيل او كفارة من طعام مساكين كقولك خاتم فضة
بمعنى خاتم من فضة وقرأ الاعرج او كفارة طعام مسكين
وانما وحد لانه واقع موقع التبيين فاكتفى بالواحد الدال
على الجنس وقرئ او عدل ذلك بكسر العين والفرق
بينهما ان عدل الشيء ما عادله من غير جنسه كالصوم والاطعام
وعدله ما عدل به في المقدار ومنه عدلا الحمل لان كل واحد
منهما عدل بالآخر

اتغمص ح
التغمص البطر والاحتقار
غمص يغمص ... وغمص
يغمص والاول اصح

الجناستي

هديا بالغ الكعبة او كفارة
طعام مساكين او عدل
ذلك صياما ليذوق وبال
امره عفا الله عما سلف
ومن عاد فينتقم الله منه
والله عزيز ذو انتقام

حى اعتدلا كان المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول
كالذبح ونحوهما الحمل والحمل وذلك اشارة الى الطعام
وصياما تمييز للعدل كقولك لي مثله رجلا والخيار في ذلك
الى قاتل الصيد عند ابي حنيفة وابي يوسف وعند محمد الى
الحكمين ليذوق متعلق بقوله فجزاء اي فعليه ان يجازى
او يكفر ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال المكروه
والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوءا لثقله عليه من
قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا اي ثقيلا والطعام الوبيل
الذي يثقل على المعدة فلا يستمرأ عفا الله عما سلف لكم
من الصيد في حال الاحرام قبل ان تراجعوا رسول الله
وتسالوه عن جوازه وقيل عما سلف لكم في الجاهلية منه
لانهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها
محرما ومن عاد الى قتل الصيد وهو محرم بعد نزول النهي عنه
فينتقم الله منه خبر مبتدا محذوف تقديره فهو ينتقم الله
منه ولذلك دخلت الفاء ونحوه فمن يؤمن بربه فلا يخاف
يعني ينتقم منه في الآخرة واختلف في وجوب الكفارة على
العائد فعن عطاء وابراهيم وسعيد بن جبير والحسن وجوبها
وعليه عامة العلماء وعن ابن عباس وشريح انه لا كفارة
عليه تعلقا بالظاهر فانه لم يذكر الكفارة صيد البحر مصيدات
البحر مما يوكل ومما لا يوكل وطعامه وما يطعم من صيده
والمعنى احل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر واحل لكم اكل
الماكول منه وهو السمك وحده عندنا وعند ابن ابي ليلى
جميع ما يصاد فيه على ان تفسير الآية عنده احل لكم صيد حيوان البحر
وان تطعموه

احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي اليه تحشرون

متاعا لكم مفعول له اي احل لكم تمتيعا لكم وهو في المفعول له
بمنزلة قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة في باب الحال
لان قوله متاعا لكم مفعول له مختص بالطعام كما ان نافلة حال
مختصة بيعقوب يعني احل لكم طعامه تمتيعا لتنائكم ياكلونه
طريا ولسيارتكم يتزودونه قديدا كما تزود موسى عليه السلام
الحوت في مسيره الى الخضر وقرئ وطعمه وصيد البر ما
صيد فيه وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش في الماء في بعض
الاوقات كطير الماء عند ابي حنيفة واختلف فيه فمنهم من
حرم على المحرم كل شي يقع عليه اسم الصيد وهو قول عمر
وابن عباس وعن ابي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن
جبير انهم اجازوا للمحرم اكل ما صاده الحلال وان صاده
لاجله اذا لم يدل ولم يشر وكذلك ما ذبحه قبل احرامه
وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه وعند مالك والشافعي
واحمد لا يباح له ما صيد لاجله فان قلت ما يصنع ابو حنيفة
بعموم قوله صيد البر قلت قد اخذ ابو حنيفة بالمفهوم
من قوله وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما لان ظاهره
انه صيد المحرمين دون صيد غيرهم لانهم هم المخاطبون
فكانه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه مصيد
غيرهم ومصيدهم حين كانوا غير محرمين ويدل عليه
قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم
وقرا ابن عباس وحرم عليكم صيد البر اي الله عز وجل
وقرئ ما دمتم جعل الله الكعبة البيت
الحرام عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح كما تجيء الصفة
كذلك

في اختصاص المفعول له بالطعام نظر

جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد

قياما للناس انتعاشا لهم في امر دينهم ودنياهم ونهوضا الى
اغراضهم ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من امر
حجهم وعمرتهم وتجاراتهم وانواع منافعهم وعن عطاء بن ابي
رباح لو تركوه عاما واحدا لم ينظروا ولم يؤخروا والشهر الحرام
الشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لان لاختصاصه
من بين الاشهر باقامة موسم الحج فيه شانا قد عرفه الله وقيل
عنى به جنس الاشهر الحرم والهدي والقلائد والمقلد منه خصو
ومنها البدن لان الثواب فيه اكثر وبهاء الحج معه اظهر ذلك
اشارة الى جعل الكعبة قياما للناس او الى ما ذكر من
حفظ حرمة الاحرام بترك الصيد وغيره لتعلموا ان الله يعلم
كل شيء وهو عالم بما يصلحكم وينعشكم مما امركم به وكلفكم شديد
العقاب لمن انتهك محارمه غفور رحيم لمن حافظ عليها ما على
الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر به فان
الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم
الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم في التفريط لا يستوي
الخبيث والطيب بعيد عند الله وان كان قريبا عندكم
فلا تعجبوا بكثرة الخبيث حتى تؤثروه لكثرته على الطيب القليل
فان ما تتوهمونه في الكثرة من الفضل لا يوازي النقصان
في الخبث وفوات الطيب وهو عام في حلال المال وحرامه
وصالح العمل وطالحه وصحيح المذاهب وفاسدها وجيد
الناس ورديهم فاتقوا الله وآثروا الطيب وان قل على
الخبيث وان كثر ومن حق هذه الآية ان تكفخ بها وجوه
المجبرة اذا افتخروا بالكثرة كما ثم يسعد ان سعد الكثرة
ولا تبتهج من سعيد وفادلانه

ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شيء عليم اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا اولي الالباب لعلكم تفلحون

لا يمنعك من دمائهم عدد فان جلهم بل كلهم بقر وقيل نزلت
في حجاج اليمامة حين اراد المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا
عن الايقاع بهم وان كانوا مشركين الجملة الشرطية المعطوفة
عليها اعني قوله ان تبد لكم تسؤكم وان تسالوا عنها حين
ينزل القرآن تبد لكم صفتان لاشياء والمعنى لا تكثروا مسالة
رسول الله حتى تسالوه عن تكاليف شاقة عليكم ان
افتاكم بها وكلفكم اياها تغمكم وتشق عليكم وتندموا على السؤال
عنها وذلك نحو ما روي ان سراقة بن مالك او عكاشة بن
محصن قال يا رسول الله الحج علينا كل عام فاعرض عنه رسول
الله صلى الله عليه حتى اعاد مسالته ثلاث مرات فقال
صلى الله عليه ويحك ما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم
لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني
ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على
انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم
عن شيء فاجتنبوه وان تسالوا عنها حين ينزل القرآن
وان تسالوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي
وهو ما دام الرسول بين اظهركم يوحى اليه تبد لكم تلك التكاليف
التي تسؤكم وتؤمروا بتحملها فتعرضون انفسكم لغضب الله
بالتفريط فيها عفا الله عنها عفا الله عما سلف من مسالتكم
فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم فيما يفرط
منكم بعقوبته فان قلت كيف قال لا تسالوا عن اشياء
ثم قال قد سالها ولم يقل قد سال عنها قلت الضمير في
سالها ليس براجع الى اشياء حتى تعدت بعن وانما هو راجع
بجنسه
لا الى المسالة التي دل عليها

يا ايها الذين آمنوا لا تسالوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسالوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم قد سالها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون

لا تسألوا يعني قد سأل هذه المسألة قوم من الاولين ثم اصبحوا اي بمرجوعها
او بسببها كافرين وذلك ان بني اسرائيل كانوا يستفتون
انبياءهم عن اشياء فاذا امروا بها تركوها فهلكوا كان اهل
الجاهلية اذا نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها
اي شقوها وحرموا ركوبها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى واذا
لقيها المعيي لم يركبها واسمها البحيرة وكان الرجل يقول اذا
قدمت من سفري او برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها
كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل اذا اعتق عبدا
قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث واذا ولدت الشاة
انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم فان ولدتهما ذكرا
وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم واذا نتجت
من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا
يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع
ذلك ولا امر بالتبحير والتسييب وغير ذلك ولكنهم بتحريمهم
ما حرموا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون فلا
ينسبون التحريم الى الله حتى يفتروا ولكنهم يقلدون في تحريمها
كبارهم الواو في قوله اولو كان آباؤهم واو الحال قد دخلت
عليها همزة الانكار وتقديره احسبهم ذلك ولو كان آباؤهم
لا يعلمون شيئا ولا يهتدون والمعنى ان الاقتداء انما يصح بالعالم
المهتدي وانما يعرف اهتداؤه بالحجة كان المؤمنون تذهب
انفسهم حسرة على اهل العتو والعناد من الكفرة يتمنون دخولهم
في الاسلام فقيل لهم عليكم انفسكم وما كلفتم من اصلاحها
والمشي بها في طرق الهدى لا يضركم الضلال عن دينكم اذا كنتم
مهتدين

واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون

اي ضلال الآخرين

اي احفظوها والزموا اصلاحها والجار مع المجرور جعلا اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم وذكر بالرفع على الابتداء

كما قال عز وجل لنبيه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكذلك من يتأسف
على ما فيه الفسقة من الفجور والمعاصي ولا يزال يذكر معايبهم ومناكيرهم
فهو مخاطب به وليس المراد ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
فان من تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتد وانما هو من بعض
الضلال الذين فصلت الآية بينهم وبينه وعن ابن مسعود
انها قرئت عنده فقال ان هذا ليس بزمانها انها اليوم مقبولة
ولكن يوشك ان يأتي زمان تأمرون فلا يقبل منكم فحينئذ
عليكم انفسكم فهي على هذا تسلية لمن يأمر وينهى فلا يقبل منه
وبسط لعذره وعنه ليس هذا زمان تأويلها قيل فمتى
قال اذا جعل دونها السيف والسوط والسجن وعن ابي
ثعلبة الخشني انه سئل عن ذلك فقال للسائل سألت عنها
خبيرا سألت رسول الله صلى الله عليه عنها فقال ائتمروا
بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا ما رأيت شحا مطاعا
وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك
نفسك ودع امر العوام وان من ورائكم اياما الصبر فيهن
كقبض على الجمر للعامل منهم مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل
عمله وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت آباءك ولاموه
فنزلت عليكم انفسكم ولذلك جزم جوابه وعن نافع عليكم انفسكم
بالرفع وقوله لا يضركم فيه وجهان ان يكون خبرا مرفوعا
وتنصره قراءة ابي حيوة لا يضيركم وان يكون جوابا للامر
مجزوما وانما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها
من الراء المدغمة والاصل لا يضرركم ويجوز ان يكون نهيا
ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره

ضيرا ضورا

اي الامرة والجبر

اي العمل بموجبها

لتسعدنا ... كانه قيل كيف يكون خبيرا قال سألت الرسول

عليكم من اسماء الفعل بمعنى الزموا اصلاح انفسكم

اي اصلاحها

اي اخبار على طريق الاستئناف

يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم او آخران من غيركم ان انتم ضربتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين

ارتفع اثنان على انه خبر للمبتدإ الذي هو شهادة بينكم على تقدير شهادة
شهادة اثنين او على انه فاعل شهادة بينكم على معنى فيما فرض عليكم ان
يشهد اثنان وقرأ الشعبي شهادةٌ بينكم بالتنوين وقرأ الحسن
شهادةً بالنصب والتنوين على ليقم شهادةً اثنان واذا حضر
ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفي ابداله منه دليل
على وجوب الوصية وانها من الامور اللازمة التي ما ينبغي ان يتهاون بها
المسلم ويذهل عنها وحضور الموت مشارفته وظهور امارات بلوغ
الاجل منكم من اقاربكم من غيركم من الاجانب ان انتم ضربتم
في الارض يعني ان وقع الموت في السفر ولم يكن معكم احد من عشيرتكم
فاستشهدوا اجنبيين على الوصية وجعل الاقارب اولى لانهم
اعلم باحوال الميت وبما هو اصلح وهم له انصح وقيل منكم من
المسلمين ومن غيركم من اهل الذمة وقيل هو منسوخ لا يجوز شهادة
الذمي على المسلم وانما جازت في اول الاسلام لقلة المسلمين وتعذر
وجودهم في حال السفر وعن مكحول نسخها قوله واشهدوا ذوي
عدل منكم وروي انه خرج بديل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص
وكان من المهاجرين مع عدي بن زيد وتميم بن اوس وكانا
نصرانيين تجارا الى الشام فمرض بديل وكتب كتابا فيه ما
معه وطرحه في متاعه ولم يخبر به صاحبيه وامرهما ان يدفعا
متاعه الى اهله ومات ففتشا متاعه فاخذا اناء من فضة فيه
ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهل بديل
الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فرفعوا الى رسول الله فنزلت
تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما للحلف من بعد الصلوة من
بعد صلوة العصر لانه وقت اصطلاح الناس وعن الحسن بعد العصر
او الظهر

واهل الاديان كلها يعظمون هذا الوقت ...

لان اهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وفي حديث بديل
انها لما نزلت صلى رسول الله صلى الله عليه صلوة العصر ودعا
بعدي وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الاناء بمكة
فقالوا انا اشتريناه من تميم وعدي وقيل هي صلوة اهل
الذمة وهم يعظمون صلوة العصر ان ارتبتم اعتراض بين
القسم والمقسم عليه والمعنى ان ارتبتم في شانهما واتهمتموهما
فحلفوهما وقيل ان اريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف
الشاهدين وان اريد الوصيان فليس بمنسوخ تحليفهما وعن
علي رضي الله عنه انه كان يحلف الشاهد والراوي اذا
اتهمهما والضمير في به للقسم وفي كان للمقسم له يعني لا
نستبدل بصحة القسم بالله عرضا من الدنيا اي لا نحلف بالله
كاذبين لاجل المال ولو كان من نقسم له قريبا منا على معنى
ان هذه عادتهم في صدقهم وامانتهم ابدا وانهم داخلون
تحت قوله تعالى كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على
انفسكم او الوالدين والاقربين شهادة الله اي الشهادة
التي امر الله بحفظها وتعظيمها وعن الشعبي انه وقف على شهادة
ثم ابتدأ آلله بالمد على طرح حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام
منه وروي عنه بغير مد على ما ذكر سيبويه ان منهم من يحذف
حرف القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام فيقول الله لقد كان
كذا وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة وطرح حركتها على اللام وادغام
نون من فيها كقوله عادَ لُّولى فان قلت ما موقع تحبسونهما قلت
هو استيناف كلام كانه قيل بعد اشتراط العدالة فيهما فكيف
نعمل ان ارتبنا بهما فقيل تحبسونهما فان قلت كيف فسرت
الصلوة

ان ارتبتم ... شهادتهما

لا ادري الحديث عن النبي عليه السلام فلا نقول ... علي رضي الله عنه رواه احد ... الا ما ... رضي الله عنه الحلف

... عادتهم انهم ... هذا الكلام في صدقهم وامانتهم ... في ... الصدق والامانة في ... ه

بادغام النون في اللام ... ونقل ضمتها الى اللام المعرف ه

فإن عثر على أنهما استحقا إثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا إنا إذا لمن الظالمين

بصلوة العصر ومن مطلقه قلت لما كانت معروفة عندهم بالتحليف
بعدها اغنى ذلك عن التقييد كما لو قلت في بعض ائمة الفقه
اذا صلى اخذ في الدرس علم انها صلوة الفجر ويجوز ان تكون اللام
للجنس وان تقصد بالتحليف على اثر الصلوة ان تكون
الصلوة لطفا في النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور
ان الصلوة تنهى عن الفحشآء والمنكر فان عثر فان اطلع على
انهما استحقا اثما اي فعلا ما اوجب اثما واستوجبا ان يقال
انهما لمن الآثمين فآخران فشاهدان آخران يقومان مقامهما
من الذين استحق عليهم اي من الذين استحق عليهم الاثم ومعناه
من الذين جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته وفي قصة
بديل انه لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته
انه اناء صاحبهما وان شهادتهما احق من شهادتهما والاوليان
الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وارتفاعهما على هما
الاوليان كانه قيل ومن هما فقيل الاوليان وقيل هما بدل
من الضمير في يقومان او من آخران ويجوز ان يرتفعا باستحق
اي من الذين استحق عليهم انتداب الاوليين منهم للشهادة
لاطلاعهم على حقيقة الحال وقرئ الاولين على انه وصف
للذين استحق عليهم مجرورا ومنصوب على المدح ومعنى الاولية
التقدم على الاجانب في الشهادة لكونهم احق بها وقرئ الاوليين
على التثنية وانتصابه على المدح وقرا الحسن الاولان ويحتج به
من يرى رد اليمين على المدعي وابو حنيفة واصحابه لا يرون
ذلك فوجهه عندهم ان الورثة قد ادعوا على النصرانيين
انهما قد اختانا فحلفا فلما ظهر كذبهما ادعيا الشرآء فيما كتما فانكر

ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب

فكانت اليمين على الورثة لانكارهم الشرآء فان قلت فما وجه قراءة
من قرأ استحق عليهم الاوليان على البناء للفاعل وهو علي
وابي وابن عباس قلت معناه من الورثة الذين استحق عليهم
الاوليان من بينهم بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة
ويظهروا بهما كذب الكاذبين ذلك الذي تقدم من بيان
الحكم ادنى ان يأتوا الشهدآء على نحو تلك الحادثة بالشهادة
على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان ان تكرر ايمان الى شهود
آخرين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم كما جرى في قصة
بديل واسمعوا سمع اجابة وقبول يوم يجمع بدل من المنصوب
في قوله واتقوا الله وهو من بدل الاشتمال كانه قيل واتقوا
الله يوم جمعه او ظرف لقوله لا يهدي اي لا يهديهم طريق الجنة
يومئذ كما يفعل بغيرهم او ينصب باضمار اذكر او يوم يجمع الله
الرسل كان كيت وكيت وماذا منتصب باجبتم انتصاب
مصدره على معنى اي اجابة اجبتم ولو اريد الجواب لقيل بماذا
اجبتم فان قلت ما معنى سؤالهم قلت توبيخ قومهم كما كان
سؤال الموءودة توبيخا للوائد فان قلت فكيف يقولون
لا علم لنا وقد علموا بما اجيبوا قلت يعلمون ان الغرض
بالسؤال توبيخ اعدائهم فيكلون الامر الى علمه واحاطته بما
منوا به منهم وكابدوا من سوء اجابتهم اظهارا للتشكي واللجاء
الى ربهم في الانتقام منهم وذلك اعظم على الكفرة وافت في
اعضادهم واجلب لحسرتهم وسقوطهم في ايديهم اذا اجتمع
توبيخ الله وتشكي انبيائه عليهم ومثاله ان ينكب بعض الخوارج
على السلطان خاصة من خواصه نكبة قد عرفها السلطان

والاطلاع على كنهها ويعوّل على الانتصار له منه ممن هجم عليها ويقول له
ما فعل بك هذا الخارجي وهو عالم بما فعل به يريد توبيخه وتبكيته
فيقول له انت اعلم بما فعل تفويضاً للامر الى علم سلطانه واتكالاً
عليه واظهاراً للشكاية وتعظيماً لما حل به منه وقيل من
هول ذلك اليوم يفزعون ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون
بعدما تثوب اليهم عقولهم بالشهادة على اممهم وقيل معناه
علمنا ساقط مع علمك ومغمور به لانك علام الغيوب ومن
علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر التي منها اجابة الامم لرسلهم
فكانه لا علم لنا الى جنب علمك وقيل لا علم لنا بما كان
منهم بعدنا وانما الحكم للخاتمة وكيف يخفى عليهم امرهم وقد رأوهم
سود الوجوه زرق العيون موبخين وقرئ علام الغيوب
بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اي انك الموصوف
باوصافك المعروفة من العلم وغيره ثم نصب علام الغيوب
على الاختصاص او على النداء او هو صفة لاسم ان اذ قال
الله بدل من يوم يجمع والمعنى انه يوبخ الكافرين يومئذ بسؤال
الرسل عن اجابتهم وبتعديد ما اظهر على ايديهم من الآيات
العظام فكذبوهم وسموهم سحرة او جاوزوا حد التصديق
الى ان اتخذوهم آلهة كما قال بعض بني اسرائيل فيما اظهر على
يد عيسى من البينات هذا سحر مبين واتخذه بعضهم وامه
الهين ايدتك قويتك وقرئ آيدتك على افعلتك بروح القدس
بالكلام الذي يحيى به الدين واضافه الى القدس لانه
سبب الطهر من اوضار الآثام والدليل عليه قوله تكلم الناس
في المهد في موضع الحال لان المعنى تكلمهم طفلاً وكهلاً الا ان

في المهد ... وقيل روح القدس جبريل
صلوات الله عليه ايده لتثبيت الحجة فان قلت ما معنى قوله
في المهد وكهلاً قلت معناه تكلمهم في هاتين الحالتين من غير
ان يتفاوت كلامك في حين الطفولة وحين الكهولة الذي
هو وقت كمال العقل وبلوغ الاشد والحد الذي يستنبأ فيه
الانبياء والتوراة والانجيل خصا بالذكر مما تناوله الكتاب
والحكمة لان المراد بهما جنس الكتاب والحكمة وقيل الكتاب
الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب كهيئة الطير هيئة
مثل هيئة الطير باذني بتسهيلي فتنفخ فيها الضمير للكاف
لانها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا
يرجع الى الهيئة المضاف اليها لانها ليست من خلقه ولا
نفخه في شيء وكذلك الضمير في فتكون تخرج الموتى تخرجهم
من القبور وتبعثهم قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة
وجارية واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين
هموا بقتله وقيل لما قال الله لعيسى اذكر نعمتي عليك كان
يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئاً لغد يقول مع
كل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت اينما
امسى بات اوحيت الى الحواريين امرتهم على ألسنة الرسل
مسلمون مخلصون من اسلم وجهه لله عيسى في محل النصب
على اتباع حركته حركة الابن كقولك يا زيد بن عمرو وهي
اللغة الفاشية ويجوز ان يكون مضموماً كقولك يا زيد بن
عمرو والدليل عليه قوله أحار بن عمرو كأني خمر لان
الترخيم لا يكون الا في المضموم فان قلت كيف قالوا

الطفل الصبي الذي يسقط من البطن الى ان يحتلم كذا في المغرب

اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل

واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين واذ اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين قالوا نريد ان نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين

هل يستطيع ربك بعد ايمانهم واخلاصهم قلت ما وصفهم الله
بالايمان والاخلاص وانما حكى ادعاهم لهما ثم اتبعه
قوله اذ قالوا فآذن ان دعواهم كانت باطلة وانهم كانوا — اي ادعاء الحواريين
شاكين وقوله هل يستطيع ربك كلام لا يرد مثله عن مومنين
معظمين لربهم وكذلك قول عيسى عليه السلم لهم معناه اتقوا
الله ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته ولا تقترحوا عليه
ولا تتحكموا ما تشتهون من الايات فتهلكوا اذا عصيتموه بعدها
ان كنتم مومنين ان كانت دعواكم للايمان صحيحة وقرى — الله
هل تستطيع ربك اي هل تستطيع سوال ربك والمعنى هل
تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سواله والمائدة
الخوان اذا كان عليه الطعام وهي من ماده اذا اعطاه
ورفده كانها تميد من تقدم اليه ونكون عليها من الشاهدين
نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل او
نكون من الشاهدين لله بالوحدانية ولك بالنبوة عاكفين
عليها على ان عليها في موضع الحال وكانت دعواهم لارادة
ما ذكروا كدعواهم للايمان والاخلاص وانما سال عيسى
واجيب ليلزموا الحجة بكمالها ويرسل عليهم العذاب اذا خالفوا
وقرى ويعلم بالياء على البناء للمفعول وتعلم وتكون بالتاء والضمير
للقلوب اللهم اصله يا الله فحذف حرف النداء وعوضت
منه الميم وربنا نداء ثان تكون لنا عيدا اي يكون يوم نزولها
عيدا قيل هو يوم الاحد ومن ثم اتخذه النصارى عيدا
وقيل العيد السرور العائد ولذلك يقال يوم عيد فكان
معناه تكون لنا سرورا وفرحا وقرا عبد الله تكن على جواب
الامر

قال عيسى بن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وانت خير الرازقين قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين

ونظيرهما مرتين ونوتى لاولنا وآخرنا بدل من لنا بتكرير العامل
اي لمن في زماننا من اهل ديننا ولمن ياتي بعدنا وقيل
ياكل منها آخر الناس كما ياكل اولهم ويجوز للمقدمين منا
والاتباع وفي قراءة زيد لاولانا واخرانا والتانيث بمعنى
الامة والجماعة عذابا بمعنى تعذيبا والضمير في لا اعذبه — كالسلام والمتاع بمعنى التسليم والتمتيع
للمصدر ولو اريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء روي
ان عيسى عليه السلم لما اراد الدعاء لبس صوفا ثم قال اللهم
انزل علينا فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها
واخرى تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم
فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها
رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وقال لهم ليقم احسنكم عملا يكشف
عنها ويذكر اسم الله عليها وياكل منها فقال شمعون راس — [illegible]
الحواريين انت اولى بذلك فقام عيسى فتوضا وصلى
وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا
سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند راسها — ما يكون في لحم السمكة ويقال بالفارسية پشوك
ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث
واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل
وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد — الجبن الذي يوكل وبعضهم يقول جبن وجبنة بالضم والمد بعده
فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة
قال ليس منهما ولكنه شي اخترعه الله بالقدرة العالية كلوا
ما سالتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال
الحواريون يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال
يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما
كنت

فعادت مشوبة ثم لما ارتابوا بعدها فمسخوا قردة
وخنازير وروي أنهم لما سمعوا بالشريطة وهي قوله فمن يكفر
بعد منكم فإني أعذبه قالوا لا نريد فلم تنزل وعن الحسن والله
ما نزلت ولو نزلت لكانت عيدا إلى يوم القيامة لقوله وآخرنا
والصحيح أنها نزلت سبحانك من أن يكون لك شريك ما يكون
لي ما ينبغي لي أن أقول قولا لا يحق لي أن أقوله في نفسي في قلبي والمعنى
تعلم معلومي ولا أعلم معلومك ولكنه سلك بالكلام طريق
المشاكلة وهو من فصيح الكلام وبينه فقال في نفسك لقوله في
نفسي إنك أنت علام الغيوب تقرير للجملتين معا لأن
ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ولأن ما يعلمه علام
الغيوب لا ينتهي إليه علم أحد أن في قوله أن اعبدوا الله إن جعلتها
مفسرة لم يكن لها بد من مفسَّر والمفسر إما فعل القول وإما فعل الأمر
وكلاهما لا وجه له أما فعل القول فيحكى بعده الكلام من غير أن
يتوسط بينهما حرف التفسير لا تقول ما قلت لهم إلا أن اعبدوا الله
ولكن ما قلت لهم إلا اعبدوا الله وأما فعل الأمر فمسند إلى
ضمير الله عز وجل فلو فسرته باعبدوا الله ربي وربكم لم يستقم
لأن الله لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم وإن جعلتها موصولة
بالفعل لم تخل من أن تكون بدلا من ما أمرتني به أو من الهاء
في به وكلاهما غير مستقيم لأن البدل هو الذي يقوم مقام
المبدل منه ولا تقول ما قلت لهم إلا أن اعبدوا الله بمعنى ما قلت لهم
إلا عبادته لأن العبادة لا تقال وكذلك إذا جعلته بدلا
من الهاء لأنك لو أقمت أن اعبدوا الله مقام الهاء فقلت
إلا ما أمرتني بأن اعبدوا الله لم يصح لبقاء الموصول بغير راجع
إليه من صلته

وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد

فإن قلت فكيف يصنع قلت يحمل فعل القول على معناه
لأن معنى ما قلت لهم إلا ما أمرتني به ما أمرتهم إلا بما أمرتني
به حتى يستقيم تفسيره بأن اعبدوا الله ربي وربكم ويجوز
أن تكون أن موصولة عطف بيان للهاء لا بدلا وكنت
عليهم شهيدا رقيبا كالشاهد على المشهود عليه أمنعهم من
أن يقولوا ذلك ويتدينوا به فلما توفيتني كنت أنت الرقيب
عليهم تمنعهم من القول به بما نصبت لهم من الأدلة وأنزلت
عليهم من البينات وأرسلت إليهم من الرسل إن
تعذبهم فإنهم عبادك الذين عرفتهم عاصين جاحدين
لآياتك مكذبين لأنبيائك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز
القوي القادر على الثواب والعقاب الحكيم الذي لا يثيب
ولا يعاقب إلا عن حكمة وصواب فإن قلت المغفرة لا تكون
للكفار فكيف قال وإن تغفر لهم قلت ما قال إنك تغفر
لهم ولكنه بنى الكلام على إن فقال إن عذبتهم عدلت لأنهم
أحقاء بالعذاب وإن غفرت لهم مع كفرهم لم تعدم في
المغفرة وجه حكمة لأن المغفرة حسنة لكل مجرم في المعقول
بل متى كان المجرم أعظم جرما كان العفو عنه أحسن
وقرئ هذا يوم ينفع بالرفع والإضافة وبالنصب إما
على أنه ظرف لقال وإما على أن هذا مبتدأ والظرف خبر
ومعناه هذا الذي ذكرنا من كلام عيسى واقع يوم ينفع
ولا يجوز أن يكون فتحا كقوله يومَ لا تملك لأنه مضاف
إلى متمكن وقرأ الأعمش يومٌ ينفع بالتنوين كقوله
واتقوا يوما لا تجزي فإن قلت ما معنى قوله ينفع الصادقين
صدقهم

إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم لله ملك السماوات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير

ان اريد صدقهم في الآخرة فليست الآخرة بدار عمل وان اريد
صدقهم في الدنيا فليس بمطابق لما ورد فيه لانه في معنى الشهادة
لعيسى عليه السلام بالصدق فيما يجيب به يوم القيامة قلت معناه
الصدق المستمر بالصادقين في دنياهم وآخرتهم وعن قتادة
متكلمان تكلما يوم القيامة اما ابليس فقال ان الله وعدكم
وعد الحق فصدق يومئذ وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه صدقه
واما عيسى فكان صادقا في الحيوة وبعد الممات فنفعه صدقه
فان قلت في السموات والارض العقلاء وغيرهم فهلا غلب
العقلاء فقيل ومن فيهن قلت ما يتناول الاجناس
كلها تناولا عاما الا تراك تقول اذا رايت شبحا من بعيد ما هو
قبل ان تعرف أعاقل هو ام غيره فكان اولى بارادة العموم
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة أعطي من
الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر
درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الانعام مكية وعن ابن عباس غير ست آيات وهي مائة وخمس وستون

بسم الله الرحمن الرحيم

جعل يتعدى الى مفعول واحد اذا كان بمعنى احدث وانشا
كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا والفرق
بين الخلق والجعل ان الخلق فيه معنى التقدير وفي الجعل
معنى التضمين كانشاء شيء من شيء او تصيير شيء شيئا او نقله
من مكان الى مكان ومن ذلك وجعل منها زوجها وجعل
الظلمات والنور لان الظلمات من الاجرام المتكاثفة
والنور من النار وجعلناكم ازواجا اجعل الآلهة الها واحدا

منعوبا

الحمد لله الذي خلق السموات
والارض وجعل الظلمات
والنور ثم الذين كفروا
بربهم يعدلون هو الذي
خلقكم من طين ثم قضى
اجلا واجل مسمى عنده ثم
انتم تمترون وهو الله في
السموات وفي الارض يعلم
سركم ويعلم ما تكسبون

فان قلت لم أفرد النور قلت للقصد الى الجنس كقوله
والملك على ارجائها او لان الظلمات كثيرة لانه ما من
جنس من اجناس الاجرام الا وله ظل وظله هو الظلمة
بخلاف النور فانه من جنس واحد وهو النار فان قلت على
ما عطف قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون قلت اما على
قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلق لانه ما خلقه
الا نعمة ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته واما
على قوله خلق السموات على معنى انه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احد
سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه فان قلت
فما معنى ثم قلت استبعاد ان يعدلوا به بعد وضوح آيات
قدرته وكذلك ثم انتم تمترون استبعاد لان يمتروا فيه بعد
ما ثبت انه محييهم ومميتهم وباعثهم ثم قضى اجلا اجل الموت
واجل مسمى عنده اجل القيامة وقيل الاجل الاول ما بين
ان يخلق الى ان يموت والثاني ما بين الموت والبعث
وهو البرزخ وقيل الاول النوم والثاني الموت فان قلت
المبتدأ النكرة اذا كان خبره ظرفا وجب تاخيره فلم جاز
تقديمه في قوله واجل مسمى عنده قلت لانه تخصص بالصفة فقارب
المعرفة كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك فان قلت الكلام
السائر ان يقال عندي ثوب جيد ولي عبد كيس وما اشبه
ذلك فما اوجب التقديم قلت اوجبه ان المعنى واي اجل
مسمى عنده تعظيما لشأن الساعة فلما جرى فيه هذا المعنى
وجب التقديم في السموات متعلق بمعنى اسم الله كأنه قيل
وهو المعبود فيها ومنه قوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض

اله

ترك ذكر المفعول لان المراد بقوله يعدلون
لتعم الاشياء بما ينبغي في الفعل
الذي هو العدل وانه مما يجب
ان لا يخطر ببال ولا يلاحظ
ويقلب وسعرانه يجاوز هذا
الفعل عن كونه من المتعدي حتى
لا يحتاج له مفعول البتة

والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان
اي يسوونها

الاجل اما لكثرة المدة او جميعها التنكير
في الاجل الاول للتبعيض اي
اجلا من الآجال وفي الثاني للتعظيم
اي اجل مسمى عنده

ولما كان المعنى في معنى
الاستفهام وجب تقديم
المبتدأ

او هو المعروف بالالهية او المتوحد بالالهية فيها او هو الذي
يقال له الله فيها لا يشرك به في هذا الاسم ويجوز ان يكون
وفي السموات خبرا بعد خبر على معنى انه الله وانه في
السموات والارض بمعنى انه عالم بما فيهما لا يخفى عليه منه
شيء كان ذاته فيهما فان قلت كيف موقع قوله يعلم سركم
وجهركم قلت ان اردت المتوحد بالالهية كان تقريرا له
لان الذي استوى في علمه السر والعلانية هو الله وحده وكذلك
اذا جعلت في السموات خبرا بعد خبر والا فهو كلام مبتدأ بمعنى
هو يعلم سركم وجهركم او خبرا ثالثا ويعلم ما تكسبون من الخير
والشر ويثيب عليه ويعاقب من في من آية للاستغراق وفي
من آيات ربهم للتبعيض يعني وما يظهر لهم دليل قط من الادلة
التي يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار الا كانوا عنها معرضين
تاركين للنظر لا يلتفتون اليه ولا يرفعون به رأسا لقلة
خوفهم وتدبرهم للعواقب فقد كذبوا مردود على كلام محذوف
كانه قيل ان كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما
هو اعظم آية واكبرها وهو الحق لما جاءهم يعني القرآن الذي
تحدوا به على تبالغهم في الفصاحة فعجزوا عنه فسوف يأتيهم انباء
الشيء الذي كانوا به يستهزءون وهو القرآن اي اخباره
واحواله بمعنى سيعلمون باي شيء استهزءوا وسيظهر لهم انه
لم يكن بموضع استهزاء وذلك عند ارسال العذاب عليهم في
الدنيا او يوم القيامة او عند ظهور الاسلام وعلو كلمته مكن
له في الارض جعل له مكانا ونحوه ارض له ومنه قوله انا مكنا
له في الارض اولم نمكن لهم واما مكنته في الارض فاثبته فيها

وما يأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون

الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم وارسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشأنا من بعدهم قرنا آخرين

ومنه قوله ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ولتقارب المعنيين
جمع بينهما في قوله مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم والمعنى لم نعط
اهل مكة نحو ما اعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة
في الاجسام والسعة في الاموال والاستظهار باسباب
الدنيا والسماء المظلة لان الماء ينزل منها الى السحاب
او السحاب او المطر والمدرار المغزار فان قلت اي فائدة
في ذكر انشاء قرن آخرين بعدهم قلت الدلالة على انه لا
يتعاظمه ان يهلك قرنا ويخرب بلاده منهم فانه قادر على
ان ينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده كقوله ولا يخاف
عقباها كتابا مكتوبا في قرطاس في ورق فلمسوه بايديهم ولم
نقتصر بهم على الرؤية لئلا يقولوا سكرت ابصارنا ولا تبقى لهم
علة لقالوا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا للحق بعد
ظهوره لقضي الامر لقضي امر هلاكهم ثم لا ينظرون بعد نزوله
طرفة عين اما لانهم اذا عاينوا الملك قد نزل على رسول
الله في صورته وهي آية لا شيء ابين منها وايقن ثم لا يؤمنون
كما قال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة لم يكن بد من اهلاكهم كما
اهلك اصحاب المائدة واما لانه يزول الاختبار الذي هو
قاعدة التكليف عند نزول الملك فيجب اهلاكهم واما لانهم اذا
شاهدوا ملكا في صورته زهقت ارواحهم من هول ما يشاهدون
ومعنى ثم بعد ما بين الامرين قضاء الامر وعدم الانظار
جعل عدم الانظار اشد من قضاء الامر لان مفاجاة الشدة
اشد من نفس الشدة ولو جعلناه ملكا ولو جعلنا الرسول ملكا
كما اقترحوا لانهم كانوا يقولون لولا انزل على محمد ملك وتارة
يقولون

جواب لسؤال سائل لم وصفها بكونها مدرارا

ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون

ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون

ما هذا الا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لانزل ملائكة لجعلناه رجلا لارسلناه
في صورة رجل كما كان ينزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في اعم الاحوال في صورة دحية لانهم لا يبقون مع رؤية الملائكة
في صورهم وللبسنا عليهم ولخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم حينئذ
فانهم يقولون اذا راوا الملك في صورة الانسان هذا انسان
وليس بملك فان قال لهم الدليل على اني ملك اني جئت بالقرآن
المعجز وهو ناطق باني ملك لا بشر كذبوه كما كذبوا محمدا فاذا
فعلوا ذلك خذلوا كما هم مخذولون الآن فهو لبس الله عليهم ويجوز
ان يراد وللبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على انفسهم الساعة
في كفرهم بآيات الله البينة وقرا ابن محيصن ولبسنا بلام
واحدة وقرا الزهري وللبّسنا عليهم ما يلبّسون بالتشديد
ولقد استهزئ تسلية لرسول الله صلى الله عليه عما كان يلقى
من قومه فحاق بهم فاحاط بهم الشيء الذي كانوا يستهزءون
به وهو الحق حيث اهلكوا من اجل الاستهزاء به فان قلت
اي فرق بين قوله فانظروا وبين قوله ثم انظروا قلت جعل
النظر مسببا عن السير في قوله فانظروا فكانه قيل سيروا لاجل
النظر ولا تسيروا سير الغافلين واما قوله قل سيروا
في الارض ثم انظروا فمعناه اباحة السير في الارض للتجارة
وغيرها من المنافع وايجاب النظر في آثار الهالكين ونبه
على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح لمن ما في
السموات والارض سؤال تبكيت وقل لله تقرير لهم اي
هو لله لا خلاف بيني وبينكم ولا تقدرون ان تضيفوا شيئا
منه الى غيره كتب على نفسه الرحمة اي اوجبها على ذاته في
هدايتكم

لبس الحق بالباطل لبسا خلطه

ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين قل لمن ما في السموات والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون

الى معرفته ونصب الادلة لكم على توحيده بما انتم مقرون به من خلق السموات
والارض ثم اوعدهم على اغفالهم النظر واشراكهم به من لا
يقدر على خلق شيء بقوله ليجمعنكم الى يوم القيامة فيجازيكم على
شرككم وقوله الذين خسروا انفسهم فان قلت كيف جعل عدم ايمانهم
مسببا عن خسرانهم والامر على العكس قلت معناه الذين
خسروا انفسهم في علم الله لاختيارهم الكفر فهم لا يؤمنون وله
عطف على الله ما سكن في الليل والنهار من السكنى وتعديه
بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وهو السميع
العليم يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى عليه شيء مما
يشتمل عليه الملوان اولي غير الله همزة الاستفهام دون
الفعل الذي هو اتخذ لان الانكار في اتخاذ غير الله وليا لا في
اتخاذ الولي فكان اولى بالتقديم ونحوه افغير الله تامروني
اعبد آلله اذن لكم وقرئ فاطر السموات بالجر صفة لله وبالرفع
على المدح وقرا الزهري فطر وعن ابن عباس ما عرفت ما
فاطر السموات والارض حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر
فقال احدهما انا فطرتها اي ابتداتها وهو يطعم وهو يرزق
ولا يرزق كقوله ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون
والمعنى ان المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع وقرئ
ولا يطعم بفتح الياء وروى ابن المامون عن يعقوب وهو يطعم
ولا يطعم على بناء الاول للمفعول والثاني للفاعل والضمير لغير الله
وقرا الاشهب وهو يطعم ولا يطعم وفسر ان معناه وهو يطعم
ولا يستطعم وحكى الازهري اطعمت بمعنى استطعمت ونحوه افدت ويجوز ان يكون المعنى
وهو يطعم تارة ولا يطعم اخرى على حسب المصالح كقولك
هو يعطي ويمنع

ولله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن من المشركين قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين

ولا يطعم على بنائهما للفاعل وفسر بان معناه وهو يطعم

ونبسط ونقبض ونغني ونفقر أول من أسلم لأن النبي سابق أمته
في الإسلام كقوله وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين وكقول
موسى سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين ولا تكونن
وقيل لي لا تكونن من المشركين ومعناه أمرت بالإسلام
ونهيت عن الشرك من يصرف عنه العذاب يومئذ فقد
رحمه الله الرحمة العظمى وهي النجاة كقولك إن أطعمت زيدا
من جوعه فقد أحسنت إليه تريد فقد أتممت الإحسان إليه
أو فقد أدخله الجنة لأن من لم يعذب لم يكن له بد من الثواب
وقرئ من يصرف عنه على البناء للفاعل والمعنى من يصرف
الله عنه في ذلك اليوم فقد رحمه بمعنى من يدفع الله عنه
ويحفظه وقد علم من المدفوع عنه وترك ذكر المصروف لكونه
معلوما أو مذكورا قبله وهو العذاب ويجوز أن ينتصب
يومئذ بيصرف انتصاب المفعول به أي من يصرف الله
عنه ذلك اليوم أي هوله فقد رحمه وينصر هذه القراءة قراءة
أبي من يصرف الله عنه وإن يمسسك الله بضر من مرض
أو فقر أو غير ذلك من بلاياه فلا قادر على كشفه إلا هو
وإن يمسسك بخير من غنى أو صحة فهو على كل شيء قدير فكان
قادرا على إدامته أو إزالته فوق عباده تصوير للقهر
والعلو بالغلبة والقدرة كقوله وإنا فوقهم قاهرون الشيء
أعم العام لوقوعه على كل ما يصح أن يعلم ويخبر عنه فيقع على
القديم والجرم والعرض والمحال والمستقيم ولذلك صح أن
يقال الله عز وجل شيء لا كالأشياء كأنك قلت معلوم
لا كسائر المعلومات ولا يصح جسم لا كالأجسام وأراد أي

أراد كما المدفوع عنه وترك المدفوع وهو العذاب

لا انتصاب المفعول فيه فيكون المبلوغ مذكورا

وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ

لا كسائر المعلومات
فكأنه قال لا كسائر المعلومات فهكذا

شهيد أكبر شهادة فوضع شيئا مقام شهيد ليبالغ بالتعميم قل الله
شهيد بيني وبينكم يحتمل أن يكون تمام الجواب عند قوله قل
الله بمعنى الله أكبر شهادة ثم ابتدئ شهيد بيني وبينكم أي
هو شهيد بيني وبينكم وأن يكون الله شهيد بيني وبينكم
هو الجواب لدلالته على أن الله عز وجل إذا كان هو
الشهيد بينه وبينهم فأكبر شيء شهادة شهيد له ومن بلغ
عطف على ضمير المخاطبين من أهل مكة أي لأنذركم وأنذر كل
من بلغه القرآن من العرب والعجم وقيل من الثقلين وقيل
من بلغه إلى يوم القيامة وعن سعيد بن جبير من بلغه القرآن
فكأنما رأى محمدا صلى الله عليه أئنكم لتشهدون تقرير لهم
مع إنكار واستبعاد قل لا أشهد شهادتكم الذين آتيناهم
الكتاب يعني اليهود والنصارى يعرفونه يعرفون رسول
الله بحليته ونعته الثابت في الكتابين معرفة خالصة
كما يعرفون أبناءهم بحلاهم ونعوتهم لا يخفون عليهم ولا
يلتبسون بغيرهم وهذا استشهاد لأهل مكة بمعرفة أهل
الكتاب به وبصحة نبوته ثم قال الذين خسروا أنفسهم من
المشركين ومن أهل الكتاب الجاحدين فهم لا يؤمنون
به جمعوا بين أمرين متناقضين فكذبوا على الله ما لا حجة
عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة البينة والبرهان الصحيح حيث
قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا وقالوا والله أمرنا
بها وقالوا الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله
ونسبوا إليه تحريم البحائر والسوائب وذهبوا فكذبوا
القرآن والمعجزات وسموها سحرا ولم يؤمنوا بالرسول ويوم
نحشرهم

أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح الظالمون

ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين

ناصبه محذوف تقديره ويوم نحشرهم كان كيت وكيت فترك ليبقى
على الابهام الذي هو داخل في التخويف اين شركاؤكم اي آلهتكم
التي جعلتموها شركاء لله وقوله الذين كنتم تزعمون معناه
تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان وقرئ يحشرهم يقول بالياء
فيهما وانما يقال لهم ذلك على جهة التوبيخ ويجوز ان يشاهدوهم
الا انهم حيث لا ينفعونهم ولا يكون منهم ما رجوا من الشفاعة
فكانهم غيب عنهم وان يحال بينهم وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم
في الساعة التي علقوا بهم الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم
فتنتهم كفرهم والمعنى لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه
اعمارهم وقاتلوا عليه وافتخروا به وقالوا دين آبائنا
الا جحوده والتبرؤ منه والحلف على الانتفاء من التدين
ويجوز ان يراد ثم لم يكن جوابهم الا ان قالوا فسمي فتنة لانه
كذب وقرئ لم تكن بالتاء وفتنتهم بالنصب وانما انث
ان قالوا لوقوع الخبر مؤنثا كقولهم من كانت امك وقرئ
بالياء ونصب الفتنة وبالياء والتاء مع رفع الفتنة وقرئ
ربنا بالنصب على النداء وضل عنهم وغاب عنهم ما كانوا يفترون
اي يفترون الهيته وشفاعته فان قلت كيف يصح ان
يكذبوا حين يطلعون على حقائق الامور وعلى ان الكذب
والجحود لا وجه لمنفعته قلت الممتحن ينطق بما ينفعه وبما
لا ينفعه من غير تمييز بينهما حيرة ودهشا الا تراهم يقولون
ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون وقد ايقنوا بالخلود
ولم يشكوا فيه وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك وقد علموا
انه لا يقضي عليهم واما قول من يقول معناه ما كنا مشركين
عند انفسنا

انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا

وما علمنا انا على خطاء في معتقدنا وحمل قوله انظر كيف كذبوا
على انفسهم يعني في الدنيا فتمحل وتعسف وتحريف لافصح
الكلام الى ما هو عي واقحام لان المعنى الذي ذهبوا
اليه ليس هذا الكلام بمترجم عنه ولا منطبق عليه وهو
ناب عنه اشد النبو وما ادري ما يصنع من ذلك
تفسيره بقوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون
لكم ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون بعد
قوله ويحلفون على الكذب وهم يعلمون فشبه كذبهم في
الآخرة بكذبهم في الدنيا ومنهم من يستمع اليك حين تتلو
القرآن روي انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة
وشيبة وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول
الله فقالوا للنضر يا ابا قتيلة ما يقول محمد فقال والذي
جعلها بيته يعني الكعبة ما ادري ما يقول الا انه يحرك
لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون
الماضية فقال ابو سفيان اني لاراه حقا فقال ابو جهل
كلا فنزلت والاكنة على القلوب والوقر في الآذان مثل في
نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته ووجه اسناد
الفعل الى ذاته وهو قوله وجعلنا للدلالة على انه امر ثابت فيهم
لا يزول عنهم كانهم مجبولون عليه او هي حكاية لما كانوا ينطقون
به من قولهم وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقرا طلحة
وقر بكسر الواو حتى اذا جاءوك يجادلونك هي حتى التي تقع بعدها
الجمل والجملة قوله اذا جاءوك يقول الذين كفروا ويجادلونك
في موضع الحال ويجوز ان يكون الجارة ويكون اذا جاءوك

وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين

في محل الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال وقوله يقول الذين كفروا
تفسير له والمعنى انه بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم يجادلونك
ويناكرونك وفسر مجادلتهم بانهم يقولون ان هذا الا اساطير
الاولين فيجعلون كلام الله واصدق الحديث خرافات
واكاذيب وهي الغاية في التكذيب وهم ينهون الناس عن
القرآن او عن الرسول واتباعه ويثبطونهم عن الايمان
وينأون عنه بانفسهم فيضلون ويضلون وان يهلكون
بذلك الا انفسهم ولا يتعداهم الضرر الى غيرهم وان كانوا يظنون
انهم يضرون رسول الله وقيل هو ابو طالب لانه كان
ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله وينأى عنه فلا يؤمن
به وروي انهم اجتمعوا الى ابي طالب وارادوا برسول الله سوءا
فقال والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة وابشر بذاك وقر منه عيونا
ودعوتني وزعمت انك ناصح ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت دينا لا محالة انه من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذاري سبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا
فنزلت ولو ترى جوابه محذوف تقديره ولو ترى لرأيت امرا
شنيعا وقفوا على النار اروها حتى يعاينوها او اطلعوا عليها
اطلاعا هي تحتهم او ادخلوها فعرفوا مقدار عذابها من قولك
وقفته على كذا اذا فهمته وعرفته وقرئ وقفوا على البناء
للفاعل من وقف عليه وقوفا يا ليتنا نرد تم تمنيهم ثم
ابتدءوا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين
واعدين الايمان كانهم قالوا ونحن لا نكذب ونؤمن
على وجه الاثبات

وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون

ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين

اعود
وشبهه سيبويه بقولهم دعني ولا اعود بمعنى دعني وانا لا
تركتني او لم تتركني ويجوز ان يكون معطوفا على نرد او
حالا على معنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من
المؤمنين فيدخل تحت حكم التمني فان قلت يدفع ذلك
قوله وانهم لكاذبون لان المتمني لا يكون كاذبا قلت
هذا تمن قد تضمن معنى العدة فجاز ان يتعلق به التكذيب
كما يقول الرجل ليت الله يرزقني مالا فاحسن اليك واكافئك
على صنيعك فهذا متمن في معنى الواعد فلو رزق مالا ولم
يحسن الى صاحبه ولم يكافئه كذب كانه قال ان رزقني
الله مالا كافأتك على الاحسان وقرئ ولا نكذب ونكون
بالنصب باضمار ان على جواب التمني ومعناه ان رددنا
لم نكذب ونكن من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون
من الناس من قبائحهم وفضائحهم في صحفهم وبشهادة جوارحهم
عليهم فلذلك تمنوا ما تمنوا ضجرا لا انهم عازمون على
انهم لو ردوا لآمنوا وقيل هو في المنافقين وانه يظهر نفاقهم
الذي كانوا يسرونه وقيل هو في اهل الكتاب وانه
يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله ولو ردوا
الى الدنيا بعد وقوفهم على النار لعادوا لما نهوا عنه من
الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم لا
يفون به وقالوا عطف على لعادوا اي ولو ردوا لكفروا
ولقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا كما كانوا يقولون قبل
معاينة القيامة ويجوز ان يعطف على قوله وانهم لكاذبون
على معنى وانهم لقوم كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا ان
هي

بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل

ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون

وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون

الا حيوتنا الدنيا كما كانوا يقولون قبل معاينة القيامة ويجوز ان
يعطف على قوله وانهم لكاذبون على معنى وانهم لقوم كاذبون في كل شي
وهم الذين قالوا ان هي الا حيوتنا الدنيا وكفى به دليلا على
كذبهم ولو ترى اذ وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف
العبد الجاني بين يدي سيده ليعاتبه وقيل وقفوا على جزاء
ربهم وقيل عرفوه حق التعريف قال مردود على قول قائل
قال ماذا قال ربهم اذ وقفوا عليه فقيل قال اليس هذا بالحق
وهذا تعيير من الله لهم على التكذيب وقولهم لما كانوا يسمعون
من حديث البعث والجزاء ما هو بحق وما هو الا باطل بما كنتم
تكفرون بكفركم بلقاء الله ببلوغ الآخرة وما يتصل بها
وقد حقق الكلام فيه في موضع آخر حتى غاية لكذبوا لا لخسر
لان خسرانهم لا غاية له اي ما زال بهم التكذيب الى حسرتهم
وقت مجيء الساعة فان قلت اما يتحسرون عند موتهم قلت
لما كان الموت وقوعا في احوال الآخرة ومقدماتها جعل من
جنس الساعة وسمي باسمها ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه
من مات فقد قامت قيامته او جعل مجيء الساعة بعد
الموت لسرعته كالواقع بغير فترة بغتة فجاءة وانتصابها
على الحال بمعنى باغتة او على المصدر كانه قيل بغتتهم الساعة
بغتة فرطنا فيها الضمير للحيوة الدنيا جرى ذكرها وان لم
يجر لها ذكر لكونها معلومة او للساعة على معنى قصرنا في شانها
وفي الايمان بها كما تقول فرطت في فلان ومنه فرطت في
جنب الله يحملون اوزارهم على ظهورهم كقوله فبما كسبت ايديكم
لانه اعتيد حمل الاثقال على الظهور كما الف الكسب بالايدي

قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون

تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام

ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه وزرهم كقوله ساء مثلا القوم
جعل اعمال الدنيا لعبا ولهوا واشتغالا بما لا يعني ولا يعقب
منفعة كما تعقب اعمال الآخرة المنافع العظيمة وقوله للذين
يتقون دليل على ان ما سوى اعمال المتقين لعب
ولهو وقرا ابن عامر ولدار الآخرة وقرئ يعقلون بالتاء
والياء قد نعلم معنى ربما الذي يجيء لزيادة الفعل وكثرته
كقوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في انه ضمير الشان
ليحزنك وقرئ بفتح الياء وضمها الذي يقولون هو قولهم ساحر
كذاب لا يكذبونك قرئ بالتشديد والتخفيف من اكذبه اذا
جعله كاذبا في زعمه واكذبه اذا وجده كاذبا والمعنى ان
تكذيبك امر راجع الى الله لانك رسوله المصدق بالمعجزات فهم
لا يكذبونك في الحقيقة وانما يكذبون الله بجحود آياته فاله عن
حزنك لنفسك فانهم كذبوك وانت صادق وليشغلك عن
ذلك ما هو اهم وهو استعظامك لجحود آيات الله والاستهانة
بكتابه ونحوه قول السيد لغلامه اذا اهانه بعض الناس
انهم لم يهينوك وانما اهانوني ومن هذه الطريقة قوله
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل فانهم لا
يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بالسنتهم وقيل فانهم لا
يكذبونك لانك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون
بآيات الله وعن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه
يسمى الامين فعرفوا انه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون
وكان ابو جهل يقول ما نكذبك وانك عندنا لمصدق وانما نكذب
ما جئتنا به وروي ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم

وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون

أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فإنه ليس عندنا أحد غيرنا
فقال له والله إن محمداً لصادق وما كذب قط ولكن إذا ذهب
بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون
لسائر قريش فنزلت وقوله ولكن الظالمين من إقامة الظاهر
مقام المضمر للدلالة على أنهم ظلموا في جحودهم ولقد كذبت تسلية
لرسول الله وهذا دليل على أن قوله فإنهم لا يكذبونك ليس
بنفي لتكذيبه وإنما هو من قولك لغلامك ما أهانوك ولكنهم أهانوني
على ما كذبوا وأوذوا على تكذيبهم وإيذائهم ولا مبدل لكلمات الله
لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم
لهم المنصورون ولقد جاءك من نبإ المرسلين بعض أنبائهم وقصصهم
وما كابدوا من مصابرة المشركين كان يكبر على النبي صلى الله عليه
لكفر قومه وإعراضهم عما جاء به فنزل لعلك باخع نفسك ألا
تهلك من الحسرة وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت
أن تبتغي نفقاً منفذاً تنفذ فيه إلى ما تحت الأرض حتى تطلع
لهم آية يؤمنون بها أو سلماً في السماء فتأتيهم منها بآية فافعل
يعني أنك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على إسلام قومه
وتهالكه عليه وأنه لو استطاع أن يأتيهم بآية من تحت الأرض
أو من فوق السماء لأتى بها رجاء إيمانهم وقيل كانوا يقترحون
الآيات فكان يود أن يجابوا إليها لتمادي حرصه على إيمانهم فقيل له
إن استطعت كذا فافعل دلالة على أنه بلغ من حرصه أنه لو استطاع
ذلك لفعله حتى يأتيهم بما اقترحوا لعلهم يؤمنون ويجوز أن يكون
ابتغاء النفق في الأرض أو السلم في السماء هو الإتيان بالآية كأنه
قيل لو استطعت النفوذ إلى ما تحت الأرض أو الرقي في السماء لفعلت

ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين

لعل ذلك يكون لك آية يؤمنون عندها وحذف جواب إن
كما تقول إن شئت أن تقوم بنا إلى فلان نزوره ولو شاء الله
لجمعهم على الهدى بأن يأتيهم بآية ملجئة ولكنه لا يفعل لخروجه
عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين من الذين يجهلون ذلك
ويرومون ما هو خلافه إنما يستجيب الذين يسمعون يعني
أن الذين تحرص على أن يصدقوك بمنزلة الموتى الذين
لا يسمعون وإنما يستجيب من يسمع كقوله إنك لا تسمع الموتى
والموتى يبعثهم الله مثل لقدرته على إلجائهم إلى الاستجابة بأنه
هو الذي يبعث الموتى من القبور يوم القيامة ثم إليه
يرجعون للجزاء فكان قادراً على هؤلاء الموتى بالكفر أن
يحييهم بالإيمان وأنت لا تقدر على ذلك وقيل معناه
وهؤلاء الموتى يعني الكفرة يبعثهم الله ثم إليه يرجعون فحينئذ
يسمعون وأما قبل ذلك فلا سبيل إلى استماعهم وقرئ
يرجعون بفتح الياء لولا نزل عليه آية نزل بمعنى أنزل وقرئ
أن ينزل بالتشديد والتخفيف وذكر الفعل والفاعل مؤنث
لأن تأنيث آية غير حقيقي وحسن للفصل وإنما قالوا ذلك
مع تكاثر ما أنزل من الآيات على رسول الله صلى الله عليه لتركهم
الاعتداد بما أنزل عليه كأنه لم ينزل عليه شيء من الآيات عناداً
منهم قل إن الله قادر على أن ينزل آية تضطرهم إلى الإيمان
كنتق الجبل على بني إسرائيل ونحوه أو آية إن جحدوها جاءهم العذاب
ولكن أكثرهم لا يعلمون أن الله قادر على أن ينزل تلك الآية
وأن صارفاً من الحكمة يصرفه عن إنزالها أمم أمثالكم مكتوبة
أرزاقها

إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون

وآجالها وأعمالها كما كتبت أرزاقكم وآجالكم وأعمالكم ما فرطنا ما تركنا
وما أغفلنا في الكتاب في اللوح المحفوظ من شيء من ذلك لم نكتبه
ولم نثبت ما وجب أن يثبت مما يختص به ثم إلى ربهم يحشرون
يعني الأمم كلها من الدواب والطير فيعوضها وينصف بعضها
من بعض كما يروى أنه يأخذ للجماء من القرناء فإن قلت كيف قيل
الأمم مع إفراد الدابة والطائر قلت لما كان قوله وما من
دابة ولا طائر دالا على معنى الاستغراق ومغنيا عن أن يقال
وما من دواب ولا طير حمل قوله الأمم على المعنى فإن قلت فلا
قيل وما من دابة ولا طائر إلا أمم أمثالكم وما معنى زيادة قوله في
الأرض ويطير بجناحيه قلت معنى ذلك زيادة التعميم والإحاطة
كأنه قيل وما من دابة قط في جميع الأرضين السبع وما من
طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم
محفوظة أحوالها غير مهمل أمرها فإن قلت فما الغرض في ذكر ذلك
قلت الدلالة على عظم قدرته ولطف علمه وسعة سلطانه وتدبيره
تلك الخلائق المتفاوتة الأجناس المتكاثرة الأصناف وهو
حافظ لما لها وما عليها مهيمن على أحوالها لا يشغله شأن
عن شأن وأن المكلفين ليسوا بمخصوصين بذلك دون ما
عداهم من سائر الحيوانات وقرأ ابن أبي عبلة ولا طائر بالرفع
على المحل كأنه قيل وما دابة والطائر وقرأ علقمة ما فرطنا بالتخفيف
فإن قلت كيف أتبعه قوله والذين كذبوا بآياتنا قلت لما ذكر
من خلائقه وآثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادي على عظمته قال
والمكذبون صم لا يسمعون كلام المنبه بكم لا ينطقون بالحق
خابطون في ظلمات الكفر فهم غافلون عن تأمل ذلك والتفكر فيه

إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون

والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم

ثم قال إيذانا بأنهم من أهل الطبع من يشأ الله يضلله أي يخذله
ويخله وضلاله لم يلطف به لأنه ليس من أهل اللطف
ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم أي يلطف به لأن اللطف
يجدي عليه أرأيتكم أخبروني والضمير الثاني لا محل له من
الإعراب لأنك تقول أرأيتك زيدا ما شأنه وهو خلف من
القول ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره أرأيتكم إن
أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة من تدعون ثم بكتهم بقوله أغير
الله تدعون بمعنى أتخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم
إذا أصابكم ضر أم تدعون الله دونها بل إياه تدعون بل
تخصونه بالدعاء دون الآلهة فيكشف ما تدعون إليه أي ما
تدعونه إلى كشفه إن شاء إن أراد أن يتفضل عليكم ولم يكن
مفسدة وتنسون ما تشركون وتتركون آلهتكم أو لا تذكرونها
في ذلك الوقت لأن أذهانكم مغمورة بذكر ربكم وحده إذ هو
القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز أن يتعلق الاستخبار
بقوله أغير الله تدعون كأنه قيل أرأيتكم أغير الله تدعون
إن أتاكم عذاب الله فإن قلت إن علقت الاستخبار به فما
تصنع بقوله فيكشف ما تدعون مع قوله أو أتتكم الساعة
وقوارع الساعة لا تكشف عن المشركين قلت قد اشترط
في الكشف المشيئة وهو قوله إن شاء إيذانا بأنه إن فعل كان له
وجه من الحكمة إلا أنه لا يفعل لوجه آخر من الحكمة أرجح منه بالبأساء
والضراء البؤس والضر وقيل البأساء القحط والجوع والضراء
المرض ونقصان الأنفس والأموال والمعنى ولقد أرسلنا إليهم الرسل
فكذبوهم فأخذناهم لعلهم يتضرعون يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون
عن ذنوبهم

قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين

بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون

فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفي التضرع كأنه قيل فلم يتضرعوا إذ جاءهم بأسنا ولكنه جاء بلولا ليفيد أنه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع إلا عنادهم وقسوة قلوبهم وإعجابهم بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء أي تركوا الاتعاظ به ولم ينجع فيهم ولم يزجرهم فتحنا عليهم أبواب كل شيء من الصحة والسعة وصنوف النعمة لنزاوج عليهم بين نوبتي الضراء والسراء كما يفعل الأب المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاطفه أخرى طلبا لصلاحه حتى إذا فرحوا بما أوتوا من الخير والنعم لم يزيدوا على الفرح والبطر من غير انتداب لشكر ولا تصد لتوبة واعتذار أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون واجمون متحسرون آيسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا آخرهم لم يترك منهم أحد وقد استؤصلت شأفتهم والحمد لله رب العالمين إيذان بوجوب الحمد عند هلاك الظلمة وأنه من أجل النعم وأجزل القسم وقرئ فتحنا بالتشديد قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم بأن يصمكم ويعميكم وختم على قلوبكم بأن يغطي عليها ما يذهب عنده فهمكم وعقلكم من إله غير الله يأتيكم به أي بذاك إجراء للضمير مجرى اسم الإشارة أو بما أخذ وختم عليه يصدفون يعرضون عن الآيات بعد ظهورها لما كانت البغتة أن يقع الأمر من غير أن يشعر به وقابلها بالجهرة قيل بغتة أو جهرة وعن الحسن ليلا أو نهارا وقرئ بغتة أو جهرة هل يهلك أي ما يهلك هلاك تعذيب وسخط إلا القوم الظالمون وقرئ هل يهلك بفتح الياء إلا مبشرين ومنذرين من آمن بهم وبما جاءوا به والطاعة ومن كذبهم وعصاهم ولم نرسلهم ليقترح عليهم الآيات بعد وضوح أمرهم بالبراهين القاطعة وأصلح ما يجب إصلاحه مما كلف

فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين

قل أرأيتكم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي

العذاب ما بينا كأنه جعل فعلا لهم ما يوجد من الآلام ومعنى قولهم العذاب الأليم والأقربين حيث جمعوا جمع العقلاء وقوله إذا بأيديهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا أي لا أدعي ما يستبعد في العقول أن يكون لبشر من ملك خزائن الله وهي قسمه بين الخلق وأرزاقه وعلم الغيب ولا من الملائكة الذين هم أشرف جنس خلقه الله وأفضله وأقربه منزلة منه أي لم أدع الألهية ولا الملكية لأنه ليس بعد الألهية منزلة أرفع من منزلة الملكية حتى تستبعدوا دعواي وتستنكروها وإنما أدعي ما كان مثله لكثير من البشر وهو النبوة هل يستوي الأعمى والبصير مثل للضال والمهتدي ويجوز أن يكون مثلا لمن اتبع ما يوحى إليه ومن لم يتبع أو لمن ادعى المستقيم وهو النبوة والمحال وهو الألهية أو الملكية أفلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين أشباه العمياء أو فتعلموا أني ما ادعيت ما لا يليق بالبشر أو فتعلموا أن اتباع ما يوحى إلي مما لا بد لي منه فإن قلت أعلم الغيب ما محله من الإعراب قلت النصب عطفا على محل عندي خزائن الله لأنه من جملة المقول كأنه قال لا أقول لكم هذا القول ولا هذا القول وأنذر به الضمير راجع إلى قوله ما يوحى إلي الذين يخافون أن يحشروا أما قوم داخلون في الإسلام مقرون بالبعث إلا أنهم مفرطون في العمل فينذرهم بما أوحي إليه لعلهم يتقون أي يدخلون في زمرة أهل التقوى من المسلمين وأما أهل الكتاب لأنهم مقرون بالبعث وأما ناس من المشركين علم من حالهم أنهم يخافون إذا سمعوا بحديث البعث أن يكون حقا فيهلكوا فهم ممن يرجى أن ينجع فيهم الإنذار دون المتمردين منهم فأمر أن ينذر هؤلاء وقوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع

في موضع الحال يحشروا

ولا أقول لكم إني ملك

قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون

وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون

ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين

يعني يخافون أن يحشروا غير منصورين ولا مشفوعاً لهم ولا بد
من هذه الحال لأن كلاً محشور فالمخوف إنما هو الحشر على
هذه الحال ذكر غير المتقين من المسلمين وأمر بإنذارهم
ليتقوا ثم أردفهم ذكر المتقين منهم وأمره بتقريبهم وإكرامهم
وأن لا يطيع فيهم من أرادهم خلاف ذلك وأثنى عليهم
بأنهم يواصلون دعاء ربهم أي عبادته ويواظبون عليها
والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل معناه
يصلون صلاة الصبح والعصر ووسمهم بالإخلاص في عبادتهم
بقوله يريدون وجهه والوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته
روي أن رؤساء من المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه
لو طردت هؤلاء الأعبد يعنون فقراء المسلمين وهم
عمار وصهيب وخباب وسلمان وأضرابهم وأرواح
جبابهم وكانت عليهم جباب من صوف جلسنا إليك
وحادثناك فقال عليه السلام ما أنا بطارد المؤمنين فقالوا
فأقمهم عنا إذا جئنا فإذا قمنا فأقعدهم معك إن شئت
قال نعم طمعاً في إيمانهم وروي أن عمر رضي الله عنه قال له
لو فعلت حتى ننظر إلى ماذا يصيرون قالوا فاكتب بذلك
كتاباً فدعا بالصحيفة وبعلي ليكتب فنزلت فرمى بالصحيفة
واعتذر عمر من مقالته قال سلمان وخباب فينا نزلت
وكان رسول الله يقعد معنا وندنو منه حتى تمس ركبتنا
ركبته وكان يقوم عنا إذا أراد القيام فنزلت واصبر
نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا إلى
أن نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن
أصبر نفسي

مع قوم من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات ما عليك من حسابهم
من شيء كقوله إن حسابهم إلا على ربي وذلك أنهم طعنوا في
دينهم وإخلاصهم فقال ما عليك من حسابهم من شيء بعد
شهادته لهم بالإخلاص وبإرادة وجه الله في أعمالهم على معنى
وإن كان الأمر على ما يقولون عند الله فما يلزمك إلا
اعتبار الظاهر والاتسام بسيرة المتقين وإن كان لهم
باطن غير مرضي فحسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم إليك
كما أن حسابك عليك لا يتعداك إليهم كقوله ولا تزر وازرة
وزر أخرى فإن قلت أما كفى قوله ما عليك من حسابهم من
شيء حتى ضم إليه وما من حسابك عليهم من شيء قلت قد جعلت
الجملتان بمنزلة جملة واحدة وقصد بهما مؤدى واحد وهو المعنى
في قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى ولا يستقل بهذا المعنى
إلا الجملتان جميعاً كأنه قيل لا تؤاخذ أنت ولا هم بحساب
صاحبه وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا يؤاخذون بحسابك
ولا أنت بحسابهم حتى يهمك إيمانهم ويحركك الحرص عليه إلى
أن تطرد المؤمنين فتطردهم جواب النفي فتكون من الظالمين
جواب النهي ويجوز أن يكون عطفاً على فتطردهم على وجه التسبيب
لأن كونه ظالماً مسبب عن طردهم وقرئ بالغدوة والعشي
وكذلك فتنا ومثل ذلك الفتن العظيم فتنا بعض الناس
ببعض أي ابتليناهم بهم وذلك أن المشركين كانوا يقولون
للمسلمين أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا أي أنعم عليهم بالتوفيق
لإصابة الحق ولما يسعدهم عنده من دوننا ونحن المقدمون
والرؤساء وهم العبيد والفقراء إنكاراً لأن يكون أمثالهم
على الحق وممنوناً عليهم من بينهم بالخير ونحوه أألقي الذكر عليه من
بيننا

لو كان خيرا ما سبقونا إليه ومعنى فتنّاهم ليقولوا ذلك خذلناهم
فافتتنوا حتى كان افتتانهم سببا لهذا القول لأنه لا يقول
مثل قولهم هذا إلا مخذول مفتون أليس الله بأعلم بالشاكرين
أي الله أعلم بمن يقع منه الإيمان والشكر فيوفقه للإيمان
وبمن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق فقل سلام
عليكم إما أن يكون أمرا بتبليغ سلام الله إليهم وإما أن يكون
أمرا بأن يبدأهم بالسلام إكراما لهم وتطييبا لقلوبهم وكذلك
قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة من جملة ما يقول لهم ليبشرهم
ويبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم وقرئ إنه
فإنه بالكسر على الاستئناف كأن الرحمة استفسرت فقيل
إنه من عمل منكم وبالفتح على الإبدال من الرحمة بجهالة في موضع
الحال أي عمله وهو جاهل وفيه معنيان أحدهما أنه فاعل
فعل الجهلة لأن من عمل ما يؤدي إلى الضرر في العاقبة وهو
عالم بذلك أو ظان فهو من أهل السفه والجهل لا من أهل
الحكمة والتدبير ومنه قول الشاعر على أنها قالت عشية زرتها
جهلت على عمد ولم تك جاهلا والثاني أنه جاهل بما يتعلق به من
المكروه والمضرة ومن حق الحكيم أن لا يقدم على شيء حتى يعلم
حاله وكيفيته وقيل إنها نزلت في عمر رضي الله عنه حين
أشار بإجابة الكفرة إلى ما سألوا ولم يعلم أنها مفسدة وقرئ
ولتستبين بالياء والتاء مع رفع السبيل لأنها تذكر وتؤنث
وبالتاء على خطاب الرسول مع نصب السبيل يقال استبان
الأمر وتبين واستبنته وتبينته والمعنى ومثل ذلك
التفصيل البين نفصل آيات القرآن ونلخصها في صفة
أحوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه لا يرجى إسلامه ومن
يُرى فيه

وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين

الإسلام

أمارة القبول وهو الذي يخاف إذا سمع ذكر القيامة ومن دخل في
الإسلام إلا أنه لا يحفظ حدوده ولتستوضح سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يجب
أن تعامل به فصلنا ذلك التفصيل نهيت صرفت وزجرت
بما ركب فيّ من أدلة العقل وبما أوتيت من أدلة السمع عن
عبادة ما تعبدون من دون الله وفيه استجهال لهم ووصف
بالاقتحام فيما كانوا فيه على غير بصيرة قل لا أتبع أهواءكم أي
لا أجري في طريقتكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى
دون اتباع الدليل وهو بيان للسبب الذي منه وقعوا في
الضلال وتنبيه لكل من أراد إصابة الحق ومجانبة الباطل
قد ضللت إذا أي إن اتبعت أهواءكم فأنا ضال وما أنا
من الهدى في شيء يعني أنكم كذلك ولما نفى أن يكون الهوى
متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله قل إني على بينة من ربي
ومعنى قوله إني على بينة من ربي وكذبتم به أني من معرفة
ربي وأنه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق
وكذبتم به أنتم حيث أشركتم به غيره تقول أنا على بينة من
هذا الأمر وأنا على يقين منه إذا كان ثابتا عندك بدليل
ثم عقبه بما دل على استعظام تكذيبهم بالله وشدة غضبه
عليهم لذلك وأنهم أحقاء بأن يغافصوا بالعذاب المستأصل
فقال ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه
في قولهم فأمطر علينا حجارة من السماء إن الحكم إلا لله في
تأخير عذابكم يقضي الحق القضاء الحق في كل ما يقضي من
التأخير والتعجيل في أقسامه وهو خير الفاصلين أي القاضين
وقرئ يقص الحق أي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من
قص أثره

قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين قل إني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين

المغافصة ... غافصت الرجل أي أخذته على غرة

لو أن عندي أي في قدرتي وإمكاني ما تستعجلون به من العذاب
لقضي الأمر بيني وبينكم لأهلكتكم عاجلاً غضباً لربي وامتعاضاً
من تكذيبكم به ولتخلصت منكم سريعاً والله أعلم بالظالمين
وبما يجب في الحكمة من كنه عقابهم وقيل على بينة من ربي
على حجة من جهة ربي وهي القرآن وكذبتم به أي بالبينة وذكر
الضمير على تأويل البيان أو القرآن فإن قيل لم انتصب
الحق قيل بأنه صفة لمصدر يقضي أي يقضي القضاء الحق
ويجوز أن يكون مفعولاً به من قولهم قضى الدرع إذا صنعها أي
يصنع الحق ويدبره وفي قراءة عبد الله يقضي بالحق فإن قيل
لم أسقطت الياء في الخط قيل اتباعاً للخط اللفظ وسقوطها
في اللفظ لالتقاء الساكنين جعل للغيب مفاتح على طريق
الاستعارة لأن المفاتح يتوصل بها إلى ما في المخازن المستوثق
منها بالأغلاق والأقفال ومن علم مفاتحها وكيف تفتح توصل
إليها فأراد أنه هو المتوصل إلى المغيبات وحده لا يتوصل
إليها غيره كمن عنده مفاتح أقفال المخازن ويعلم فتحها فهو
المتوصل إلى ما في المخازن والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح
وقرئ مفاتيح وقيل هي جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن
ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل في
حكمها كأنه قيل وما يسقط من شيء من هذه الأشياء إلا
يعلمه وقوله إلا في كتاب مبين كالتكرير لقوله إلا يعلمها لأن
معنى إلا يعلمها ومعنى إلا في كتاب مبين واحد والكتاب
المبين علم الله أو اللوح وقرئ ولا حبة ولا رطب ولا يابس
بالرفع وفيه وجهان أن يكون عطفاً على محل من ورقة وأن
يكون رفعاً على الابتداء

ولو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم والله أعلم بالظالمين وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين

والأقفال

لسر في تخصيص الحبة بعرف صاحب الكشاف زيادة فائدة على السقوط كالأخ الورق

وخبره إلا في كتاب مبين كقولك لا رجل منهم ولا امرأة إلا في الدار
وهو الذي يتوفاكم بالليل الخطاب للكفرة أي أنتم منسدحون
الليل كله كالجيف ويعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم من الآثام
فيه ثم يبعثكم فيه ثم يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذي
قطعتم به أعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار
ومن أجله كقولك فيم دعوتني فتقول أمر كذا ليقضى أجل
مسمى وهو الأجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم
على أعمالهم ثم إليه مرجعكم وهو المرجع إلى موقف الحساب
ثم ينبئكم بما كنتم تعملون في ليلكم ونهاركم حفظة ملائكة
حافظين لأعمالكم وهم الكرام الكاتبون وعن أبي حاتم السجستاني
أنه كان يكتب عن الأصمعي كل شيء يلفظ به من فوائد
العلم حتى قال فيه أنت شبيه الحفظة تكتب لفظ اللفظة
فقال أبو حاتم وهذا أيضاً مما يكتب فإن قلت الله تعالى
غني بعلمه عن كتبة الملائكة فما فائدتها قلت فيها لطف
للعباد لأنهم إذا علموا أن الله رقيب عليهم والملائكة
الذين هم أشرف خلقه موكلون بهم يحفظون عليهم
أعمالهم ويكتبونها في صحائف تعرض على رؤوس الأشهاد
في مواقف القيامة كان ذلك أزجر لهم عن القبيح وأبعد
من السوء توفته رسلنا أي استوفت روحه وهم ملك
الموت وأعوانه وعن مجاهد جعلت الأرض له مثل
الطست يتناول من يتناوله وما من أهل بيت إلا ويطوف
عليهم في كل يوم مرتين وقرئ توفاه ويجوز أن يكون ماضياً
ومضارعاً بمعنى تتوفاه ويفرطون بالتشديد والتخفيف فالتفريط
التواني

وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين

دالتاخير عن الحد والافراط مجاوزة الحد اى لا ينقصون مما امروا
او لا يزيدون فيه ثم ردوا الى الله اى الى حكمه وجزائه مولاهم
مالكهم الذى يلى عليهم امورهم الحق العدل الذى لا يحكم الا بالحق
الا له الحكم يومئذ لا حكم فيه لغيره وهو اسرع الحاسبين لا يشغله
حساب عن حساب وقرئ الحق بالنصب على المدح قل من
ينجيكم من ظلمات البر والبحر مجاز عن مخاوفهما واهوالهما يقال
لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب اى اشتدت ظلمته
حتى عاد كالليل ويجوز ان يراد ما يشفقون عليه من الخسف
في البر والغرق في البحر بذنوبهم فاذا دعوا وتضرعوا كشف الله
عنهم الخسف والغرق فنجوا من ظلماتهما لئن انجيتنا على ارادة
القول من هذه الظلمة والشدة وقرئ ينجيكم بالتخفيف والتشديد
وانجانا وخفية بالضم والكسر هو القادر هو الذى عرفتموه
قادرا او هو الكامل القدرة عذابا من فوقكم كما امطر على قوم لوط
وعلى اصحاب الفيل الحجارة وارسل على قوم نوح الطوفان او من
تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل
من فوقكم من قبل اكابركم وسلاطينكم ومن تحت ارجلكم من
قبل سفلتكم وعبيدكم وقيل هو حبس المطر والنبات او يلبسكم
شيعا او يخلطكم فرقا مختلفين على اهواء شتى كل فرقة منكم
مشايعة لامام ومعنى خلطهم ان ينشب القتال بينهم فيختلطوا
ويشتبكوا في ملاحم القتال من قوله وكتيبة لبستها بكتيبة
حتى اذا التبست نفضت لها يدى وعن رسول الله صلى الله
عليه سالت الله ان لا يبعث على امتى عذابا من فوقهم او من
تحت ارجلهم فاعطانى ذلك وسالته ان لا يجعل باسهم بينهم

قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن انجينا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون

فمنعنى واخبرنى جبريل ان فناء امتى بالسيف وعن جابر بن عبد الله
لما نزل من فوقكم قال رسول الله اعوذ بوجهك فلما نزل او
من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا قال هاتان اهون ومعنى
الآية الوعيد باحد اصناف العذاب المعدودة والضمير في
قوله وكذب به راجع الى العذاب وهو الحق اى لابد ان
ينزل بهم قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الى امركم امنعكم
من التكذيب اجبارا انما انا منذر لكل نبا لكل شىء ينبا به
يعنى انباءهم بانهم يعذبون وايعادهم به مستقر وقت
استقرار وحصول لا محالة وهل الضمير فيه للقرآن
يخوضون في آياتنا في الاستهزاء بها والطعن فيها وكانت
قريش في انديتهم يفعلون ذلك فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم
عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره فلا باس ان تجالسهم حينئذ
واما ينسينك الشيطان وان شغلك بوسوسته حتى تنسى
النهى عن مجالستهم فلا تقعد معهم بعد الذكرى بعد ان
تذكر النهى وقرئ ينسينك بالتشديد ويجوز ان يراد وان
كان الشيطان ينسيك قبل النهى قبح مجالسة المستهزئين
لانها مما ينكره العقول فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان
ذكرناك قبحها ونبهناك عليه معهم وما على الذين يتقون
من حسابهم من شىء وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم
شىء مما يحاسبون عليه من ذنوبهم ولكن عليهم ان يذكروهم
ذكرى اذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم واظهار الكراهة
لهم وموعظتهم لعلهم يتقون لعلهم يجتنبون الخوض حياء
او كراهة لمساءتهم ويجوز ان يكون الضمير للذين يتقون اى
يذكرونهم

وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبا مستقر وسوف تعلمون

واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وما على الذين يتقون من حسابهم من شىء ولكن ذكرى لعلهم يتقون وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع

ارادوا ان يشتوا على تنويهم ويزدادوا ذودها وروي ان المسلمين قالوا
لئن كنا نقوم كلما استهزءوا بالقرآن لم نستطع ان نجلس
في المسجد الحرام وان نطوف فرخص لهم فاي قلت ما محل
ذكرى قلت يجوز ان يكون نصبا على ولكن يذكرونهم ذكرى
اي يذكرون او رفعا على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز ان يكون
عطفا على محل من شيء كقولك ما في الدار من احد ولكن زيد
لان قوله من حسابهم يأبى ذلك اتخذوا دينهم لعبا ولهوا
اي دينهم الذي كان يجب ان يأخذوه لعبا ولهوا وذلك
ان عبادة الاصنام وما كانوا عليه من تحريم البحائر والسوائب
وغير ذلك من باب اللعب واللهو واتباع هوى النفس
والعمل بالشهوة ومن جنس الهزل دون الجد او اتخذوا ما هو
لعب ولهو من عبادة الاصنام وغيرها دينا لهم او اتخذوا
دينهم الذي كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا
حيث سخروا به واستهزءوا وقيل جعل الله لكل قوم عيدا
يعظمونه ويصلون فيه ويعمرونه بذكر الله والناس كلهم
من المشركين واهل الكتاب اتخذوا عيدهم لهوا ولعبا غير
المسلمين فانهم اتخذوا عيدهم كما شرعه الله ومعنى ذرهم
اعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم ولا تشغل
قلبك بهم وذكر به اي بالقرآن ان تبسل نفس مخافة ان
تسلم الى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها واصل
الابسال المنع لان المسلم اليه يمنع المسلم باسل والباسل
بين نفسي حرم ومنه هذا عليك بسل اي حرام محظور والباسل
الشجاع لامتناعه من قرنه او لانه شديد البسور يقال بسر
الرجل اذا اشتد

فاذا اراد قالوا ابسل والعابس منقبض الوجه ولن تعدل
وان تفتدي كل فداء والعدل الفدية لان الفادي
يعدل المفدي بمثله وكل عدل نصب على المصدر وفاعل
يؤخذ قوله منها لا ضمير العدل لان العدل ههنا مصدر
فلا يسند اليه الاخذ واما في قوله ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى
المفدي به فصح اسناده اليه اولئك اشارة الى المتخذين
دينهم لهوا ولعبا قيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه حين
دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاوثان قل اندعوا
من دون الله الصنم النافع ما لا يقدر على نفعنا ولا مضرتنا
ونرد على اعقابنا راجعين الى الشرك بعد اذ هدانا الله
للاسلام كالذي استهوته الشياطين كالذي
ذهبت به مردة الجن والغيلان في الارض المهمه حيران
تائها ضالا عن الجادة لا يدري كيف يصنع له اي لهذا
المستهوى اصحاب رفقة يدعونه الى الهدى الى ان يهدوه
الطريق المستوي او سمي الطريق المستقيم بالهدى يقولون له
ائتنا وقد اعتسف المهمه تابعا للجن لا يجيبهم ولا يأتيهم وهذا
مبني على ما تزعمه العرب وتعتقده ان الجن تستهوي الانسان
والغيلان تستولي عليه كالذي يتخبطه الشيطان فشبه به
الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان
والمسلمون يدعونه اليه فلا يلتفت اليهم قل ان هدى الله
وهو الاسلام هو الهدى وحده وما وراءه ضلال وغي ومن
يبتغ غير الاسلام دينا فماذا بعد الحق الا الضلال فان قلت
ما محل الكاف في قوله كالذي استهوته قلت النصب على الحال

ولئن نعدا كلا عدل لا يؤخذ منها اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له اصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان هدى الله هو الهدى وامرنا لنسلم لرب العالمين وان اقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي اليه تحشرون وهو الذي خلق السموات والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك

من الضيعة ونرد على اعقابنا اي ننكص مشبهين من استهوته الشياطين
فان قلت ما معنى استهوته قلت هو استفعال من هوى
في الارض اذا ذهب فيها كان معناه طلبت هويه وحرصت
عليه فان قلت ما محل امرنا قلت النصب عطفا على محل
قوله ان هدى الله هو الهدى على انهما مقولان كانه قيل
قل هذا القول وقل امرنا لنسلم فان قلت ما معنى اللام
في لنسلم قلت هي تعليل للامر بمعنى امرنا وقيل لنا اسلموا
لاجل ان نسلم فان قلت فاذا كان هذا واردا في شان
ابي بكر فكيف قيل للرسول قل اندعو قلت للاتحاد الذي
كان بين رسول الله والمؤمنين خصوصا بينه وبين الصديق
رضوان الله عليه فان قلت علام عطف قوله وان اقيموا
قلت على موضع لنسلم كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا
ويجوز ان يكون التقدير وامرنا لان نسلم ولان اقيموا اي للاسلام
ولاقامة الصلوة قوله الحق مبتدا ويوم يقول خبره مقدما عليه
وانتصابه بمعنى الاستقرار كقولك يوم الجمعة القتال واليوم
بمعنى الحين والمعنى انه خلق السموات والارض قائما بالحق
والحكمة وحين يقول لشيء من الاشياء كن فيكون ذلك الشيء
قوله الحق والحكمة اي لا يكون شيئا من السموات والارض وسائر
المكونات الا عن حكمة وصواب ويوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك
كقوله لمن الملك اليوم ويجوز ان يكون قوله الحق فاعل يكون على
معنى وحين يقول لقوله الحق اي لقضائه الحق كن فيكون قوله الحق
وانتصاب اليوم بمحذوف دل عليه قوله بالحق كانه قيل وحين
يكون ويقدر يقوم بالحق عالم الغيب هو عالم الغيب وارتفاعه
على المدح

هوى في الارض هويا اذا صعد وهويا اذا هبط

يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير

رُقيّة اسم امراة أضيف قيس اليهن لانه تزوج عدة نسوة وافق اسماؤهن كلهن رقية فنسب اليهن
هذا قول الاصمعي وقال غيره كانت له عدة جدات اسماؤهن كلهن رقية وقالوا انما أضيف اليهن
لانه كان يشبب بعدة نساء يسمين رقية صحاح

آزر اسم ابي ابراهيم وفي كتب التواريخ ان اسمه بالسريانية
تارخ والاقرب ان يكون وزن آزر فاعل مثل تارخ
وعابر وعازر وشالخ وفالغ وما اشبهها من اسمائهم وهو
عطف بيان لابيه وقرئ آزر بالضم على النداء وقيل
آزر اسم صنم فيجوز ان ينبز به للزوم عبادته كما نبز ابن
قيس بالرقيات اللاتي كان يشبب بهن فقيل ابن قيس
الرقيات وفي شعر بعض المحدثين أدعى باسماء نبزا في
قبائلها كان اسماء اضحت بعض اسمائي او اريد عابد آزر
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقرئ أأزرا
تتخذ اصناما آلهة بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام
وزاي ساكنة وراء منصوبة منونة وهو اسم صنم ومعناه
اتعبد ازرا على الانكار ثم قال تتخذ اصناما آلهة تثبيتا
لذلك وتقريرا وهو داخل في حكم الانكار لانه كالبيان له
فلما جن عليه الليل عطف على قال ابراهيم لابيه وقوله
وكذلك نري ابراهيم جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف
عليه والمعنى ومثل ذلك التعريف والتبصير نعرف
ابراهيم ونبصره ملكوت السموات يعني الربوبية والالهية
ونوفقه لمعرفتها ونرشده بما شرحنا صدره وسددنا
نظره وهديناه لطريق الاستدلال وليكون من الموقنين
فعلنا ذلك ونري حكاية حال ماضية وكان ابوه وقومه يعبدون
الاصنام والشمس والقمر والكواكب فاراد ان ينبههم على الخطا
في دينهم وان يرشدهم الى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم
ان النظر الصحيح مؤد الى ان شيئا منها لا يصح ان يكون الها

واذ قال ابراهيم لابيه آزر أتتخذ اصناما آلهة اني اريك وقومك في ضلال مبين

وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر

صنعهما

لقيام ذلك الحدوث فيهما وان وراءهما محدثا احدثهما وصانعا
ومدبرا دبر طلوعهما وافولهما ومسيرهما وسائر احوالهما هذا
ربي قول من ينصف خصمه مع علمه انه مبطل فيحكي قوله
كما هو غير متعصب لمذهبه لان ذلك ادعى الى الحق وانجى
من الشغب ثم يكرّ عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة لا احب
الآفلين لا احب عبادة الارباب المتغيرين عن حال الى
حال المتنقلين من مكان الى مكان المحتجبين بستر فان ذلك
من صفات الاجرام بازغا مبتدئا في الطلوع لئن لم يهدني
ربي تنبيه لقومه على ان من اتخذ القمر الها وهو نظير الكواكب
في الافول فهو ضال وان الهداية الى الحق بتوفيق الله ولطفه
هذا اكبر من باب استعمال النصفة ايضا مع خصومه اني
بريء مما تشركون من الاجرام التي تجعلونها شركاء لخالقها
اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض اي للذي
دلت على هذه المحدثات وعلى انه مبتدئها ومبتدعها
وقيل كان هذا نظره واستدلاله في نفسه فحكاه الله
والاول اظهر لقوله لئن لم يهدني ربي وقوله يا قوم اني
بريء مما تشركون فان قلت لم احتج عليهم بالافول دون
البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال قلت الاحتجاج
بالافول اظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب فان قلت ما
وجه التذكير في قوله هذا ربي والاشارة للشمس قلت جعل
المبتدأ مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد كقولهم ما جاءت
حاجتك ومن كانت امك لم تكن فتنتهم الا ان قالوا وكان
اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب عن شبهة التأنيث

اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله وقد هداني ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما افلا تتذكرون

الا باسم قالوا في صفة الله علام ولم يقولوا علامة وان كان
العلامة ابلغ احترازا عن علامة التأنيث وقرئ نري
ابراهيم ملكوت بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره
دلائل الربوبية وحاجه قومه في الهتهم في الله وكانوا
حاجوه في توحيد الله ونفي الشركاء عنه منكرين لذلك
وقد هداني يعني الى التوحيد ولا اخاف ما تشركون به
وقد خوّفوه ان معبوداتهم تصيبه بسوء الا ان يشاء
ربي شيئا الا وقت مشية ربي شيئا يخاف فحذف الوقت يعني
لا اخاف معبوداتكم في وقت قط لانها لا تقدر على منفعة
ولا مضرة الا اذا شاء ربي ان يصيبني بمخوف من جهتها ان
اصبت ذنبا استوجب به انزال المكروه مثل ان يرجمني
بكوكب او بشقة من الشمس او القمر او يجعلها قادرة على
مضرتي وسع ربي كل شيء علما اي ليس بعجب ولا مستبعد
ان يكون في علمه انزال المخوف من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا
بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف اخاف
لتخويفكم شيئا مأمون الخوف لا يتعلق به ضرر بوجه وانتم لا تخافون
ما يتعلق به كل مخوف وهو اشراككم بالله ما لم ينزل باشراكه
سلطانا اي حجة لان الاشراك لا يصح ان يكون عليه حجة
كأنه قال وما لكم تنكرون علي الامن في موضع الامن ولا
تنكرون على انفسكم الامن في موضع الخوف ولم يقل فاينا
احق بالامن انا ام انتم احترازا من تزكيته نفسه ثم عدل عنه
الى قوله فاي الفريقين يعني فريقي المشركين والموحدين ثم
استأنف الجواب بقوله الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم

وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فاي الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون

الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون

ای لم یخلطوا ایمانهم بمعصیة تفسقهم واتی بعضهم الظلم بالکفر
لفظ اللبس وتلک اشارة الی جمیع ما احتج به ابراهیم علی قومه من
قوله فلما جن علیه اللیل الی قوله وهم مهتدون ومعنی آتیناها
ارشدناه الیها وعرفناه لها نرفع درجات من نشاء یعنی
فی العلم والحکمة وقری بالتنوین ومن ذریته الضمیر لنوح او لابراهیم
وداود عطف علی نوحا ای وهدینا داود ومن آبائهم فی موضع
النصب عطفا علی کلا یعنی وفضلنا بعض آبائهم ولو اشرکوا
مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات لکانوا کغیرهم فی
حبوط اعمالهم کما قال لئن اشرکت لیحبطن عملک آتیناهم الکتاب
یرید الجنس فان یکفر بها بالکتاب والحکم والنبوة او بالنبوة
هؤلاء یعنی اهل مکة قوما هم الانبیاء المذکورون ومن تابعهم بدلیل
قوله اولئک الذین هدی الله فبهداهم اقتده وبدلیل وصل قوله
ما یکفرنها من آبا ما قبله وقیل هم اصحاب النبی علیه السلم وکل
من آمن به وقیل کل مؤمن من بنی آدم وقیل الملائکة واذکر
الانصار لانها لم یعرفوا وعن مجاهد هم الفرس ومعنی توکیلهم بها انهم
وفقهم للایمان بها والقیام بحقوقها کما توکل الرجل بالشیء
لیقوم به ویتعهده ویحافظ علیه والباء فی لیسوا صلة کافرین وفی
بکافرین تاکید النفی فبهداهم اقتده فاختص هداهم بالاقتداء ولا
تقتد بالآباء وهذا معنی تقدیم المفعول والمراد بهداهم طریقتهم
فی الایمان بالله وتوحیده واصول الدین دون الشرائع فانها
مختلفة وهی هدی ما لم تنسخ فاذا نسخت لم تبق هدی بخلاف
اصول الدین فانها هدی ابدا والهاء فی اقتده للوقف تسقط
فی الدرج ولکن یستحب اثباتها فی الوقف لثبات الهاء فی المصحف

وتلک حجتنا آتیناها ابراهیم علی قومه نرفع درجات من نشاء ان ربک حکیم علیم ووهبنا له اسحق ویعقوب کلا هدینا ونوحا هدینا من قبل ومن ذریته داود وسلیمن وایوب ویوسف وموسی وهرون وکذلک نجزی المحسنین وزکریا ویحیی وعیسی والیاس کل من الصالحین واسمعیل والیسع ویونس ولوطا وکلا فضلنا علی العالمین ومن آبائهم وذریاتهم واخوانهم واجتبیناهم وهدیناهم الی صراط مستقیم ذلک هدی الله یهدی به من یشاء من عباده ولو اشرکوا لحبط عنهم ما کانوا یعملون اولئک الذین آتیناهم الکتاب والحکم والنبوة فان یکفر بها هؤلاء فقد وکلنا بها قوما لیسوا بها بکافرین اولئک الذین هدی الله فبهداهم اقتده قل لا اسألکم علیه اجرا ان هو الا ذکری للعالمین

وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته فی الرحمة علی عباده
واللطف بهم حین انکروا بعثة الرسل والوحی الیهم وذلک
من اعظم رحمته واجل نعمته وما ارسلناک الا رحمة للعالمین
او ما عرفوه حق معرفته فی سخطه علی الکافرین وشدة بطشه بهم
ولم یخافوه حین جسروا علی تلک المقالة العظیمة من انکار النبوة
والقائلون هم الیهود بدلیل قراءة من قرأ تجعلونه بالتاء
وکذلک تبدونها وتخفون وانما قالوا ذلک مبالغة فی
انکار انزال القرآن علی رسول الله علیه السلم فالزموا ما لا بد لهم
من الاقرار به من انزال التوریة علی موسی وادرج تحت
الالزام توبیخهم وان نعی علیهم سوء حملهم لکتابهم وتحریفهم وابداء
بعض واخفاء بعض فقیل جاء به موسی وهو نور وهدی للناس
حتی غیروه ونقصوه وجعلوه قراطیس مقطعة وورقات
مفرقة لیتمکنوا مما راموا من الابداء والاخفاء وروی ان
مالک بن الصیف من احبار الیهود ورؤسائهم قال له رسول
الله علیه السلم انشدک بالذی انزل التوریة علی موسی هل تجد فیها
ان الله یبغض الحبر السمین فانت الحبر السمین قد سمنت
من مالک الذی تطعمک الیهود فضحک القوم فغضب ثم التفت
الی عمر فقال ما انزل الله علی بشر من شیء فقال له قومه ویلک
ما هذا الذی بلغنا عنک فقال انه اغضبنی فنزعوه وجعلوا
مکانه کعب بن الاشرف وهل القائلون قریش وقد الزموا
انزال التوریة لانهم کانوا یسمعون من الیهود بالمدینة ذکر
موسی والتوریة وکانوا یقولون لو انا انزل علینا الکتاب لکنا
اهدی منهم وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤکم الخطاب للیهود
ای علمتم

وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله علی بشر من شیء قل من انزل الکتاب الذی جاء به موسی نورا وهدی للناس تجعلونه قراطیس تبدونها وتخفون کثیرا

وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤکم قل الله ثم ذرهم فی خوضهم یلعبون

على لسان محمد مما اوحى اليه ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم زيادة على ما في التورية وبيانا لما التبس عليكم وعلى آبائكم الذين كانوا اعلم منكم ان هذا القرآن يقص على بني
اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن
من قريش كقوله لتنذر قوما ما انذر آباؤهم قل الله اي انزله الله
فانهم لا يقدرون ان يناكروك ثم ذرهم في خوضهم في باطلهم الذي
يخوضون فيه ولا عليك بعد الزام الحجة وتبليغ الرسالة كما في قوله
لا تجبرن عليه انما انت لاعب ويلعبون حال من ذرهم او من خوضهم
ويجوز ان يكون في خوضهم حالا من يلعبون وان يكون صلة لذرهم او لخوضهم
مبارك كثير المنافع والفوائد ولتنذر معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب
كانه قيل انزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب والانذار
وقرئ لتنذر بالتاء والياء وسميت مكة ام القرى لانها مكان
اول بيت وضع للناس ولانها قبلة اهل القرى كلها ومحجهم ولانها
اعظم القرى شانا ولبعض المجاورين ثم تلتقي في بعض القربات وطه
فان القرى فلتى رجالي ومنتائي والذين يؤمنون بالآخرة يصدقون
بالعاقبة ويخافونها يؤمنون بهذا الكتاب وذلك ان اصل
الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن وخص
الصلوة لانها عماد الدين ومن حافظ عليها كانت لطفا له في
المحافظة على اخواتها افترى على الله كذبا فزعم ان الله بعثه نبيا
او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء وهو مسيلمة الحنفي الكذاب
او كاذب صنعاء الاسود العنسي وعن النبي صلى الله عليه رايت
فيما يرى النائم كان في يدي سوارين من ذهب فكبرا علي
واهماني فاوحى الله الي ان انفخهما فنفختهما فطارا عني فاولتهما
الكذابين اللذين انا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعاء
الاسود العنسي

فقلنا لكما ما نزلنا مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء ومن قال سانزل مثل ما انزل الله ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون

ومن قال سانزل مثل ما انزل الله هو عبد الله بن سعد بن ابي سرح
كان يكتب لرسول الله وكان اذا املى عليه سميعا عليما كتب
هو عليما حكيما واذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت
ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى آخر الآية عجب
عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله احسن
الخالقين فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله
وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن
كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة
ثم رجع مسلما قبل فتح مكة وقيل هو النضر بن الحارث
والمستهزئون ولو ترى جوابه محذوف اي لرايت امرا عظيما
اذ الظالمون يريد الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة فتكون
اللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله
وغمرات الموت شدائده وسكراته واصل الغمرة ما يغمر
من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة باسطوا ايديهم يبسطون
اليهم ايديهم يقولون هاتوا ارواحكم اخرجوها اليناس اجسادكم
وهذه عبارة عن العنف في السياق والالحاح والتشديد
في الازهاق من غير تنفيس وامهال وانهم يفعلون بهم فعل
الغريم الملظ يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه في
المطالبة ولا يمهله ويقول له اخرج الي ما لي عليك الساعة
ولا اريم مكاني حتى انزعه من احداقك وقيل معناه
باسطوا ايديهم بالعذاب اخرجوا انفسكم خلصوها من
ايدينا ان تقدرون على الخلاص اليوم تجزون يجوز ان يريدوا
وقت الاماتة وما يعذبون به من شدة النزع وان يريدوا
الوقت الممتد

المتطاول الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ والقيامة والهون
الهوان الشديد واضافة العذاب اليه كقولك رجل سوء يريد
العراقة في الهوان والتمكن فيه عن اياته تستكبرون فلا تؤمنون
بها فرادى منفردين عن اموالكم واولادكم وما حرصتم عليه
وآثرتموه من دنياكم وعن اوثانكم التي زعمتم انها شفعاؤكم وشركاء
لله كما خلقناكم اول مرة على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد وتركتم
ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الاخرة
وراء ظهوركم لم ينفعكم ولم تحتملوا منه نقيرا ولا قدمتموه لانفسكم
فيكم شركاء في استعبادكم لانهم حين دعوهم آلهة وعبدوها
فقد جعلوها لله شركاء فيهم وفي استعبادهم وقرئ فرادا
بالتنوين وفراد مثل ثلاث وفردى مثل سكرى فان قلت
كما خلقناكم في اي محل هو قلت في محل النصب صفة لمصدر جئتمونا
اي مجيئا مثل خلقنا لكم لقد تقطع بينكم وقع التقطع بينكم كما تقول
جمع بين الشيئين تريد اوقع الجمع بينهما على اسناد الفعل الى مصدره
بهذا التاويل ومن رفع فقد اسند الفعل الى الظرف كما تقول
قوتل خلفكم وامامكم وفي قراءة عبد الله لقد تقطع ما بينكم فالق
الحب والنوى بالنبات والشجر وعن مجاهد اراد الشقين
اللذين في النواة والحنطة يخرج الحي من الميت اي الحيوان
والنامي من النطف والبيض والحب والنوى ومخرج هذه
الاشياء الميتة من الحيوان والنامي فان قلت كيف قال
ومخرج الميت من الحي بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحي
من الميت قلت عطفه على فالق الحب والنوى لا على الفعل
ويخرج الحي من الميت موقعه موقع الجملة المبينة لقوله فالق الحب
والنوى

ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فانى تؤفكون

الحي من الميت

لان فلق الحب والنوى بالنبات والشجر الناميين من جنس اخراج
لان النامي في حكم الحيوان الا ترى الى قوله يحيي الارض بعد موتها
ذلكم الله ذلكم المحيي المميت هو الله الذي تحق له الربوبية فانى
تؤفكون فكيف تصرفون عنه وعن توليه الى غيره فالق الاصباح
مصدر سمي به الصبح وقرئ الحسن بفتح الهمزة جمع صبح وانشد
قول افنى رباحا وبني رباح تناسخ الامساء والاصباح بالكسر
والفتح مصدرين وجمعي مسي وصبح فان قلت فما معنى فلق
الصبح والظلمة هي التي تنفلق عن الصبح كما قال تفرّي ليل عن
بياض نهار قلت فيه وجهان احدهما ان يراد فالق ظلمة
الاصباح وهي الغبش في آخر الليل ومنقضاه الذي يلي
الصبح والثاني ان يراد فالق الاصباح الذي هو عمود الفجر
عن بياض النهار واسفاره وقالوا انشق عمود الفجر وانصدع
الفجر وسموا الفجر فلقا بمعنى مفلوق وقال الطائي واززق
الفجر يبدو قبل ابيضه وقرئ فالق الاصباح وجاعل الليل
بالنصب على المدح وقرأ النخعي فلق الاصباح وجعل الليل
السكن ما يسكن اليه الرجل ويطمئن استئناسا به واسترواحا
اليه من زوج او حبيب ومنه قيل للنار سكن لانه يستانس
بها الا تراهم سموها المؤنسة والليل يطمئن اليه المتعب بالنهار
لاستراحته فيه وجمامه ويجوز ان يراد وجعل الليل مسكونا
فيه من قوله لتسكنوا فيه والشمس والقمر قرئا بالحركات الثلاث
فالنصب على اضمار فعل دل عليه جاعل الليل اي وجعل
الشمس والقمر حسبانا او يعطفان على محل الليل فان قلت
كيف يكون لليل محل والاضافة حقيقية لان اسم الفاعل المضاف
اليه في معنى المضي

فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم

ولا تقول زيد ضارب عمرًا امس فلما ما هو في معنى المضي وانما هو
دال على جعل مستمر في الازمنة المختلفة وكذلك فالق الحب
وفالق الاصباح كما تقول الله قادر عالم فلا تقصد زمانا دون
زمان والجر عطف على الليل والرفع على الابتداء والخبر محذوف
تقديره والشمس والقمر مجعولان حسبانا او محسوبان حسبانا
ومعنى جعل الشمس والقمر حسبانا جعلهما على حسبان لان
حساب الاوقات يعلم بدورهما وسيرهما والحسبان بالضم
مصدر حسب كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب ونظيره
الكفران والشكران ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اي ذلك
التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما وسخرهما
العليم بتدبيرهما وتدويرهما في ظلمات البر والبحر في ظلمات
الليل بالبر والبحر واضافها اليهما لملابستها لهما او شبه
مشتبهات الطرق بالظلمات من فتح القاف في المستقر كان
المستودع اسم مكان مثله او مصدرا ومن كسرها كان
اسم فاعل والمستودع اسم مفعول والمعنى فلكم مستقر في الرحم
ومستودع في الصلب او مستقر فوق الارض ومستودع تحتها
او فمنكم مستقر ومنكم مستودع فان قلت لم قيل يعلمون
مع ذكر النجوم ويفقهون مع ذكر انشاء بني آدم قلت كان
انشاء الانس من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة الطف
وادق صنعة وتدبيرا فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال
فطنة وتدقيق نظر مطابقا له فاخرجنا به بالماء نبات كل شيء
نبت كل صنف من اصناف النامي يعني ان السبب واحد وهو الماء
والمسببات صنوف مفتنة كما قال تسقى بماء واحد ونفضل
بعضها على بعض في الاكل.

فاخرجنا منه من النبات خضرا شيئا غضا اخضر يقال اخضر
وخضر كاعور وعور وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج
من الحبة نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل
وقنوان رفع بالابتداء ومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه
كانه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان ويجوز ان يكون الخبر
محذوفا لدلالة اخرجنا عليه تقديره ومخرجة من طلع النخل قنوان
ومن قرا يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا
على حب والقنوان جمع قنو ونظيره صنو وصنوان وقرئ
بضم القاف وبفتحها على انه اسم جمع كركب لان فعلان ليس
من زنات التكسير دانية سهلة المجتنى معرضة للقاطف كالشيء
الداني القريب المتناول ولان النخلة وان كانت صغيرة ينالها
القاعد فانها تاتي بالثمر لا تنتظر الطول وقال الحسن دانية
قريب بعضها من بعض وقيل ذكر القريبة وترك ذكر البعيدة
لان النعمة فيها اظهر او دل بذكر القريبة على ذكر البعيدة كقوله
سرابيل تقيكم الحر وقوله وجنات من اعناب فيه وجهان احدهما
ان يراد وثم جنات من اعناب اي مع النخل والثاني ان يعطف
على قنوان على معنى وحاصلة او ومخرجة من النخل قنوان وجنات
من اعناب اي من نبات اعناب وقرئ وجنات بالنصب
عطفا على نبات كل شيء اي واخرجنا به جنات من اعناب
وكذلك قوله والزيتون والرمان والاحسن ان ينتصبا
على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلوة لفضل هذين الصنفين
مشتبها وغير متشابه يقال اشتبه الشيئان وتشابها
كقولك استويا وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا

وقرئ مشتبها وغير متشابه وبعديه والزيتون متشابها وغير
متشابه تقاله والرمان كذلك كقوله كنت منه ووالدي بريئا
والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه في القدر واللون
والطعم وذلك دليل على التعمد دون الاهمال انظروا الى
ثمره اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا ضعيفا
لا يكاد ينتفع به وانظروا الى حال ينعه ونضجه كيف يعود
شيئا جامعا للمنافع وملاذ نظر اعتبار واستبصار واستدلال
على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال الى حال وقرئ وينعه
بالضم يقال ينعت الثمرة ينعا وينعا وقرأ ابن محيصن ويانعه
وقرئ وثمره ان جعلت لله شركاء مفعولي جعلوا نصبت
الجن بدلا من شركاء وان جعلت لله لغوا كان شركاء
الجن مفعولين قدم ثانيهما على الاول فان قلت فما فائدة التقديم
قلت فائدته استعظام ان يتخذ لله شريك من كان
ملكا او جنيا او انسيا او غير ذلك ولذلك قدم اسم الله على
الشركاء وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر
على الاضافة التي للتبيين والمعنى اشركوهم في عبادته لانهم اطاعوهم
كما يطاع الله وقيل هم الذين زعموا ان الله خالق الخير
وكل نافع وابليس خالق الشر وكل ضار وخلقهم وخلق الجاعلين
لله شركاء ومعناه وعلموا ان الله خالقهم دون الجن ولم
يمنعهم علمهم ان يتخذوا من لا يخلق شريكا للخالق وقيل
الضمير للجن وقرئ وخلقهم اي اختلاقهم للافك يعني
وجعلوا لله خلقهم حيث نسبوا قبائحهم الى الله في قولهم
والله امرنا بها وخرقوا له وخلقوا له اي افتعلوا له بنين
وبنات

رجل ضئيل الجسم اذا صغر الجسم نحيفا

وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل

Süleymaniye U. Kütüphanesi
Fatih
374